قصص الأنبياء

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب

تأليف

عبد الوهاب النجار

مدرس التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين
وناظر مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا

الطبعة الثانية

منقحة وبها زيادات هامة

١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م

مطبعة النصر ٢٢٢ شارع فاروق بمصر

٭
٭ ٭

طبع فى

مطبعة النصر بشارع الأمير فاروق بمصر

لصاحبها

محمود مرسى أحمد حسبو

وَكُـلا نَقُـصُّ عَلَـيْكَ مِنْ أَنْبَــاءِ الرسُـلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَـٰذِهِ الحَـقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ

« قرآن كريم »

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ الذى قص الله عليه أحسن القصص فى كتابه الكريم . وعلى اخوانه من الرسل والأنبياء أهل القدر العظيم .

وبعد فقد وجهت مشيخة قسم التخصص بالأزهر الشريف الى هذا العبد الضعيف أن يلقى دروسا على طلبة قسم الوعظ والأرشاد فى قصص الأنبياء الأطهار الذين ورد ذكرهم فى القرآن وكان ذلك فى سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ الدراسية .

لم أجد بدأ من امتثال الأمر وقد قمت من هذه المهمة الكبيرة بما وصل اليه الأمكان على وجه أرجو أن يكون مرضياً عند الناس ، مقبولا عند الله .

ولا بد لى من بيان الطريق الذى سلكته ليكون القارئ على بينة من الأمور واقفا على المغزى الذي عنيته

١ - أخذت نفسى بأن أبدأ باسم النبى صلى الله عليه وسلم الذى أريد الكلام فى شأنه وأبين كم مرة ورد ذكره فى القرآن الكريم وأدل على رقم الآيات التى ذكر فيها من السور المختلفة وقد استعنت على ذلك بالقاموس أو الفهرس الذى عمله الدكتور فلوجل العالم الألمانى غير أنى جعلت الأرقام على مقتضى المصحف الكريم الذى طبعته الحكومة المصرية فى سنة ١٣٤٢ هجريه

٢ - أقسم قصص النبى من الأنبياء إلى عدة مواقف أستوفى فى كل موقف شأنه فيه ثم أتبع ذلك بالآيات الكريمة التى تدل عليه مع ذكر رقم كل آية بعدها غالبا

٣ - يغلب أن أذكر ذلك الموقف إن كان له ذكر فى كتب العهد القديم «التوراة» أو العهد الجديد «الأنجيل» وهو أحيانا يوافق القرآن وأحيانا يخالفه ولا يعزب عن فكر القارىء الكريم أن القرآن جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فما جاء به . الحق الذى لا مراء فيه . وكل ما يخالفه لا معول عليه

٤ - أن أبين أوجه العظة والعبرة التى فى القصة على وجه الاختصار

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أنبه القارىء إلى أن كتب العهدين (القديم والجديد) ليس لهما سند متصل ولم تخل من تحريف المحرفين خطأ أو عمدا ولكنى بذلك أنبه الطالب الذى سيكون عرضة للاتصال بأهل الكتابين بحكم مهمته وبصدد أن ترد عليه النصوص منهما فى الموضوعات المختلفة ليكون على استعداد للأجابة عما يسأل عنه وتكون عنده فكرة عنهما وليأخذ منهما ما يساعده على أدلته وبراهينه وليبطل ببعض نصوصهما ما يمكن ابطاله من الدعاوى التى قد يدعيها أهل الكتابين

ولا يغرب عن فطنة القارىء أنى فى تلخيص القصة وإيراد آى القرآن لا أقصد الى تحليل الكلمات وبيان اعجاز الآيات والأفاضة فى بيان ما فيها من اطناب وإيجاز أو قصر أو تأخير أو نحو ذلك مما يعمد اليه المفسرون وإنما أقصد إلى تلخيصها تلخيصا يجمع أطرافها ويحيط بمغزاها

واذا وقفت على رأى مفسر أو مفسرين لا يلتئم مع ما أفهم من القصة أو ردته وأتبعت ذلك بالرد عليه مبينا الوجه الوجيه الذى اليه قصدت وإياه عنيت وأورد ما قد يساعدنى على ما قد ذهبت اليه من أقوال ثقات المفسرين الآخرين

أما الكتب التى رجعت اليها فى هذا الموضوع الشريف فهى :

١ - القرآن الكريم
٢ - البخارى
٣ - تفسير البيضاوى
٤ - « الألوسى
٥ - « الطبرى
٦ - تفسير الفخر الرازى
٧ - « ابن كثير
٨ - « المنار
٩ - الأجوبة الفاخرة للقرافى
١٠ - تاريخ الطبرى

١١ - تاريخ ابن الأثير
١٢ - دائرة المعارف للبستانى
١٣ - إظهار الحق لرحمة الله الهندى
١٤ - الفارق بين المخلوق والخالق
١٥ - القاموس المحيط للفيروز أبادى
١٦ - تاج العروس
١٧ - لسان العرب لابن منظور
١٨ - كتب العهد القديم والعهد الجديد
١٩ - قاموس الكتاب المقدس

وانى فى هذا المقام أشكر لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى شيخ الأزهر الشريف ورئيس مجلس الأزهر الأعلى، والأستاذ الكبير صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ورئيس قسم التخصص - حسن ظنهما بشخصى الضعيف وتقدير أنى أفيد الطلبة فيما أسند الى وأشكر طلبة القسم « قسم التخصص » أن كانوا يناقشوننى فى الموضوعات التى آتيهم بها مناقشة تحمل على الدرس والمراجعة وتحقيق الحق الواجب الاتباع

والذى أرجوه من كل مطلع على هذه الكلمات أن يتفضل بأن يرسل الى ما يعن له من الملاحظات أو يقف عليه من خطأ أو زلل لأثبت له رأيه إذا أذن الله بطبع هذه الكلمات كتابا مرة أخرى والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل .



مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الطول والانعام . والصلاة والسلام على خاتم النبيين والرسل الكرام .

(وبعد) فهذا كتاب فى قصص الأنبياء الأطهار والمرسلين الأخيار ، الذين اختصهم الله بالمعجزات والآيات الباهرات وأقام بهم الدين الذى اصطفاه لهم فهدى بهم من الضلالة وأنقذ بهم من الجهالة وجعلهم أدلاء على الهدى لمن استهداهم ممن لهم قصص فى القرآن الكريم .

ولقد نظرت فى الكتب المؤلفة فى سير أنبياء الله الأطهار ورسله الأبرار فوجدت مؤلفيها يجمعون الحق والباطل ويقرنون الى الصواب الخطأ وينظمون العقود من الدر والخزف لا يرجعون فى تلك القصص الى تحقيق يبين به الرائج عن الزائف وجل ما يعتمدون عليه اسرائيليات وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان فأردت أن يكون كتابى هذا علما يهتدى به الى الصواب مع التنبيه على ما يكون فى تلك السير أو الروايات من الخطأ نصحا منى لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم وتطهيرا لذمتى واستبراء لضميرى . فاذا أصبت شاكلة الصواب فذلك بتوفيق الله تعالى وتسديده واذا فرط منى خطأ فى فكر أو تقرير حادثة فلى أجر من اجتهد فأخطأ ولى من حسن القصد شافع لا يرد . وانى أسأل الله أن ينفع به قارئه وان يجنبنى الخطأ والخطل والزيغ والزلل انه ولى التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل .

كيف قابل الناس كتاب قصص الأنبياء

حين ظهرت الطبعة الأولى

كان الناس فى كتاب قصص الأنبياء فريقين : —

أما الفريق الأول ، فهم خريجو المدارس العالية والمستنيرون والمثقفون وأعلام الهداية الذين

حبب الله اليهم الايمان وزينه فى قلوبهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون من أعلام الأزهر الشريف الذين لا يشتهون سوى الحق طابة ولا يبغون آيات الله عوجا ومن يلتقطون الحكمة أنى وجدوها .

هذا الفريق قد اغتبط بذلك الكتاب أيما اغتباط ووجدوه الضالة التى كانت أنفسهم تشتهى أن تجدها . أو هو مثل شعر بن أبى ربيعه الذى بكت الشعراء من أجله الديار وندبت فى نشدانه الاطلال والآثار فأخطأهم الظفر به ووقع عليه المغيرى - وكان فرحهم به فرح المشوق بلقاء الحبيب فى غفلة من الرقيب أو فرح الأديب بالأديب أو العليل بالطبيب .

ولقد قال لى فاضل من نظار المدارس بعد اهداء الكتاب اليه (إذا كان فى الكتاب من عيب فهو أنه ألهى زوجتى عن كل عمل فى بيتها وعن كل مصلحة لأولادها لجدها فى البلوغ الى نهايته)

وأما الفريق الثانى : فهم الذين لم يحصلوا من العلم الا على قشور لا تسمن ولا تغنى من جوع . لهم عقول . ولكنها معقولة عن التفكير ولهم عيون ولكنهم لا يبصرون بها ضوء الصبح المسفر فهم يعشون عن الحق وهو انصاف ويلمحون الباطل وهو مستترخاف . ولهم قلوب لا تفقه الرشد وهو واضح جلى ولا يفوتها الغى وهو موبق وبى . ولهم آذان ولكن بها وقر عن الهدى لاتحة أعلامه متلبية لكل نبأة من الغى خفى جرسها . ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون . عندهم التفكير فى الحق جريمة لا تمحوها توبة . وإجالة الفكر فى المعقولات حوبة وأى حوبة ، والويل كل الويل لمن تدبر آيات الله بعقله والثبور كل الثبور لمن فهم كلام الله بغير ما فهمه الأولون أو عقل كلام الله على غير النمط الذى خطه الآباء الأقدمون . قد حصر الواحد منهم نفسه فى دائرة من الخرافات لا يفهم سواها ، ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

ظهر الكتاب فرأوا نوراً لم يعتادوا رؤيته ، وضياء لا عهد لهم بمثله ، فآذاهم ذلك النور ، وأنكرت أعينهم ذلك الضياء .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد　　وينكر الفم طعم الماء من سقم

فبدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر . وانى مع ذلك أرحمهم فلم يخلقوا كما يشتهون وليس لهم يد فى ضيق تلك العقول وإنى لأعذرهم أيضاً فى انكار ما أنكروا فقد جاءهم من الحق ما يجهلون ومن الصدق مالا يستطيبون والناس أعداء ما جهلوا

ورحم الله أبا الطيب إذ يقول

وأرحم أقواما من العى والغبا　　وأعذر فى بغضى لأنهم ضد

ولهؤلاء أوصى وصية ناصح مشفق بألا يقرءوا كتابى ولا يفتحوا له غلافا . وعليهم أن يبتعدوا عنه ابتعاد النون من البيداء ، والضب من الدأماء ، فلم أضعه لهم ولم أقصدهم به ، وليعلموا أن هذا الكتاب فتنة يضل الله به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ، وقديما قال موسى كليم الله لربه فى آية من آياته وهى حق لاريب فيه (إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) والله تعالى يبلو الناس ويفتنهم بالخـــير كما يبلوهم بالشر « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون »

ولو أن بيدى مفاتيح الهدى لأفضت عليهم من الهداية ماتتسع به عقولهم وتستضىء به بصائرهم وتشرق به بواطنهم ، ولأقمتهم على الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

رب إن الهـدى هداك وآيا　　تك نور تهدى بها من تشاء

اللهم إنى قد أنذرت وحذرت ، ومن أنذر فقد أعذر ، ومن حذر فكمن بشر

من هـذا الفريق جماعة رأوا الكتاب فتعاووا وتغاووا وحرشوا انيابهم وحركوا أذنابهم وأشلوا بى واحدا منهم يمر بالمجتمعات وبعض الحوانيت ويقول : إن الكتاب يخالف روحه الدين وأن عبد الوهاب النجار وكتابه أضر على الاسلام من المبشرين — وقد ترامت إلى أقواله فقلت

تعالى الله مولاى　　وزاد الله إيمانى

ان قائل هذا القول لم يكن له وجود فى هذه الحياة الدنيا يوم كنت أنافح عن الدين الاسلامى بلسانى وقلمى فى أول العقد العاشر من القرن الماضى الميلادى ، ولقد حملنى هذا القول منهم على سرد حوادث ما كنت أوثر سردها وايراد وقائع ما كنت أريد إيرادها

كنت فى سنة إحدى وتسعين وثمانمائة والف والسنة التى بعدها طالبا صغيرا بالجامع الأحمدى . وكان بطنطا قسيس بروتستانتى اسمه (أبو راشد) وكان يرسل باعتراضات له على الاسلام والقرآن فجاء بعض ذلك إلى المرحوم الشيخ محمد الوكيل من علماء الجامع الأحمدى وكان رحمه الله صديقا لوالدى فطلبت منه أن أكون المجيب للقسيس فسمح بذلك . وكانت مساجلات شفهية بعد ذلك بينى أنا والمرحوم الشيخ مجاهد بركات من أعرق الأسر بطنطا من جهة وبين القسيس من جهة أخرى فى مسائل الدين ، وكنا نجتمع فى بعض الأوقات باحدى المقاهى بشارع البورصة بطنطا ويحضر معنا بعض مواطنى القسيس اللبنانيين . فكان صدى تلك المجادلات الدينية ينقل إلى القاهرة ثم إلى لندن فتضج التيمس والجرائد الانكليزية وتجأر بالشكوى من التعصب الدينى

فى مصر مبرقة مرعدة مهددة منادية بالويل والثبور فتنقل تلك الأقوال فى بعض الجرائد المصرية وتنبرى جرائد أخرى لتكذيب ماتقوله التيمس منادية بأن الأقباط بمصر لايقاق راحتهم أحد ولا توجد من أحدهم شكوى

ولقد زار السير (أفلن بارنغ) المرحوم السيد (محمد توفيق البكرى) فى إحدى ليالى رمضان بسراى الخرنفش . فسأله السيد عن ضجات التيمس والجرائد الانجليزية وما تقول به من وجود التعصب الدينى فى مصر مع أنه لا يوجد شىء من ذلك فى القطر المصرى . فقال جناب السير : إن التعصب الدينى موجود . وأقدر أن أسمى لك مدينة طنطا . وهو لا يعنى بذلك سواى وصديقى الشيخ مجاهد رحمه الله . وكنا حينئذ طالبين صغيرين ضعيفين

وقد مر بنا بطنطا المرحوم محمد أفندى يحيى وكيل السيد البكرى وأخبرنا بما كان وأشار علينا بالابتعاد عن القسيس

وفى ختام ذلك القرن جاءت البعثة التبشيرية الانجليزية مكفولة بحماية اللورد كرومر مرعية برعايته ملحوظة بعين عنايته واتخـذت مقرها المدرسة الانجليزية وكانت موجودة بباب الخلق بشارع محمدعلى قبالة دار الكتب المصرية . وكان ذلك فى سنة ١٨٩٩ . وكنت وقتئذ مدرساً بمدرسة عابدين الأميرية . وكان القسوس من المبشرين يدعون المسلمين إلى دخول الدين المسيحى . فذهبت اليهم ومعى زميلاى وصديقاى المرحوم أحمد أفندى صقر والأستاذ الشيخ أحمد راشد المدرس بدار العلوم سابقا . ودخلنا إلى دار التبشير وجادلت المبشرين وناقشتهم فى دينهم حتى أفحمتهم . ثم انبريت لهم أدعوهم إلى الدخول فى الاسلام وبينت لهم عقائده ومحاسنه . فأنا أول مبشر بدين الاسلام بشر القسوس الذين يدعون إلى النصرانيه .

تكرر منى هذا الأمر حتى برموا بى وضجوا بالشكوى إلى جهات الحكومة حتى أرسلت المحافظة الجند مشاة وفرسانا لمنعى من الدخول إلى مكانهم الذى يدعون الناس اليه دعوة عامه .

ويذكر الذين شاهدونى فى تلك الليلة وقد وقفت فى مكان دار الكتب المصرية (وكانت لماتبن إلى اليوم) وأنا انادى جماهير المسلمين قائلا . إلىّ عباد الله . فلما أحاطوا بى صرت أخطبهم وأبين لهم محاسن الاسلام وأزهدهم فيما يدعون اليه إلى أن جاء البوليس وفرق ذلك الجمع بالقوة

بلغ صنعى هذا إلى المرحوم الشيخ (محمد زكى الدين سند) فاستدعانى وقال لى ما حاجتنا إلى الذهاب إلى هؤلاء القوم . وخير لنا أن ننشىء جمعية نسميها مكارم الأخلاق . وأن ندعو الناس إلى الحضور اليها ليسمعوا العظات الدينية والنصائح . وبذلك ينصرفون عن هؤلاء القوم . فاتفق رأينا على ذلك . وكونت الجمعية فى سنة ١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ م وكان الشيخ محمد زكى الدين سند رئيسا

لها وكنت أنا وكيلا . والأستاذ محمد رشدى القاضى الآن سكرتيرا لها

وأقبل الناس عليها إقبالا عظيما . وأنشأت هذه الجمعية مجلة مكارم الأخلاق الاسلامية وأنشأت فروعا لها ، وكان من أعضائها والواضعين لقانونها حضرة صاحب المعالى (محمد حلمى عيسى باشا) وزير المعارف سابقا . وكان طالبا بمدرسة الحقوق .

أين كانت هذه المخلوقات (التى تخطى إذا جئت فى استفهامها بمن) حتى يقول قائلها ان كتاب (قصص الأنبياء) ومؤلف هذا الكتاب أضر على الأسلام من المبشرين (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا)

كان من عواقب استمرارى على خدمة الاسلام وبذل النصح للمسلمين أن تبرم بمكانى من لهم أسماء المسلمين والقاب الموحدين فى نظارة المعارف فعاقبونى بأبعادى الى أسوان مدرسا بمدرستها - فأبيت أن أذهب وقدمت استقالتى من خدمة نظارة المعارف لأشتغل حرا لا أتقيد بشىء سوى دينى وضميرى ووجدانى وكان من شأن هذه الاستقالة ما كان ، ومن شاء المزيد فليرجع الى صفحات اللواء فى سنة ١٩٠٠

وقد وقفت قلبى ومجهودى على خدمة الأسلام بكل ماأوتيت من قوة مذعقدت يداى ازارى . فلم يحتج الأسلام الى الذود عن عقيدته أو بيان محاسنه الا كنت سباقا الى تلك الغاية بخطى فى المحافل والجامع وبما يخطه يراعى

وعمرت فى الأسلام فازددت بهجة ونورا والحمد لله على منته فهو المنعم المتفضل

وانى لأقول لمن يبحثون لى عن هفوة أو كبوة :

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شيمى أنا الثريا وذان الشيب والهرم

وقد كتب جماعة من حضرات أصحاب الفضيلة العلماء . نقدا لكتابى . وقد أتيت على هذا النقد بما ينقضه ويأتى على بنيانه من القواعد وسيقف القارىء على نقدهم ونقضه عند كل موضع وجهوا الى النقد فيه . والله ولى التوفيق . وهو حسبى ونعم الوكيل . ومنه العون واليه المصير

وليعلم القارىء الكريم أنى حين شرعت فى كتابى (قصص الأنبياء) كانت ماثلة أمامى قواعد سرت على ضوئها . وان كانت غير منصوصة كلها فى مقدمة الطبعة الأولى من هذا الكتاب وانما تركتها اعتمادا على ذهن القارىء وكلها يكاد يكون معلوما من الدين بالضروره

وهأنذا أنصها لتكون نبراسا يهتدى به المطلع على ردى على تقرير حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وهى:

١ ـ أن العقل ركن المعتقدات الأول : فما أوجبه كان واجبا . وما أحاله كان محالا . وما أجازه كان جائزا .

٢ ـ أن الخبر الوارد عن المعصوم اذا كان قطعى الثبوت والدلالة فهو حجة قاطعة على ما تضمنه وذلك يشتمل شيئين : الكتاب الكريم . والخبر المتواتر

٣ ـ اذا عارض الخبر العقل . وجب تأويل الخبر بما يزيل هذا التعارض

٤ ـ الخبر اذا كان رواته آحادا فلايصلح أن يكون دليلا على ثبوت الأمور الاعتقادية . لأن الأمور الاعتقادية . الغرض منها القطع ، والخبر الظنى الثبوت أو الدلالة لا يفيد القطع

٥ ـ ما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية : فما كان منقولا بطريق الآحاد سواء بلغ حد الشهرة أو لا فمردود . لأن نسبة الخطأ الى الرواة أهون من نسبة المعاصى الى الأنبياء

٦ ـ ما نقل مما يشعر بكذب أحد الأنبياء أو معصيته وكان النقل متواترا . فما يمكن صرفه عن ظاهره صرف ان أمكن . والا فيحمل على أنه ترك الأولى . أو قبل البعثة

٧ ـ المعجزات لا تثبت بخبر الآحاد لأن المطلوب فيها اليقين . وخبر الآحاد لا يقين فيه

٨ ـ انكار المعجزة الثابتة بنص قطعى الثبوت والدلالة كفر

٩ ـ الاسرائيليات لا حرج فى مخالفتها ولا فى انكارها جملة وتفصيلا

١٠ ـ كتب العهد القديم والجديد . ماكان منها موافقا للقرآن فهو حق وماكان منها مخالفا للقرآن فهو باطل . وماكان القرآن ساكتا عنه فلا نقطع بصدقه ولا بكذبه . ويجوز نقله والاستئناس به

١١ ـ أقوال المفسرين ليست حجة قاطعة فيما نصت عليه بل هى أوجه كما يجوز حمل عبارة القرآن عليها . يجوز مخالفتها . وحمل عبارته على غيرها . ولا مؤاخذة على من خالفها

١٢ ـ القرآن الكريم لا تنقضى عجائبه . ولا تنفد غرائبه . فلكل امرىء أن يتدبره بعقله ويفهمه على الوجه الذى يستقر فى اعتقاده بشرط أن يكون ذلك جاريا على مقتضى العربية غير مخل بفصاحته ولا مخل بشىء من مقاصد الدين

ملاحظتان

١ ـ قال الامام أحمد : (ثلاثة ليس لها أصل . التفسير والملاحم والمغازى) وعندى أيضا أنه متى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض

٢ ـ قال شيخ الأسلام ابن تيمية (ما نقل عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس اليه أسكن مما ينقل عن التابعين ـ وكل ذلك فيما لا يتعلق بامر يحتاج فيه الى اليقين .

آدم عليه السلام

عدد مرات ذكره فى القرآن ـ خلقه من طين ـ أمر الملائكة بالسجود له بعد نفخ الروح فيه ـ اباء ابليس عن السجود له تكبرا ـ محاجة ابليس لخالقه ـ طرد ابليس من الجنة وانظاره الى يوم العرض ـ استخلاف الله آدم فى الأرض ـ قول الملائكة أتجعل فيها الخ ـ تعليم الله آدم الأسماء ـ خلق حواء واسكان الله آدم وزوجه الجنة ـ اغراء ابليس آدم وزوجته على الأكل من الشجرة المحرمة ـ عقاب الله لآدم وأخراجه من الجنه ـ مسائل

ذكر اسم آدم فى القران الكريم خمساً وعشرين مرة فى خمس وعشرين آية وهاكم الآيات التى ذكر فيها :ـ

رقم السورة	السورة	الآيات
٢	البقرة	٣١ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٧
٣	آل عمران	٣٣ ٥٩
٥	المائدة	٢٧
٧	الاعراف	١١ ١٩ ٢٦ ٢٧ ٣١ ٣٥ ١٧٢
١٧	الاسراء	٦١ ٧٠
١٨	الكهف	٥٠
١٩	مريم	٥٨
٢٠	طه	١١٥ ١١٦ ١١٧ ١٢٠ ١٢١
٣٦	يس	٦٠

أول من قص الله تعالى علينا قصصهم فى القرآن الكريم من الأنبياء آدم أبو البشر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . وقد ذكرت قصته فى سورة البقرة وفى سورة الاعراف وفى سورة الاسراء وفى سورة الكهف وفى سورة طه باسمه وصفته وفى سورة الحجر وفى سورة ص بصفته فقط وكلها بمعنى واحد ولكن بعبارات مختلفة اللفظ فقط . وذلك مما يدل على اعجاز القرآن الكريم فان أكتب الكاتبين وأبلغ البلغاء اذا كتب قصة مرة يستحيل عليه أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على المتانة فى الاسلوب والبلاغة فى التعبير كما فى القرآن الكريم

خلق آدم من طين

وأمر الملائكة بالسجود له وامتناع ابليس عن السجود تكبرا

تتلخص قصة آدم فى أن الله تعالى أخبر ملائكته أنه سيخلق بشرا من طين وأمرهم اذا سواه ونفخ فيه من روحه أن يقعوا له ساجدين سجود تكريم بالطبع لا سجود عبادة لان الله لا يأمر أحدا أن يتوجه بالعبادة الى سواه ـ وبعبارة أخرى كان ذلك احتفالا بتمام تكوين آدم بشراً سويا

سوى الله تعالى آدم من طين من حمأ مسنون «متغير» حتى اذا صار ذلك الطين صلصالا «يصل اذا ضرب» كالفخار نفخ فيه من روحه فاذا هو انسان حى من لحم ودم وعظم وعصب يتحرك بارادته ويدرك فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وأبى أن يسجد استكبارا ونسب الى الله الظلم فى أمره بالسجود لآدم وقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فطرده الله من الجنة ـ اقرأ قوله تعالى : —

سورة البقرة : وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٣٤

سورة الاعراف : وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ١١

والمعنى خلقنا أصلكم الذى نسلكم وكنتم من أبنائه . فخلقنا له خلق لكم . وتصويرنا له تصوير لكم

سورة الحجر : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ٢٦ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ٢٧ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٢٩ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٣٠ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٣١

سورة الكهف : وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ٥٠ —

سورة ص : إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٧٣ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٧٤

محاجة إبليس لله فى مخالفته عن امره بالسجود

سأل الله تعالى إبليس وهو أعلم عن السبب الذى منعه من السجود إذ أمره فاحتج بأنه أفضل من آدم الذى خلقه من طين من صلصال من حمأ مسنون . وأن من الظلم أن يخلق هو من عنصر النار الذى هو أشرف من الطين ثم يؤمر بالسجود لتلك الكتلة ونسب الله تعالى الى الظلم وأبدى غاية التكبر . فاعلمه الله بأنه من أهل النار لاستكباره وبأنه مطرود من الجنة لذلك السبب وهو الكبر ونسبة الظلم إلى الله .

انظار ابليس الى يوم الدين

طلب من الله تعالى أن ينظره إلى يوم الدين وتوعد آدم الذى طرد بسببه من الجنه بان يغوى ذريته ويفسدهم على الله وأن يسعى فى أن يجعل أكثرهم غير شاكرين لله إلا عباد الله المخلصين فوعده الله هو وكل من أطاعه من ذرية آدم بالنار

اقرأ قوله تعالى : —

فى سورة الأعراف : قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ١٢ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ١٧ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ١٨

وفى سورة الحجر : قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ٣٣ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ

الدين ٣٥ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ٣٦ قال فإنك من المنظرين ٣٧ إلى يوم الوقت
المعلوم ٣٨ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ٣٩ إلا عبادك منهم
المخلصين ٤٠ قال هذا صراط على مستقيم ٤١ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من
الغاوين ٤٢ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ٤٣

وفي سورة الاسراء : وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن
خلقت طينا ٦١ قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته
إلا قليلا ٦٢ قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ٦٣ واستفزز من استطعت
منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم
الشيطان إلا غرورا ٦٤ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ٦٥

وفي سورة ص : قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من
العالين ٧٥ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ٧٦ قال فاخرج منها فإنك رجيم ٧٧
وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ٧٨ قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ٧٩ قال فإنك من
المنظرين ٨٠ إلى يوم الوقت المعلوم ٨١ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ٨٢ إلا عبادك منهم
المخلصين ٨٣

استخلاف الله آدم في الأرض

أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيجعل آدم خليفة في الأرض فقالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) وتدعنا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ولا نعصى أوامرك ولا نفعل شيئا من نواهيك فاخبرهم الله تعالى أنه يعلم في هذا المخلوق من الأسرار مالا يعلمون ويعلم مايبدون وما يكتمون وأنهم غير عالمين بالسر في استخلافه آدم وأنه اختصه بعلم مالا يعلمون

ومعنى الخلافة عن الله في الأرض أنه سيكون له سلطان عليها متصرفا في موادها ليجعلها ملائمة لحاجاته

سورة البقرة: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣١

قد يظن القارىء لهذا السؤال أن الملائكة قاموا بمظاهرة أمام الله واحتجوا عليه لاستخلافه آدم فى الأرض فيقول، كيف يكون هذا منهم وهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ؟

والذى أفهمه أن شيئا من ذلك لم يحصل ولكن خواطر خطرت بأنفسهم وهى تشوفهم لمعرفة الحكمة فى استخلاف ذلك المخلوق الذى من شأنه تلك الأشياء : ومعرفة السر فى تركهم من هذا الامر وهم المجبولون على تسبيحه وتقديسه - فاراد الله أن يعلمهم بالعمل أنه أودع فيه من السر والقدرة على وضع أسماء الاشياء مالم يودعه فيهم

تعليم الله آدم

أسماء المسميات التى تقع تحت حسه

أراد الله تعالى أن يحقق للملائكة بالفعل ويكشف لهم بالعمل ما غاب عنهم ويبين أن آدم الذى استحقره أولئك الملائكة محل لعناية الله وإيثاره بما لم يعطه لهم - فعلم الله آدم الاسماء كلها

والذى أفهمه أنه علمه جميع الاشياء التى فى جنة عدن والهمه وأقدره على وضع اسم لكل ماتقع عليه عينه هناك من زروع وأجزائها وأشجار وثمار وفروع وورق ولب ونوى وجميع الأوعية والأدوات التى هناك وجميع ما فيها من حيوان وأجزائه لاحتياجه اليها

ومعلوم أن معرفة آدم لهذه الاشياء فى طعامه وشرابه وسائر ما يتلذذ به فى تلك الدار أمر طبيعى بخلاف الملائكة فانهم لا يحتاجون الى شىء من ذلك لانهم لا يحتاجون الى طعام ولا إلى شراب ولا يباشرون شيئا من هذه الاشياء فكان علمه بها أمرا معقولا صحيحا إذ الحاجة تفتق الحيلة ويشهد لما ذهبت اليه قوله تعالى « فقال انبئونى باسماء هؤلاء » والاشارة للمرئى الحاضر. وتكلف أنه صور له ما كان وما يكون وأشار إليه تحميل للآية. مالا تحتمله

ثم إن الله تعالى عرض على الملائكة المسميات وطالبهم باسمائهم فلم يعلموا ما يجيبون . وقالوا

« سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » فقال تعالى « يا آدم أنبئهم باسمائهم » ففعل . وقال الملائكة « ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »

اقرأ قوله تعالى :

فى سورة البقرة : وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣

يبالغ بعض الناس فيزعم أن الله تعالى علم آدم كل شيء كان ويكون ، وعرض صور هذه الاشياء ما كان موجودا وما سيوجد ، وأن آدم سمى كل شيء باسمه . وهذه مبالغة غير مقبولة لا أميل اليها ، بل أميل إلى أنه سمى الاشياء التى وقع عليها حسه ومنها الطيور والبهائم وكل أنواع الحيوان الموجودة هناك

ولا يخفى أن استخلاف آدم فى الارض يشتمل على معنى سام من الحكمة الالهية التى خفيت عن الملائكة . فان الله تعالى لو استخلف الملائكة فى الارض لما عرفت أسرار هذا الكون وما أودع فيه من الخواص والعلوم الغزيرة . فان الملائكة ليسوا بحاجة إلى شيء مما فى الارض إذهم على وصف يخالف وصف الانسان فما كانت السفن لتصنع ولا تزرع الارض بمختلف الزروع والغراس . وما وجد منها لا يهتم أحد بمعالجته واستخراج خبا ياه فلا تعرف الاطياب ولا خواص الاشياء ولا المركبات الكيماوية ولا الفوائد الطبيعية ولا الفلكية ولا المستحدثات الطبية ولا الطبائع النفسية ولا شيء من هذه العلوم الكثيرة التى تفنى السنون ولا يدرك الانسان لعلم منها نهاية فسبحانه وتعالى عزيز حكيم

سكنى آدم وزوجته الجنة

وخروجهما منها بسبب إغواء إبليس لهما

أمر الله آدم أن يسكن الجنة بعد أن خلق له حواء يسكن اليها وأباح لهما كل شيء في الجنة الاشجرة عينها لهما ولكن ابليس وسوس لهما بالأكل منها وأغراهما بأنواع المغريات وقال لهما ان ربكما لم ينهكما عن الأكل من هذه الشجرة الا لأن الأكل منها يجعلكما من الملائكة أو تكونا خالدين ولا يقرب الموت والفناء ساحتكما ، وقال لآدم « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » « وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » ولم يزل يفتله في الذروة والغارب ويمنيه معسول الأماني ويرفؤه بالقول اللين حتى نسى آدم أنه عدوه الذى أبى السجود له وأن الله حذره منه أشد الحذر بقوله « إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » فأكل آدم وحواء من الشجرة « فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ليسترا عورتيهما ويجعلان ورق الشجر على هيئة الثوب الساتر . وعاتب الله آدم على مخالفته أمره والأكل من الشجرة فندم آدم وأخذ يعتذر فطرده هو وحواء من الجنة وطرد ابليس قائلا « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» وهداه واجتباه وبقى في الأرض هو وبنوه الذين أتى بهم من حواء في الأرض — اقرءوا قوله تعالى :

في سورة البقرة : وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ٣٦ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٣٧ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨

وفي سورة الأعراف : وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٩ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا

وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ٢٠
وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ٢١ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٢٣
قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ٢٤ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ٢٥

وفى سورة طه : وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ١١٥ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ١١٦ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ١١٩
فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ
لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ١٢١ ثُمَّ
اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ١٢٢ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا
يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ١٢٣

مسائل نحب أن نعرض لها فى هذه القصه ونجيب عنها

الأولى — أن إبليس لم يكن من الملائكة فهو غير مأمور بالسجود لآدم فكيف يعاقب على مخالفته أمراً لم يوجه إليه ؟

والجواب — أن إبليس لو لم يكن مأموراً لقال لله انك لم تأمرنى حين قال الله له « مامنعك أن لا تسجد إذ أمرتك » ولكنه أظهر التكبر ولم ينف الأمر ففهمنا أنه كان مأمورا وانه وان كان من غير الملائكة ولكن الله تعالى كان قد أمر الشاهدين لنفخ الروح فى آدم بالسجود وابليس

كان حاضرا وانما عبر الله تعالى بالملائكة لأنهم كانوا الجمهور الأعظم فى الحاضرين ووجود فرد من غيرهم لا يضر فى صدور الأمر على هذه الصورة فهو كان من الحاضرين المأمورين حقيقة وان كان غير ملك وليس لأحد أن يكون أقوم بحجة إبليس من ابليس نفسه — وهناك رأى آخر وهو أن فى الملائكة صنفا يقال لهم الجن فلفظ الملائكة يشمله

الثانية — نعلم أن إبليس طرد من الجنة عقب إبائه السجود فكيف وصل الى آدم فى الجنة حتى أغواه ودلاه وزوجه بغروره ؟

والجواب — أن طرده من الجنة لا يجعل دخولها مستحيلا عليه وأنه قد دخلها عاصيا آثما لاغواء من حسده من أول يوم . على أن ابليس تصل وسوسته الى النفس وان كان بعيدا كما يصل تأثير السحر الى الغائب والبعيد وكما يصل صوت البعيد بواسطة التليفون اللاسلكى فلا مانع من أن يصل تأثير وسوسته إلى آدم من خارج الجنة الى داخلها . وأنى أميل الى أنه دخلها آثما وعاصيا أمر ربه بدليل قوله تعالى « اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو »

الثالثة — من أى شيء خلقت حواء ؟

والجواب — أن الله تعالى قال « وخلق منها زوجها » هذه العبارة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعا من أضلاع آدم وخلق من ذلك الضلع حواء وقد قال بذلك كثير من العلماء وهى بعينها عبارة التكوين (١)

ومن الجائز أن يكون الله خلقها كما خلق آدم وأن يكون قوله تعالى « وخلق منها زوجها » أى من جنسها وعلى صورتها وحينئذ تكون المادة التى أخذت منها المرأة غير متعرض لها والرأى الأول النفس اليه أميل

---

(١) فاوقع الاله الرب سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما ٢٢ وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم (٢٣) فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت — من الاصحاح الثانى — تكوين

اين توجد الجنه ؟

الرابعة — أين توجد الجنة التى كان فيها آدم وطرد منها ؟

والجواب — اختلف العلماء فى الجنة التى أسكن الله بها آدم وحواء وأخرجهما الله منها — أهى جنة المأوى التى وعد الله المتقين أن يدخلوها فى الآخرة أم هى جنة من جنات الأرض — والجمهور على أنها جنة المأوى أخذا بظواهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » وحديث مسلم عن أبى هريرة (يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزدلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم) قال ابن كثير فى البداية والنهاية — وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة فى الدلالة على أنها جنة المأوى. وليست تخلو عن نظر

وقال فريق من العلماء أن الجنة التى سكنها آدم وحواء كانت من جنات الدنيا لأنه كلف فيها ألا يأكل من الشجرة . ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه ابليس فيها ووسوس اليه ولغا آدم وعصى ربه فيها وهذا ينافى أنها جنة المأوى

وقد حكى هذا القول عن أبى بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره القاضى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة فى تفسيره وافرد له مؤلفا على حدة وحكاه عن أبى حنيفة الامام وأصحابه رضى الله عنهم ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى ابن خطيب الرى فى تفسيره عن أبى القاسم البلخى وابى مسلم الأصبهانى ونقله القرطبى فى تفسيره عن المعتزلة والقدرية وقد حكى الخلاف فى هذه المسألة أبو محمد بن حزم فى الملل والنحل غيره

وحاصل الخلاف فيها على أقوال :

١ — أنها جنة المأوى
٢ — أنها جنة سوى جنة المأوى اخترعها لآدم وحواء
٣ — أنها جنة من جنات الأرض
٤ — التوقف فى أمرها

ومن أراد فضل بيان فى هذا الموضع فليرجع الى ص ٧٥ وما بعدها ج ١ من كتاب البداية والنهاية لابن كثير

ومن رأى تفويض أمر تلك الجنة الى علم الله تعالى فهو الذي يعلم إن كانت فى السماء أو فى الأرض وهذا لا يمنعني أن أقول اني أميل الى أنها من جنات الأرض

نكتة ظريفة

يعترض القائلون بأن الجنة التى وجد فيها آدم كانت من جنات الدنيا فيقولون لو أن آدم كان فى جنة الخلد فكيف يبحث عن شجرة الخلد ليأكل منها وما فائدة ذلك ؟

والآخرون يعارضونهم بالمثل قائلين إذا كان آدم فى جنة من جنات الدنيا كما تقولون فكيف يبحث عن شجرة الخلد فى دار لاخلود فيها؟

وقال بعض المفسرين أن الجنة التى كان فيها آدم هى جنة اخترعها الله فى السماء فليست دار الخلد ولا جنة من جنان الدنيا

يقول الباحثون فى شأن البحار وأعماقها وما فيها من وهاد ونجاد وسلاسل وجبال : أن الجنة التى وجد فيها آدم كانت فى قارة غير هذه القارات المعروفة الآن بل هى قارة فى جوف المحيط الآن ويسمونها قارة (مو) ويقولون أنها غرقت بحوادث زلزالية واستقرت بسهولها وجبالها وما كان عليها من حيوان وشجر وزرع فى أعماق المحيط الهندى وقد مات بسبب غرقها نحو ٦٠ مليونا من الناس — وكل هذه أمور لا نقطع فيها بشىء

وقد جاء وصف تلك الجنة فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين بما يفيد أنها عند منابع دجلة والفرات [١]

الخامسة — هل آدم نبى ورسول ؟

والجواب — ان نبوة آدم قد أخذت دورا مهما من عدة سنوات إذ ظهر بمدينة (دمنهور) رجل أنكر أن يكون آدم نبيا وقد رفعت عليه الدعوى بالمحكمة الشرعية وصدر الحكم عليه بالتفريق بينه وبين زوجته لردته بذلك الانكار ولما استأنف الحكم الى محكمة الاسكندرية كان كلامه أمامها انه لم ير لفظا فى القرآن يذكر آدم بالنبوة وانه يعتقد نبوته فصدر حكمها بالغاء الحكم الأول وأعيدت اليه زوجته

---

(١) ٨ وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذى جبله ٩ وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للاكل وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر ١٠ وكان هناك نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة من هناك ينقسم فيصير أربعة رءوس ١١ اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب ١٢ وذهب تلك الأرض جيد وهناك المقل وحجر الجزع ١٣ واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش واسم النهر الثالث حداقل وهو الجارى شرق أشور (دجلة) والنهر الرابع الفرات.

أقول أيضا ان القرآن الكريم لم يذكر لفظ النبوة بازاء آدم كما ذكر ذلك بازاء غيره من الأنبياء كاسماعيل وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ولكن ذكر انه خاطبه بلا واسطة وشرع له فى ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل اليه رسولا وهذا هو كل معانى النبوة فمن هذه الناحية نقول انه نبى وتطمئن أنفسنا بذلك

وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه وشأننا أن نفوض علم ذلك الى الله تعالى، على أنى رأيت فى حديث أبى هريرة فى الشفاعة الوارد فى صحيح مسلم أن الناس يذهبون الى نوح ويقولون له أنت أول رسل الله الى الأرض فلو كان آدم رسولا لما ساغ هذا القول، والعلماء القائلون برسالة آدم يؤولون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان وهو تأويل متكلف

السادسة — اذا كان نبيا فكيف عصى والأنبياء معصومون من المعصيه

والجواب عن ذلك من وجوه : —

الأول : أن يكون ذاك منه على سبيل النسيان وإنما سمى ما أتاه ناسيا خطيئة ومعصية وغواية لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان ليس كأحد الناس وكان التنبه والحذر من مخالفة الله لازما له فاذا نسى عد ذلك خطيئة فى حقه وان كان غير خطيئة إذا صدر من غيره . وحسنات الأبرار سيئات المقربين

الثانى : أنه تأول فيما فعل إذ فهم ان الأمر والنهى ليسا جازمين بحيث يترتب على المخالفة الغضب والمجازاة بل فهمه امر إرشاد فقط ونهى إرشاد وما كان من هذا القبيل لا يحرم مخالفته كما حمل الفقهاء الأمر بكتابة الدين على أنه أمر إرشاد ولا إثم بتركه

الثالث — ان ما حصل من الذنب صغيرة وهذا لا يتأتى إلا على رأى من يقول ان الأنبياء غير معصومين من الصغائر

الرابع : أن ذلك كان قبل النبوة المستلزمة للعصمة من المعصية وهو جواب حسن لولا أنه وقع بعد صدور الأمر والنهى اليه بلا واسطة وهو ما جعلناه من أمارات نبوته

الخامس . أن آدم تأول فى أكله من الشجرة لأن الله أراه الشجرة التى نهاه عن الأكل منها فتأول أنه نهاه عن عينها ولم ينهه عن جنسها فأكل من شجرة أخرى من جنسها

السادسة . هل آدم هذا هو أول البشر ولم يكن أحد قبله من جنسه ؟

والجواب ـ أن العقل لا يجعل من المحال أن يكون الله خلق آدم غير آدم هذا ولكن الله تعالى

لم يذكر سوى آدم الذى نعرفه أبا البشر فالقول بوجود غيره مجازفة بلا برهان وقد وجد من البشر فى الأزمان الغابرة والحاضرة من يدعون أن عمران بلادهم أقدم من خلق آدم كأهل الهند - وقد كانوا فى الزمان السابق يدعون أن آدم كان عبداً من عبيدهم هرب الى الغرب وجاء بأولاده والى هذا يشير المعرى بقوله .

تقول الهند آدم كان قنا لنا فسعى اليه مخببوه

وإلى القول بوجود أوادم سوى آدم يشير بقوله .

جائز أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدم

وقوله .

وما آدم فى مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أوادم

ويقول .

قال قوم ولا أدين بما قا لوه أن ابن آدم كابن عرس
جهل الناس من أبوه على الدهر ولكنه مسمى بحرس
فى حديث رواه قوم لقوم رهن طرس مستنسخ إثر طرس

ويقول .

قالوا وادم مثل أوبر وابنه كبناته جهل امرؤ ما أوبر

وهناك فريق من الناس يرجح أنه ليس أول نوعه ويستأنسون لذلك بقول الملائكة « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » ويقول أن الملائكة لم يقولوا ذلك الا لرؤيتهم من تقدموا آدم من الخلق الذين على صورته قد فعلوا ذلك وان آدم انما كان خليفة عن بشر كانوا من جنسه وبادوا

وكل هذه الأقوال لاتستند الى نص قطعى الثبوت والدلاله

إن الذين يقولون ان آدم ليس أول نوعه بل وجدت قبله أوادم كثيرة سواه ويستأنسون لذلك بقوله تعالى للملائكة (إنى جاعل فى الأرض خليفة) يعتقدون أن آدم إنما خلف غيره وهم الأمة التى كانت تسكن الأرض قبله فى عمران هذه الأرض — يعززون أقوالهم بما يراه علماء الجيولوجيا من وجود بقايا عظام لآدميين تخالف عظام الآدميين الموجودين الآن ويرجع تاريخ وجودها الى أزمان كثيرة تعد بعشرات الآلاف ومئات الآلاف من السنين

والحيولوجيون يسمون الأمة التى كانت قبل هذا الجنس الآدمى مباشرة بالانسان (التياندرتالى) ويقولون انه كان موجودا من نحو ٣٠٠٠٠ ثلاثين الف سنة وان الجنس الآدمى الموجود اليوم لا يمت اليه بقرابة ، وان ذلك الجنس قد باد عن وجه الارض - راجع مقالة بشأن هذا فى البلاغ المخصوص ١٥ مايو سنة ١٩٣٤

وعلى أية حال فالمسألة لا تعنينا ولا يترتب عليها نفع ولا ضرر والله لم ينص على شىء منها فى الكتب السماوية فوجب السكوت عنها

الثامنة - ظهر رأى فى البلاد الاوروبية وقبله كثير من علمائهم وهو أن الانسان أصله قرد ترقى بسبب عوامل مجهولة حتى صار هذا الانسان . وذلك يبطل ان يكون اصل الانسان آدم فما الرأى؟

والجواب - أن هذه النظرية لم تزل موضع بحث . للاخذ والرد فيها مجال ولها أنصـــار مؤيدون كما أن لها خصوما يبطلونها . وعندنا القرآن الكريم يدل بنصوصه الظاهرة على أن أصل الانسان آدم ولم يكن قردا تحول ولا شيئا آخر ترقى وهو الثقة فاذا وصل أصحاب النظرية الى الأدلة القاطعة التى تجعل هـذه القضية بديهية تساوى فى بداهتها (كل عدد زوجى ينقسم الى قسمين متساويين) و (السماء فوقنا والارض تحتنا) كان لزاما علينا أن نؤول القرآن ليوافق الواقع كما هى القاعدة القائلة أن القرآن يؤخذ على ظاهره بدون تأويل الا إذا منع من ذلك مانع فيعمد الى تأويله .

ذلك أن القرآن إنما خاطب العقلاء بما عندهم من العقل ويلجأ الى العقل فيما خالف الناس فيه مقاصد القرآن .

وقد ذكر العقل ومشتقاته فى القرآن الكريم نحو (ماعقلوه . ويعقلون . وتعقلون . لو كنا نسمع أو نعقل . وما يعقلها الا العالمون) تسعا وأربعين مرة وها كم جدولا بأرقامها وسورها :-

رقم السورة	السورة	ارقام الآيات
	(عقلوه)	
٢	البقرة	٧٥
	(يعقلون)	
٢	البقرة	١٦٤ ١٧٠ ١٧١
٥	المائدة	٥٨ ١٠٣
٨	الأنفال	٢٢
١٠	يونس	٤٢ ١٠٠
١٣	الرعد	٤
١٦	النحل	١٢ ٦٧
٢٠	الحج	٤٦
٢٥	الفرقان	٤٤
٢٩	العنكبوت	٣٥ ٦٣
٣٠	الروم	٢٤ ٢٨
٣٦	يس	٦٨
٣٩	الزمر	٤٣
٤٥	الجاثية	٥
٤٩	الحجرات	٤
٥١	الحشر	١٤
	(نعقل)	
٦٧	الملك	١٠

رقم السورة	السورة	ارقام الآيات
	(يعقلها)	
٢٩	العنكبوت	٤٣
	(تعقلون)	
٢	البقرة	٤٤، ٧٣، ٧٦، ٢٤٢
٣	آل عمران	٦٥، ١١٨
٦	الأنعام	٣٢ ١٥١
٧	الأعراف	١٦٩
١٠	يونس	١٦
١١	هود	٥١
١٢	يوسف	٢ ١٠٩
٢١	الأنبياء	١٠ ٦٧
٢٣	المؤمنون	٨٠
٢٤	النور	٦١
٢٦	الشعراء	٢٨
٢٨	القصص	٦٠
٣٦	يس	٦٢
٦٧	الصافات	١٣٨
٤٠	غافر	٦٧
٤٣	الزخرف	٣
٥٧	الحديد	١٧

فالدين الذى يعتمد على العقل فى أقامة براهينه وبسط حججه لا يمكن أن يجانب العقل وينافيه ، فاذا أثبت العلماء نظرياتهم اثباتا قاطعا وجب علينا أن نؤول ظاهر القرآن تأويلا يتفق مع ما أثبته العلم وقطع العقل بانه الحق الذى لا محيص عنه .

أتذكر أنه قبيل الحرب العظمى كان أحد العلماء الأمريكان أرسل الى الطيب الذكر جورجى زيدان بك كتابا يرجوه فيه أن يأخذ جواب علماء المسلمين فى مصر من الأزهر وغيره عن اسئلة وجه بها اليهم — منها .

ماهو رأى العلماء المسلمين فى نظرية (دارون) وهل تجد نجاحا وماهو مقدار الاقبال عليها وما رأى علماء الأزهر فيها ؟

وقد كان لى الشرف بأن وجهت الى هذه الأسئلة كما وجهت الى كثيرين غيرى . لكن لم يجب عليها أحد سواى فيما أعلم وجاءنى خطاب شكر من السائل وانه سينشر جوابى (مترجما بالانجليزية طبعاً) — وصورتى ، وقد مرت الأعوام ولم ينشر الكتاب الذى كان يريد أن يجعله معرضا عاما لآراء العلماء فى العالم فى نظرية (دارون) وتوفى جورجى بك زيدان ولم أعلم بشىء عن هذا الشأن الى اليوم — وجوابى يتلخص فى أن علماء الاسلام انما يأخذون عقيدتهم عن العقل — يوجبون ما أوجبه ويحيلون ما أحاله ويجيزون ما أجازه . ومن صريح القرآن فيما لا يعارض العقل ولا يصادمه . فاذا كانت عبارة القرآن تخالف مقطوعا به عقلا وجب تأويل نص القرآن ليطابق العقل ، وقد جاء القرآن بأن الله قد خلق شخصا اسمه آدم وزوجه (حواء) وأنهما أصل النوع الانسانى ، وانه خلق آدم من الطين ونفخ فيه من روحه وجعله بشرا . فهذا القول عندنا صريح لا يعدل عنه الى تأويله إلا إذا قامت الأدلة التى لا ترد على نظرية (دارون) وأن الانسان ليس أصلا بنفسه بل جنس أو نوع مشتق من غيره — اذا صارت أدلة (دارون) بديهية فى حكم (السماء فوقنا والأرض تحتنا) وجب أن نسلم بها وأن نلجأ الى تأويل نصوص القرآن بما لا يخالف الواقع

ولكن نظرية (دارون) لم تبلغ من المتانة هذا الحد الذى يجعلها أمراً قطعيا (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)

والمسلم الحقيق لا يترك الساق الا ممسكا ساقا أقوى منها وأمتن ، فليس من المعقول أن يترك الاعتقاد المتين الذى تلقاه من القرآن الى نظرية لم تثبت (١)

وقد كان علماء الأزهر فى ذلك الحين بعيدين عن العناية بأمثال هذه المباحث فلم يسمع لهم صوت فى هذا الأمر ولم يأبهوا بشىء من هذا

---

(١) أنا لا أنكر على العلماء والباحثين جهودهم بل أقبل ما قام البرهان القاطع على صحته وأحمد إليهم ما يبذلون من جهود قعدنا عنها وهم فى أبحاثهم قراء صحيفة الكون

وهذه أمريكا عاقبت أحد المدرسين فى احدى الجامعات لأنه أظهر لطلبته صحة قول (دارون) وأتباعه وأبطل ما تضمنته التوراة فى شأن آدم — وأظن أن من الجرأة أن يكتب انسان صكا على نفسه يقطع فيه بأن نساء الجنس البشرى قد أعقمن أن يلدن أعظم من (دارون) وأقدر على اثبات عكس نظريته

بقى أن أقول لكم أن عالما ألمانيا يقول إن القرد انسان متقهقر وليس الانسان قرداً مرتقيا ونظريته التى يقول بها عكس نظرية (دارون) وأتباعه وقد جعل أدلة دارون وبراهينه أدلة وبراهين على صحة نظريته

وعلى الجملة فما دام الأمر نظرية مطروحة على مشرحة البحث والتنقيب فانها لا تكون حجة ملزمة لأحد أصلا

هبوا أن الطبيعة قد غضبت على هذه الأرض فهزتها هزا عنيفا بغير شفقة وزلزلتها زلزالا شديدا فدكت كل بناء شامخ ، وانهار كل صرح باذخ ، وألحقت القصور بالأكواخ وازالت معالم الناس ودورهم ومصانعهم وسككهم الحديدية وكل شىء للانسان فيه صناعة وعادت الأرض كما كانت قبل ان يسكنها هذا الجيل الذى يسمونه انسانا .

فهل يتصور ان الغورلا والشمبانزى وسائر الفصيلة القردية تهب لعمران الأرض كما عمرها الانسان ويكون بينها المصلحون الدينيون والمخترعون والمبتدعون ويقوم من بينها امثال افلاطون وسقراط وابيكورس وبقراط وجالينوس وارسطوطاليس وارشميدس وابن سينا والفارابى وابن رشد ونيوتن ولبلاس وغاليلى وكوبرنيق وبونزن ولوكلانش وواط واسقيفن وزبلن وادسن ومركونى ومورس وهنرى مريون وكورى ومدام كورى . ويرسمون الكرة الأرضية مسطحة ومجسمة ويبينون فى الخرائط خطوط الطول وخطوط العرض وخط الاستواء ومدار السرطان ومدار الجدى وتيارات البحار ويبينون سببها ونتيجتها ويخترعون الآلات الهندسية من النظارات والبلانشيطة والبلانومتر والمساطر التى تبين النسب ويوجدون اللوغاريتمات والنسب والمتواليات العددية والهندسية وحساب المثلثات وقواعد الجبر ويخترعون نظارة العبور والتيودوليت والنظارة النجمية والساعات على اختلاف انواعها ودقة صنعها ويعرفون الصعود والمطالع المستقيمة والمزاول والتلسكوب والسبكترسكوب والسسموجراف والترمومتر والبارومتر والأريومتر والراديو والتليفون والتليفون اللاسلكى والتلفزيون (التليفون المصور) والطائرات والغواصات والمناطيد ويكتشفون القارات والعناصر الأولية للمادة والمركبات الدوائية وسائر ماتكلم عنه الانسان فى

المادة الطبية ويسمون الكواكب الثابتة والسيارة ويحللون الوان الضوء ويعرفون الطيف ويستخدمون الأشعة المختلفة كأشعة رونتجن وأشعة اكس والأشعة الحمراء والبنفسجية وفوق البنفسجية وفوق الحمراء فى العلاجات ويضعون لها الأسماء ويميزون الدائرة الكسوفية ومنطقة فلك البروج وغيرها ويعرفون أن النجم أوفا فى مجموعة قُنْطار ُيس أقرب الثوابت الى الأرض وأن ضوءه يصل الى الأرض فى سنتين ضوئيتين وأن بتاجس (باط الجوزاء) فى صورة الجبار عملاق النجوم وأن ضوءه يصل الى الأرض فى مليونى سنة ضوئية وأن الجدى [1] فى الدب الأصغر غير الجدى الذى بين القوس والدلو ويسمون قيفاوس والمرأة المسلسلة وبرشاوش ويفرقون بين الفرس الأكبر والفرس الأصغر ويضعون الأساطير لبرشاوش ورأس الغول والشعريين وسهيل والدبران والثريا . وكيف هم أريدان بنهش الجبار فى رجله فرفعها جزعا . ويخترعون الصواريخ لمحاولة الخروج من جذب الارض ويعلمون أن الخسوف يحصل من دخول القمر فى المخروط الظلى للأرض وكسوف الشمس من توسط جرم القمر بينها وبين الارض الى غير ذلك

أقول انى كلما فكرت فى ذلك جزمت بان ذلك محال وقطعت بان القرد لا بد أن يبقى قردا مدى الدهر وان القردة لا تلد إلا قردة [2] .

قصة آدم فى سفر التكوين

وقد ذكرت قصة آدم فى الاصحاحين الثانى والثالث فى سفر التكوين وهى لا تخالف ما جاء فى القرآن الا مخالفة بسيطة فانها لم تذكر مسألة السجود لآدم ولا مخالفة إبليس وتكبره وطرده من الجنة ولم تذكر الحوار بين الله تعالى وملائكته وجعلت المغرى لآدم وزوجه على الأكل من الشجرة (الحية) وهأنذا انقل لكم ذلك مع ما قد نقلته فيما قبل [3]

---

(١) بالتصغير

(٢) راجعوا مقالة (اتجاه العلم الحديث نحو روحانية الشرق) المنشورة بملحق العدد الصادر فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٣٢ من جريدة السياسة فانكم واجدون أن فطاحل العلماء مثل هلدان واللورد رذرفورد قد هدموا المذهب الذى بنى عليه دارون نظريته والمقالة بقلم أحمد خيرى سعيد افندى وهى قيمة فليرجع اليها

(٣) (من الاصحاح الثانى تكوين) ٧ وجبل الرب الاله ادم تراباً من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار ادم نفسا حية ٨ وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ووضع هناك ادم الذى جبله ٩ وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة فى وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر ١٠ وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس ١١ اسم

بقى مسألتان : —

الأولى : من هم الملائكة ؟

والجواب ـ أن الملائكة خلق من خلق الله تعـالى لا نعلم حقيقتهم ولم نرهم . واعتقاد

الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب ١٢ وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع ١٣ واسم النهر الثانى جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش ١٤ واسم النهر الثالث حداقل وهو الجارى شرقى أشور والنهر الرابع الفرات ١٥ وأخذ الرب الاله ادم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها ١٦ وأوصى الرب الاله ادم قائلا من جميع شجر الجنة اكلا تأكل ١٧ وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت ١٨ وقال الرب الاله ليس جيداً أن يكون ادم وحده فاصنع له معينا نظيره ١٩ وجبل الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى ادم ليرى ماذا يدعوها وكل مادعا به ادم ذا نفس حية فهو اسمها ٢٠ فدعا ادم باسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه فلم يجد معينا نظيره ٢١ فأوقع الرب الاله سباتاً على ادم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما ٢٢ وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من ادم امرأة وأحضرها الى ادم ٢٣ فقال ادم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى هذه تدعى امرأة لأنها من امرىء أخذت ٢٤ لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا ٢٥ وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان

(الاصحاح الثالث) وكانت الحية أحيل حيوانات البرية التى عملها الرب الاله فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ٢ فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل ٣ وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منها لئلا تموتا ٤ فقالت الحية للمرأة لن تموتا ٥ بل الله عالم يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ٦ فرأت المرأة ان الشجرة جيدة للأكل وأنها بهيجة اللون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا من أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ ادم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة ٧ فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ٨ فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت ٩ قال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التى وصيتك ألا تأكل منها ١٠ فقال ادم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت ١١ فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذى فعلت ، فقالت المرأة : الحية أغوتنى فأكلت ١٢ فقال الرب الاله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين . وترابا تأكلين كل أيام حياتك ١٣ وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه ١٤ وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حياتك بالوجع تلدين أولاداً والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك ١٥ وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ١٦ وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل ١٧ بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب والى تراب تعود ١٨ ودعا اسم امرأته حواء لأنها أم كل حى ١٩ وصنع الرب الاله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما

وجودهم واجب وهو من الأمور السمعية التى لا يوجبها العقل . ولكن المعصوم صلى الله عليه وسلم أخبر بوجودهم ـ وجاء فى الكتاب الكريم وفى الكتب السماوية أسماء بعضهم فوجب اعتقادنا وجودهم لأنهم ذكروا بنص قاطع الثبوت والدلالة

وأن المعصوم أخبر بوجودهم فأعلمنا بهم وقد أخبر الله تعالى عنهم فى القرآن أنهم «عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» وأنهم «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون»

ويفهم من فحوى الخطاب بينهم وبين الله تعالى أنهم مجبولون على الطاعة منزهون عن المعصية وذلك فى قوله تعالى حكاية عنهم (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك)

وقد اختلفت كلمة العلماء فى شأنهم . ففريق يقول انهم افضل من البشر كما يدل عليه قوله تعالى (قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) فانه مناهما بالأكل من الشجرة أن يرتقيا الى مرتبة أعلى وهى مرتبة الملائكة . وكما يدل عليه قوله تعالى عن صواحب يوسف (وقلن حاش لله ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)

وقال آخرون أن النوع الآدمى أفضل من الملائكة لأن اطاعة الملائكة بالجبلة ولم تركب فيهم الشهوة فلا فضل لهم فى العصمة . وأما الآدمى فانه يجاهد شهواته وميوله

وقال آخرون : ان عموم الملك أفضل من عموم البشر — ولكن خواص البشر وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة

ومن رأى أن الدخول فى مسألة التفضيل دخول فى مجهول وأن الأسلم الامساك . وأن وضع كل فى مرتبته بيد من يعلم سرهم ونجواهم

وقد ذكر لفظ الملك والملائكة ٨٨ مرة فى ست وثمانين آية من القران الكريم وهاكم جدولا بالآيات التى ذكر فيها

رقم السورة	السورة	ارقام الآيات	رقم السورة	السورة	ارقام الآيات
٢	البقرة	٣٠، ٣١، ٣٤، ٩٨، ١٠٢، ١٦١، ١٧٧، ٢١٠، ٢٤٨، ٢٨٥	٣٢	السجدة	١١
٣	آل عمران	١٨، ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٨٠، ٨٧، ١٢٤، ١٢٥	٣٣	الاحزاب	٤٣ ٥٦
٤	النساء	٩٧ ١٣٦ ١٦٦ ١٧٢	٣٤	سبأ	٤٠
٦	الأنعام	٨ ٩ ٥٠، ٩٣، ١١١، ١٩٨	٣٥	فاطر	١
٧	الأعراف	١١ ٢٠	٣٧	الصافات	١٤٩
٨	الأنفال	٩ ١٢ ٥٠	٣٨	ص	٧١ ٧٣
١١	هود	١٢ ٣١	٣٩	الزمر	٧٥
١٢	يوسف	٣١	٤١	فصلت	١٤
١٣	الرعد	١٣ ٢٣	٤٢	الشورى	٥
١٥	الحجر	٧ ٨ ٢٨ ٣٠	٤٣	الزخرف	١٩ ٥٣ ٦٠
١٦	النحل	٢، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٤٩	٤٧	القتال	٢٧
١٧	الاسراء	٤٠، ٦١، ٩٢، ٩٥	٥٣	النجم	٢٦ ٢٧
١٨	الكهف	٥٠	٦٦	التحريم	٤ ٦
٢٠	طه	١١٦	٦٩	الحاقة	١٧
٢١	الانبياء	١٠٣	٧٠	المعارج	٤
٢٢	الحج	٧٥	٧٤	المدثر	٣١
٢٣	المؤمنون	٢٤	٧٨	النبأ	٣٨
٢٥	الفرقان	٧ ٢١ ٢٢ ٢٥	٨٩	الفجر	٢٢
			٨٧	القدر	٤

وقد جاء ذكر الملائكة فى الكتب السماوية القديمة كثيرا نورد هنا بعضه (١)

(١) ص ١٦ تكوين : ٧ فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية ٩ فقال لها ملاك الرب ارجعى الى مولاتك ١٠ وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك ص ١٩ تكوين

ص ٢١ تكوين : ٩ فجاء الملاكان الى سدوم ١٥ ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا

الثانية — من هم الجن ؟

الجواب : ان الجن خلق من خلق الله لا نعلم حقيقتهم ولم نرهم، قال تعالى (انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) والاعتقاد بهم واجب . وهو من الأمور السمعية التى أخبر بها المعصوم ﷺ بنص قاطع الثبوت والدلالة،ولولا أن الله ذكرهم فى القرآن ماعلمنا بوجودهم ولا سلمنا وهم يتوالدون ويتناسلون . لقوله تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) . ومنهم البار والفاجر . لقوله تعالى حكاية عنهم (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) ولم يقل أحد إنهم أفضل من البشر

وقد ذكر لفظ الجن والجان والجِنّة ٣٢ مرة فى احدى وثلاثين آية من القرآن الكريم وهاكم جدولا بهذه الآيات

السورة	رقمها	أرقام الآيات	السورة	رقمها	أرقام الآيات
الأنعام	٦	١٠٠ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠	سبأ	٢٤	١٢ ، ١٤ ، ٤١
الأعراف	٧	٣٨ ، ١٧٩	الصافات	٣٧	١٥٨
هود	١١	١١٩	فصلت	٤١	٢٥ ، ٢٩
الحجر	١٥	٢٧	الأحقاف	٤٦	١٨ ، ٢٩
الاسراء	١٧	٨٨	الذاريات	٥١	٥٦
الكهف	١٨	٥٠	الرحمن	٥٥	١٥، ٣٣، ٣٩، ٥٦، ٧٤
النمل	٢٧	١٧ ، ٣٩	الجن	٧٢	١ ، ٥، ٦
السجدة	٣٢	١٣	الناس	١١٤	٦

وقد ذكر الجن فى كتب الأنبياء : وفى الانجيل بلفظ جن وجان وابليس وشيطان وشياطين .

ص ٢١ تكوين : ١٧ فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء

ولو أردنا أن نتتبع كل ما فى الكتب الخمسة وكتب الأنبياء لطال بنا المطال فلنعمد الى الانجيل لننقل لكم بعضه .

ص ١ متى : ٢ وفيما هو متفكر فى هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ٢١ فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب .

ص ٢ : ١٣ وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم

ص ٤ متى : ٦ وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل لأنه مكتوب ان الله يوصى ملائكته بك ١١ ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه

وها أنا أورد لكم بعض ذلك (١)

ينكر بعض الناس وجود أحياء من الملائكة والجن فيؤول الكلمات الدالة على وجود هذين الصنفين من العوالم بأن الملائكة هي قوى النظام والنواميس الخاضع لها العالم وأن الجن والشياطين وابليس انما تدل على الناس ذوى الشر المتمردين وروح الافساد

هذا الفريق من الناس يرى رأى الماديين الذين لا يثبتون الا ماوقع تحت حسهم ولا يقرون بشيء وراء المادة لحذا حذوهم ليقال أنه راق مثلهم وعمد الى صريح القرآن يؤوله حتى يجمع بين الايمان بالله والقرآن وجحد الملائكة والجن

والذى أقوله إن ذلك التأويل ليس ضروريا بل لا ينبغى ، فان الملائكة والجن ليس وجودهم من المستحيل فى شيء حتى يكون ذكرهم مضاداً للعقل فنلجأ الى التأويل حتى لا يتعارض المعقول والمنقول بل وجودهم فى دائرة الامكان العقلى . وعدم رؤيتنا للفريقين لا يستلزم عدم وجودهما فقد كانت كل الميكروبات وسائر مالا يرى الا بالآلات المكبرة غائبة عن حس أهل هذا العالم زمنا طويلا فلم يوجب عدم رؤيتها الحكم بعدم وجودها بل كانت فى كل هذه الآماد العظيمة موجودة تكبر وتنمو وتتكاثف ولا علم لنا بوجودها — وأى مانع يمنع من القول بأن الله تعالى لو ركب حواسنا تركيباً آخر لانكشف لنا عالم الملائكة وعالم الجن وعوالم أخرى لم نخبر بها

ص ٢٨ متى : ٢ واذا زلزلة عظيمة قد حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء ٥ فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا

ص ١ مرقص : كما هومكتوب فى الأنبياء ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيء طريقك قدامك

(١) ص ٩ لاويين ٣١ لا تلتفتوا الى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم أنا الرب إلهكم

ص ٤ متى : ١ ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس ٥ ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة ١٠ حينئذ قال يسوع اذهب يا شيطان ١١ ثم تركه ابليس

ص ٨ متى ٨ : ٣١ فالشياطين طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا نذهب الى قطيع الخنازير

ص ٦ متى : ٣٣ فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس ٣٤ أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين

ص ١٠ متى ٨ اشفوا مرضى طهروا برصا أقيموا موتى اخرجوا شياطين

ص ١٧ متى ١٨ فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة

ص ٢٨ صموئيل الأول ٧ فقال شاول فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فاذهب اليها وأسألها فقال له عبيده هو ذا امرأة صاحبة جان فى عين دور ٨ فتنكر شاول ولبس ثياباً أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا الى المرأة ليلا وقال اعرفى لى بالجان وأصعدي لى من أقول لك

ولا خطر في فكر اى إنسان هاجس عنها فالالتجاء إلى تأويل لفظ الجن ولفظ الملائكة على النحو الذى ذهب اليه لاضرورة اليه . وما نجهل حقيقته كثير فى جنب ما نعلم .

توجد أمور كثيرة لا نراها ولا نعلم حقيقتها وانما نحس اثارها كالكهرباء والمغناطيسية والجاذبية والضوء ومع ذلك فاننا نقول بها .

والطبيعة موجود فيها أمور كثيرة وقوى خاصة ربما أظهرها العلم فى المستقبل فهل من حقنا أن ننكرها لأن أبصارنا وحواسنا لا تقع عليها ؟ كلا . فان الناس مع كثرة الاختراع والابتداع منذ وجد الناس الى اليوم لم يقفوا من أسرار الكون على جزء من مليون (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

قد يكون هؤلاء المنكرون للملائكة قد غرهم ما كتبه أستاذنا الامام فى تفسيره من تأويل الملائكة على وجه لم ينكره الماديون ومن نزع منزعهم. فان الامام رحمه الله لم ينكر الملائكة كما ينكرون . وانما يعمد الى التأويل لمن ينكر عالم الغيب ويجحد الملائكة وقد أورده على أنه مذهب آخر لبعض المفسرين فى فهم معنى الملائكة وذلك لتقريب المعنى من أذهان الجاحدين من الماديين وغيرهم

وعلى الجملة : فانى أرى أن فهمهم على الوجه الذى بينت هو ما يجب على المؤمن اعتقاده . فاذا وجد منكر لهم قربنا له المعنى على الوجه الذى أورده الاستاذ الامام رحمه الله . راجع ص ٢٧٤ من الجزء الأول من تفسير المنار

العظة فى قصة آدم

١ — ان الله تعالى قد يحجب سر حكمته عن أقرب خلقه اليه كما حجب حكمة استخلاف آدم فى الارض عن الملائكة حتى تحيروا واشتاقوا الى معرفة الحكمة من هذا الاختيار

٢ — ان عناية الله تعالى اذا وجهت الى الشىء الحقير خلعت عليه حلل البهاء والجلال وصيرته عظيما . كما توجهت عنايته تعالى الى التراب الذى جبل منه آدم فصيرته بشرا سويا وجعلته مظهرا لأسرار قدرته وحكمته وعلمه الواسع فأفاض عليه من العلم والمعرفة ما أقر الملائكة بالعجز عن ادراكه

٣ — ان الانسان مهما أوتى من التجلة والكرامة ففى طبعه الضعف فهو عرضة لأن ينسى ويأتى مالا يتفق مع اجلال الله له كما فى نسيان آدم وصية الله تعالى ، فأطاع ابليس الذى هو أعدى أعدائه . وأصغى اليه وأكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها .

٤ — ان رحمة الله تعالى لا ييأس منها من عصاه وخالف عن أمره فان آدم قد تاب الله عليه

واجتباه مع مافرط منه من النسيان ومخالفة وصية الله . فعلى العبد اذا قارف معصية أن يلجأ الى الله بالندم والاستغفار والاقلاع عن الذنب كما قال تعالى : « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هوالغفور الرحيم »

قابيل وهابيل
ولدى آدم

ذكرت قصة ابنى آدم فى القرآن الكريم دون أن يذكر فيها اسم كل منهما وانما ذكر اسمهما فى التوراة (قايين وهابيل)

قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين انى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فأصبح من النادمين)

ذكر السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة ان آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر وان هابيل أراد ان يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل وأخت قابيل أحسن فأراد قابيل ان يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام ان يزوجه إياها فأبى . فامرهما ان يقربا قربانا فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمة من زرع من ردىء زرعه فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك حتى لاتنكح أختى . فقال انما يتقبل الله من المتقين اه من البداية والنهاية ببعض نقص فى العبارة

وقد اختلف فى كيفية قتله . فقال بعضهم ضربه بحديدة فقتله - ويرد عليه ان الحديد لم يكن معروفا فى الأزمان القديمة وقال آخرون رمى على رأسه صخرة وهو نائم فشدخته وقيل بل كان يخنقه ويعضه الى ان مات .

وقد روى الامام احمد بسنده الى ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ (لاتقتل نفس ظلما الا

كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل)

وبجبل قاسيون شمالى دمشق مغارة الدم مشهورة بانها المكان الذى قتل قابيل أخاه هابيل عندها

وذكر الحافظ بن عساكر فى ترجمة احمد بن كثير (غير الحافظ) انه رأى النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل وانه استحلف هابيل ان هذا دمه فحلف له وذكر انه سأل الله تعالى ان يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فاجابه الى ذلك وصدقه رسول الله ﷺ وقال انه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان كل يوم خميس

قال الحافظ بن كثير فى تاريخه البداية والنهاية — وهذا منام لو صح عن احمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعى والله أعلم

وقد ذكر أهل التواريخ والسير ان آدم حزن على هابيل حزنا شديداً وانه قال شعرا وقوله الشعر كلام غير مسلم . وأما حزنه على ابنه فأمر طبيعى (١)

ادريس عليه السلام

هو ادريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه السلام . واسمه فى التوراة العبرية خنوخ وفى الترجمة العربية اخنوخ

قال الله تعالى (واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكانا عليا) قال الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية — وكان أول بنى آدم أعطى النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام — وذكر ابن اسحق انه أول من خط بالقلم وقد أدرك من حياة آدم ثلثمائة سنة وثمان سنين . وقد قال طائفة من الناس انه المشار اليه فى حديث معاوية بن الحكم السلمى لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرمل فقال : انه كان نبى يخط فمن وافق خطه فذاك . ويقول الحافظ بن كثير أيضا : ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام انه أول من تكلم فى ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء والحكماء والأولياء

وقد جاء فى الصحيحين فى حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر به فى السماء الرابعة وروى ابن جرير الطبرى عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن الأعمش عن

---

(١) قد ذكرت قصة قابيل وهابيل فى التوراة وهى لا تخالف ما جاء فى القرآن تقريبا .

شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى فى ادريس (ورفعناه مكانا عليا) فقال كعب أما ادريس فان الله أوحى اليه انى أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بنى آدم فأحب أن يزداد عملا. فأتاه خليل له من الملائكة فقال له ان الله أوحى الى كذا وكذا فكلم ملك الموت حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السماء. فلما كان فى السماء الرابعة تلقاه ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه ادريس فقال وأين ادريس فقال هو على ظهرى فقال ملك الموت فالعجب بعثت وقيل لى اقبض روح ادريس فى السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله عز وجل (ورفعناه مكانا عليا) ورواه ابن أبى حاتم عند تفسيرها : وعنده فقال لذلك الملك سل لى ملك الموت كم بقى من عمرى فسأله وهو معه كم بقى من عمره فقال لا أدرى حتى أنظر فنظر فقال انك لتسألنى عن رجل ما بقى من عمره الا طرفة عين فنظر الملك الى تحت جناحه الى ادريس فاذا هو قد قبض وهو لا يشعر — قال الحافظ بن كثير : وهذا من الاسرائيليات وفى بعضه نكارة

أقول الأسلم تفويض علم ذلك الى الله تعالى

وقال البخارى ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس ان الياس هو ادريس واستأنسوا فى ذلك بما جاء فى حديث الزهرى عن أنس فى الاسراء انه لما مر به عليه السلام قال مرحبا بالأخ الصالح ولم يقل كما قال آدم وابراهيم مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح فلو كان فى عمود نسبه لقال له كما قالا له — وقال الحافظ ابن كثير بعد أن نقل ذلك : وهذا لا يدل ولا بد لأنه قد لا يكون الراوى حفظ جيدا : أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتسب له فى مقام الأبوة كما انتسب لآدم أبى البشر وابراهيم الذى هو خليل الرحمن وأكبر أولى العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين

ونقل ابن كثير : زعم بعضهم ان ادريس لم يكن قبل نوح بل فى زمان بنى اسرائيل ، وقضية قوله زعم بعضهم ان هذا الزعم لا يعول عليه

وأما عند أهل الكتاب فلا يوجد شيء سوى قولهم (وسار اخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) ص ٥ : ٢٤ تكوين

جاء فى كتاب تاريخ الحكماء — وهو — مختصر الزوزنى المسمى بالمنتخبات الملتقطات — من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى ما نصه : —

ادريس : — قد ذكر أهل التواريخ والقصص وأهل التفسير من أخباره ما أنا فى غنى عن إعادته وأنا ذاكر ما قاله الحكماء خاصة :

اختلف الحكماء فى مولده ومنشئه وعمن أخذ العلم قبل النبوة . فقالت فرقة : ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة ، ومولده بمنف . وقالوا هو باليونانية أرميس وعرب بهرمس ومعنى ارميس عطارد . وقال آخرون اسمه باليونانية طرميس وهو عند العبرانيين خنوخ وعرب اخنوخ . وسماه الله عز وجل فى كتابه العربى المبين ادريس . وقال هؤلاء ان معلمه اسمه الغوثاذيمون وقيل اغثاذيمون المصرى ولم يذكروا من كان هذا الرجل الا أنهم قالوا كان أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين وسموه أيضا اورين الثانى وادريس عندهم أورين الثالث . وتفسير غوثاذيمون السعيد الجد . وقالوا وخرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد اليها ورفعه الله اليه بها وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره

وقالت فرقة أخرى ان ادريس ولد ببابل وبها نشأ وأنه أخذ فى أول عمره بعلم شيث بن آدم وهو جد جد أبيه لأنه ادريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث . قال الشهرستانى : ان اغثاذيمون هو شيث . ولما كبر ادريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بنى آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث فاطاعه أقلهم وخالفه جلهم فنوى الرحلة عنهم وأمر من أطاعه منهم بذلك فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم فقالوا له وأين نجد اذا رحلنا مثل بابل . وبابل بالسريانية النهر . وكأنهم عنوا بذلك دجلة والفرات . فقال اذا هاجرنا لله رزقنا غيره فخرج وخرجوا وساروا إلى أن وافوا هذا الأقليم الذى سمى بابليون فرأوا النيل ورأوه واديا خاليا من ساكن فوقف على النيل وسبح لله وقال لجماعته بابليون واختلف فى تفسيره فقيل نهر كنهر وقيل نهر كنهركم وقيل نهر مبارك وقيل أن يون فى السريانية مثل أفعل التى للمبالغة فى كلام العرب وكأن معناه نهر أكبر فسمى الأقليم عند جميع الأمم بابليون . وسائر فرق الأمم على ذلك الا العرب فانهم يسمونه اقليم مصر نسبة الى مصر بن حام النازل به بعد الطوفان . والله أعلم بكل ذلك

وأقام ادريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وطاعة الله عز وجل . وتكلم الناس فى أيامه باثنين وسبعين لسانا وعلمه الله عز وجل منطقهم ليعلم كل فرقة منهم بلسانهم ورسم لهم تمدين المدن وجمع له طالبى العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنية وقرر لهم قواعدها فبنت كل فرقة من الأمم مدنا فى أرضها فكانت عدة المدن التى أنشئت فى زمانه مائة مدينة وثمانيا وثمانين أصغرها الرها . وعلمهم العلوم . وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم

فان الله عز وجل أفهمه أسرار الفلك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه وأفهمه عدد السنين والحساب ولولا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها الى ذلك. وأقام للامم سننا فى كل اقليم سنة تليق باهله. وقسم الأرض أربعة أرباع وجعل على كل ربع ملكا يسوس أمر المعمور من ذلك الربع، وتقدم الى كل ملك بأن يلزم أهل كل ربع بشريعة ساذكر بعضها

وأسماء أربعة الملوك الذين ملكوا - الأول - ايلاوس وتفسيره الرحيم. والثانى - زوس - والثالث - اسقلبيوس - والرابع - زوس أمون - وقيل أيلاوس أمون. وقيل بسيلوخس. وهو أمون الملك.

ذكر بعض ما سنه لقومه المطيعين له

دعا الى دين الله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب فى الآخرة بالعمل الصالح فى الدنيا. وحض على الزهد فى الدنيا والعمل بالعدل وامرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها. وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء بها وغلظ عليهم فى الطهارة من الجنابة والحمار والكلب[1]. وحرم السكر من كل شىء من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد وجعل لهم أعيادا كثيرة فى أوقات معروفة وقربانات منها لدخول الشمس رؤوس البروج. ومنها لرؤية الهلال وكلما صارت الكواكب فى بيوتها وشرفها وناظرت كواكب أخر

ذكر ما امر به من القرابين

أمر بتقريب ثلاثة أشياء: - البخور والذبائح والخمر وتقريب كل باكورة. فمن الرياحين الورد. ومن الحبوب الحنطة. ومن الفواكه العنب

ووعد أهل ملته بأنبياء يأتون من بعده عدة. وعرفهم صفة النبى فقال: يكون بريئا من المذمات والآفات كلها كاملا فى الفضائل الممدوحات لا يقصر عن مسألة يسأل عنها مما فى الأرض والسماء ومما فيه دواء وشفاء من كل ألم. وأن يكون مستجاب الدعوة فى كل ما يطلبه. وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذى يصلح به العالم

(١) لعلها الخنزير والكلب

ولما ملك اوريس الأرض رتب الناس ثلاث طبقات : كهنة وملوكا ورعية وجعل مرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك لأن الكاهن يسأل الله فى نفسه وفى الملك وفى الرعية . وليس الملك أن يسأل الله الا فى ملكه وفى الرعية وماله أن يسأله فى الكاهن لأن الكاهن أقرب الى الله منه فقد نقصت منزلة الملك بهذا عن منزلة الكاهن . وليس للرعية أن تسأل الله فى شىء الا فى أنفسها لأن الملك أجل منزلة منها عند الله الذى ملكه على الرعية فنقصوا بذلك مرتبة عن الملك ومرتبتين عن الكاهن

فلم يزالوا على هذه القاعدة من الفعل فى العبادة وادب الائتمار بهذه الشريعة الى أن رفع الله ادريس اليه وخلفه أصحابه على شريعته

وكان أقوى الملوك عزما من الأربعة اسقلبيوس فانه اجتهد لحفظ الكلمة وقوانين الشريعة الادريسية وحزن لرفع ادريس من بين أظهرهم . وصور صورته فى الهياكل وصورة رفعه وكان اسقلبيوس ملكا فى الجهة التى ملكتها يونان بعد الطوفان . فوجدوا صورة ادريس ورفعه وعلموا علو قدر اسقلبيوس وتدوينه الحكم لهم فى الهياكل التى يفسدها الطوفان فظنوا ان اسقلبيوس هو الذى ارتفع الى السماء وغلطوا فى ذلك غلطا بينا لأنهم أخذوه بالحد(١)

وشريعته أعنى ادريس فى المملكة الحقيقية وتعرف فى ملة الصابئين بالقيمة وطبقت المعمور من الأرض وكانت قبلته الى حقيقة الجنوب على خط نصف النهار

صورة هرمس الهرامسة وهو ، إدريس

قيل انه كان رجلا آدم تام القامة أجلح حسن الوجه كث اللحية مليح الشمائل والتخاطيط تام الباع عريض المنكبين ضخم العظام قليل اللحم براق العينين أكحلهما متأنيا فى كلامه كثير الصمت ساكن الأعضاء اذا مشى أكثر نظره الى الأرض كثير الفكرة به عبسة . واذا اغتاظ احتد : يحرك سبابته اذا تكلم

---

(١) لعلها بالحدس

وكانت مدة مقامه فى الأرض اثنتين وثمانين سنة

وكان على فص خاتمه (الصبر مع الايمان بالله يورث الظفر) وعلى المنطقة التى يلبسها (الأعياد فى حفظ الفروض . والشريعة من تمام الدين . وتمام الدين كمال المروءة) وعلى المنطقة التى يلبسها وقت الصلاة على الميت (السعيد من نظر لنفسه . وشفاعته عند ربه أعماله الصالحه)

وكانت له مواعظ وآداب استخرجتها كل فرقة بلسانهـــا تجرى مجرى الأمثال والرموز . فأذكر بعضها انشاء الله تعالى

فمن ذلك قوله :

(لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على خلقه)

وقال (من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده اداة الجهل وسيء العمل كما ترى الصانع الذى يعرف الصنائع كلها اذا أراد الخياطة أخذ آلتها و ترك آلة النجارة فحب الدنيا وحب الآخرة لايجتمعان فى قلب أبداً)

وقال (خير الدنيا حسرة وشرها ندم)

وقال (اذا دعوتم الله سبحانه فأخلصوا النية وكذا الصيام والصلوات فافعلوا)

وقال(لاتحلفوا كاذبين ولا تهجموا على الله سبحانه باليمين ولا تُحلِفوا الكاذبين فتشاركوهم فى الاثم)

وقال (تجنبوا المكاسب الدنيئة)

وقال (أطيعوا لملوككم واخضعوا لأكابركم واملئوا أفواهكم بحمد الله)

وقال (حياة النفس الحكمة)

وقال (لا تحسدوا الناس على مؤاتاة الحظ فان استمتاعهم به قليل)

وقال (من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء)

وجاء فى صفحة ٣٤٨ فى ترجمة هرمس الثالث من كتاب تاريخ الحكماء مايأتى : —

وزعم جماعة من العلماء أن جميع العلوم التى ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى وهو الذى يسميه العبرانيون خنوخ النبى ابن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم وهو ادريس النبى صلى الله عليه وسلم على ما تقدم ذكره فى أول الكتاب . وقالوا انه أول من تكلم فى الجواهر العلوية والحركات النجومية . وأول من بنى الهياكل ومجد الله فيها . وأول من نظر فى علم الطب . وألف لأهل زمانه قصائد موزونة فى الأشياء

الأرضية والسماوية . وقالوا انه أول من انذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلتحف الأرض من الماء والنار فخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابى فى صعيد مصر الأعلى وصور فيها جميع الصناعات والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا منه على تخليدها لمن بعده خيفة أن يذهب رسمها من العالم والله أعلم

فأنتم ترون أن ماجاء عن ادريس فى ذلك الكتاب أخبار لم تؤيد بنقل صحيح ولم يعضدها نص قاطع نشهد به على الله تعالى انه صنعه لعبده ونبيه ادريس عليه الصلاة والسلام وكلها أقوال مما قمشت وضم حبل الحاطب — فهى أقوال لا بأس بالاطلاع عليها كما يطلع المرء على غيرها من السير التى هى اشبه بالخرافات والباحثون فى العاديات وأهل التاريخ القديم لا يجدون فى بحوثهم ما يؤيد هذه الأخبار بل هم يجدون ما يناقضها من العلم بأسماء بناة الأهرام والملوك الأولين الذين قاموا بالدولة فى مصر من مينا وخوفو ومنقرع وغيرهم الذين شيدوا المعابد وحفروا البرابى ونقشوا عليها ماهو مائل اليوم وذلك كله بخطوط خاصة يقرءونها ويفسرونها

أما أهل التوراة فليس عندهم من العلم بشأنه الا أن خنوخ ولد له ولده وهو ابن خمس وستين سنة وعاش بعد ذلك ثلثمائة سنة ولم يوجد بعد لأن الله أخذه — فالله تعالى أعلم بشأنه

نوح عليه السلام

قوم نوح ـ ارسال الله نوحا الى قومه ـ اجتهاد نوح فى دعوته ـ يأس نوح من قومه ـ نوح يصنع الفلك ـ اتمام نوح السفينة ـ استشفاع نوح فى ابنه ـ قصة نوح فى التوراة . مسائل ـ قصة الطوفان فى الوثنية الهندية . عمر نوح .

هو النبى الثانى ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام . والأول بعد آدم هو جده الأكبر إدريس عليه الصلاة والسلام . وهو أول الرسل كما فى حديث الشفاعة عن أبى هريرة فى صحيح مسلم : (يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض) وبعضهم يؤول هذا الحديث ويقول برسالة آدم وادريس

وهو نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ وهو ادريس بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن أنوش ابن شيث بن آدم أبى البشر

هذا هو الذى ورد فى كتب التاريخ وفى التوراة فى سفر التكوين وان كنت أشك كثيرا فى نسق هذا النسب لأنى أعتقد أن بين نوح وآدم أكثر من ذلك وسآتيكم بالمدة بين خلق آدم وولادة نوح حسب مافى ترجمة التوراة العبرية

واعلموا أنه يوجد تفاوت بين ترجمة التوراة العبرية والتوراة السامرية وترجمة التوراة اليونانية فليرجع اليها من شاء فى كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله أفندى الهندى ، وهاكم الجدول الموعود به

سنة		سنة	
١٣٠	عمر آدم حين ولد له شيث	٦٥	المدة التى أقامها اخنوخ قبل أن يولد لابنه متوشالح
١٠٥	المدة التى أقامها شيث قبل أن يولد لابنه انوش	١٨٧	« « « متوشالح « « « « لامك
٩٠	« « « أنوش « « « « قينان	١٨٢	« « « لامك « « « « نوح
٧٠	« « « قينان « « « « مهلئيل	١٠٥٦	المدة بين خلق آدم وولادة نوح
٦٥	« « « مهلئيل « « « « يارد	٩٣٠	عمر آدم الى وفاته على ما فى التوراة
١٦٢	« « « يارد « « « « أخنوخ	١٢٦	مابين وفاة آدم وولادة نوح

وورد ذكر نوح فى ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم ، وهاكم جدولا بالآيات التى ورد ذكره فيها

رقم السورة	السورة	ارقام الآيات
٣	آل عمران	٢٣
٤	النساء	١٦٣
٦	الأنعام	٨٤
٧	الأعراف	٥٩، ٦٩
٩	التوبة	٧٠
١٠	يونس	٧١
١١	هود	٢٥، ٣٢، ٣٦، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٨٩
١٤	ابراهيم	٩
١٧	الاسراء	٣، ١٧
١٩	مريم	٥٨
٢١	الانبياء	٧٦
٢٢	الحج	٤٢
٢٣	المؤمنون	٢٣
٢٥	الفرقان	٣٧

رقم السورة	السورة	ارقام الآيات
٢٦	الشعراء	١٠٥، ١٠٦، ١١٦
٢٩	العنكبوت	١٤
٣٣	الاحزاب	٧
٣٧	الصافات	٧٥، ٧٩
٣٨	ص	١٢
٤٠	غافر	٥، ٣١
٤٢	الشورى	١٣
٥٠	ق	١٢
٥١	الذاريات	٤٦
٥٣	النجم	٥٢
٥٤	القمر	٩
٥٧	الحديد	٢٦
٦٦	التحريم	١٠
٧١	نوح	١، ٢١، ٢٦

ذكرت قصة نوح مفصلة فى القرآن الكريم فى سورة الأعراف وسورة هود وسورة المؤمنون وسورة الشعراء وسورة القمر وسورة نوح وهى مختلفة اللفظ بحسب ما تكون العناية موجهة نحوه من البيان وهي تتلخص بحسب نصوص القرآن فيما يأتي :-

١ - قوم نوح

كان قوم نوح قد عكفوا على عبادة غير الله تعالى واتخذوا لهم أصناما يعبدونها من دونه .

٢ - إرسال الله نوحا الى قومه

اختار الله تعالى نوحاً من بين أولئك القوم لينذرهم عذاب الله إذا تمادوا فى غيهم وضلالهم فعتوا عن أمر ربهم ، واجتمع ملأ قومه وكبراؤهم وأهل الثراء منهم على تكذيبه واحتقاره هو ومن اتبعه . واستبعدوا أن يكون واحد منهم لا يمتاز عليهم بالغنى والثراء يأتى لهدايتهم دون أن يكون ملكا أو يمتاز عليهم بفضل من الغنى والثروة ، وأنفوا أن يكونوا مثل الذين اتبعوا نوحاً من الضعفاء . وزعموا أنهم انما اتبعوه من غير روية ولا احكام رأى وطلبوا اليه أن يطرد الذين آمنوا به تقززاً من أن يجتمعوا معهم فى دين . فأبى عليهم خوفاً من الله تعالى وبين لهم أنه اذا طردهم لا يجد ناصراً يدفع عنه عقاب الله تعالى . وبين لهم أنه انما جاءهم بالهداية ولم يكن رجل مال قد مكنه الله من خزائنه وأطلعه على غيبه فهو حفى بعلم الغيب - ولم يدع أنه ملك وانما هو بشر اختاره الله تعالى لدعوتهم وتبليغهم أمر الله تعالى وان أتباعه من المؤمنين الذين تزدريهم أعينهم ويدعون انهم لا يمكن أن يدركوا خيراً أو يحصلوا على سعادة . أمرهم الى الله الذى هو أعلم بسرائرهم لأن ادراك السعادة والهداية الى الحق لا يكونان بالبزة والرواء الرائق للعيون ، وانما يكون ذلك باطمئنان النفس وركونها الى الهدى مع استيقانه . والرضا به . وبين أنه لا يطلب بدعوته اياهم أجراً من جاه أو مال وانما يطلب أجره من الله تعالى وهذا كله معنى قوله تعالى فى سورة هود :

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ٢٧ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ٢٨ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي

أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ ٢٩ وَيَاقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٣١

٣ ـ اجتهاد نوح فى دعوته

بذل نوح منتهى وسعه واجتهد بغاية امكانه أن يتبعه قومه فى الايمان بالله تعالى وأن يقلعوا عن عبادة تلك الأصنام — وطال الزمن وهو يغاديهم بالنصح ويراوحهم بالعظة سراً وعلانية وهم لايزدادون إلا اعراضاً ونأيا عن طريقته مع بيان المسرات المترتبة على الأيمان والنعم التى تنتظرهم فى عاجل حياتهم من ارسال المطر لسقياهم وسقيا أرضهم ووفرة الأموال وكثرة الذرية .

ويضرب لهم الأمثال ويوجه نظرهم الى صنع الله تعالى بخلقهم أطواراً مختلفة وعنايته بهم فى أدوار حياتهم الجنينية وحياتهم فى الدنيا وخلقه السموات والارض وأن من بدأهم قادر على إعادتهم ذلك ان من خلق لهم الأرض ومتعهم بما خلق فيها قادر على اعادتهم ومجازاتهم .

وكانوا يتبرمون به وينالونه بالأذى فعصوه واتبعوا بعض كبرائهم الذين لايزيدونهم إلاخساراً ومكروا فيما بينهم مكراً عظيما إلى أن نفدت حيلته ويئس من صلاحهم وبيتوا فيما بينهم ألا يذروا عبادة (ودوسواع ويغوث ويعوق ونسر) وقالوا فى تبرم وأنفة : إنك قد أكثرت الجدل وانا لن نترك ما نحن عليه فأتنا بالعذاب الذى تخوفنا نزوله بنا — فرد عليهم بان أمر عذابهم بيد الله الذى أرسله لا بيده

اقرءوا إن شئتم قوله تعالى فى سورة نوح :

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٢ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ (واتقوه) وَأَطِيعُونِ ٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً ٩ فَقُلْتُ

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ
خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً ١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ١٦ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ
مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً ١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً ١٩
لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً ٢٠ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ
إِلَّا خَسَاراً ٢١ وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً ٢٢ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَنَسْراً ٢٣ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً ٢٤

وفى عجبهم أن يكون الرسول بشرا منهم نزل قوله تعالى فى سورة الأعراف :

أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٦٣

ومن حمقهم وتبرمهم بنوح وبعدهم عن استعمال العقل وارتياد ما هو أنفع لهم انهم

(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣٢) هود

فرد عليهم نوح بما قصه الله تعالى فى قوله

(قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ
لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٣٤) هود

---

٤ – يأس نوح من هداية قومه

ولما بلغ نوح درجة اليأس من إيمان قومه بعد خمسين وتسعمائة سنة - على ما نصه القرآن - أقامها فيهم يدعوهم ولا يألوهم نصحا كان ما قصه الله بقوله

(وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦) هود

وتوجه إلى ربه بالدعاء عليهم فقال :

(رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ٢٧ نوح)

٥– نوح يصنع السفينة

أمره الله تعالى بعمل الفلك لتكون أداة لنجاته ومن معه من الغرق العتيد أن ياتى على القوم فصاروا إذا مروا عليه سخروا منه ومن عمله . ولعل أشد ما أثار سخريتهم منه أن علموا أنه يعمل تلك السفينة لينجو بها ومن معه من العذاب النازل بهم استبعادا منهم لوقوعه . فكان هو أيضا يسخر منهم ومن غفلتهم عن الحق وبلادتهم عن أخذ الحيطة لأنفسهم باتباعه باحسان وتنجية أنفسهم وصار يتهددهم بذلك العذاب

٦– إتمام نوح سفينته

فلما أتم نوح عدته وجاء الموعد ورأى الأمارة التى بينه وبين ربه على ابتداء أمر الطوفان وهو أن يفور تنور أهله[1] الذى يعملون فيه الخبز بأن ينبثق الماء فيه . أمره الله تعالى أن يحمل فى السفينة أهله ويدخل فيها من كل حيوان وطير ووحش زوجين اثنين وأهله إلا زوجه . وأن يأخذ معه من آمن من قومه وكانوا قليلا . قيل كانوا ستة. وقال بعضهم كانوا أربعين رجلا وامرأة فلما استووا على ظهر السفينة حلت عزاليها السماء وانفجرت عيون الأرض وحملت المياه السفينة ومن فيها ومكثت ماشاء الله أن تمكث إلى أن غرق كل ما على الأرض من إنسان وحيوان ثم استقرت السفينة على الجودى من جبال أراراط

ولما أراد نوح دخول السفينة نادى ابنه وكان فى معزل عنه وقال ويابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، فابى أن يلبى نداء والده المشفق لأنه لا يثق بصدق والده من أن كل من كان خارجا عن السفينة هالك . قال «سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء» فهلك ذلك الولد

(١) كتب الاستاذ العلامة موسى جار الله يقول (لماذا لايكون تنور السفينة؟) وانى أجيبه مع الشكر بأن الماء لايبلغ تنور السفينة الا اذا أشرفت على الغرق وأما تنور أهله فيفور اذا حبلت الارض بالماء وأوشك أن يتفجر فى الامكنة الكثيرة .

٧- استشفاع نوح فى ابنه

وأراد نوح أن يستنجز وعد الله بنجاة أهله فقال (ربّ ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) فرد الله عليه بانه ليس من أهله . وعاتبه فى أن يسأله ماليس له به علم . إذ كان من حق نوح أن يعلم أن من كان خارج السفينة فليس ممن وعده الله بنجاتهم فاعتذر نوح عن ذلك . وطلب المغفرة والرحمة على مافرط منـــه الى أن تمت المدة التى لم يكن للسفينة أن تقر فيها على الارض .واستوت السفينة على جبل الجودى من (ديار بكر) وخرج من فى السفينة وبارك الله فيهم فكثروا وملئوا الارض. ولم ينسل مَنْ كان مع نوح من غير أبنائه.قال الله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين)

اقرءوا قوله تعالى فى سورة هود :

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ٣٧ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٣٩ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٤١ وَهِيَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَابُنَىَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ٤٢ قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ٤٣ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِىَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤٤ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَالَيْسَ

لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين ٤٧ قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات
عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ٤٨

مسائل

الأولى : هل عم طوفان نوح الكرة الأرضية ؟

والجواب : أن بعض العلماء يميل الى عمومه . ويقول بعض علماء الجيولوجيا إننا كلما بحثنا فى أعالى الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التى لا تعيش الا فى الماء : وهذا يستدعى وجود طوفان على هذه الجبال بل عدد من الطوفانات لوجود الاختلاف فى عمر هذه البقايا . فلا مانع من أن يكون طوفان نوح أحدها ويكون قد عم . ويستأنس لذلك بقوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين)

ويميل فريق الى أن الطوفان لم يكن عاما بل طغيان الماء كان على الجهة التى كان يسكنها نوح وقومه . وأما بقية بقاع الأرض فلم يعمها هذا الطوفان ويستأنس لذلك بأن الهند كانوا يزعمون أن عمران بلادهم يمتد فى الماضى إلى تاريخ أبعد من الذى قدرته التوراة لنوح وطوفانه . وان عمرانهم متصل من أعمق أجيال التاريخ الى اليوم ـ وأنتم تعلمون أنى غير واثق من التاريخ الذى تقدره التوراة . فربما كان نوح أبعد من ذلك بعداً يشمل ما يدعيه أهل الهند .

وعلى كل حال فالمسألة ليس فيها نص من القرآن بل كل ما فيه من هذه الناحية أن قوم نوح كفروا وعصوا الرسول فاغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحا ومن معه فى الفلك وجعل ذريته الباقين. فالعموم محتمل والخصوص محتمل .

والذى أميل اليه أن يكون خاصا وأن النوع الأنسانى لم يكن منتشرا فى جميع الكرة بل كانوا منحصرين فى الناحية التى عمها الطوفان وأنهم قد هلكوا وبقى نوح وذريته

الثانية ـ ما ذنب الأطفال من قوم نوح حتى هلكوا مع الآثمين من آبائهم وأمهاتهم ؟

والجواب : أن الله سبحانه وتعالى جرت عادته بان النقمة لا تصيب الذين ظلموا خاصة ـ وفى علم الظالمين بهلاك أولادهم معهم زيادة تعذيب ونكال لهم . على أننا فى كل يوم نرى الأطفال يهلكون بمختلف الأمراض وليس ذلك عقابا للأطفال على ذنوب ارتكبوها أو آثام اقترفوها ولكن ذلك من باب وجود المسبب عند وجود سببه . وتلك الأسباب هى الأمراض والعلل التى هى جند الله (ومايعلم جنود ربك الا هو) وبهذا لا نحتاج الى ما تكلفه بعض العلماء والمفسرين من

أن الله تعالى أعقم أرحام نساء قوم نوح قبل الطوفان باربعين سنة فلم يولد لهم فى تلك المدة مولود وبذلك اشترك جميع قومه فى الأثم وهم مكلفون فحق عليهم العذاب وحاق بهم الهلاك

على أننا نرى الزلازل تعمل عملها فى الناس بلا تمييز بين البار والفاجر وتخسف الارض بسكانها كما حصل فى سان فرنسيسكو بامريكا فى زلزالها المشهور وقد وقع فى زماننا . وكما حصل فى زلزال اليابان سنة ١٩٢٣ وهو قريب العهد منا جدا وكما يحصل فى إيطاليا بسبب بركان فيزوف فقد تطغى حممه فتغطى البلاد القريبة منه فلا يشعر أهل القرية الا بالحمم البركانية يسيل سيلها فى طرق بلدهم فتهلكهم وتغطيها . وهذا حاصل كثيرا (١)

وهذه الطيارات التى تسقط من الجو باسباب مختلفة لا يهلك من هلك فيها بآثامهم ولا ينجو فيها الناجون ببرهم (ولكن أحاظ قسمت وجدود) وماحادثة المنطاد الأنجليزى (ر١٠١) سنة ١٩٣٠ منا ببعيدة وكذلك البواخر الجبارة العظيمة الحجم والقوة (كتايتانك) التى غرقت منذ عشرين عاما والباخرة الانجليزية (لويز يتانيا) التى غرقت فى أيام الحرب العظمى وكان فى كلتيهما من العلماء والكتاب والأغنياء والمهندسين والمخترعين عدد عظيم فقد هلكو بآجالهم (اذا جاء أجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون)

الثالثة : أين جبل الجودى الذى أستوت عليه سفينة نوح ؟

والجواب : جبل الجودى فى نواحى ديار بكر من بلاد الجزيرة وهو يتصل بجبال أرمينية قال فى القاموس المحيط (والجودى جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ويسمى فى التوراة (أراراط) (٢)

الرابعة : ما حجم سفينة نوح ؟

والجواب : أن حجمها وابعادها لم ينص عليها فى القرآن وانما وصفت بانها (الفلك المشحون) وبانها (ذات الواح ودسر) أى مسامير

(١) من ذلك زلزال الهند فى العام الماضى فقد غير وجه الأرض فى اقليم واسع . وزلزالها فى هذا العام سنة ١٩٣٥ فقد غير معالم الأرض أيضاً فى اقليم واسع وهلك بسبب ذلك مئات الألوف من الناس والدواب والأنعام ومن الشيوخ والعجائز والأطفال —(وما تسقط من ورقة الا يعلمها).

(٢) بما نقلته من القاموس تعلم جهة علمى بذلك الجبل وفى ذلك جواب ما كتب به الى الأستاذ العلامة موسى جار الله اذ قال لى (من أين علمت ذلك ؟)

وانما ذكر حجمها فى التوراة (١)

الخامسة : ماهى مسألة نوح فى ابنه وهل كان ابنه حقيقة ؟

والجواب : أما كونه ابنه فظاهر القرآن أنه ابنه حقيقة وانما نفى كونه من أهل نوح لأن النجاة انما تكون للمؤمن فأخذ نوح بظاهر قوله تعالى (انا منجوك وأهلك) وغفل عن شرط النجاة وهو الايمان بنبوة نوح وماجاء به من الحق وأن الاهلية الحقيقية تكون معدومة الثمرة مع الكفر ومجانبة الايمان ومخالفة الداعى اليه . فهى وسيلة لاغية وسبب منقضب وهو الرأى الذى أميل اليه

وقال آخرون أنه كان ابن امرأته من غيره ولم يكن ابنا حقيقيا له بل كان ربيبا نشأ على أن يناديه نوح بلفظ ابنه وكان كافرا وظن نوح أن وجوده فى حجره يدخله فى أهله الذين وُعد من الله بنجاتهم

وقال غيرهم أنه كان من الزنا ونوح لا يعلم بذلك . ويستأنسون لذلك بقوله تعالى (انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) وبقوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ١٠ التحريم) والذين يخالفونهم يستبعدونه ويعدون كثيرا أن تكون امرأة أحد الانبياء زانية لما فى ذلك من الهجنة على النبى . وقد فات هؤلاء أن الكفر أشد ذنبا من الزنا وامرأة نوح قد ضربها الله مثلا فى الكفر . ومن أتى الذنب الاكبر يهون عليه أن يأتى بما هو أصغر منه - وان كنت لا أقول أنه من الزنا - وانما أنا أناقش مبدأ عصمة نساء الانبياء فقط - وما كان من الامر فالمناقشة غير مجدية ولا نخلص منها الى رأى قاطع فى الموضوع وانما هى احتمالات . وقد علمتم ميلى الى الرأى الاول وهو أنه ابنه حقيقة (٢)

---

(١) ص ٦ تكوين ١٤ اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر تجعل الفلك مساكن و تطليه من داخل و خارج بالقار . ١٥ وهكذا تصنعه ثلثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ذراعا ارتفاعه ١٦ وتصنع كوا للفلك وتكمله الى مد ذراع من فوق وتضع باب الفلك فى جانبه مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله

(٢) أريد أن يقف القارىء معى وقفة صغيرة أذكر له فيها انه قد تألفت لجنة لبحث كتابى قصص الأنبياء وبيان ما فيه ثم ألفت لجنة ثانية بامر الشيخ الجليل شيخ كلية أصول الدين وقدمتا نقدا قاسيا لذلك الكتاب وقد رددت عليه ردا مستفيضا .

ولتمام الفائدة أقدم لقراء هذا الكتاب مقدمة ردي لذلك النقد — وكلما وصلت الى موضع نقد في

ولعل الذين يريدون ابعاد ابن نوح الهالك عنه يرون عظيما أن يكون ابن النبي المرسل كافراً. فهم يريدون ابعاده عنه بكل وسيلة — أما أنا فلا أرى بعداً فى ذلك ولا غضاضة منه على النبي — وأى فرق بين أن يكون ابنه كافراً وبين أن يكون أبوه كافرا. وقد كان ابراهيم نبيا مرسلا وأبوه كافرا

كتابى أثبت نقدهم وأتبعته بردى عليه وفى ذكاء القراء وأنصافهم مقنع — وهذه هى مقدمة الرد.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين.

تلقيت بيد الامتنان من يد فضيلتكم التقرير الذى كتبته لجنة ألفتموها من بعض العلماء وهم (أصحاب الفضيلة المشايخ محمد احمد بديوى. ومحمد العزبى رزق. وعيسى منون) والاخيران من مدرسى كلية أصول الدين للنظر فى كتابى (قصص الأنبياء) بعد أن بحثوه حسب أمر فضيلتكم بخطاب مؤرخ فى ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٣٣ وكذلك التقرير الصادر من لجنة أخرى لبحث التقرير الأول قوامها أصحاب الفضيلة الاساتذة (الشيخ عيسى منون. والشيخ محمد العزبى رزق. والشيخ محمود أبى دقيقة. والشيخ ابراهيم الجبالى رئيس اللجنة) لم يذكر له تاريخ وهو صادر اليهم من فضيلتكم.

والذى ألاحظه على عمل اللجنتين بدأة ذى بدء ويبدو لعين الناظر الى عملها بمجرد النظر البسيط ما يأتى:

أولا — ان نقد هؤلاء الافاضل لكتابى جرى على أسلوب لا يعرفه جهابذة النقد. ولم يصدر مثله فى شأن كتاب من الكتب عن ناقد منصف يوازن بين محاسن الكتاب ومساوئه ويستقصى فى ذلك الاستقصاء التام فى جميع نواحيه. أسلوبه. وجمعه. واستيعابه. وورقه وطبعه ثم يصدر حكمه بعد موازنة رائده منها الانصاف. ليهلك من هلك من بينة ويحيا من حى عن بينة.

بل الناظر الى عمل اللجنتين يرى أن هذا الكتاب مجموعة من السيئات وسلسلة من الجرائم والآثام: لا يرجع واضعه الى أثارة من عقل أو دين أو علم. واذا نظر الى الكتاب رأى غير ما قالوا. وعرف غير ما قرروا وانى أحمد الله تعالى على أن هذا التقرير لم يقع بين أيدى الادباء والكتاب فيتناولوه بأقلام لاذعة والسنة حداد.

ثانيا — أن التقرير الأول. يؤازره التقرير الثانى قد تفضل على شخصى الضعيف ببعض جمل تعتبر آيات بينات. دونها كل تقريظ واطراء مثل قولهم.

المقدمة. تخريج الآيات القرآنية على أوجه ان لم تكن باطلة فهى بعيدة جدا. وقد خالف فى ذلك جميع المفسرين فيما نعلم. ومثل هذا التأويل لو اتبع فى سائر ما ورد فى المعجزات أدى ذلك الى انكار جميع المعجزات وذلك يؤدى الى انكار رساله الرسل وانكار جميع الأديان. *

يعبد الأصنام وينحتها ويبيعها من عبادها وهؤلاء اليهود أبناء يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم قد كفر بعضهم ولعنهم الله وهم بنو الأنبياء (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم)

---

* فى الموضوع الثانى ـ فلانه خالف اجماع المفسرين فيما نعلم سوى صاحب المنار فى تفسيره لمثل هذا التعسف من التأويل ـ وتمجه العقول ـ وان هذه التعسفات .

فى الموضوع الثالث ـ بل أبديا احتمالا مخترعا فى الآيتين ـ ونحن نرى أن هذا الاحتمال فاسد . ويقال لمؤلف هذا الكتاب ويجوز أنك نقلته استئناسا لرأيك فى فهم القرآن .

وحيث ظهر فساد هذا التأويل كان القول بعدمه تكذيبا للقرآن ـ

فى الموضوع الرابع ـ ونحن والحق يقال فى حيرة شديدة من تصرف الاستاذ مؤلف الكتاب ـ اللهم انا نبرأ اليك من مثل هذه الآراء ـ

فى الموضوع الخامس ـ نستغفرك اللهم ونتوب اليك سبحانك هذا بهتان عظيم ـ وهو رأى منقول عن اليهود فكان الواجب عليه التحرز من متابعة اليهود ـ

فى الموضوع السابع ـ لم يكلف نفسه استقصاء البحث حتى يكون حكمه صحيحا ـ

فى الموضوع الثامن ـ ويدل على خطأ مارآه ومال اليه ما لحقنا من الدهشة انه لم يقف على تلك الأحاديث . وهذا الاحتمال لا يتصوران يصدر من مثل فضيلة الأستاذ . بل لا يصح أن يصدر من مسلم .

فى الموضوع التاسع ـ لانفهم السر فى قوله : اقرءوا هذه الآية ولا نظن الا أنه كتب هذه الآية فى هذا المقام سهــوا .

فى الموضوع العاشر ـ وانما العجب كل العجب من قوله ويعجبنى قول الالوسى : فان الناظر فى كلامه هذا وتصرفه فى النقل يعتقد هذا التصرف يعتبر تدليسا غير حميد .

فى الموضوع الحادى عشر ـ انه فى هذه الفتنة أبدى وجها هو باطل وبعيد . وأنكر حديثا صحيحا . واستبعد حصول مضمونه ـ لمثل هذه التكلفات . بل التعسفات التى ليس لها أساس . فانه يشبه كلام المستشرقين فى حق النبى ﷺ ـ فكيف استباح لنفسه مثل هذا الكلام ـ

فى الموضوع الثانى عشر ـ باحتمالين ما أنزل الله بهما من سلطان ان لم يكونا فاسدين فهما بعيد ان كل البعد ـ بمثل هذا التركيب لدى المبتدئين فى فن الكتابة ـ

فى الموضوع الثالث عشر ـ فحكم بذلك بمقتضى عقله .

فى الموضوع الرابع عشر ـ جرأة غريبة لاندرى سبب الاقدام عليها . واذا أراد الاختراع والابداع فى الآراء فليبتعد عن مقام الأنبياء ـ

ذكرت قصة نوح وطوفانه فى التوراة بعبارة واسعة وهى تخالف ما جاء فى القرآن الكريم مخالفة سلبية بمعنى أنها سكتت عن بعض الأشياء المذكورة فى القرآن فلم تتعرض لها وهى :

فى الموضوع السادس عشر ـ ولا يوجد نظيره فى كلام المبتدئين فضلا عن كلام رب العالمين . (سامحهم الله) تقرير اللجنة الثانية ـ على مبدأ غير مأمون العاقبة . وجعل الانجيل والتوراة مهيمنين على القرآن وهو ايهام شنيع ما كان ينبغى أن يرتكب . لا يوافق عليه أحد من المسلمين فيما نعلم .

نظرت الى حالى والى هذه الروائع البارعة . فلم أرنى أهلا للتحلى بهذه الدرر الغوالى التى أفاضوها على من آدابهم العالية

ولقد راودت نفسى على أن أكتب اليهم تحويلا بهذه الجمل التى يفيض الأدب على جنباتها ليقبضوها لأنفسهم وافية غير منقوصة . وتكون بضاعتهم الثمينة قد ردت اليهم ولكننى عولت على الاحتفاظ بها تذكاراً ثمينا من الفضل والأدب . ولتكون ذخيرة يتنافس فيها المتنافسون من أهل الاجيال الآتية . وليعلم المتأدبون والعلماء الخلقيون شيئا عن آداب أفاضل العلماء فى هذا العصر الذى نعيش فيه

ولست أدرى ، ولا المنجم يدرى ، الباعث لحضراتهم على السماح ببذل هذه الفرائد وافاضتها على شخصى الضعيف ؟

كان فى حكم الانصاف أن يكون الجواب عن البصل ثوما . وأن اساقيهم بالكأس التى ساقونى وأكيل لهم بالكيل الذى كالوالى به . بل أن آخذ بمذهب أبى العلاء فى الأرباء وأن أقول لحضراتهم

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم   وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

وأن أتمثل بقول الأول

وكنت اذا قوم غزونى غزوتهم   فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم

غير أنى آثرت أن أترك هذا الضرب من القول وأكبح جماح القلم وأغض من عنانه . وأن اقول قادرا غير عاجز

عفونا عن بنى ذهل   وقلنا القوم اخوان
عسى الأيام أن يرجعـ   ـن قوما كالذى كانوا

هذا ولأنى أنزه قلمى عن أن يغمس فى مداد لا أرتضيه ولا أحب أن يؤثر عنى الا ما يعلى منزلتى ويغلى قيمتى ـ والرابح فى تجارة السباب خاسر ـ

وأخرى . أحب أن يعلموا أن فى اللغة العربية أسلوبا سوى أسلوبهم الذى كتبوا به . وأن فى أيدى غيرهم أقلاما يبرونها على غير طريقتهم

١ ـ مسألة ابن نوح واسمه كنعان كما يقول بعض المفسرين فان القرآن تعرض لها وذكرها . والتوراة لم تذكر أنه كان له من الأولاد سوى سام وحام ويافث

لهذا سيجدنى القارىء الكريم حافظا من كرامتهم مالم يحسنوا حفظه ، مراعيا من شعورهم مالم يقدروا على مراعاة مثله من شعورى (وكل امرىء ميسر لما خلق له)

ثالثا ــ كانت الأشاعات التى أشيعت حول كتابى (قصص الأنبياء) والعثير الذى أثير حول اسمى ، والارجافات التى ملأت سمع الأرض وبصرها عنى ، وشرقت حتى لم تجد من مشرّق ، وغربت حتى لم تجد من مغرّب ، يعزينى عن الألم بها ما كنت أنتظره من تقريرهم البديع . الذى سيحوى من العلم الناضج والحجج الدامغة والآيات الباهرة والحكمة الحسنة . مالم يره الراءون . ولم يرو مثله الراوون ـ وأتخيل أنى سأحوز من كنوز علمهم الجم مالم يعثر التسطف على بعضه ، ولم تغلق خزائن قارون على مثله ، ولم يشتمل صدر لقمان على معشاره وانتظر صدور تقرير « النقد » انتظار الظمآن للماء والمريض للشفاء . . . وبعد لأى ظهر التقرير بعد البحث والدرس والاستقصاء ، والاستعانة على الابانة وبعد سلخ شهور كثيرة . فلم أجد ما يشفى أو يكفى ، ولم أظفر منه بما يذهب الحيرة ، أو يرشد من ضلالة ، أو ينقذ من جهالة ، واذا انتظارى للشفاء بهذا التقرير كان منى (ضلالا ما أردت به ضلالا)

وأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع

أجل كنت انتظر من اللجنة أن تأتى فى كل ماتراه مخالفة تمس الدين بما يجهز على قولى أو رأيى من نص قطعى الثبوت والدلالة يدل على نقيض ما نصصته من قول أو رأى ، فلا يكون بعد ذلك الا الاذعان والاقرار منى بالحق الذى ليس له دافع ، لا أن تضرب أقوالا بأقوال ، وايت بنبع اذا عدت ولا غرب ، أن القول من الأقوال التى تورد فى مسألة من المسائل . لا يكسر بدليل ظنى . وأقوال المشايخ المتقدمين التى يوردونها ليست قولا فصلا يحول دون تفكير المفكرين وفهم الفاهمين فى المسائل التى للفهم والتفكير فيها مجال ، لأنها ليست نصا قطعى الثبوت والدلالة

وانى لا أريد أن أستوفى كل الكلام فى هذا الموقف . بل اتركه الآن حتى اذا مر موضوع من الموضوعات التى اعتبروها مآخذ على أتى كل موضوع بما يناسبه ـ وانى اوجه نظر القارىء الى الدستور الذى نصصته بصفحة ١٢ من هذا الكتاب

نقد اللجنة عن هذا الموضوع

(موضوع ابن نوح)

ذكرت فى صفحة ٤٧ سطر ٣ من الطبعة الاولى وصفحة ٥٤ سطر ١٠ من هذه الطبعة الثانية ما نصه :
وقال غيرهم انه كان من الزنا ونوح لا يعلم بذلك الى قولى لا أقول انه من الزنا الخ =

٢ ـ مسألة زوج نوح ـ لم تذكر أن نوحاً كانت زوجته كافرة وهلكت مع قومه الهالكين . بل

رأى اللجنة

= يكفى أن نذكر هنا ما قاله أئمة التفسير فى هذا الموضوع ليعلم ان قوله :وقد فات هؤلاء الخ جرأة غريبة لاندرى سبب الاقدام عليها. قال الامام الرازى فى تفسير قوله تعالى (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه) ما نصه : القول الثالث انه ولد على فراشه لغير رشدة والقائلون بهذا القول احتجوا بقوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط (فخانتاهما) وهذا قول خبيث يجب صون منصب الأنبياء عن هذه الفضيحة لاسيما وهو على خلاف نص القرآن. أما قوله تعالى (فخانتاهما) فليس فيه ان تلك الخيانة انما حصلت بالسبب الذى ذكروه ، قيل لابن عباس رضى الله عنهما ما كانت تلك الخيانة؟ فقال كانت امرأة نوح تقول زوجى مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزلوا به . ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) وأيضاً قوله تعالى (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) اه كلام الامام الرازى بالحرف.

وقال العلامة الألوسى فى تفسير الآية السابقة ما نصه : وما يقال من أنه كان لغير رشدة لقوله سبحانه (فخانتاهما) فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان الله تعالى قد طهر الأنبياء عليهم السلام عما هو دون ذلك من النقص بمراحل فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار اليهم بأصبع الطعن وإنما المراد بالخيانة الخيانة فى الدين، ونسبة هذا القول الى الحسن ومجاهد كما زعم الطبرى كذب صريح اه المقصود منه .

وقال العلامة أبو السعود فى تفسير الآية المذكورة ما نصه بالحرف: وما يقال من أنه كان لغير رشدة لقوله (فخانتاهما) فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أرفع من ان يشار اليهم بأصبع الطعن وإنما المراد بالخيانة الخيانة فى الدين اه

وقال العلامة البيضاوى فى تفسير الآية السابقة ما نصه :

وكان لغير رشدة لقوله تعالى (فخانتاهما) وهو خطأ إذ الأنبيـــاء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين اه

وأما ما استند اليه فى عدم استبعاد أن تكون امرأة النبى زانية من القياس على الكفر الذى هو أشد ذنباً من الزنا وامرأة نوح كانت كافرة وقد ضربها الله مثلا فى الكفر ومن أتى الذنب الأكبر يهون عليه الاتيان بالأصغر فواضح البطلان لأن كفر المرأة وان كان أكبر الكبائر لا يعود ضرره إلا عليها ولا يلحق الزوج منه عار ولا فضيحة بين الناس ولذلك أباح الله للمسلم ان يتزوج من الكتابيات الكافرات بخلاف زناها فانه وان كان أصغر من الكفر لا يقصر ضرره عليها وحدها بل يلحق الزوج ايضاً بسببه عار وفضيحة بين الناس فى مطرد العادة بحيث يكون بحالة لا يستطيع معها مجالسة الناس

ونظن إن ماذكروه واضح لايختلف فيه اثنان فكان الواجب على فضيلة المؤلف ان يوافق الأئمة فيما =

ذكرت أنه أمر أن يدخل زوجته السفينة مع من دخلها من المؤمنين فدخلت ونجت . وهذا ليس

= قرروه وإذا أرادالاختراع والابداع فيالآراء فليبتعد عن مقام الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فان فى الحوادث التاريخية التى حدثت من آحاد الناس غير الأنبياء متسعاً للجميع والله أعلم .

(الجواب عن النقــــد)

انى نصصت فى كتابى ما نقله أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وبينت ان ابن نوح كان ابنا له حقيقة كما سماه الله ابنه ولم يكن لغير رشدة - وناقشت المبدأ الذى يستمسك به القائلون بان نساء الأنبياء لا يمكن ان تكون احداهن زانية قائلا (وقد فات هؤلاء ان الكفر أشد ذنبا من الزنا وامرأة نوح قد ضربها الله مثلا فى الكفر ومن أتى الذنب الأكبر يهون عليه أن يأتى بما هو أصغر منه وان كنت لا أقول انه من الزنا) فالقارىء يرانى قد استمسكت بأن ابن نوح له ولم يكن لغير رشدة ولكنى ناقشت المبدأ فقط ولم أقرف امرأة نوح بالجريمة ولكنى عددت إتيانها من قبيل الممكن . ومناقشتى هذه لا تعدو أن تكون كقول الأصوليين يجوز ان يكلف الله تعالى بالمحال ولكنه لم يقع وكقول بعض المتكلمين ان الكفر جائز على الأنبياء عقلا ولكنه غير واقع فعلا

ولكن أصحاب الفضيلة قد شنوا على غارة شعواء وأجلبوا بخيلهم ورجلهم واستجاشوا على الفخر الرازى والألوسى وأبا السعود والبيضاوى حاسبين ان قولى (وقد فات هؤلاء) الخ جرأة غريبة

ان قليلا من التدبر يهدى حضرات الأفاضل الى أن الكلام الذى ساقوه عن الفخر الرازى غير موجه الا الى الذين قطعوا بأن ابن نوح كان لغير رشدة وان امرأة نوح أتت به من الزنا على فراشه - وأنا لست من هذا الفريق وانما انا مناقش المبدأ فقط

وإنى مع إجلالى لموضع الفخر الرازى من العلم وتعويلى على كثير من آرائه القيمة أراه لم يصب المحز فى قوله - ثم الدليل القاطع على فساد هذا المذهب قوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) وايضا قوله تعالى (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فقد كان نوح ولوط طيبين وقد تزوجا من خبيثتين . وكان فرعون خبيثا متزوجا من طيبة - وإنما يحمل ذلك على الأمر اللائق بالطيبين انهم لا ينكحون ولا يليق بهم إلا الطيبات . واللائق بالطيبات انهن لا يرغبن إلا فى نكاح الطيبين الخ . وأما الآية الثانية فقد كان ذلك فى صدر الاسلام حين لم يكن ممنوعا تزوج المؤمن بالمشركة ولا تزوج المشركة بالمؤمن ولا اقتصر فى هذا الموضع الا على قلم الفخر الرازى نفسه ففيه البيان الشافى الكافى حيث قال فى تفسير قوله تعالى (الزانى لا ينكح الا زانية أو =

دليلا على أن نوحاً لم تكن له زوجة كافرة لاحتمال أنه كان له زوجتان احداهما كافرة هلكت

= مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)

قال فى تفسير هذه الآية ما نصه :

قرىء لا ينكح بالجزم على النهى . وقرىء وحرم ذلك على المؤمنين بفتح الحاء ثم ان فى الآية سؤالان :

السؤال الأول - قوله (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة) ظاهره خبر ثم ان الأمر ليس كما يشعر به هـذا الظاهر - لأنا نرى ان الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة . والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف .

السؤال الثانى - أنه قال (وحرم ذلك على المؤمنين) وليس كذلك فان المؤمن يحل له الزواج بالمرأة الزانية — والجواب —

إعلم أن المفسرين لأجل هذين السؤالين ذكروا وجوها وأحسنها ماقاله القفال وهو .

أن اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الأعم الأغلب . وذلك لأن الفاسق الخبيث الذى من شأنه الزنا والفسق لايرغب فى نكاح الصوالح من النساء وانما يرغب فى فاسقة خبيثة مثله أو فى مشركة . والفاسقة الخبيثة لايرغب فى نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها . وانما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين فهذا على الأعم الأغلب . كما يقال ، لايفعل الخير إلا الرجل التقى ، وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى فكذا ههنا - وأما قوله (وحرم على ذلك على المؤمنين) . فالجواب من وجهين . أحدهما - أن نكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك فى سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه . لما فيه من التشبه بالفساق وحضوره موضع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه . والغيبة ومخالطة الخاطئين كم فيها من التعرض لاقتراف الاثام . فكيف بمزاوجة الزوانى والفجار

الثانى - وهو أن صرف الرغبة بالكلية الى الزوانى . وترك الرغبة فى الصالحات محرم على المؤمنين لأن قوله (الزانى لاينكح الا زانية) معناه أن الزانى لايرغب الا فى الزانيـة فهذا الحصر محرم على المؤمنين . ولا يلزم من حرمة ، هذا الحصر حرمة التزوج بالزانية . فهذا هو المعتمد فى تفسير الاية

وانى لاقتصر من نقل كلام الامام الرازى على ذلك وأقول كان بودى أن يسال حضرات أعضاء اللجنة تلاميذهم من قضاة المحاكم الشرعية عن هذا الحكم ليعلموا أن المحاكم الشرعية تلغي =

والأخرى كانت مؤمنة نجت

٣ - بقيت مســـألة ثالثة . وهي أن القرآن لم يتعرض لعموم كل الأرض بالطوفان والتوراة

= النكاح بين مؤمنة زانية ومشرك كما تلغيه بين مشركة عفيفة ومؤمن زان وانها تجيز نكاح المؤمنة العفيفة للمؤمن الزاني وبالعكس .

قال حضرات أعضاء اللجنة والمفسرون ما معناه أن كفر المرأة ضرره عائد عليها وحدها وأما زناها فضرره لاحق بزوجها لأنه يكون عارا عليه وهجنة

أقول أن عار زنى المرأة والهجنة على زوجها منه لا يكون الا اذا اشتهر ذلك منها وعلم بهزوجها وابقاها فى عصمته دون أن يفارقها فاما حصول ذلك من المرأة فلتة أو فى حال خفية بحيث لا يعلم بذلك أحد ولا يعلم به هو فاى هجنة عليه فى ذلك واقول كما قال حضراتهم أن ذلك بديهى لا يختلف فيه اثنان .

ولعمرى لقد اثبت حضرات اعضـــاء اللجنة وكل من يقول بقولهم العصمة عن الزنا لنساء الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون أن يكون بيدهم دليل قطعى على ذلك . واثبات العصمة لمن لم يثبت الله له العصمة عن شيء لا يليق بمن يستبرىء لدينه وهو كانكار عصمة من اثبت الله له العصمة

وبعد هذا فهل كان القائلون بعصمة نساء الانبيـاء عن الزنا أعلم من رسول الله ﷺ بذلك الحكم حتى علموه هم وجهله رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

رميت عائشه الصديقية رضى الله عنها بالزنا مرجع رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق وتحدث الناس بهذا الافك وتغير رسول الله ﷺ لعائشة . ولو كان رسول الله يعلم أن نساء الأنبياء معصومات من الزنا لبادر باعلام الناس ذلك ولم يبق الناس فى أمر مريج شهرا تقريبا

قالت عائشة « وقد انتهى الحديث الى رسول الله ﷺ وإلى أبوى ولا يذكر ان لى منه شيئا الا أنى أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه فكان اذا دخل على وأمى تمرضنى يقول كيف تيكم لا يزيد على ذلك »

أقول - لعمرى لم تغير رسول الله ﷺ لعائشة ولم يظهر لها البشاشة التى كانت قد تعودتها منه اذا كان يعلم أن نساء الأنبياء معصومات من الزنا ؟

قالت « وقد استمر الأمر بين الناس حتى تشاوروا وكاد يكون بينهم شر ونزل رسول الله ﷺ ودعا على بن ابى طالب واسامة بن زيد فاستشارهما . فاما اسامة فأثنى خيرا . واما على فقال ان النساء كثير وسل الخادم تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها فقام اليها على فضربها ضربا =

تعرضت لذلك ونصت على ان الأرض قد علاها الماء خمسة عشر ذراعا وباد كل ذى حياة من

= شديدا وهو يقول اصدق رسول الله . فقالت والله ما اعلم الا خيرا وما كنت اعيب عليها الا انها كانت تنام عن عجينها فيأتى الداجن فيأكله ثم دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى ابواى وامرأة من الأنصار وأنا أبكى وهى تبكى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال . ياعائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فان كنت قارفت سوءا فتوبى الى الله »

فهل طلب رسول الله ﷺ من عائشة أن تتوب الى الله ان كانت قد قارفت ذنبا وهو يعلم ان نساء الأنبياء معصومات من الزنا ؟ — من ذلك كله استبان ان زوجات الأنبياء غير معصومات من الزنا واقول ايضا ليس كل غير معصوم عن معصية يأتيها

قالوا : فكان الواجب على فضيلة المؤلف أن يوافق الأئمة فيما قرروه (يريدون المفسرين)

أقول ـ بأى كتاب أم بأية سنة ألغى عقلى وفهمى وأفنى شخصيتى فى متابعة قوم اجتهدوا فاخطئوا وقد بان لى وجه الصواب فى أن أسلك حسب ماهدانى اليه التفكير الصحيح . مستهديا بهدى الله تعالى وكتابه وسنة رسوله ؟

قالوا ـ واذا أراد الاختراع والابداع فى الآراء فليبتعد عن مقام الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

أقول ـ أن حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة يشبهون فى كتابتهم من يدعى أنه يملك أنبياء الله تعالى ورسله بوضع اليد ويحتكر محبتهم والدفاع عنهم دون خلق الله تعالى

دعاوى أناس توجب الشك فيهم فان لزموا دعواهم فالزم الدفعا

ان الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين انما أرسلهم الله لهداية البشر وجعلهم أئمة الأمم وقادة الشعوب الى الخير والأدلاء على الله تعالى بامره ومحبتهم فرض على المؤمن واعتقاد الخير فيهم واجب والخروج بهم عن أطوارهم التى لهم بماهم أئمة ورسل واطراؤهم اطراء لم يأذن به الله مضر بالمعتقد كالنزول بهم عن مراتبهم والحط من كرامتهم . فلا يحسن الكلام فى شأنهم الا من عرف منزلتهم من الله ولم يجاوز بهم أقدارهم ولم ينزل بهم عن مكانتهم منه تعالى

قالوا . فان فى الحوادث التاريخية التى حدثت من آحاد الناس غير الأنبياء متسعا للجميع

أقول ـ كلا ـ ليس فى حوادث التاريخ متسع للجميع كما تقولون لأن التاريخ باب لا يلجه الا أهل الفطر السليمة والفطن المنزهة عن شوائب الخرافات والأنفس التى سبرت أحوال الأمم وخبرت الاخلاق ولا يدرك وطره من هذا العلم الا من بحث ودرس ولم ينتقل من التحديق الا =

انسان ووحش وطير ودبابات على وجه الأرض . والقرآن لم يذكر الاغراق قوم نوح وامرأته

= الى التحقيق وأحاط بما تمكن الاحاطة به من سنن العمران البشري وغاص فى أعماق العلوم وبرع أمثاله فى الكياسة واستدل على ما جهل بما علم وقايس بين الاشباه والأمثال وأمسك بيده مصباحا من الماضى يضيىء به المستقبل حتى صار .

الألمعى الذى يظن بك الظـــ ـــن كان قد رأى وقد سمعا

وحاصل المسألة بينى وبين أعضاء اللجنة المحترمين انى لا أقول بعصمة نساء الأنبياء عن اقتراف جريمة الزنا ولا أقطع بان زوجة واحد منهم قد اقترفت هذه الجريمة وأقرر ما قرره الله تعالى من ان ابن نوح الذى كان من المغرقين هو ابنه كما هو ظاهر القران الكريم ولا أقرف زوجة ذلك النبي الكريم بأنها أتت به على فراشه لغير رشدة ولا أقرف زوجة غيره

أما حضرات أصحاب الفضيلة فيقولون بعصمة نساء الأنبياء من الزنا

والخلاصة ان نساء الانبياء غير معصومات . وما قالوه من الهجنة التى تلحق النبى لا تكون إلا إذا عرف ذلك عن زوجته او علمه الناس وعلم هو به وامسكها ولم يفارقها . فكلام حضراتهم وكلام المفسرين فى فرض غير موجود فى مسألتنا .

وبعد ذلك اقول لحضرات الناقدين — أانتم اعلم ام الله ؟ فان الله تعالى يقول لنساء النبى صلى الله عليه وسلم : يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضـــاعف لها العذاب ضعفين ـ وماوضع الله تعالى تلك العقوبة المضاعفة الا وهو يعلم ان الذنب الذى تترتب عليه هذه العقوبة المغلظة جائز الوقوع . ولا شك فى ان الزنا فاحشة كما قال تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) فهذه آيات الكتاب ناطقة بما ذهبت اليه ، فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟

قد يقولون ان الفاحشة فى الآية يراد منها شىء غير الزنا لأن الانبياء معصومون من ان تزنى نساؤهم كما قال المفسرون ذلك

اقول: يمنع من ذلك امور

إولها . انكم متهافتون فى قولكم الانبياء معصومون من ان تزنى نساؤهم لأن الشخص إنما يعصم عن عمل يعمله ولا يعصم من ان يعمل غيره فهذه الصيغة الظاهرة التعسف لا تنحل إلا الى عصمة نســـاء الانبياء من ذلك

ثانيها : ان الآية ظاهرة فى ان العذاب على تلك الفاحشة يكون مضاعفاً وعلى ذلك فالعذاب الذى يستحقه غيرهن على تلك الفاحشة محدود معلوم والفاحشة التى عذابهـا معلوم هى الزنا (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) فارونى اية فاحشة يفعلها الإنسان وجزاؤها عذاب محدود سوى الزنا ؟ =

وأنه جعل ذريته هم الباقين ولم يذكر عموم الأرض ولا ارتفاع الماء خمس عشرة ذراعا فوق الجبال وهذه الآيات التي ذكرت في التوراة

قصة نوح في التوراة

لا أريد أن أطيل بنقل الكلام في أهل الأرض وفسادهم وكفرانهم نعمة الله عليهم وأمر نوح بعمل الفلك وما يأخذه من الناس والحيوان والطير ولكني أعمد الى المقصود وهو ما أذكره بهامش هذه القصة(١)

= ثالثها : ان الله سمى جزاء الفاحشة عذاباً . ولم يسم عقوبة من العقوبات التي تنال الانسان على فعل فاحشة عذابا سوى الزنا (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) — ففي انصاف القارىء مايبين به العاطل من الحالي

(١) ص ٧ تكوين ١١ في سنة ستمائة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفجرت طاقات السماء ١٢ وكان المطر على الأرض اربعين يوما واربعين ليلة ١٣ في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك ١٤ هم وكل الوحوش كأجناسها ، وكل البهائم كأجناسها ، وكل الدبابات التي تدب على وجه الأرض كأجناسها ، وكل الطيور كأجناسها كل عصفور كل ذي جناح ١٥ ودخلت الى نوح الى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة ١٦ والداخلات دخلت ذكراً وأنثى من كل ذي جسد كما أمره الله واغلق الرب عليه ١٧ وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض ١٨ وتعاظمت وتكاثرت جدا على الارض فكان الفلك يسير على وجه المياه ١٩ وتعاظمت المياه كثيراً جدا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء ٢٠ خمسة عشر ذراعا في الارتفاع تعاظمت فتغطت الجبال ٢١ فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض وجميع الناس ٢٢ كل ما في انفه نسمة حياة من كل ما في اليابسة مات ٢٣ فمحا الله كل قائم على وجه الأرض الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الأرض وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط ٢٤ وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسين يوما .

ص ٨ تكوين ٣ ورجعت المياه على وجه الارض رجوعا متوالياً وبعد مائة وخمسين يوما فنقصت المياه واستقر الفلك في الشهر السابع من اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط ٥ وكانت المياه تنقص نقصا متواليا الى الشهر العاشر وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رءوس الجبال ، ١٣ وكان في السنة الواحدة والستمائة في الشهر الأول ان المياه قد نشفت على الارض فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فاذا وجه الارض قد نشف ١٤ وفي الشهر الثاني في اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الارض ١٥ وكلم الله نوحاً قائلا ١٦ اخرج =

مـلاحظة

يميل بعض المفسرين الى أن قوله تعالى (وفار التنور) يشير الى أن سفينة نوح كانت بخارية مستدلا بقوله وفار التنور. وان قوم نوح كانوا قد بلغوا فى المدنية شأواً بعيدا فاستخدموا البخار وأجروا به السفن . ولست أميل الى هـذا لأنه يقتضى ان التنور يفور من نفسه بل الذى افهمه أن الأرض لما هيأ الله الطوفان كانت ممتلئة بالماء من تحتها اشارة الى قربه ففار تنور أهله الذى يخبزون فيه .

تنبيـه

والى القراء مسألة لم أر لأحد من المفسرين كلاما فى شأنها ذلك أن المتأمل فى الكتاب الكريم يرى أن ابن نوح قد هلك بدعوة أبيه نوح عليه السلام . فانه لما دعا على قومه بقوله (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً) لم يستثن ابنه وقد كان كافراً فدخل فى عموم من دعا عليهم نوح بالهلاك هذا أولا ـ وثانياً ـ أن نوحاً دعا ربه فقال « رب اغفرلى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات » لم تشمل هذه الدعوة ابن نوح فانه وان كان قد دخل بيته فلم يكن مؤمناً فكانه مستثنى من هذه الدعوة ـ ثالثاً ـ أنه قال بعد ذلك (ولا تزد الظالمين الا تباراً) فكان ابنه داخلا فى عداد الظالمين لأنه كان كافراً والظلم هو الكفر .

قصة الطوفان فى أساطير الثقافة الوثنية الهندية

نقلا عن « تاريخ الأدب الهندى » الجزء الأول المختص بالثقافة الوثنية الهندية للسيد أبى النصر احمد الحسينى البهوبالى الهندى (مخطوط) صفحة ٤٢ و ٤٣ .

قال فى الباب الخامس وعنوانه « برهمانا وأوبانيشاد » :

= من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك ١٧ وكل الحيوانات التى معك من كل ذى جسد . الطيور والبهائم وكل الدبابات التى تدب على الأرض اخرجها معك ولتتوالد فى الأرض وتثمر وتكثر على الارض وهذا معنى قوله تعالى فى القرآن الكريم (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك) وعلى ذلك يكون نوح والذين معه فى الفلك قد أقاموا بها سنة تامة وعشرة أيام .

ومما يلفت النظر فى « ساتا باتا برهمانا » قصة الطوفان التى بينت فى ضمن بيان الضحايا . والقصة وإن اختلفت من وجوه كثيرة عما فى القرآن والتوراة ، وان لم يوجد شواهد قاطعة تربط القصة الهندية مع السامية . توجب الاهتمام . ففى هذه القصة البرهمانية يقوم « مانو » بدور سيدنا نوح فى القرآن وفى التوراة و « مانو » اسم نال التقديس والاحترام فى أدب الثقافة بأسره من الوثنيين فهو ابن الله ومصدر جميع الناس وجدهم الأسطورى . وخلاصة القصة انه بينما كان « مانو » يغسل يديه إذ جاءت فى يده سمكة . ومما اندهش به أن السمكة كلمته وطلبت انقاذها من الهلاك ووعدته جزاء عليه أنها ستنقذ « مانو » فى المستقبل من خطر عظيم . والخطر العظيم المحدق الذى أنبأت به السمكة كان طوفانا سيجرف جميع المخلوقات . وعلى ذلك حفظ « مانو » السمكة فى المرتبان . فلما كبرت أخبرت « مانو » عن السنة التى سيأتى فيها الطوفان » ثم أشارت على « مانو » أن يصنع سفينة كبيرة ويدخل فيهـــا عند طغيان الماء قائلة « أنا أنقذك من الطوفان » فمانو صنع السفينة . والسمكة كبرت أكثر من سعة المرتبان لذلك ألقاها فى البحر . ثم جاء الطوفان كما أنبأت السمكة وحين دخل « مانو » السفينة عامت السمكة اليه فربط السفينة بقرن على رأسها فجرتها الى الجبال الشمالية وهنا ربط « مانو » السفينة بشجرة . وعندما تراجع الماء وخف بقى « مانو » بوحدته .

هذه هى قصة الطوفان وأهميتها الحقيقية ليست فى الاتصال الموعز فى كلمات مانو ، والسفينة ، والطوفان إلى نوح ، والسفينة والطوفان بل فى النور الذى ترميه القصة فى كشف التاريخ الابتدائى لطقوس القربان وهو يرى فى الخطوات التى يتخطى بها « مانو » لنيل القوة الخارقة لايجاد الخلق . ففى بادىء الأمر « مانو » المتمنى للخلف انهمك فى العبادة والمجاهدة . ثم قام بضحيته المسماة « باكا » ومن ثم خلقت المرأة بعد سنة . فالمرأة أخبرت « مانو » أنها بنته لأنها خلقت من ضحيته وقالت له أنا بركة استعملنى فى القربان وأنت تصبح غنيا فى الاخلاف والمواشى . فمانو على ذلك استمر فى العبادة والمجاهدة مع المرأة . وبواسطتها هو أنتج هذه الذرية فهى ذرية مانو ، وأى نعمة طلب مانو بواسطتها أعطيت له .

عمـــر نوح

ذكر الكتاب الكريم أن نوحاً مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وذكرت التوراة أن آدم عمر ثلاثين وتسعمائة سنة وذكرت أيضا أن الطوفان ابتدأ فى السنة الأولى بعد ستمائة من ولادة

نوح عليه السلام وذكرت كثيراً من الأنبياء وغيرهم وأنهم عُمِّروا عمرا طويلا - ونحن لا نجد معمراً يعمر مثل هذا العمر أو نصفه أو ربعه من زمن طويل وهؤلاء الفراعنة فى مصر نجـــد أجسامهم كأجسام أهل هذه الأيام وأعمارهم لا تختلف عن أعمارنا وقد مر لهم أربعون قرنا أو أكثر فكيف يكون ذلك ؟

والذى أراه أنه لا مانع من أن يعمر آدم ومن قرب منه أعماراً طويلة لأن النوع الانسانى كان فى بدء نشأته لم يحمل هموما ولم تعتوره الأمراض المختلفة ولم تنهك قوته الأطعمة التى لا يقدر على هضمها فكان من المعقول أن يعيش طويلا . وأما نحن وأمثالنا ممن كانوا قبل أربعين قرناً فقد جئنا بعد أن أنهكت النوع الانسانى الأمراض وطحنته الأدواء فالواحد منا عصارة لآلاف الأمراض التى انتابت آباءه وامهاته فلم تعد قوانا تتحمل العمر الطويل .

وعند العلماء بالطب والأحوال الاجتماعية ان الانسان قواه محدودة والحياة العريضة تستنفدها بسرعة بخلاف الحياة الضيقة فانها تكون طويلة لقلة ما يستنفد من قوى الأجسام بتلك الحياة . فنحن الآن لا نعيش عيشة البساطة التى كان يعيشها آدم ومن قرب منه بل نتفنن فى أنواع الطعام ولذائذ المعيشة بما ينهك قوانا فلا غرابة أن تكون أعمارنا قصيرة وقد اجتمعت عليها الأمراض المتوارثة والتبسط فى العيش . ويقول بعض الأطباء الألمان ان انسان هذا الزمان يمكن ان يعيش ثلاثمائة سنة اذا اتبع نظاما خاصا

وهنا رأى آخر وهو أن الأقوام الاولين كانوا يعدون كل شهر عاما فاذا قالوا ألفاً ومائتى سنة فانما يعنون مائة عام من اعوامنا وقد أشار الى ذلك المعرى بقوله :

ورووا للمعمَّرين أمورا لست أدرى ما هن فى المشهور

أتراهم فيما تقضى من الأيـ ام عدوا سنيهم بالشهور

كلما لاح للعيون هلال كان عاما لديهمو فى الدهور

هكذا ينبغى والا فان الـ عقل يثنى فى حالة المبهور

ولكنى متمسك برأيى وهو الاول وان كان بعض الاطباء يرى الاصابة بالامراض تورث نسلهم مناعة .

قبيلتا عاد وثمود

لما كانت قبيلة عاد قوم هود من أقدم الأمم وجوداً وآثاراً فى الارض كما قال تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وليس من البعيد أن يكونوا أقدم من ابراهيم وكان قوم ثمود يتلون قوم عاد فى الوجود والظهور بين الامم كما قال تعالى على لسان صالح عليه السلام (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) أحببت أن أذكر قوم عاد ثم أثنى بثمود ثم أذكر بعد ذلك ابراهيم ثم الأنبياء من عقبه ليكون ذكرهم فى نسق . مخالفا فى ذلك الترتيب الذى رتبته فى الطبعة الاولى لأنى بهذا الترتيب أوثق واليه أميل .

هود عليه السلام

وشأنه مع قبيلة عاد

عدد مرات ذكر هود فى القرآن ـ نسبه ـ مساكن عاد ـ عبادتهم ـ هلاك عاد ـ العبرة من قصة هود مع قومه

ذكر هود فى القرآن الكريم سبع مرات . فذكر فى سورة الأعراف فى الآية ٦٥ وفى سورة هود فى الآيات ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٨٩ وفى سورة الشعراء فى الآية ١٢٤

واعلموا ـ وفقنى الله وإياكم ـ ان عادا لم تذكر فى كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم. وليس بيد أحد من الناس من أخبارهم ما يوثق به ويصح التعويل عليه . سوى القرآن وحده ـ فقد ذكر مساكنهم وأحوالهم وجسامة أجسامهم وقوتهم وما كانوا ناعمين فيه من خصب ورغد عيش وما استمسكوا به من الكفر والأوثان وعتوهم وفسادهم فى الأرض وتماديهم فى الاستمساك بعبادتهم الباطلة وما بذل هود فى سبيل هدايتهم وردهم عن فاسد اعتقادهم وما قابلوه به من العناد والسخرية والاستهزاء إلى أن تأذن الله بهلاكهم

فعلى ضوء ما جاء فى القرآن الكريم نقص قصصهم مع هود رسول الله ﷺ . وما جاء فى أثناء القصة مما لا يدل عليه القرآن الكريم فليس يبلغ الشىء القطعى ولا الشىء المؤرخ المأخوذ عن

المصادر ذات القيمة التى سجلها التاريخ ، وإنما هى آثار أثرت عن بعض أهل العلم . هى دون التاريخ.

أما عاد فهو اسم لأبى القبيلة وقد اشتهر أنه اسم عربى ويقول سيبويه انه أعجمى إذ يقال ان أول من نطق بالعربية يعرب . وعن ابن عباس أن هودا أول من نطق بالعربية - ولكننا اذا قدرنا صحة ما يقال من أن العرب إنما سموا عربا لأنهم سكنوا غربى الفرات فكانوا بادية الآراميين وان الأمم التى أطلقت عليها اسم (عرب) إنما تنطق الغين المعجمة عينا مهملة وان قبيلة عاد وغيرهم من العمالقة وسواهم هم الذين ينطبق عليهم هذا الاسم حكمنا بأنه عربى كما هو المشهور[1]

ويقال ان هودا هو ابن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وعلى هذا الرأى محمد ابن اسحق وبعض القائلين بهذا يقولون ان هودا ابن عم أبى عاد وقيل ابن عوص بن أرم بن سام ابن نوح وقيل عبدالله بن رباح بن الخلود بن عوص بن أرم بن سام

وهاكم عمود النسب لكل من هود وابراهيم عليهما السلام

نوح

|

سام

أرم	ارفخشذ
عوص	شالح
عاد	عابر
الخلود	فالج
رباح	رعو
عبد الله	سروج
هود	ناحور
	تارح
	ابراهيم

(١) يرى صاحبنا الدكتور اسرائيل ولفنسون ان لفظ عبرى وعربى شىء واحد من العبور وهو الإرتحال حصل فيه قلب مكانى فصار لفظ (عبرى) عربى

واذا قارنا بين نسب هود وابراهيم عليهما السلام وجدنا هذا النسب أقرب إلى القبول من غيره — إذ بين هود وسام ستة أشخاص على عمود النسب وبين ابراهيم وسام ثمانية أشخاص على عمود النسب والمشهور من أقوال من يتعرضون للكلام عن عاد أنهم بادوا بعد وجود ابراهيم وبناء البيت بمكة ومن المحتمل أن عادا كانوا أطول أعمارا كما كانوا أكبر أجساما . وأما من يقول أن هودا هو ابن عوص بن أرم فقد أبعد فى الشطط إذ فى هذه الفترة القصيرة من الزمن يبعد كل البعد أن يتوالد لأرم قبيلة كبيرة ضخمة تعمر الأرض وتعتز بقوتها بالحال التى كانت عليها عاد — فقد كانوا أهل زرع وضرع وعمروا البلاد وأذلوا العباد . كما يشهد بذلك قول هود لهم (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون)

مساكن عاد

كانت مساكن عاد فى أرض الأحقاف وهى تقع فى شمال حضرموت وفى شمالها الربع الخالى وفى شرقها عمان وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم ولم يتعرض أحد من الاوربيين الباحثين والمنقبين الى الكشف عن بلادهم والتنقيب فى أرضهم . ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية مالو كشف لكان عظيم القيمة فى عالم الآثار وأبان عن مدنية عظيمة مطمورة تحت تلك الكثبان . وقد أخبرنى السيد عبدالله بن أحمد بن عمر بن يحيى العلوى من أهل حضرموت أنه قام فى جماعة الى احدى المدن البائدة فى شمال حضرموت ونقب فيها وعثر على بعض الآنية من المرمر عليها كتابة بالخط المسمارى ثم ترك التنقيب لمضايقة البدو له واثقال كاهله بالمطالب المالية (١)

عبادتهم

كان قوم هود أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى ضاهوا فى عبادتها قوم نوح حين عبدوا

(١) فى ص ٣٣٣ ج ٥ من القسطلانى ما نصه (وكان قوم هود يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن) وهذا يخالف ما هو معروف فان الأحقاف فى شمال حضرموت وهو يجعلها فى جنوبها على المحيط الهندى

ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا — وفى أثر مروى عن ابن عباس أنهم اتخذوا صنما يقال له صمود وصنما يقال له الهتار فبعث الله اليهم هودا . وكان هود من قبيلة يقال لها الخلود ، وكان من أوسطهم نسبا وأصبحهم وجها ، وكان فى مثل أجسادهم أبيض بادى العنفقة طويل اللحية ، فدعاهم الى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس فأبوا ذلك وكذبوه وقالوا « من أشد منا قوة » ٤٩٧ ج ٨ تفسير المنار

كان هود عليه الصلاة والسلام ينذر قومه ويحذرهم بأس الله ويضرب لهم المثل بقوم نوح ويذكرهم بنعم الله تعالى عليهم اذ زادهم فى الخلق بسطة وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وبوأهم أرضا تدر عليهم الخير وتخرج لهم الزرع الذى يعيشون منه وتنبت الكلأ الذى ترعى فيه ماشيتهم وأن عليهم أن يستعملوا عقولهم ليتبينوا أن ما يعبدون من دون الله لا يضرهم ولا ينفعهم وأن الذى يضر وينفع انما هو الله تعالى الذى أغدق عليهم نعمه وهو الذى خلقهم وبيده مماتهم . وأن الواجب عليهم أن يتقوه ويتوبوا اليه وأن يستغفروه لما فرط منهم من اشراك غيره معه فى العبادة وأنهم اذا تابوا اليه واستغفروه لما أسلفوا من آثام فانه يرسل المطر عليهم متتابعا من غير أن يصحب نزوله ضرر . ويزيدهم عزا الى عزهم

وكان هود يبين لهم أنه لا يطلب على نصيحته لهم أجرا يأخذه منهم أو رياسة يتزعم بها بينهم. وانه لا يطلب الأجر على ذلك الا من الله تعالى . ومن كان كذلك يكون أبعد عن التهمة اذ هو لايجر لنفسه من وراء ذلك نفعا ولا يبغى لها فائدة من أتاوة يفرضها او زعامة يتولاها

كان فى ملأ عاد ناس قد عتوا ورأوا كبيرا على أنفسهم أن يصدوا عن أى مراد يريدونه كما كان منهم مؤمنون الا أن شقوة أهل الكفر والعتو قد غلبت عليهم وكانوا الجمهور الأعظم فسفهوا هودا وكذبوه وتجاهلوا الحجج الناصعة والبراهين القاطعة التى أقامها على صدقه . وقالوا له (ياهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) انك مرسل من الله وأن آلهتنا التى تنهانا عن عبادتها لا تشفع لنا عند الله ورموه بالسفاهة والخروج عن السبيل السوى بابتداع ما ابتدع من الدعوة الى ترك الأصنام وافراد الله تعالى بالعبادة وذلك غير ماورثوه عن الآباء من عبادتها والاستشفاع بها

راجعهم هود بأنه ليس به سفاهة ولكنه رسول من رب العالمين ليبلغهم رسالة ربهم وما كان الله ليرسل الى عباده بسفيه يكون الضرر برسالته أكبر وأعظم من النفع بها (وهو أعلم حيث يجعل رسالته)

ترقى قوم هود فى تكذيبه واتهموه فى عقله وقالوا : اننا لانقول الا أنك لما عبت آلهتنا وحاولت صرفنا عن عبادتها ، قد اعتراك بعضها بسوء فالحق بك الخبال والجنون فانت عندنا فى حكم أهل العته والجنون ـ وقد ظنوا أنهم باتهامهم اياه عليه السلام بالجنون ينصرف الناس عن الاصغـــاء اليه والاعتداد بكلامه .

سمع هود ذلك فأشهد الله تعالى واشهدهم أنه برىء من تلك الآلهة التى يزعمون لها القدرة على أن تمسه بسوء. وتحداهم وآلهتهم أن يكيدوه اذا كان ذلك فى قدرتهم وان يسرعوا الى ذلك مبادرين دون ان ينظروه فانه واثق من إلهه الذى بيده نواصى كل ماعلى الأرض من دابة أنه سينصره ويمنعه ان يصلوا الى مسه باذى (وانما خص الناصية لأن الحيوان اذا امسك بشعر ناصيته انقاد وصار الممسك بناصيته مسيطرا عليه وكانت العرب تجز ناصية الأسير ليعلم ان ناصيته ملكت وجزت)

وأعلمهم هود عليه السلام بانهم اذا تولوا معرضين عن قوله ولم يستمعوا لنصيحته . فانه قد قام بواجبه الذى كلف به من ربه وان الله تعالى سيبيدهم ويستخلف قوما غيرهم وان هذا لا يضر الله شيئا لانه حافظ ومستول على كل شىء وكل شى فى قبضة قدرته ـ لم يزل هود يمحضهم النصح ويعلمهم انه ناصح لهم خالص النية فى العمل بكل ما ينفعهم ، امين على مايقوله لهم عن الله تعالى فهو لايدعوهم الا الى ما فيه سعادتهم وحسن حالهم ، وانهم لا ينبغى لهم ان يعجبوا لانهم جاءهم رجل منهم لينذرهم لان ذلك من سنة الله تعالى ان يجعل الرسول الى القوم منهم ليكونوا اشد فهما لما يلقيه اليهم ولانهم اعلم بحقيقته وامانته وما هو عليه من خلق حسن .

راجعه قومه متعجبين مما يطلبه منهم من عبادة الله وحده وترك ما وجدوا آباءهم يعبدونه من الأصنام . اذ فى ذلك تحقير للاباء وامتهانهم برميهم بالكفر وفيه أيضاً تحقير أوليائهم وشفعائهم عند الله بترك التوجه بهم اليه تعالى وهم وسيلتهم اليه وهم المقصودون بالتعظيم اصورهم وتماثيلهم ـ ثم ترقوا الى تحديه قائلين (فأتنا بما تعدنا « من العذاب » إن كنت من الصادقين) فى انذارك بقولك (إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

حينئذ انذرهم هود بأن الله تعالى سيحل بهم عذابا قريبا بقوله (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) أى عذاب وغضب ومعنى ذلك أنه قد قرب الانتقام المحتم وانما عبر بوقع لأنه محقق الوقوع ثم وبخهم قائلا (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) ثم قال لهم انتظروا حلول العذاب بكم أنى معكم من المنتظرين

فلما عتا قوم هود على ربهم وعصوا رسوله وكذبوه وجحدوا بآيات الله التى أقامها هود على صدقه فى أنه مرسل من ربه واتبعوا أمر كل جبار عنيد من ملأ قومهم ولم تبق فائدة فى انذارهم أحل الله تعالى بهم نقمته فى الدنيا بأن أمسك الله عنهم المطر حتى جهدوا وكان كلما نزل بهم الجهد ذكرهم هود بدعوته وأنه لا ينجيهم من البلاء سوى الاستماع له والعمل بنصائحه فكان ذلك يزيدهم عتوا الى أن أرسل الله عليهم الريح العقيم سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فأهلكهم الله وأبادهم وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخل منقعر وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة. ونجى الله تعالى هودا والذين آمنوا معه برحمته من ذلك العذاب الغليظ.

وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الاولى. وأما عاد الثانية فهم سكان اليمن من قحطان وسبأ وتلك الفروع وقيل هم ثمود

ويقول أهل حضرموت. أن هوداً عليه الصلاة والسلام سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد إلى أن مات ودفن فى شرقى بلادهم على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادى برهوت. وقد أثر عن على كرم الله وجهه أنه مدفون فى كثيب أحمر وعند رأسه سمرة فى حضرموت – وأهل فلسطين يدعون انه دفن عندهم وقد بنوا له قبراً ويعملون له فى كل سنة مولداً. وقول أهل حضرموت أقرب إلى المعقول لأنها متاخمة لبلاد عاد وهى الأحقاف دون فلسطين.

وفى تفسير الألوسى. قيل كانوا أربعة آلاف وقيل ثلاثة آلاف

اقرءوا هذه الآيات

سورة الأعراف. وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٦٦ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٦٩ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٧٠ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ

الْمُنْتَظِرِينَ ٧١ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ٧٢

سورة هود: وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥٠
يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥١ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ٥٢ قَالُوا يَا هُودُ
مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ
بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا
ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٦ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ
شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ٥٧ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ
مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٨ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ٥٩
وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ٦٠

سورة المؤمنين: ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ٣١ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ
بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ٣٥ هَيْهَاتَ
هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٣٧ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ٣٧ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ
لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ٤٠ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤١ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ
بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ٤٢

سورة الشعراء — كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ١٢٣ اذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ انِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ انْ أَجْرِيَ الَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٢٧ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ١٢٩ وَاذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاطِيعُونِ ١٣١ وَاتَّقُوا الَّذِي امَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ١٣٢ امَدَّكُمْ بِانْعَامٍ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٣٤ انِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣٥ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا اوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ١٣٦ انْ هٰذَا الَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ انَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٣٩ وَانَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٤٠

سورة فصلت — فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ اشَدُّ مِنَّا قُوَّةً اوَلَمْ يَرَوْا انَّ اللّٰهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ١٥ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ ٨٦

سورة الاحقاف — وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ اذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا الَّا اللّٰهَ انِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٢١ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا انْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٢٢ قَالَ انَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللّٰهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٣ فَلَمَّا رَاوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ اوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ٢٥ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا انْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ اذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٢٦

سورة الذاريات — وَفِى عَادٍ اذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ الاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ٤٢

سورة القمر — كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ١٨ انَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ١٩ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ٢١

سورة الحاقة — وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨

سورة الفجر — أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ ٨

العبرة من قصة هود مع قوم عاد

القارىء لقصة هود عليه السلام مع قومه يخيل اليه أنه يرى إنسانا وقوراً رزينا يزن الكلام قبل إلقائه يتجلى الاخلاص وحسن النية على قسمات وجهه . وهو

١ — لا يقابل الشر بمثله بل لا يفارقه استعمال اللين فى كلامه مع قومه

أنظروا الى قولهم له « انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين » ثم ماذا كان جوابه ؟ كان جوابه أن قال لهم « يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين » فمن تأمل فى هذا الجواب وجده غاية فى دماثة الأخلاق والتلطف فى إسداء النصيحة الخالصة من شوائب جرّ أية منفعة

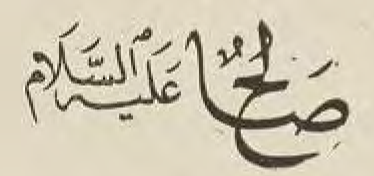
٢ — تلطفه بذكر نعم الله تعالى عليهم وترغيبهم فى الايمان وبيان أن ذلك يحفظ عليهم حسن حالهم وتذكيرهم بما أنعم الله عليهم به من أموال وبنين وجنات وعيون وأنه زادهم فى الخلق بسطة وجعلهم خلفاء الأرض من بعد قوم نوح وأن إيمانهم يستتبع رضا الله تعالى فيرسل السماء عليهم مدراراً لسقى زروعهم وإنبات الكلأ لماشيتهم وأنه تعالى يزيدهم عزاً إلى عزهم

فكان جواب قومه له التعجب من شأنه وشأن رسالته إذ جاءهم ليعبدوا الله وحده وأن يذروا ما كان يعبد آباؤهم من قبلهم واتهموه بأن بعض آلهتهم مسه بالجنون الذى أفقده صوابه عقابا له

على الخوض فى حقهم والتقليل من سلطتهم — أقول ولقد جاء سقراط الى قومه بدون ما أتى به هود اذ أراد التقليل من سلطة الآلهة فحكم عليه أن يتجرع السم بيده ونفذ الحكم

٣ — أنه مع مشاكستهم له وافترائهم عليه ورميهم له بالجنون اعتراه به بعض آلهتهم لا كلهم لم يزد فى جوابه على أن قال لهم « انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم »

٤ — ان الذى يتولى عظة الناس وإرشادهم والنصح لهم ينبغى أن يكون آخذا إخذ هود عليه السلام فى سعة الصدر وعدم مقابلة الشر بمثله ويحتمل صلف المدعوين وسوء ردهم عليه رجاء أن يظفر ببغيته منهم ويفوز بهدايتهم أو هداية بعض منهم وأن يكون جوابه عند اليأس بعد بذل الجهد واستنفاد أساليب الترغيب ما قاله هود عليه السلام . (فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شىء حفيظ)



عدد مرات ذكر صالح فى القرآن ـ نسب صالح وثمود ـ مساكن ثمود ـ دين أهل ثمود ـ جعل الناقة آية لهم ـ عقرهم للناقة ـ هلاكهم بالصاعقة

ذكر اسم صالح فى القرآن تسع مرات ، فى سورة الأعراف فى الآيات ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، وفى سورة هود فى الآيات ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٩ وفى سورة الشعراء فى الآية ١٤٢ وقوم صالح هم ثمود

نسب صالح وثمود

اختلف فى نسبه فقال الحافظ البغوى أنه صالح بن عبيد ابن أسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر ابن ثمود — وعن وهب أنه ابن عبيد بن جابر بن ثمود

وأما ثمود فهى القبيلة التى منها صالح سميت باسم جدها ثمود بن عامر بن ارم بن سام وقيل ثمود بن عاد بن عوص بن أرم — قال الألوسي هو المنقول عن الثعلبي

مساكن ثمود

كانت مساكنهم بالحجر (بكسر الحاء) وموقعها بين الحجاز والشام الى وادى القرى . ومدائن صالح ظاهرة الى اليوم . وقد زارها بعض أصحابى ودخل بيت الملك وهو بيت ذو حجرات به ردهة كبيرة وهو منقور فى الصخر . والمكان الذى فيه ديارهم يعرف الى اليوم (بفج الناقة) — ويقول المسعودى ورممهم باقية وآثارهم بادية فى طريق من ورد من الشام — وحجر ثمود فى الجنوب الشرقى من أرض مدين وهى مصاقبة لخليج العقبة — وقد كان يقال لعاد عاد ارم الى أن هلكوا فقالوا ثمود ارم

وقد اختلف الباحثون من المستشرقين فى أوربا فى أصل ثمود وزمن وجودهم فقال فريق أنهم قوم من اليهود سكنوا تلك الناحية ولم يدخلوا فلسطين وهذا القول لا يعد وأن يكون ظنا لا أثر فيه للتحقيق . — اذ القرآن ناطق بانهم قد انقضى أمرهم وعرت ديارهم من كل ديار قبل خروج موسى من مصر ببنى اسرائيل . وهذا مؤمن آل فرعون قام حين كذبوا موسى يخوف قومه باس الله وأنه يخاف عليهم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

وقال آخرون أى من المستشرقين انهم بقية من العماليق انتقلوا الى ذلك المكان من غرب الفرات — ويظن آخرون أنهم من العماليق الذين طردهم أحمس ملك مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة وقد حذقوا صناعة النحت أيام إقامتهم بمصر ولذلك نحتوا لهم بيوتا بعضها نقر فى الصخر وبعضها كان بناء كسائر الأبنية التى تتخذ من الصخر وقال بعض المؤرخين أنهم بقية من عاد : وهذا أقرب الى المعقول، ويدعى أهل حضرموت أن ديار ثمود كانت من مستعمرات عاد وهذا القول لا يخالف ما قبله وقد يؤيده قول صالح الآتى لقومه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا)

أما زمن وجود ثمود فلم يعلم بالضبط غير أنى أقول انهم كانوا وبادوا قبل زمن موسى . وأما وجود الكتابة الآرامية على بعض القبور بتلك الأنحاء وكون تلك الكتابة مؤرخة بتاريخ قريب من زمن الميلاد فلا يدل الا على أن ناسا أخذوا الخط الآرامى يتخذون به آثارهم قد نزلوا فى تلك الناحية وكتبوا على مقابرهم ونحوها

قال جورجى زيدان بك فى كتابه « العرب قبل الاسلام » .

أما الثابت من قراءة الآثار . أن مدائن صالح « الحجر » دخلت قبل تاريخ الميلاد فى حوزة

النبطين سكان بطرة الآتى ذكرهم . والأطلال المشار اليها . زارها غير واحد من المستشرقين كما ذكرناه فى مقدمة هذا الكتاب : ودرسوا بقاياها وهى منقوشة فى الصخر أهمها أنقاض تعرف بقصر البنت وقبر الباشا . والقلعة . والبرج

وقرءوا ما عليها من نقوش نبطية فاذا أكثرها أو كلها تبركات منقوشة على القبور

هذا مثال منها وجدوه فى الحجر بالحرف النبطى وتاريخه حوالى الميلاد

« هذا القبر الذى بنته كمكم بنت وائلة بنت حرم وكليبة ابنتها لأنفسهن وذريتهن فى أشهر طيبة من السنة التاسعة للحارث ملك النبطين محب شعبه فعمى ذو الشرى وعرشه (؟) واللات وعمند ومنوت وقيس تلعن من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يخرج منه جثة أو عضوا أو يدفن فيه أحدا غير كمكم وابنتها وذريتها - ومن يخالف ما كتب عليه فيلعنه ذوالشرى وهبل ومنوت خمس لعنات ويغرم الساحر (؟) غرامة مقدارها ألف درهم حارثى الا من كان بيده تصريح من يد كمكم أو كليبة ابنتها بشان هذا القبر والتصريح المذكور يجب أن يكون صحيحا صنع ذلك وهب اللات ابن عبد عبادة »

ولعل المراد بالساحر الكاتب

دين اهل ثمود

كانت قبيلة ثمود تدين بعبادة الأصنام يشركونها مع الله فى العبادة فارسل الله اليهم صالحا واعظا لهم ومذكرا لهم بنعم الله عليهم وآياته الدالة على توحيده وأنه لاشريك له وأقام لهم الأدلة القاطعة والبينة الواضحة على ضلالهم فى عبادتهم وعلى أن الله هو الذى يجب إفراده بالعبادة دون سواه

وقد جاء فى تفسير المنار (٥٠٢ ج ٨) ما نصه

« قد علمنا من سنة القرآن وأساليبه فى قصص الأنبياء مع أقوامهم ان المراد بها العبرة والموعظة ببيان سنن الله تعالى فى البشر وهداية الرسل عليهم الصلاة والسلام وحوادث الأمم وضوابط التاريخ مرتبة بحسب الزمان أو أنواع الأعمال . وقد حكى لنا عن صالح عليه السلام أنه ذكر الآية التى أيده الله تعالى بها عقب تبليغ الدعوة وفى قصته من سورة هود أنه ذكر لهم الآية بعد ردهم لدعوته . وتصريحهم بالشك فى صدقه . وزاد فى سورة الشعراء طلبهم الآية منه . وكل ذلك صحيح ومراد وهو المسنون المعتاد » اه

ولكن ما هى هذه الآية التى جاء بها ؟ لم يبين الله له آية سوى الناقة ولا مانع من أن يكون

جعلها آية صدقه بأنهم سيبقون سالمين على حال حسنة ما دامت الناقة مسلمة لم يعتروها بسوء ولم يمسوها بأذى . فاذا خالفوا غيّر الله ما بهم وأحل بهم نقمته[١] ويحتمل أنه جاءهم بآية سوى الناقة أو كانت فى الناقة آية أخرى أو عدة من الآيات ليست فى غيرها

والذى يظهر من قصة صالح أنها تلخص فى أن القوم كانوا عاكفين على عبادتهم الباطلة وكانوا

---

(١) نقد اللجنة

الموضوع الثالث عشر

(ناقة صالح عليه السلام)

فى صفحة ٢٨٠ سطر ١١ (من الطبعة الأولى)

ولكن ما هى هذه الآية التى جاءهم بها ـ لم يبين الله لهم آية سوى الناقة ولا مانع من أن يكون جعلها آية صدقه بانهم سيبقون سالمين على حال حسنة ما دامت الناقة مسلمة لم يعتروها بسوء ولم يمسوها بأذى فاذا خالفوا غير الله ما بهم وأحل بهم نقمته اهـ هذا نفس كلامه .

(رأى اللجنة)

لم نستطع أن نفهم لهذا الكلام وجها معقولا وذلك أن الله تعالى يقول فى سورة الأعرف (والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم .) فهى تدل قطعا على أنهم قد جاءتهم بينة من ربهم وتلك البينة والآية هى الناقة .

ويؤخذ من قصة صالح عليه السلام فى سورة الشعراء انها جاءتهم بعد أن طلبوها .

ومن الواضح جدا انه لا معنى لكون الناقة اية ومعجزة مقارنة لدعوة صالح اياهم ألى الايمان الا انها مشتملة على امر خارق للعادة يدل على صدقه ، فى دعوى الرسالة لهم كما انه من الواضح انه لابد ان يعلموا ذلك الأمر الخارق للعادة فى حال حياتهم واطمئنانهم حتى يجب عليهم الايمان وحتى يكون تركهم للايمان بعد علمهم بهذه الآية الدالة على صدقه انما هو على سبيل العناد والاستكبار وحينئذ يستحقون العذاب الشديد

فهل يعقل أن يكون وجه ان الناقة آية انه جعلها اية صدقه بانهم ان تركوها سلموا وان مسوها بسوء حل بهم العذاب مع انهم على هذا لا يظهر لهم صدقه الا بعد ان يظهر لهم أنه قد حقت عليهم كلمة العذاب حينما مسوها بسوء .

وهل مثل هذا يعتبر معجزة لهم يجب عليهم بمقتضاها أن يصدقوه ويؤمنوا به مع أنه لا يظهر انه أمر

أهل خصب ورفاغة حال لما كان لهم من الماشية الكثيرة والجنات الوافرة الجنى والعيون التى يسقون منها هم وماشيتهم وزروعهم بدليل قوله لقومه (أتتركون فيما هاهنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين)

جاء اليهم صالح ومحضهم نصيحته وذكرهم أنواع التذكير وخوفهم بأس الله فآمن له المستضعفون من قومه وكفر الملأ منهم ولم يؤمنوا له وقد أبان لهم أنه لا يسألهم أجراً على الهداية التى يسديها

خارق للعادة بعد موتهم الا بعد حلول العذاب :

نحن لا ندرى السر فى العدول عما قرره المفسرون فانهم ذكروا فى كون الناقة اية أربعة اقوال

الأول — وعليه الجمهور انها كانت آية بسبب خروجها من الصخرة .

الثانى — انها كانت اية بسبب انه كان لها شرب يوم واستيفاء ناقة شرب امة عجيب .

الثالث — أنهم كانوا يحلبون منها القدر الذى يقوم لهم مقام الماء فى يوم شربهم

الرابع — ان جميع الحيوانات كانت يوم مجيئها للماء تمتنع من الورود على الماء وكانت يوم امتناعها تأتى (اى جميع الحيوانات) الماء .

قال الأمام الرازى واعلم ان القرآن قد دل على ان فيها آية فاما ذكر انها كانت آية من أى الوجوه فهو غير مذكور والعلم حاصل بأنها كانت معجزة من وجه اه .

ونحن نقول لا بد ان يكون الأمر الخارق للعاده الذى اشتملت عليه الناقة متحققا فيها قبل أن يمسوها بسوء والله اعلم .

فى صفحة ٢٨٤ بعد أن قال وكان تدمير قوم صالح بالصاعقة المعبر عنها تارة بالرجفة وتارة بالصيحة وتارة بالطاغية قال ما نصة :

والصاعقة عبارة عن استفراغ كهربائى يحصل بين كهربائيتين متخالفتين بالايجاب والسلب الى آخر ما ذكره من بيان الاسباب العادية المنتجة للصواعق وقال فى اخر مانصه :

فهلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق)

(رأى اللجنة)

من اين جاء له أن الصاعقة التى دمر الله بها قوم صالح هى استفراغ كهربائى يحصل بين كهربائيتين متخالفتين الخ هل ورد بذلك خبر عن رسول الله ﷺ او جاء بذلك أثر عن بعض اصحابه او استبعد على قدرة الله ايجاد الصاعقة من غير تلك الاسباب المعتادة فحكم بذلك بمقتضى عقله وجزم بان هلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق :

فالذى نراه انه لا ينبغى الجزم بكيفية خاصة بدون دليل يثبتها مع ان الاقرب فى مثل هذه الأمور ان

اليهم وإنما يطلب أجره من الله ومن كان شأنه كذلك يكون أبعد من تهمة جر النفع الى نفسه بريئا من اتخاذ الدعوة طريقاً للكسب أو الرياسة وألح على جمهورهم أن يطيعوه ولا يتبعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون لأن الاصلاح يفوت عليهم المنافع التى يجرونها لأنفسهم. فقال المستكبرون من قومه (أؤنزل عليه الذكر من بيننا) استبعاداً لأن ينال الخير أحد سواهم

ان تكون بغير اسباب عادية والله اعلم بحقيقة الأمر .

جواب المؤلف على نقد اللجنة
فى هذا الموضوع
(ناقة صالح عليه السلام)

نصصت فى كتابى ماقاله حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة وقد عابوا على أنى اقتصرت على أن الناقة آية لثمود ولم أثبت غيرها مع أن كون الناقة آية لهم هو نص القرآن الكريم وأن الله تعالى لم يذكر من أى وجه فحملت ذلك على أنها مابقيت مسلمة منهم لا يمسونها بسوء فهى آية ببقائهم وقلت لامانع من ذلك - أما حضراتهم فصالوا وجالوا ومما استدلوا به على بطلان ذلك الوجه قول الامام الرازى «واعلم أن القرآن قد دل على أن فيها آية . فأما ذكر أنها كانت من أى الوجوه فهو غير مذكور والعلم حاصل أنها كانت معجزة من وجه » وأنا مقر بما قال ولم أذكر ماينافضه وأما قولهم « ونحن نقول لابد أن يكون الأمر الخارق للعادة الذى اشتملت عليه الناقة متحققا فيها قبل أن يمسوها بسوء »

فأقول أنى أسير النص والله لم ينص على قولكم هذا . بل أنا أقول أن الذى قاله المفسرون من أن آيتها كانت الخروج من الصخرة أمر ممكن وليس به نص - وكذلك بقية الأقوال كاستيفائها شرب الأمة فى يومها وأنهم كانوا يحلبون مايقوم مقام الماء وامتناع جميع الحيوان من قربان الماء يوم شربها - كل واحد من هذه الأشياء أوجميعها يحتمل أن يكون فى الناقة ولكن ليس على ذلك نص تجب به الحجة

والذى تبين لى من أقوال حضراتهم فى تقريرهم من أوله الى هذا الموضع أننى لا التقى مع حضراتهم . فانى لاأجزم بالمعجزة ولا بالخارق للعادة من أمور الأنبياء إلا إذا ورد بذلك نص قطعى الثبوت والدلالة ودائرة الأثبات لذلك لدى حضراتهم أوسع منها لدىّ فهم يثبتونها بما أثبتها أنا به ويزيدون أمورا

(١) - الحديث المروي رواية آحاد

واستكباراً عن متابعة رجل منهم لا يمتـاز عليهم بالغنى والثراء وقالوا لمن استضعف منهم — (أتعلمون أن صـالحا مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بمـا أرسل به مؤمنون) فأجاب الذين استكبروا (انا بالذى آمنتم به كافرون) وطلبوا آية على صدقه فأتاهم بالناقة كما قدمنا وقال لهم (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)

---

(٢) ـ الأقوال التى يقولها المفسرون والآراء التى يوردونها

(٣) ـ الاسرائيليات التى ينصها مسلمة أهل الكتاب

وانى لأعيذ الأمة الاسلامية من أن تحقق هذه الأشياء باقوال ظنية فان الظن لا يغنى عن الحق شيئا ـ وأربأ بها أن يتحقق فيها قول المعرى

مالى أرى كل الأنام لجهلهم
بالدين أشباه النعام أو النعم
لو قال سيد غضى بعثت بملة
من عند ربى قال بعضهم نعم

شىء آخر

أخذ أصحاب الفضيلة على امرا عدوه ذنبا هائلا تنهار له جوانب الايمان ويخر منه الدين هدا ذلك انى شرحت الصاعقة بانها استفراغ كهربائى الخ ثم قلت (فهلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق) فوجهوا الى اسئلة متداركة متتالية أورد كل سؤال منها ثم أجيب عنـه . فقالوا

ا ـ من أين جاء له أن الصاعقة التى دمر الله بها قوم صالح هى استفراغ كهربائى يحصل بين كهربائيتين متخالفتين الخ

ج ـ ان هذا الذى ذكرته هو التعريف العلمى للصواعق عند علماء الطبيعة ـ استغفر الله من الكفر

ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة

بل أقول عند العلماء بسنن الله الكونية ـ وهذا من أوليات هذا العلم فى الفرع الخاص بالكهرباء ـ وكان يكفى حضراتهم أن يسالوا أى طالب فى القسم الثانوى بالازهر ليشرح لهم ذلك فيعلموا انى على حق فيما أقول .

(٢) — هل ورد بذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لم يرد بما قلته خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه علم تعلمته ودرسته دراسة صحيحة

وأمرهم ألا يمسوها بسوء وعليهم أن يذروها تأكل فى أرض الله فان سلامتهم بسلامتها من إيذائهم

ولم يثبت ثبوتا قطعيا أنه أتى لهم بالناقة حسب اقتراحهم من الصخرة وان الصخرة تمخضت عنها فخرجت منها سوداء الحدق حمراء الوبر خلفها فصيلها وأنها كانت اذا شربت أتت على الماء

وكنت متميزا فيه بين اخوانى . وامتحنت فيه واخذت عليه درجات . ومن شاء الوقوف على ذلك فليسأل وزارة المعارف أو مدرسة دار العلوم . أو فضيلة الشيخ احمد ابراهيم بك وكيل كلية الحقوق . وليس فى قدرتى أن أحول على جهلا ومعرفتى غباوة وحيرة ـ وشأنى فى هذا العلم شأن حضراتهم فى العلوم من النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع . فان قواعد تلك العلوم وضوابطها لم تنص فى الكتاب الكريم ولم يرد بها حديث صحيح أو غير صحيح ولكنها علوم استحدثت فى الملة بعد رسول الله واقدمها علم النحو استحدث بعضه فى أخريات خلافة على كرم الله وجهه وقد عاش الصحابة وتوفوا وهم لم يتحدثوا فى استعارة مكنية أو تبعية ولم يتكلموا فى توشيح أو تدبيج .

(٣) — قالوا أو استبعد على قدرة الله ايجاد الصاعقة من غير تلك الأسباب المعتادة فحكم بذلك بمقتضى عقله وجزم بان هلاك ثمود كان بظاهرة من تلك الظواهر المنتجة للصواعق ؟

ج — انى لا استبعد على قدرة الله خلق اى شىء مما لا اعلمه ولكنه تعالى عبر بانه أهلكهم بالصاعقة التى أعلم علمها ولو كان اخترع شيئا لاهلاكهم به يعمل عمل الصاعقة لاخبر بانه من جنس غير الجنس الذى نعلمه وسماه باسم خاص وما الله بمسبوق على أن يخلق مالا نعلم وأن يسميه بالاسم الخاص حتى لايخلط عباده بين ما يعلمون ومالا يعلمون ـ وما كان لمؤمن على شريعة من العلم أن يدع العلم الذى يثق به وبصحته إلى مالم يعلم فيكون كمن يترك ساقا متمسكا بها من دوحة عالية دون أن يستمسك بساق أقوى منها فيهوى ويكون قد القى بيده إلى التهلكة .

وكان من حق العلم على حضرات الافاضل أن يذهبوا أولا إلى مشيخة الأزهر ويقترحوا عليها أن تأمر مدرسى السنن الكونية أن يكتبوا تعريف الصاعقة بغير التعريف العلمى الذى يدرس فى جميع انحاء العالم وان يصوغوه بالتعريف الذى يروق لحضرات أعضاء اللجنة وان تأمر مشيخة الأزهر بذلك وتحتم على جميع المدارس الثانوية فى الحكومة المصرية أن تاخذ بنظرية حضرات أعضاء اللجنة وتتبع ذلك فى المدارس الطبية على اختلاف أنواعها وفى الجامعة المصرية ثم تعقد مؤتمرا بالقاهرة تجمع

فى يومها ثم تتفحج لهم ويأخذون من لبنها ما يشاءون ـ لأن ذلك زائد عما فى الكتاب الكريم ظلوا على ذلك مدة غير طويلة لم تحدد فى الكتاب الكريم الى أن خاسوا بعهدهم وعقروا الناقة

ورد فى القرآن الكريم نسبة الناقة التى أتى بها صالح الى الله فى قول صالح لهم (هـذه ناقة الله لكم آية) وهذه الاضافة ذكرت تعظيما لشانها . وقيل لأنه خلقها على خلاف سنته فى خلق الابل وصفاتها لم يخلق فى الابل سواها ناقـة تختص بالشرب يوما وأهل ذلك الماء يوما آخر وتعرف يومها الخاص بها ولا تقرب الماء فى يوم أهلها ـ كما قال تعالى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر) وقال تعالى (هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)

ومجموع آيات القرآن الواردة فى شان الناقة تدل على أن آية الله تعالى فى الناقة ألا يتعرض أحد من ثمود بسوء لها فى نفسها ولا فى أكلها ولا فى شربها فى الماء الخاص الذى كان قسمة بينهم

اليه اساطين العلوم وجهابذة الفنون فى العالم وتحتم على أعضاء المؤتمر أن يكون التعريف الذى اختاره حضرات الاعضاء للصواعق هو المتبع ـ وانى من مكانى هـذا اصيح بحضرات أعضاء المجلس الأعلى للمعاهد الدينية أن يفعلوا ذلك واحذرهم عاقبة التوانى وأقول لهم (الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض ، وفساد كبير) .

واما أقوال المفسرين . فقد قالوا الرعد ملك موكل بالسحاب معه كر من حديد يسوقه من بلد إلى بلد كما يسوق الراعى ابله فكلما خالف سحاب صاح فزجره فالذى يسمع صوت الملك ـ وقد اختلفوا فى حجم الملك وقد قال بعضهم أنه فى حجم الذبابة

وقال الزمخشرى فى تفسيره ـ الرعد الذى يسمع من السحاب كأن اجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك

واما البرق فقد ذهب المفسرون لقول الله تعـالى إلى أنه ضرب الملك الذى هو الرعد للسحاب بمخراق من حديد ـ وروى عن مجـــاهد أن الله عز وجل وكل بالسحاب ملـكا فالرعد قعقعة صوته والبرق سوطه

وقال الزمخشرى فى تفسيره . الصاعقة قصفة من رعد تنقض معها شقة من نار

وقالوا : أنها تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشىء الا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود على أنها متى سقطت على نخلة عالية أحرقت اعاليها

وقال صاحب مناهج الفكر ومناهج العبر

وبين الناقة وان الوعيد بالعذاب يحل بهم متى اعتدوا عليها فى أحد هذه الأشياء ـ ولا مانع من أن تكون فيها آية أو آيات من وجه آخر

وانى على قدم الاستعداد للاقرار بالوجه الذى يكون فيها متى جاء بنص قطعى وأضرب برأيى عرض الحائط

بذل صالح الجهد فى تذكير القوم بنعم الله تعالى عليهم ونهاهم عن أن يعثوا فى الأرض مفسدين بعبادة غير الله تعالى والتكبر فى الأرض

أما الملأ المستكبرون من قومه وكانوا ذوى عناد ولهم الزعامة فى الأمة فقد رأوا كبيرا عليهم أن يطيعوا رجلا منهم ويصيروا سوقة مرءوسين لأن صالحا سيصير بحكم هدايته إياهم الى الله تعالى

ومن عجيب شأنها انها تحرق ما فى الكيس ولا تحرق الكيس وان احترق فانما يحترق باحتراق ما ذاب فيه وسال : قال : وهى اذا سقطت على جبل أو حجر كاسته ونفذته ، واذا سقطت فى بحر غاصت فيه واحرقت مالاقت من جوانبه : وربما عرض لها عند انطفائها فى الأرض برد ويبس . فتكون منها اجرام حجرية أو حديدية أو نحاسية ، وربما طبعت الحديد سيوفا لا يقوم لها شىء اه نهاية الأرب.

وقال القرطبى فى أحكامه : الصواعق جمع صاعقة . وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : اذا اشتد غضب الرعد الذى هو الملك طار النار من فيه وهى الصواعق . وكذا قال الخليل . قال : هى الوقعة الشديدة من صوت الرعد يكون احيانا قطعة من نار تحرق ما اتت عليه وقال ابو زيد : الصاعقة نار من السماء فى رعد شديد .

فانتم ترون أن أقوال المفسرين فى الصاعقة والبرق والرعد ينكرها العلماء بسنن الله الكونية ولا يقيمون لها وزنا بعد أن ترقى العلم هذا الرقى الذى نراه اليوم وبعد ان عرفت خواص الكهرباء واخترعت مانعات الصواعق على المصانع الكبيرة والعمارات الشامخة اتقاء اضررها

ويظهر انى لو اقتصرت على ما قاله المفسرون مما لا يقيم له العلم وزنا اليوم لكنت حللت من حضراتهم بمنزلة المحب المكرم

وحيث أن ما جاءوا به من القول لم يصب شاكلة الصواب ولا يعبأ به العلم ولا يعتد به العلماء فيكون اعتراضهم لا معول عليه . وانى أقول لحضراتهم — لم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون

رئيسا يفزعون اليه فى كل شان ويكون واسطة بينهم وبين ربهم ودالا لهم على مايقربهم اليه وناهيا لهم عما يبعدهم عنه — فذهب أولئك السادة الى المستضعفين من قوم صالح وسالوهم متهكمين — (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟) فكان جواب المستضعفين بالايجاب قائلين — (انا بما أرسل به مؤمنون) — فقال المستكبرون (إنا بالذى آمنتم به كافرون) كما قدمنا

يقول الألوسى فى روح المعانى . وأراد أشرافهم أن يؤمنوا به فمنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صُعر كاهنهم — ثم قال ولم يزالوا فى سعة ورغد — وكانت الناقة تصيف اذا جاء الحر بظهر الوادى فتهرب منها مواشيهم وتهبط الى بطن الوادى فى حره وجدبه وتشتو فى بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهره فى برد وجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذى يريده الله تعالى بهم والبلاء من الاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم فاجمعوا على عقرها

وان امرأتين ذواتى مال وإبل يقال لأحداهما صدوق عرضت نفسها على رجل يقال له مصدع إن قتل الناقة . فاجاب واسم الأخرى عنيزة لها بنات حسان عرضت إحدى بناتها على قُدار بن سالف فاجاب . واستغويا سبعة رجال فكانوا تسعة ، فاما مصدع فرمى الناقة بالسهم واما قدار فانحى اليها بسيفه فكشط عن عرقوبها ثم نحرها وذهب السبعة وراء سقبها . نفر منهم الى الجبل ورغا ثلاثا . وعن ابن اسحق أنه تبع السقت أربعة من التسعة فرماه أحدهم بسهم فاصاب قلبه ثم جر برجله فانزله ووضعوا لحمه على لحم أمه واقتسم أهل البلد لحم الناقة وسقبها فانذرهم صالح بان العذاب يحل بهم بعد ثلاث لما انتهكوا من حرمة الله فكانوا يهزءون منه ويستنجزونه ما أوعدهم به من العذاب وأنذرهم بانهم يصبحون وجوههم مصفرة وفى اليوم الثانى تكون وجوههم محمرة وفى اليوم الثالث تكون وجوههم مسودة . آية هلاكهم ثم يصبحهم العذاب اه من الألوسى باختصار

أما أولئك الذين اقترفوا عقر الناقة وأعانوا عليه فقد تقاسموا بالله ليبيتن صالحا ويقتلونه وأهله ثم يقولون لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانهم لصادقون فيما يزعمون

فلما أرادوا تنفيذ عزمهم جاءوا الى صالح يرصدون الفرصة للايقاع به وأهله فاهلكهم الله — قيل ان الملائكة دمغتهم بالحجارة فاهلكتهم وأراد قومهم قتل صالح لأنهم اتهموه بقتلهم فمنعه قومه

وقال البيضاوى — روى أنه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه — فقالوا — زعم أنه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمت وهلك الباقون فى أماكنهم بالصيحة كما أشـــار اليه قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين)

وكان تدمير قوم صالح بالصاعقة ، وقد عبر الله تعالى عنها تارة بالرجفة وتارة بالطاغية وتارة بالصيحة وكل صحيح لأن الصاعقة تكون مصحوبة بصوت عظيم وقد تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلزال وقد تكون فى مكان ويطغى تاثيرها حتى يصل الى مكان آخر ـ والصاعقة عبارة عن استفراغ كهربائى يحصل بين كهربائيتين متخالفتين بالايجـــاب والسلب . فاذا دنا جسم مكهرب كهربائية موجبة من جسم مكهرب كهربائية سالبة اتحدت الكهربائيتان لمابينهما من التعاشق فيحصل عن ذلك البرق الشديد ثم الرعد بسبب اضطراب الهواء وتدافع أجزائه فى كل مكان الاستفراغ وذلك هو الصيحة . واذا كان الاستفراغ حصل من دنو سحابة مكهربة كهربائية موجبة من الأرض فحين دنوها تحصل الكهربائية بالتأثر وتتصل الكهربائية السالبة التى فى الأرض بالكهربائية الموجبة التى فى السحابة ويكون الاستفراغ أو الاتحاد فى جسم مما على الأرض فيصهر اذا كان معدنيا لا سن فيه ويحترق اذا كان شجرا أو انسانا ويتفتت ان كان صخرا أو بناء . ومبلغ ما تدمره منوط بمقدار كمية الاستفراغ ومبلغ قوة الكهربائيتين وعن ذلك تكون الرجفة وهولها .

واذا حصل الاستفراغ بين سحابتين مكهربتين بكهربائيتين متخالفتين بالايجاب والسلب حصل البرق أولا ثم الرعد ثم المطر

وسبب اختلاف الكهربائيتين فى السحاب . أن الجو مكهرب كهربائية موجبة وهو مشحون بها . والأرض مكهربة كهربائية سالبة . فاذا تكونت السحابة فى مكان مرتفع فى أعالى الجو كانت كهربائيتها موجبة . واذا تكونت فى مكان سافل قرب الأرض كانت كهربائيتها سالبة . فاذا دنت كل من السحابتين الى الأخرى فبمقتضى الناموس المودع فى الكهربائية من ميل كل من الكهربائيتين للاتحاد بالأخرى يكون التفاعل الذى هو الاتحاد ـ وأما السحابتان اللتان كهربائيتاهما موجبة أو سالبة فان الكهربائية فيهما تميل الى الابتعاد عن الأخرى

فهلاك ثمود كان بظاهرة من هذه الظواهر المنتجة للصواعق (١)

أما صالح والذين آمنوا معه فقد نجوا مما حاق بقومهم من العذاب الذى أدركهم بعد ثلاثة أيام من جريمتهم . فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين

ويشبه قوله هذا فى خطابه لقومه بعد هلاكهم ما يكون من الواحد منا اذا هلك له انسان متصل به وقد حذره ذلك السبب الذى هلك به بان يقول له ألم أحذرك ما وقعت فيه ؟ ـــ وكذلك ماقال

---

(١) راجع ما كتب عن ذلك فى النقد والرد بهامش صفحة ٨١ وما بعدها

رسول الله ﷺ لأهل بدر أصحاب القليب اذ قال لهم (يافلان بن فلان وفلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) وقد قالوا أن الله أحياهم حتى أسمعهم . قال العلماء ومثل هذا انما خص الله به انبياءه

وقد قال بعض المفسرين : ان صالحا والذين آمنوا معه ذهبوا بعد هلاك قومهم الى ناحية الرملة من فلسطين . ويقول أهل حضرموت أنهم ذهبوا الى حضرموت وأقاموا بها لأن أصلهم من تلك الناحية أو هي فصيلة من أهل الأحقاف وهناك قبر يزعمون انه لصالح - وقال آخرون انهم اقاموا فى ديارهم بعد هلاك قومهم . وآخرون انهم ذهبوا الى مكة واقاموا بها الى ان ماتوا وقبورهم غربى الكعبة .

واقرب الأقوال عندى الى التصديق انهم ذهبوا الى الرملة ونواحى فلسطين لأنها اقرب بلاد الخصب اليهم . والعربى انما يطلب الكلأ لرعى ماشيته والأرض ذات الماء . وفى الالوسى ان الذين نجوا مع صالح كانوا مائة وعشرين اما الهالكون فكانوا اهل خمسة آلاف بيت .

اقرءوا هذه الآيات .

سورة الاعراف - وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ وَاذْكُرُوا اذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٧٤ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا انَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ٧٥ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا انَّا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ٧٦ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا انْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧٧ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ٧٨ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ٧٩ .

سورة هود - وَالَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ

الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ٦١ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ
فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٦٢ قَالَ يَا قَوْمِ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ
تَخْسِيرٍ ٦٣ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ٦٤ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ٦٥ فَلَمَّا جَاءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ٦٦
وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ٦٧ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا
رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ٦٨

سورة الحجر ـ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ٨٠ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٨١
وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ٨٢ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ٨٣ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٨٤ .

سورة الشعراء ـ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ ١٤٥ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ١٤٦ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ
١٤٨ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ١٤٩ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١
الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٢ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ١٥٥
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ
الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٥٩ .

سورة النمل - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا الى ثمودَ أخاهم صالحًا أن اعبدوا الله فاذاهم فريقان يختصمون ٤٥
قَالَ يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ٤٦ قالوا اطيرنا بك
وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون ٤٧ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون
في الأرض ولا يصلحون ٤٨ قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله
وانا لصادقون ٤٩ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ٥٠ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
أنا دمرناهم وقومهم اجمعين ٥١ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا انّ في ذلك لآية لقوم يعلمون ٥٢
وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ٥٣

سورة فصلت - وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون
بما كانوا يكسبون ١٧ ونجينا الذين آمنو وكانوا يتقون ١٨

سورة الذاريات - وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ٤٣ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم
الصاعقة وهم ينظرون ٤٤ فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ٤٥

سورة النجم - وانه اهلك عادا الأولى ٥٠ وثمود فما ابقى ٥١

سورة القمر - كذبت ثمود بالنذر ٢٣ فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر
٢٤ أالقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر ٢٥ سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ٢٦ انا
مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ٢٧ ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر ٢٨ فنادوا
صاحبهم فتعاطى فعقر ٢٦ فكيف كان عذابي ونذر ٣٠ انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا
كهشيم المحتظر ٣١ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ٣٢

سورة الحاقة - كذبت ثمود وعاد بالقارعة ٤ فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية ٥

سورة الشمس - كذبت ثمود بطغواها ١١ اذ انبعث اشقاها ١٢ فقال لهم رسول الله ناقة الله
وسقياها ١٣ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ١٤ ولا يخاف عقباها ١٥

كلمة أخيرة

الذى أقوله أن صالحا نصح لقومه وذكرهم بايات الله واقام لهم من الأدلة على صدقه فى دعوته ما على مثله آمن الناس ـ ولكن قومه ابدوا غاية الجحود وقالوا له (فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) وكما قال الله تعالى (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ولا يكون قد هداهم الله إلا بان اقام لهم الأعلام البينة على صدق صالح فلما جحدوا بآيات ربهم وعصوا الرسول أرسل الله اليهم الناقة آية ـ ولكنها لم تكن آية صدق صالح فى دعواه . ولابد ولكنها آية فتنة وابتلاء كما قال تعالى (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر) ولما كانت آية فتنة وابتلاء صح أن تكون آية مقارنة . لان الله تعالى قد فرغ من أدلة صدق رسوله صالح ـ على اننى لا أمنع أن يكون فيها آية أو آيات من وجوه أخرى والله أعلم



عدد مرات ذكره فى القرآن ـ قصته ـ تبيته الشر للأصنام ـ المحاكمة ـ محاجته للملك ـ مواقفه ـ اخفاقه فى هداية قومه ـ رحلاته ـ رحلته الى مصر ـ دخوله بهاجر ـ ولادة اسماعيل من هاجر ـ الختان

هو ابراهيم خليل الله بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن ارفكشاذ بن سام بن نوح عليه السلام

هذا هو نسبه الموجود فى التوراة والتواريخ — وقد جاء فى الكتاب الكريم قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة)

اختلف المفسرون فى اسم أبى ابراهيم — فقال بعضهم أن لفظ (ازر) فى الآية بدل من لفظ (أب) فى (أبيه) ويكون مقول القول (أتتخذ أصناما الهة) الخ وقال اخرون اسمه (تارح) وان لفظ (آزر) كلمة ذم فى لغته ومعناه (أعرج) قاله السهيلى فى التكملة — وقال اخرون ان معناه الخاطىء والخرف وفى التكملة (يا مخطىء يا خرف) وقيل معناه ياشيخ أو هى كلمة زجر عن الباطل (راجع ص ١٢ ج ٣ تاج العروس)

أقول - بعيد فى نظرى أن يكون ابراهيم عليه السلام قد واجه أباه بكلمات فيها تحقير أو عيب أو زجر كأعرج وخرف ومخطىء لأن والد ابراهيم عليه السلام لما هدده بقوله (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا) لم يكن له جواب على هذه الجفوة القاسية وهذا التهديد العنيف الا أن قال لأبيه (سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا)

وقال اخرون أن تارح اسمه العلم وان ازر وصف له كما قال البيضاوى - أقول - اذا صح أن والد ابراهيم كان له اسم علمى واسم وصفى يكون معناه القوى أو الناصر أو المعين لأن لفظ ازر من الأزر أى القوة والنصر والعون ومنه الوزير أى المعين (تاج العروس ص ١١ ج ٣) وهى كذلك فى اللغات السامية التى منها لغة ابراهيم ومن ذلك عازر وعزير ولعازر فى العبرية . فان هذه المادة تفيد التقوية والنصرة والاعانة فى تلك اللغة كما هى فى اللغة العربية - قال تعالى (فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه الخ) ومعلوم أن العين والهمزة يتعاوران على موضع واحد - وفى أسماء ملوك الأشوريين اسرحدون ولفظا (اسروازر) فى غاية القرب وفيهم أيضا (توخولات ابال ازار) وعلى ذلك فلا يبعد عن علماء الفيلولوجيا وعلماء اللغات السامية على الخصوص أن يثبتوا النسب بين هذه الألفاظ فى اللغات السامية

وقد جاء فى دائرة المعارف الاسلامية مانصه « ازر» اسم أبى ابراهيم فى القرآن سورة الأنعام الآية ٧٤ ويظهر ان فى هذا بعض الخلط لأن اسم آزر لم يرد مطلقا على أنه أبو ابراهيم فى غير هذا الموضع : كما أن تارح أو تارخ قد ورد فى روايات بعض المؤرخين والمفسرين من المسلمين على أنه أبو ابراهيم أيضا ولذلك لجئوا الى التحايل للتوفيق بين هاتين الروايتين . ولكن هذا التحايل لا قيمه له ويقول مراتشى (Prodrâni Marcci ، ج ٤ - ص ٩٠) ان صيغة ازر نشأت عن قراءة خاطئة (Agae) التى وردت فى تاريخ الكنيسة ليوز بيوس الا أنه لم يعين لاهو ولا من نقلوا عنه ، الفقرة التى ورد فيها هذا الاسم . أضف الى ذلك ان هذا المؤرخ قد ذكر فى مواضع متعددة . ومهما يكن من شىء فان ما ذهب اليه مراتشى بعيد الاحتمال . ولمعرفة حياة آزر وابنه ابراهيم نحيل القارى « الى مقال « ابراهيم » (ج ١ ص ٢٥) الذى ذكرنا فيه المصادر الخاصة بهذا الموضوع أيضا اه فنسنك .

وقد علق على هذه النبذة صديقنا الأستاذ الفاضل الشيخ امين الخولى مساعد استاذ بالجامعة المصرية فى دائرة المعارف الاسلامية بما يأتى :

(١) إطلاق القول بان آزر اسم أبى ابراهيم فى هذه الآية غير صحيح لأن الآية قرئت قراءات

مختلفة اختلفت بها معانى كلمة آزر باختلاف إعرابها . وفى بعض هذه القراءات يتعين ألا تكون آزر اسما لأبى ابراهيم وفى بعضها يحتمل ذلك واليك طرفا من بيان هذه القراءات والأعاريب .

كتبت الكلمة فى المصحف هكذا « ازر » أتتخذ أصناما . . » وقرئت « أأزرا » بالنصب مع التنوين و « أزر » بالنصب بلا تنوين و « ازر » بالضم ـ ففى القراءة الأولى تفسر الكلمة على أنها عربية بمعنى القوة والهمزة الأولى للاستفهام الانكارى والمعنى ألأجل القوة تتخذ أصناما » كقوله تعالى « أيبتغون عندهم العزة » النساء . ١٣٩ وان فسرت « أزر » فى هذه القراءة باسم علم لم يقل أنه أبو ابراهيم . وعلى قراءة النصب بلا تنوين ، قد تعرب نعتا فلا تكون ازر علما بل صفة ، فليست كذلك اسم أبى ابراهيم وقد تعرب بدلا أو عطف بيان فتحمل أو تكون اسما له . وعلى قراءة الضم للنداء تحتمل كذلك انها اسمه فهذه أربعة أوجه نقلت فى تخريج قراءات الآيات ـ على نظر فى بعضها ـ يتعين فى اثنين منها الا يكون آزر اسم أبى ابراهيم . ويحتمل فى اثنين فليس من الصنيع العلمى ان يطلق ناقل عن القرآن ، القول بان ازر اسم ابى ابراهيم

(٢) مع التسليم بان اكثر الأوجه التى ذكرها من تصدوا للتوفيق بين آية الانعام ورواية المؤرخين فى اسم ابى ابراهيم لا تقع عندى موقعا . فانى الاحظ على كاتب المادة ملاحظتين .

ا ـ اطلاق القول بأنهم لجئوا الى التحايل للتوفيق . مع أن منهم من جهر برد رواية النسابين وضعف اجماعهم لأنه اجماع ينتهى إلى خبر واحد أو اثنين منهم . فلم يتكلف التوفيق لا فى تحايل ولا فى غير تحايل . وقد نقل هذا الرأى فى كثير من كتب التفسير المتداولة ، فالاطلاق غير صحيح . وكان الحق أن يقول منهم من وفق أو تصدى للتوفيق ومنهم من رد الرواية التاريخية .

ب ـ استعمال لفظ الحيله والتحايل فى وصف عمل المفسرين ، فان هذه الكلمات النازلة والتى يتصدى فيها للحكم الخاطىء على النوايا الخفية ليست من عبارات العلماء الذين ينقدون بل هى من عبارات غيرهم .

ج ـ من الانصاف الصادق للعلم أن يعرف القارىء . أن مراتشى قسيس أيطالى عاش فى القرن السابع عشر . وان ترجمته للقرآن لم يسمح بنشرها الا بعد ألحاق معارضات القرآن بها وقد قدم لها ببحث فى القرآن والاسلام انتهى فيه إلى الحكم للمسيحية على الأسلام ثم نشرت هذه الترجمة بعنوان « عقيدة الرسول الكاذب محمد بن عبد الله .. » (جازاهم الله بما يستحقون عن الحق والعلم)

وبعد ـ فانى الاحظ ـ دون مجاوزة حدود النقد العلمى النزيه ـ ان المادة لم يكتب فيها شىء . النقول الاسلامية غير محررة ، وفرض مراتشى مردود . فالواجب الحق فى درس الآية أن نستوفى

القول فى كلمة آزر أو أزر هذه واستعمالها العربى وأصلها اللغوى والتاريخى على نحو عملى عميق نرجو أن تتضافر عليه قوى نزيهة تستجيب على الأقل لقول قدمائنا . ان علم التفسير لم ينضج ونحن أهل الواجب الأول فى ذلك اه كلام الأستاذ أمين الخولى

أقول ذهب فريق من المفسرين إلى أن (آزر) اسم صنم كان يعبده تارح والد ابراهيم وكان سادنا له — قال السيد المرتضى الزبيدى فى ص ١٢ ج ٣ تاج العروس - وروى عن مجاهد فى قوله تعالى (آزر أتتخذ أصناما) قال لم يكن بأبيه ولكن آزر اسم صنم فموضعه نصب على اضمار الفعل والتلاوة كأنه قال : واذ قال ابراهيم أتتخذ آزر الها أى أتتخذ أصناما آلهة وقال الصغانى (التقدير أتتخذ آزر الها ولم ينتصب بأتتخذ الذى بعده لأن الاستفهام لايعمل فيما قبله ولأنه قد استوفى مفعوليه) اه

وقد نقل شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا عبارة تاج العروس السابقة فى أول كتابه «تكملة كتاب الأصنام لابن الكلبى»

وهذا القول الذى قاله مجاهد اولى الأقوال عندى بالقبول - وعلى ذلك يكون والد ابراهيم لم يذكر باسمه العلمى فى القرآن الكريم . ومما يستأنس له بان أزر اسم اله أننا نجد فى الآلهة القديمة عند المصريين الاله ازوريس ومعناه الاله القوى المعين وقد كانت الامم السالفة يقلد بعضهم بعضاً فى أسماء الآلهة

وهذا جدول مواليد نوح الى ابراهيم على عمود النسب

سام	ولد	من أبيه	نوح	وهو	ابن	٥٠٠ سنه
ارفكشاذ	»	»	» سام	»	»	١٠٠
شالح	»	»	» أرفكشاذ	»	»	٣٥
عابر	»	»	» شالح	»	»	٣٠
فالج	»	»	» عابر	»	»	٣٤
رعو	»	»	» فالج	»	»	٣٠
سروج	»	»	» رعو	»	»	٣٢
ناحور	»	»	» سروج	»	»	٣٠
تارح	»	»	» ناحور	»	»	٢٩
ابرام	»	»	» تارح	»	»	٧٠
					المجموع	٨٩٠

وقد رأيتم الجدول الذى بين عمر كل واحد من نوح وابنائه على عمود نسب ابراهيم حين ولد ولده المذكور بعده كما ذكر فى التوراة . ومن جميعها ترون أن بين ولادة ابراهيم وولادة نوح ٨٩٠ سنه فاذا قلنا بما قالته التوراة من أن عمر نوح كله قبل الطوفان وبعده ٩٥٠ سنة كان ابراهيم قد عاصر نوحا ستين سنة .

وفى اعتقادى أن اليهود فى العصور الأولى . دونوا ما كانوا يسمعونه من الحكايات بدون ضبط وبلا مراعاة للازمان

جاء فى دائرة المعارف الأسلامية ص ٢٧ من المجلد الأول ما يأتى نقلا عن فنسنك

كان شبرنجر (ج ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها) أول من لاحظ أن شخصية ابراهيم كما فى القرآن مرت بأطوار قبل أن تصبح فى نهاية الأمر مؤسسة للكعبة .

وجاء سنوك هجرونيه (ص ٢٠ وما بعدها) بعد ذلك بزمن فتوسع فى بسط هذه الدعوى فقال : أن ابراهيم فى أقدم ما نزل من الوحى (الذاريات آية ٧٤ وما بعدها ـ الحجر آية ٥٠ ومابعدها الصافات آية ٨٢ ومابعدها ـ الأنعام آية ٧٤ وما بعدها ـ هود آية ٧٢ وما بعدها ـ مريم آية ٤٢ ومابعدها ـ الأنبياء اية ٥٢ ومابعدها ـ العنكبوت آية ١٥ ومابعدها) هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل . ولم تذكر لأسماعيل صلة به — وإلى جانب هذا يشار إلى أن الله لم يرسل من قبل إلى العرب نذيرا (السجدة آية ٢ ـ سبأ آية ٤٣ ـ يس آية ٦) ولم يذكر قط أن ابراهيم هو واضع البيت . ولا أنه أول المسلمين

أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك.فابراهيم يدعى حنيفا مسلما وهو واضع ملة ابراهيم. ورفع مع اسماعيل قواعد بيتها المحرم ـ الكعبة ـ (البقرة آية ١١٨ وما بعدها ـ آل عمران آية ٦٠ ، ٨٤ . . الخ) ـ وسر هذا الاختلاف أن محمدا كان قد اعتمد على اليهود فى مكة . فما لبثوا أن اتخذوا حياله خطة عداء ـ فلم يكن له بد من أن يلتمس غيرهم ناصرا ـ هنالك هداه ذكاء مسدد إلى شأن جديد لأبى العرب ـ ابراهيم ـ وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية ابراهيم تلك اليهودية التى كانت ممهدة للاسلام ـ ولما أخذت مكة تشغل جل تفكير الرسول أصبح ابراهيم أيضا المشيد لبيت هذه المدينة المقدس اه فنسنك

(١) والذى أقوله أن هجرونيه وفنسنك كغيرهما من أكثر المستشرقين الذين نصبوا انفسهم لحرب الأسلام والصاق النقص به والعيب على القرآن الكريم وستر محاسنه ليظهروه بمظهر لا يمتاز عن

كتب النصارى المقدسة فهم كما قال الله تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء)

فالذى يغزوه كل من هجرونيه وفنسنك ومن على شا كلتهما أن يقولوا أن الأسلام فى مكة غير الأسلام فى المدينة بالنسبة لابراهيم عليه السلام

فان ابراهيم فى مكة أو فى القرآن المكى لم تكن له صلة بالعرب فليس اباهم ولم يكن بانى البيت ولاصلة له باسماعيل ولا بالعرب .

٢ ــ أن النبى لما جاء إلى المدينة كان يحمل أكبر الآمال فى أن يؤمن به اليهود ويظاهروه على أمره . فلما اخلفوه ما أمله وكذبوه أراد أن يتصل بهم عن طريق ابراهيم وعبر عن ذلك بـ (يهودية ابراهيم) وهم فى ذلك كله على ضلال مبين.

أما عن الأول فقد أخطأ خطأ ظاهرا فانى ألاحظ ان المستشرق فنسنك يقول . لم تذكر فى السور المكية أية صلة لاسماعيل بابراهيم ـ وذلك ترويجاً لفكرته التى يريد أن يصل اليها ـ وهى أن محمداً ظل بعيدا عن صلة العرب بابراهيم واسماعيل الى أن هاجر الى المدينة فبدت له فكرة هى أن يصل حبل العرب الذين هو منهم باليهود عن طريق اسماعيل وابراهيم مع أنه لا صلة بينهم وبين ابراهيم واسماعيل . وهذه الفكرة تهدم التوراة قبل أن تهدم القرآن لانها ذكرت صلة ابراهيم باسماعيل وانه جد عدة قبائل فى بلاد العرب ـ وحين عد السور المكية عمد الى التى يذكر فيها ابراهيم مجردا عن الصله باسماعيل والعرب ـ لذلك تخطى سورة ابراهيم وهى مكية . وقد شهدت بعكس ما يقول وآياتها شاهدة بأن ابراهيم واسماعيل بنيا البيت وانهما كانا يدعوان الله تعالى بالهداية وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام ـ وابراهيم يذكر انه أسكن من ذريته بواد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم . ويدعو الله أن يرزقهم من الثمرات ويحمد الله أن وهب له اسماعيل واسحق ـ واقرءا قوله تعالى

واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام (٣٥) رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم (٣٦) ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (٣٧) ربنا انك تعلم مانخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء (٣٨) الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء (٣٩) رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء (٤٠) ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (٤١)

ولا يمكن أن يمر بخاطرى انه لم يعرف هذه الآيات ولم يلتفت اليها بل أكبر اعتقادى انه

تخطاها عمدا غاضا النظر عما تقضى به الأمانة فى سبيل تأييد نظريته

وأما عن الأمر الثانى . فان النبى ما أمل أن يعتز باليهود . ولكن لما كانوا أهل توحيد ويجانبون الأصنام ويعادون أهلها . والنبى له ذكر عندهم فى كتبهم لم تزل آثاره الى اليوم ناطقة تنادى عليهم بأنهم يكتمون ما أنزل الله . كان يتوقع أن يؤمنوا فلما جحدوا كانوا عنده بمثابة غيرهم فقط .

ومعلوم أن القرآن يرفض أن يكون ابراهيم يهوديا لأن اليهود هم أبناء اسرائيل واسرائيل انما هو ولد اسحق ابن ابراهيم وغريب أن يكون المتقدم معزوا وتابعا لولد ولده الذى لم يره ولم يعاصره (ما كان ابراهيم يهوديا) سورة آل عمران

بقى امر ثالث يغزوه هؤلاء المستشرقون وهو أنهم ينكرون أن يكون ابراهيم أو اسماعيل رسولا الى العرب مستندين الى قوله تعالى (لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك) وأشباهها إذ لو كان ابراهيم قد دعا العرب الى دينه أو اسماعيل قد دعا العرب الى دين ابراهيم لما صح ذلك القول

والجواب على هذا ان المفسرين يقولون ان معنى ذلك ان الموجودين من هؤلاء القوم لم يباشرهم رسول يبلغهم دين الله ويهديهم الى الدين الحق — فلا تناقض لأن تبليغ اسماعيل أو ابراهيم انما كان لآبائهم

أما أنا فأجيب بأن العرب كان دين كثير منهم عبادة الأوثان وكان لهم قرابين يقدمونها اليها وقد سيبوا السوائب وبحروا البحائر ووصلوا الوصيلة وسنوا لهم قواعد ما أنزل الله بها من سلطان. فجاء محمد لينذر هؤلاء القوم الذين يدعون انهم على دين وأن الله قد أمرهم بما هم عليه مع أن الله ما أرسل اليهم نذيرا شرع لهم هذه الشرائع الباطلة لأنهم كانوا اذا ظلموا أنفسهم بشرائعهم الباطلة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها — وقد ناقشهم الله فى ذلك ورد عليهم فى غير موضع من القرآن كقوله (ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون)

ففى سورة الصافات بعد أن ذكر دعاوى الوثنيين بقوله (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة أناثا وهم شاهدون ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون) ففى هذه الآيات من الأنباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لأقاويلهم والتضعيف لعقولهم واتهامهم مع استهزاء بهم — وفى قوله (فأتوا بكتابكم) أى الناطق بصحة دعواكم والأمر فيه للتعجيز وإضافة الكتاب اليهم للتهكم

وفى قوله (أم لكم سلطان مبين) اضراب انتقالى من توبيخهم بما ذكر بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أى بل ألكم حجة واضحة نزلت من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة ان

الحكم بذلك لا بد له من سند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلى وهو لا يوجد عندهم

فالمعنى فى هذه الآيات مثله فى قوله تعالى فى سورة الأحقاف (أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ايتونى بكتاب) تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى فهو من جملة القول أى ائتونى بكتاب الهى كان (من قبل هذا) الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم (أو أثارة من علم) أى بقية من علم بقيت عندكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم العبادة وهكذا كل آية وردت فى المعنى

وتدل العبارة التى نقلها (فنسنك) عن هجرونيه بفحواها على ان ابراهيم لم يذكر بأنه حنيف الا فى السور المدنية وهو خطأ ايضا لانه ذكر بأنه كان حنيفا فى سورة الأنعام مرتين وفى سورة النحل كذلك وهما مكيتان :

سورة الأنعام مكية : إنى وجهت وجهى للذين فطر السموت والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ٧٩
وقوله تعالى : قل إننى هدينى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ١٦١
سورة النحل مكية : إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ١٢٠ شاكرا لأنعمه اجتبه وهديه إلى صراط مستقيم ١٢١ وءاتينه فى الدنيا حسنة وإنه فى الأخرة لمن الصلحين ١٢٢ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ١٢٣

من ذلك كله يتبين القارى المنصف فساد ما يقوله المستشرقون غير المنصفين

وها كم بيان السور والآيات التى ذكر فيها اسم ابراهيم فى القرآن

السورة	نمرتها	أرقام الآيات
البقرة	٢	١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ٢٥٨، ٢٦٠
آل عمران	٣	٣٣، ٣٥، ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٩٥، ٩٧
النساء	٤	٥٤، ١٢٥، ١٦٣
الأنعام	٦	٧٤، ، ٧٥، ٨٣، ١٥١
التوبة	٩	٧٠، ١١٤
هود	١١	٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦
يوسف	١٢	٦، ٣٨
ابراهيم	١٤	٣٦
الحجر	١٥	٥١
النحل	١٦	١٢٠، ١٢٣
مريم	١٩	٤١، ٤٦، ٥٨
الانبياء	٢١	٥١، ، ٦٠، ٦٢، ٦٩
الحج	٢٢	٢٦، ٤٣، ٧٨
الشعراء	٢٦	٦٩
العنكبوت	٢٩	١٦، ٣١
الاحزاب	٣٣	٧
الصافات	٣٧	٨٣، ١٠٤، ١٠٩
ص	٣٨	٤٥
الشورى	٤٢	١٣
الزخرف	٤٣	٢٦
الذاريات	٥١	٢٤
النجم	٥٣	٣٧
الحديد	٥٧	٢٦
الممتحنه	٦٠	٤
الأعلى	٨٧	١٩

واعلموا أن قصة ابراهيم ترتبط بها قصص أخرى كقصة لوط . لأن ابراهيم ولوطا كانا متعاصرين ولوطا ابن أخ لابراهيم . قد آمن لوط بعمه ابراهيم كما قال تعالى (فآمن له لوط وقال انى مهاجر إلى ربى) واسماعيل كذلك رزق به ابراهيم وهو ابن ست وثمانين سنة (١)

وقد عاش ابراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة (٢)

فيكون اسماعيل قد عاصر ابراهيم تسعا وثمانين سنة واسحق ولد لابراهيم وهو ابن مائة سنة فيكون قد عاصر اباه خمسا وسبعين سنة (٣)

أما لوط فقد ذكر فى القرآن الكريم سبعا وعشرين مرة وهاكم أرقام الآيات فى السور التى ذكر فيها

السورة	رقمها	أرقام الآيات
الانعام	٦	٨٦
الاعراف	٧	٨٠
هود	١١	٧٠ ، ٧٤ ، ٧٧ . ٨٢ ، ٨٩
الحجر	١٥	٥٧ ، ٥٨
الانبياء	٢١	٧١ ، ٧٤
الحج	٢٢	٤٣
الشعراء	٢٦	١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٧
النمل	٢٧	٥٤ ، ٥٦
العنكبوت	٢٩	٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣
الصافات	٣٧	١٣٢
ص	٣٨	١٣
ق	٥٠	١٢
القمر	٥٤	٣٢ ، ٣٤
التحريم	٦٦	١٠

(١) على مافى الآية ١٦ من الاصحاح ١٦ تكوين

(٢) كما فى الآية السابعة من الاصحاح الخامس والعشرين ـ تكوين .

(٣) راجعوا آية ٥ من الأصحاح الحادي والعشرين تكوين .

واسحق ذكرت عشرة مرة فى القرآن الكريم واليكم أرقام الآيات فى السور التى ذكر فيها :

السورة	رقمها	أرقام الآيات
البقرة	٢	١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠
آل عمران	٣	٨٤
النساء	٤	١٦٣
الأنعام	٦	٨٦
ابراهيم	١٤	٣٩
مريم	١٩	٥٤
الانبياء	٢١	٨٥
ص	٣٨	٤٨

وذكرت قصة ابراهيم فى عدة مواضع من القرآن تارة باختصار وتارة بالتطويل وتارة بذكر شأن من شؤونه فى سورة ثم شأن آخر من شؤونه فى سورة أخرى ومثل ذلك فى شأن لوط واسماعيل

قصة ابراهيم

تتلخص فى أنه كان فتى من أهل فدان آرام بالعراق (١) وكان قومه أهل أوثان وكان أبوه نجارا ينحت الاصنام ويبيعها ممن يعبدها كما نص على ذلك فى انجيل برنابا وان ابراهيم كان قد أنار الله بصيرته وهداه الى الرشد فعلم أن الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تسمع نداء ولا تجيب دعاء ولا تضر ولا تنفع وانها لا تباين بنات صنفها من سائر الخشب وان أباه هو الذى يصنعها

اقرءوا قوله تعالى فى سورة الانبياء

(وَلَقَدْ آتَيْنَا اِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ٥٢ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي

(١) كما فى التوراة

ضَلَالٍ مُبِينٍ ٥٤ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٥٦)

تبييت ابراهيم الشر للاصنام

وان ابراهيم نوى الشر فى نفسه لهذه الآلهة التى جمدوا على عبادتها ولم تفدهم موعظة ولا برهان عن الغواية بها فأقسم فى نفسه أن يلحق بها الاذى

وهذه طريقة أراد بها أن يفهم القوم مركز آلهتهم . ويقيم لهم الحجة عملا على أنها لا يمكن أن تلحق بهم اذى إذا تركوا عبادتها . أو تكسبهم خيرا إذا عبدوها . لان البرهان العملى أوقع فى النفس وارجى أن يحرز القبول . فقال فى نفسه ـ سورة الانبياء (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ٥٨ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ٥٩ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ٦٠)

المحاكمة

سورة الانبياء (قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ٦٥)

حينئذ ظهرت حجة ابراهيم واضحة . ورأى الفرصة سانحة لالزامهم الحجة قال (أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ٦٦ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٧)

فلما أعيتهم الحيلة فيه ووجدت موعظته منهم قلوبا غلفا واذانا صما . عمدوا إلى ما يلجأ إليه القوى الجبار الذى لا حق معه بازاء المحق الضعيف.

سورة الأنبياء (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ٦٨ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا

عَلَى ابْرَاهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ٧١ وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ٧٢)

وتوجد طريقة أخرى فى احتجاج ابراهيم لدينه وتزييف دين قومه أتى بها على سبيل التدرج فى الالزام — ويرى فريق من الناس انها تدرج فى تكوين العقيدة . ذلك أن القوم كانوا يعبدون الأصنام ينحتونها على أسماء الكواكب كالشمس والقمر ونحوهما . فاراد أن يلزمهم أن الكواكب والشمس والقمر لا تصلح لأن تكون آلهة . وانما الاله هو الذى خلقهن وخلق السموات والأرض . وبيده ملكوت كل ما فيهما . وان التماس الصحة والعافية والرزق من غيره تعالى باطل

اقرءوا قوله تعالى فى سورة الانعام :

(وَإِذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً انِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ٧٤ وَكَذٰلِكَ نُرِى ابْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّى هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ انِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧٩ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ (أى خوفوه سطوة آلهتهم) قَالَ أَتُحَاجُّونِّى فِى اللّٰهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ الَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئًا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللّٰهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ انْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ٨٢ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا ابْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣)

وهناك رأى آخر وهو أنه حين التفت إلى النظر فى المعبودات لم ترقه الأصنام فظن النجم هو

الاله فلما أفل لم يعجبه فانتقل إلى القمر فلما أفل انتقل إلى الشمس فلما أفلت علم أن الاله سوى هذه كلها . وقد قصها برنابا فى انجيله نقلا عن المسيح عليه السلام .

اقرءوا قصة ابراهيم كاملة فى الآية ٢٥ من الفصل ٢٣ إلى آخر ٢٥ من برنابا

محاجة ابراهيم للملك

تشعرنا قصة ابراهيم المحكية فى القرآن أن هؤلاء القوم كانوا يعبدون ملوكهم مع آلهتهم . يدل على ذلك المحاجة التى كانت بين ابراهيم وبين الملك فاحب الملك أن يرجع ابراهيم عن نحلته الجديدة المخالفة لنحلة قومه وان يعبده وآلهته . وقد قص الله ذلك فى قوله تعالى فى سوره البقرة (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّٰهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٢٥٨) ويستمر بنا فى موسى عليه السلام علة تقديس الملوك وجعلهم آلهة

تعدد مواقف ابراهيم

وقد كانت مواقف ابراهيم مع قومه متعددة . فتارة يحاج والده وتارة يحاج الجمهور . وتارة يحاج الملك . وتارة يفعل مايستفزهم به الى محاجته كتكسير الأصنام ليكلموه فى شأنها الى ان أوقدوا النار لتحريقه . فنجاته منها بعد أن ألقى فيها . فهجرته . انظروا الى قوله تعالى فى سورة الصافات :

(وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ٨٣ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ٨٥
أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللّٰهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّى
سَقِيمٌ ٨٩ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ٩٢
فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ٩٣ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ٩٥ وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ
وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِى الْجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ٩٨
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ ٩٩)

وهذه الآيات أيضا تدل على أنهم كانوا يأتون بالطعام الى آلهتهم ولعل السدنة كانوا يأخذونه ويوهمونهم ان آلهتهم رضيت عنهم فأكلت طعامهم

اقرءوا قوله تعالى فى سورة الشعراء :

(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْرَاهِيمَ ٦٩ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ٧٠ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ٧٢ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٧٥ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ٧٧ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠ وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ٨١ وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ ٨٢ رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ ٨٣ وَاجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ ٨٤ وَاجْعَلْنِى مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ٨٥ وَاغْفِرْ لأَبِى إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ٨٦ وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ٨٨ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩)

قصة ابراهيم فى القرآن تدل على أنه كان حليما رقيق القلب عطوفا رءوفا بارا بوالده مع قسوته عليه . وانه كلما باعد والده بينه وبينه تلطف هو فى المقاربة وترفق فى دعوته وهدايته وتحذيره ولكن ذلك كله لم يفد لغلبة الشقاء عليه

سورة مريم (وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ ابْرَاهِيمَ انَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا ٤١ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنْكَ شَيْئاً ٤٢ يَا أَبَتِ انِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا ٤٣ يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤ يَا أَبَتِ انِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِى يَا ابْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا ٤٦ قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى انَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا ٤٧ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّى عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيًّا ٤٨)

اخفاق ابراهيم فى هداية قومه

ان ابراهيم صلوات الله عليه بعد ان جهد الجهد كله فى سبيل هداية قومه وبعد أن حاول ان يقنعهم بكل وسائل الاقناع . لم يحل من قومه بطائل وجفاه قومه وألقوه فى النار فجعلها الله تعالى بردا وسلاما عليه . وهدده أبوه بأن يرجمه إذا استمر على جحد الأصنام . ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه سارة ولوط بن هاران بن تارح

رحلته الى اور الكلدانيين ثم حاران (اوحران)

تبرأ ابراهيم من أبيه . ولم يطب له المقام بين أهله وقومه . فذهب الى أور الكلدانيين [1] ثم حاران . وكان ابراهيم قد ظفر من أبيه بعدة . هى انه سيؤمن به فاستغفر الله له . ولكنه علم بعد ذلك انه مقيم على دين قومه فتبرأ ابراهيم منه

يدل على ذلك قوله تعالى فى سورة التوبة (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم ١١٤)

رحلته الى فلسطين

رحل ابراهيم بعد ذلك الى فلسطين غربيا ومعه زوجه سارة وابن أخيه لوط ومع لوط زوجه كما قال تعالى فى سورة العنكبوت (فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم ٣٦) وقد ورد ان عثمان لما هاجر بزوجه رقية بنت رسول الله الى الحبشة قال النبى ﷺ « ان عثمان أول مهاجر باهله بعد لوط » وسكن ابراهيم ولوط فى تلك الأنحاء . وكانت أرض الكنعانيين وأقام فى شكيم وهى مدينة نابلس ولكنه لم يطل به المقام بل كان ينتقل نحو الجنوب كما تدل على ذلك عبارات التوراة فى رحلتيه إلى مصر ثم الى أرض أبى مالك

رحلته الى مصر

حدث جدب فى الأرض فانتقل ابراهيم الى مصر وذلك فى عهد ملوك الرعاة وهم العماليق ويسميهم الرومان (هكسوس) فأظهر ان التى معه أخته وأراد الملك أخذها زوجة له فأرى فى نومه

---

(١) مدينة كانت قرب الشاطىء الغربى للفرات

انها ذات بعل فعاتب ابراهيم وأعطاه أموالا وماشية وجوارى وعبيدا وعاد ابراهيم كما بدأ وانا استبعد ما نصته التوراه فى ذلك (١) واحذر كل مؤمن ان يصدق ما جاء بها من ذلك

---

(١) نقد اللجنة

(الموضوع الثامن)

(قصة سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام والسيدة سارة زوجته مع الجبار)

قال فى صفحة ٦٣ « رحلته الى مصر »

حدث جدب فى الأرض فانتقل ابراهيم الى مصر وذلك فى عهد ملوك الرعاة وهم العماليق ويسميهم الرومان «هكسوس» فاظهر ان التى معه اخته وأراد الملك أخذها زوجة له فارى فى منامه انها ذات بعل فعاتب ابراهيم وأعطاه أموالا وماشية وجوارى وعبيدا وعاد ابراهيم كما بدأ وكان لوط مع ابراهيم الخ ثم قال يراجع الاصحاحات ١٢ ، ١٣ تكوين

وقال فى صفحة ٧٥ ما نصه « مسألتان » (اى من الطبعة الاولى)

الأولى - ان كان صحيحا ما جاء فى عبارة التوراة من ان ابراهيم اتفق مع سارة على أن يقول أنها أختى وتقول هى انه اخى وكانا أخوين حقيقة يكون ذلك قبل تشريع تحريم الأخت على اخيها وهذا هو الذى أميل اليه وحينئذ لا حاجة الى قول (أنها أخته فى الدين) لأن اولئك المتأولين ما دعاهم الى التأويل الا اعتقادهم ان الشريعة التى كان عليها ابراهيم كانت كشريعة موسى صلى الله عليه وسلم من تحريم الأقارب دينا كالأخت والعمة ثم ايد ذلك بان موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب اسرائيل الله كان متزوجا عمته كما فى الاصحاح ٢٦ من سفر العدد .

وقال فى صفحة ٤٩١ ما نصه « تنبيهات » الى أن قال .

الثانى - قدمنا ماذكرته التوراة من ان ابراهيم حين تغرب فى مصر قال عن سارة انها أخته فاخذها الملك وقبل أن يقربها ضويق فى منامه بسببها وانه عاتب ابراهيم لأنه قال انها أختى ولم يقل هى زوجتى وفعلا مثل ذلك مع أبى مالك (ملك جرار) واشتد فى عتاب ابراهيم وقد تأملت فى المسألتين فوجدتهما بعيدتى الحصول لأن سارة ذهبت الى مصر مع ابراهيم وسنها نحو سبعين سنة ومن كانت فى مثل تلك السن لا يطمع فيها طامع وعندما كانا فى جرار كانت سنها تسعين سنة وقبل ذلك بسنة قدقالت عن نفسها (عجوز عقيم) وقالت (أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا) وبعيد فى مجرى العادة ان يطمع ملك مترف فى بنت تسعين . =

فانها توهم ان ابراهيم كان يستغل وضاءة وجه زوجته وجمالها (ان كانت فى ذلك الوقت على حال

(رأى اللجنة)

= هذا ما ذكره فى هذه القصة - وقد اعتمد فى بيانها على التوراة أو استبعد حصولها من أجل أن سارة كانت سنها إذ ذاك نحو سبعين سنة ومثلها لا يطمع فيها طامع وقرر أنه يميل - على فرض صحة هذه القصة - الى أن قول ابراهيم (أنها أختى) محمول على الحقيقة فانهما كانا أخوين حقيقة وكان زواج الأخت جائزا إذ ذاك فلا داعى الى التأويل بانها أخته فى الاسلام - وانا نلاحظ عليه اعتماده فى هذه القصة على التوراة مع انها ذكرت ووردت فى الاحاديث الصحيحة بسياق مخالف لسياق التوراة وهذه الاحاديث تثبت وقوعها وتدل على خطأ ما رواه ومال اليه من أن سارة كانت أخت ابراهيم حقيقة :

وقبل أن نورد تلك الاحاديث ونبين من خرجها من أئمة الحديث - رأينا أن نبدى ما لحقنا من الدهشة لعدم الاشارة لتلك الاحاديث المتعلقة بهذه القصة فى مثل هذا الكتاب الذى يدرس لعلماء التخصص فى فرق الوعظ والارشاد - ولذلك أخذنا نتلمس الحكمة فى ترك الاشارة لتلك الاحاديث ونطلب المعاذير فاجتمع لدينا احتمالات أربعة نذكرها ونبدى رأينا فى كل احتمال منها .

« الأول »

انه لم يقف على تلك الاحاديث التى وردت فى هذه القصة . ونرى انه احتمال بعيد اذ يستبعد جدا من أستاذ فاضل متخصص فى التاريخ نصب نفسه لتأليف كتاب فى قصص الانبياء ليدرس للعلماء المتخصصين فى الوعظ والارشاد الا يقف على تلك الاحاديث خصوصا وانه جعل صحيح البخارى من الكتب التى رجع اليها وقت التأليف وهى مذكورة فيه وايضا فان كتب التاريخ المشهورة كتاريخ ابن الاثير والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ذكرت هذه القصة على نحو ما وردت به الأحاديث بل صرح ابن كثير بالنقل عن البخارى . وايضا قد استدل المؤلف نفسه بحديث الشفاعة فى قصة نوح :

« الثانى »

انه وقف على تلك الأحاديث ورأى فيها مطعنا اخرجها عن دائرة الاحتجاج بها فى الحوادث التاريخية وهو بعيد ايضا لأنه لو كان كذلك لذكرها ونبه على ضعفها وكان ذلك خيرا من اعتماده على التوراة المعلوم امرها من حيث القبول والرد . وافيد من الوجهة العلمية . =

جمال) استغلالا شائنا معيبا فهى تذكر أنه اتفق معها على أن تقول انه اخى وهو يقول اختى لئلا

« الثالث »

= انه وقف على تلك الأحاديث ولم يعلم فيها مطعنا ولكنه يرى ان الاحاديث وان صحت لا تصح مصدرا للحوادث التاريخية وهذا الاحتمال لا يتصور ان يصدر من مثل فضيلة الاستاذ بل لا يصح أن يصدر من مسلم .

« الرابع »

انه يعلم تلك الأحاديث ويعلم انه لا مطعن فيها ويعتقد أن الأحاديث الصحيحة أهم مصدر بعد كتاب الله للحوادث التاريخية إلا أنه حين تدوينه لهـــذه القصة سها عن تلك الأحاديث وهذا الاحتمال هو الذى نميل اليه والله أعلم بحقيقة الحال

وانا نورد تلك الأحاديث ونبين من خرجها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لم يكذب ابراهيم النبى عليـــه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة فى شأن سارة فانه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها إن هذا الجبار ان يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فأخبريه انك اختى فانك اختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض مسلما غيرك وغيرى فلما دخل ارضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال له لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها أن تكون الا لك فأرسل اليها فأتى بها فقام ابراهيم عليه السلام إلى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لهـــا ادع الله أن يطلق يدى ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال ادع الله أن يطلق يدى فلك الله أن لا أضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذى جاء بهـا فقال له انك انما اتيتنى بشيطان ولم تأتنى بانسان فاخرجها من أرضى وأعطها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم عليه السلام انصرف فقال لها مَهْيَمْ فقالت خيرا كف الله يد الفـــاجر واخدم خادما قال ابو هريرة فتلك امكم يابنى ماء السماء) :

هذا الحديث أخرجه البخارى فى احاديث الأنبياء من طريقين مرفوعا وموقوفا . وقال الحافظ بن حجر ان ابن سيرين كان غالبا لا يصرح برفع كثير من حديثه .

واخرجه أيضا مرفوعا من طريقين فى كتاب النكاح وأخرجه أيضا من طريق فى كتاب البيع . واخرجه مسلم فى الفضائل مرفوعا واللفظ الذى ذكرناه له . واخرجه احمد بسياق مخصوص . قال =

يقتلوه وليكون له خير من ذلك وانا اعيذ ابراهيم من هذا النقص الشائن واقول ان سارة لما كانت

= الحافظ بن كثير . وقال ابن حاتم حدثنا ابى حدثنا سفيان عن على بن زيد بن جدعان عن ابى نضرة عن ابى سعيد قال قال رسول ﷺ فى كلمات ابراهيم الثلاث الخ .

« الثانى »

حديث الشفاعة فى فصل القضاء يوم القيامة هو حديث طويل يتضمن أن أهل الموقف يأتون الانبياء واحدا بعد واحد يطلبون منهم الشفاعة عند ربهم وفيه انه حينما يأتون ابراهيم عليه السلام يطلبون منه ذلك يقول لست هنا كم انى كذبت ثلاث كذبات قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لامرأته اخبريه انى اخوك .

اخرج هذا الحديث البخارى من عدة طرق فى ابواب متعددة اخرجه فى تفسير سورة البقرة عن انس . وفى تفسير سورة بنى اسرائيل عن ابى هريرة . وفى كتاب الرقاق عن انس وفى التوحيد عن أنس من طريقين . واخرجه مسلم من حديث ابى هريرة وحذيفه . ورواه احمد عن أنس من طريقين وعن ابن عباس من طريقين . واخرجه ابن خزيمة عن أنس . واخرجه الحاكم عن ابن مسعود . والطبرانى من حديث عبادة بن الصامت . واخرجه ابن ابى شيبة من حديث سلمان الفارسى . واخرجه الترمذى عن ابى هريرة . واخرجه ابو عوانه من رواية حذيفة عن ابى بكر الصديق .

ثم انه روى مطولا ومختصرا فان فى بعضها الاختصار على القول بان كل رسول يذكر خطيئته وفى بعضها التصريح بالخطيئة بأن يقول ابراهيم كذبت ثلاث كذبات وفى بعضها يبين الكذبات الثلاث كما ذكرناه أولا وفى بعضها زيادة قول النبى ﷺ مامنها كذبة الا ماحل بها عن دين الله (وماحل كجادل وزنا ومعنى)

هذا ما وقفنا عليه من الأحاديث الصحيحه المثبتة للقصة والدالة بصريح العبارة على أن سارة لم تكن اخت ابراهيم حقيقة . وهى كما ترى تكاد تكون القدر المشترك المثبت لأصل القصة والدال على أن سارة لم تكن اخت ابراهيم عليه السلام حقيقة يكون متواترا فلسنا فى حاجة إلى ان ندعى كما ادعى ابن الصلاح من ان ما اتفق عليه البخـــارى ومسلم قطعى الثبوت لتلقى الأمة لكتابيهما بالقبول خصوصا وان الا كثرين لم يوافقوه على دعوى القطعية والمحققون منهم فصلوا تفصيلا حسنا يعلم من محله ولا حاجة لنا فى بيانه .

بل نحن تنزلنا إلى أبعد حد ممكن فراجعنا الاحاديث التى انتقدت على البخارى من قبل بعض الحفاظ كحافظ عصره الدارقطنى على الرغم من الاجابة عن معظمها فلم نجد هذه الأحاديث التى =

فى مصر كانت بنت سبعين سنة أو أكثر

= ذكرناها لاثبات هذه القصة من ضمن الأحاديث المنتقدة فلم يبق شك فى صحتها ولا مجال للطعن فيها :

لا يقال أن فى هذه الأحاديث نسبة الكذب إلى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد قرر علماء التوحيد ان ماورد وفيه نسبة المعصية إلى نبى من الأنبياء فان كان مقطوعا به وجب تأويله وان كان منقولا بآحاد وجب رده . وقال الامام الرازى فى تفسيره فى شأن الحديثين اللذين ذكرناهما مانصه «فلأن يضاف الكذب إلى الرواة أولى من يضاف إلى الأنبياء»

لأنا نقول هذا من قبيل المعاريض وهو نوع من البديع . وابراهيم عليه السلام قد صرح بذلك اذ قال (فانك أختى فى الاسلام) وحينئذ فليس فيه نسبة الكذب حقيقة اليه . وأما كلام الامام الرازى فمردود وقد رد عليه العلماء وخطئوه وأثبتوا صحة الأحاديث وهو نفسه قال : فان صح فهو محمول على المعاريض :

ومن راجع ما سبق لنا من بيان من خرج هذه الأحاديث قطع بصحتها بل تواتر القدر المشترك فيها والله أعلم .

ولا يقال اذا كان الصادر من ابراهيم عليه السلام ومن غيره من باقى الرسل المذكورين فى حديث الشفاعة ليس بخطيئة فلم امتنعوا من الاقدام على الشفاعة وأظهروا حالة الخوف من الله تعالى لصدور ما ذكروه عنهم لأنا نقول لأن ما صدر عنهم وان لم يكن خطيئة فى الواقع فهو صورة خطيئة . وعدم صدوره بالنسبة لمقام الأنبياء أولى (من صدوره من باب حسنات الابرار سيئات المقربين) فلم يروا فى أنفسهم بالنسبة الى ذلك أهلية الشفاعة العظمى التى هى من خصائص سيد الخلق على الاطلاق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

أما ما ذكره فى وجه الاستبعاد من ان سن سارة اذ ذاك كانت سبعين فلم يثبت ذلك من طريق صحيح . وانما الثابت قطعا انها قالت حينما بشر ابراهيم عليه السلام باسحاق (ياويلتا أألد وأنا عجوز) واختلفو فى سنها اذ ذاك فقيل تسعون وقيل غير ذلك وذكر ابن كثير فى تاريخه نقلا عن أهل الكتاب أنه لما كان لابراهيم ببلاد بيت المقدس عشرون سنة وهبت السيدة ساره له هاجر ودخل بها وجاءت باسماعيل عليه السلام وذكر أيضا أن ولادة اسماعيل كانت قبل ولادة اسحاق بثلاث عشرة سنة ومعلوم أن هاجر أم اسماعيل هى التى قدمها الجبار خادمة لسارة فاذا صح ما ذكرناه وكان مكث ابراهيم فى بيت المقدس المدة الموضحة بعد خروجه من مصر مباشرة فلم يتخللها =

وكان لوط مع ابراهيم . وكان الرجلان لهما أموال كثيرة . وكان الرعاة يزدحمون على الاسامة

= مدة أخرى تكون سنها حينما كانت عند الجبار سبعا وخمسين سنة .

وعلى تسليم أن سنها كانت اذ ذاك سبعين لا وجه للاستبعاد لأن مثل هذه السن بالنسبة للاعمار الطويلة التى كانت فى تلك الأيام تعتبر سن شباب لا سن شيخوخة خصوصا بالنسبة للسيدة سارة التى أعطيت حظا كبيرا من الحسن والجمال كما هو نص الحديث الأول ولأنها أعطيت حظا كبيرا من التقوى وعدم الميل الى الشهوات ولا يخفى مافى هذا من حفظ القوى . وكما ذكره الحافظ بن حجر (أعطى يوسف وأمه شطر الحسن يعنى سارة) هذا واختم هذا الموضوع بما ذكره الحافظ ابن كثير فى تاريخه فى نسب سارة ليعلم منه خطأ القول بأنها أخته حقيقة فقال قيل أنها ابنة ملك حران والمشهور أنها ابنة عمه هاران ومن قال انها ابنة أخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلى عن العبسى فقد أبعد النجعة وقال بلا علم ومن ادعى أن ذلك كان مشروعا فليس له على ذلك دليل ولو فرض أن هذا كان مشروعا فى وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فان الأنبياء لا تتعاطاه . . اهـ والله أعلم

رد المؤلف على نقد اللجنة

ذكرت فى قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ماذكرته التوراة الى آخر مانصه أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة ـ وقد رابهم من شأنى انى تركت الأحاديث ونصصت ما قالته التوراة وأبدوا احتمالات أربعة

(١) ـ انى لم أقف على تلك الأحاديث التى وردت فى هذه القصة واستبعدوا ذلك

(٢) ـ انى وقفت على تلك الأحاديث ورأيت فيها مطعناً أخرجها عن دائرة الاحتجاج الخ واستبعدوا ذلك أيضاً

(٣) ـ انى وقفت على تلك الأحاديث ولم أعلم فيها مطعناً ولكنى لا أراها تصلح مصدرا للحوادث التاريخية

(٤) ـ انى أعلمها وأعلم أن لا مطعن فيها وانها أهم مصدر بعد كتاب الله تعالى للحوادث التاريخية الا أنى سهوت عنها ـ ثم كان من عطفهم وحسن ظنهم أن مالوا الى هذا الفرض وهو حسن ظن بى أشكر حضراتهم عليه

بعد ذلك سردوا حديث أبى هريرة الذى أخرجه البخارى فى حديث الأنبياء مرفوعاً وموقوفا وأخرجه أيضا مرفوعا من طريقين فى كتاب النكاح وأخرجه من طريق فى كتاب البيع وأخرجه =

والورد فاتفق رأيهما على ان يفترقا فى الاقامة حفظا لعلاقة المودة والرحم

= مسلم فى الفضائل مرفوعا وأخرجه أحمد بسياق مخصوص على شرط الصحيح وأخرجه النسائى والبزاز وابن حبان الخ ما نصوا ثم حديث الشفاعة الذى أخرجه البخارى من عدة طرق وأخرجه مسلم وغيره الخ ما قالوا وكلها تثبت كذب ابراهيم بقوله أختى الخ

والذى أجيب به حضراتهم انى أعلم هذه الأحاديث وأعلم أنها من الأحاديث التى صح اسنادها. ولكنها ترمى الى إسناد الكذب الى ابراهيم فهى تنص على وجوب اعتقاد الكذب فى جانب ابراهيم عليه الصلاة والسلام. والأحاديث وان كانت صحيحة الاسناد لا يمكن أن تكون برهانا على إثبات امر اعتقادى

نقل صاحب الفتح . ج ٨ صفحة ٤٢١ قول العلماء — الأحاديث اذا كانت فى مسائل عملية يكفى فى الأخذ بها بعد صحتها إفادتها الظن أما اذا كانت فى العقائد فلا يكفى فيها الا ما يفيد القطع (متنا وسندا) - وعلى ذلك فلا تصلح تلك الأحاديث أداة لتقرير اعتقاد كذب ابراهيم لوجوه : —

(١) - ان ابراهيم نبى كريم ومن أخص الصفات الواجبة للأنبياء الصدق - اللهم الا أن يكون من يريد اثبات الكذب واتصاف ابراهيم به ممن يجوز على أنبياء الله الكذب ولست منهم

(٢) - ان الله تعالى يقول (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) - (مريم ٤١)

فقد رأيت الله فى هذه الآية لم يكتف باسناد الصدق اليه بل عبر عن ذلك بصيغة المبالغة والصديق من خلقه الصدق وجرى ذلك منه مجرى الأمور الطبيعية التى لا تتغير

(٣) - قال الله تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) (النحل ١٠٥)

وما كنت لأسمح لنفسى أن أنظم ابراهيم فى سلك الذين لا يؤمنون بآيات الله بنسبة الكذب اليه ولو على سبيل الصورة لأن أقل مافيها أن أسيء الأدب فى حقه بنسبته الى ذلك الوصف الدنىء ولو صورة .

(٤) - قال الله تعالى فى حق ابراهيم عليه السلام (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) (النحل ١٢٠ ، ١٢١)

وما كان الله ليجتبى كذابا ولا من الهداية الى الصراط المستقيم أن يكون المهدى كذابا

(٥) - يقول الله لمحمد ﷺ - ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا (النحل ١٢٣)

وما كان الله ليأمر خاتم أنبيائه باتباع ملة رجل كذاب =

فذهب لوط الى سادوم وعامورة فى دائرة الأردن وأقام ابراهيم حيث كان (١)

=(٦) ـ أمر الله رسوله محمدا ﷺ بأن يقول للزارين عليه انه هدى الى ملة ابراهيم بقوله ـ قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين (الأنعام ١٦١)

(٧) ـ قال الله تعالى . ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين (الأنبياء ١٥١)
وليس من رشد الرجل فى شيء أن يكون كذابا

(٨) ـ بعد أن ذكر الله تعالى ابراهيم وما حاج به قومه وذكر معه سبعة عشر نبيا قال لرسوله محمد ﷺ (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فهل كان الله تعالى يأمره بالاقتداء برجل كذاب ؟

(٩) ـ قال الله تعالى فى ابراهيم ـ وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين (النحل ١٢٢)
قال البيضاوى فى تفسير هذه الآية بأن الله حببه الى الناس حتى أن أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه .

(١٠) ـ وقال تعالى : رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين (الشعراء ٨٣ ، ٨٤)

قال البيضاوى فى تفسير هذه الآية أى وفقنى للكمال فى العمل لأنتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذى لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره

(١١) ـ قال الله تعالى فى ابراهيم ـ (وتركنا عليه فى الآخرين) أى أبقينا له دعاء الناس فى الزمن الباقى وتسليمهم عليه أمة بعد أمة وسلامهم الحسن وثناءهم عليه ـ فأى ثناء حسن يبقى لرجل ينبز بأنه كذاب قارف الكذب ثلاث مرات أو ستا فى الدنيا والكذب ينتظره أيضا يوم القيامة وقد قال المفسرون فى قوله تعالى (كذلك نجزى المحسنين) اشارة الى ابقاء ذكره الجميل بين الأمم

(١٢) ـ سئل رسول الله أيكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أيكون بخيلا قال نعم قيل أيكون كذابا قال لا ـ والكذاب جرىء على الله جبان أمام الناس فهو يستخفى من الناس بكذبه ويجابه الله بلا حياء وما كنت بالذى يصم ابراهيم بذلك

هذا وقد نص العلماء على أن الحديث اذا كانت روايتـــه آحادا وفيه نسبة المعاصى أو الكذب الى الأنبياء يرد وقد أورد ذلك حضراتهم

فى شرح العصام على العقائد النسفية بعد أن ذكر وجوب اتصاف الأنبياء بالصدق ما نصه : =

(١) يراجع الاصحاحان ١٢ و١٣ تكوين

دخول ابراهيم بهاجر

كانت سارة زوج ابراهيم عاقرا لم تلد وكان ملك مصر قد أعطى سارة على ما تقول التوراة

= اذا تقرر هذا فما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أومعصية . فما كان منقولا بطريق الآحاد فمردود ـ وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره ان أمكن . والا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة

وجاء فى الحاشية عليه « قوله فما كان منقولا بطريق الآحاد » سواء بلغ حد الشهرة أو لا فمردود لأن نسبة الخطأ الى الرواة أهون من نسبة المعاصى الى الأنبياء . وما كان بطريق التواتر فقسمان ما يمكن حمل خصوصياتها على امر يخرجها عن كونها ذنوبا كحمل قول ابراهيم عليه السلام ـ انى سقيم ـ على انى سقيم فيما بعد فيحمل عليه ان أمكن والا فيحمل لفظ الذنب الواقع فيه على ترك الأولى الخ ـ راجع صفحة ٤٦٨

وجاء فى شرح عبد الحكيم السيالكونى على العقائد العضدية مانصه «واذا تقرر هذا فما نقل عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما يشعر بمعصية أو كذب فما كان منقولا بطريق الآحاد فمردود. وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره ان أمكن ، وإلا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة ص٢٠٣ »

نظرت الى ذلك والى الأحاديث التى فيها رمى ابراهيم بالكذب وهى أحاديث آحاد ـ فتركتها وصرفت النظر عنها

لقد افترضت انها منقولة نقل تواتر . وإنى أشرع فى تأويلها على وجه ملائم ان أمكن ولكنى وجدت قراء كتابى سوف لا يكونون من صنف واحد ومتى سمعوا الأحاديث وفيها كذب ابراهيم ثلاث كذبات يعاق ذلك فى أنفسهم ولا ضمان على اقتلاع ذلك من عقولهم بالحمل والتأول فيكون ذلك سببا لضلالهم

وقد نظرت أيضا إلى مانصه الفخر الرازى ج ٦ صفحة ١٢ الطبعة الثانية سنة ١٣٢٤ فى تفسيره. سورة الأنبياء فوجدته يقول

فان قيل قوله « بل فعله كبيرهم » كذب . والجواب : للناس فيه قولان . أحدهما وهو قول كافة المحققين أنه ليس بكذب . وذكروا فى الاعتذار عنه وجوها .

ثم أطال فى تلك الوجوه وبعد ذلك قال .

القول الثاني وهو قول طائفة من أهل الحكايات ، =

جارية مصرية وتألمت سارة إذ لم تجد لابراهيم نسلا وهى قد شاخت ولا يرجى لها أن تكون أما.

=ان ذلك كذب . واحتجوا بما روى عن النبى ﷺ أنه قال (لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات كلها فى ذات الله تعالى . قوله انى سقيم . وقوله بل فعله كبيرهم هذا . وقوله لسارة هى اختى .

وفى خبر آخر . أن أهل الموقف إذا سألوا ابراهيم الشفاعة . قال انى كذبت ثلاث كذبات . ثم قرروا قولهم من جهة العقل وقالوا . الكذب ليس قبيحا لذاته فان النبى عليه السلام إذا هرب من ظالم واختفى فى دار انسان وجاء الظالم وسأل عن حاله فانه يجب الكذب فيه . واذا كان كذلك فاى بعد فى أن يأذن الله تعالى فى ذلك لمصلحة لا يعرفها إلا هو .

واعلم أن هذا القول مرغوب عنه

أما الخبر الأول وهو الذى ردوه فلأن يضاف الكذب إلى رواته أولى من أن يضاف إلى الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، والدليل القاطع عليه أنه لو جاز أن يكذبوا لمصلحة ويأذن الله تعالى فيه ، فلنجوز هذا الاحتمال فى كل ما أخبروا عنه وفى كل ما أخبر الله تعالى عنه . وذلك يبطل الوثوق بالشرائع وتطرق التهمة إلى كلها ثم أن ذلك الخبر لو صح فهو محمول على المعاريض على ما قاله عليه السلام (ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب)

فاما قوله تعالى « انى سقيم » فلعله كان به سقم قليل واستقصاء الكلام فيه يجىء فى موضعه

وأما قوله « بل فعله كبيرهم » فقد ظهر الجواب عنه - (اى فى كلام الفخر)

أما قوله لسارة أنها اختى فالمراد أنها اخته فى الدين - واذا أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير نسبة الكذب إلى الانبياء عليهم السلام فحينئذ لا يحكم بنسبة الكذب اليهم الا زنديق - سورة يوسف (من الفخر الرازى ج ٥ ص ١١٩)

واعلم أن بعض الحشوية روى عن النبى ﷺ أنه قال (ما كذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات . فقلت الأولى ألا تقبل مثل هذه الأخبار - فقال على طريق الاستنكار فان لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة . فقلت له يامسكين ان قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم عليه السلام . وان رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة - ولاشك ان صون ابراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب) .

لذلك كله نحيت الحديث أو تنحيت عن طريقه حتى لا يشهد الجمهور اصطدام الحديث بآيات الكتاب الكريم وتركت تكذيب الفخر الرازى وغيره لسند ذلك الحديث واجابة المجيبين وتوجيه الموجهين لأن الجمهور لا خير له فى الوقوف على هذا الضرب . من الكر والفر=

فأتمرت مع ابراهيم . وكان عاقبة ذلك أن دخل ابراهيم على هاجر فأتت منه بغلام هو اسماعيل عليه السلام

= وقد نظرت إلى التوراة فوجدتها اذا تتبعت كانت سن سارة زوج ابراهيم نحو سبعين سنة حين كانت فى مصر - ووجدت أمرها مع ملك مصر محكيا فيها - وهو أن ابراهيم اتفق معها أن تقول عنه أخى وهو يقول اختى لئلا يقتل وان الملك أخذها وانه ضويق فى منامه وأخبر بانها ذات بعل فعاتب ابراهيم على ما كان منه ثم أحسن اليها واليه - وقد وقع فى نفسى أن ملكا مترفا يبعد أن تشره نفسه إلى من كانت تناهز السبعين فقلت ذلك

ورأيت أن التوراة تذكر أن مثل هذه الحادثة تماما حصلت لابراهيم وسارة فى أرض أبى مالك بعد أن بشرت باسحق وصكت وجهها وضحكت وقالت عجوز عقيم . أى بعد أن بلغت أكثر من تسعين سنة كما هو نص التوراة فاستبعدت ذلك أيضا .

جاء حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة وخفضوا العمر الذى بلغته سارة حين كانت فى مصر إلى سبع وخمسين سنة بناء على ما نقله الحافظ ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية من أن ابراهيم دخل بهاجر بعد خروجه من مصر بعشرين سنة .

أقول انى نقلت من كتب أهل الكتاب ماقلته كما نقل ابن كثير وهى تقول تكوين ص ١٦-٣١ فاخذت ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام فى أرض كنعان واعطتها لابرام رجلها زوجة له - وقد راجعت نسخ التواراة بالعبرية والعربية وراجعت كتاب اظهار الحق لعله يكون قد أخذ هذا الموضع على أهل الكتاب حين عد تخالف النسخ العبرية والسامرية واليونانيه . فلم اجد لذلك أثرا فلعل العشرة حرفت الى العشرين من خطأ نساخ كتاب البداية والنهاية أو أن الله رمى بالبركة فى العشرة فصارت عشرين :

ثم انهم فهموا أن السنوات العشر ابتداؤها من حين خروج ابراهيم من مصر إلى بلاد كنعان وليس على ذلك دليل والأقرب الى الحقيقة أن ابتداءها من نزوله من حران إلى كنعان وفى اثناء السنوات العشر كان تغربه فى مصر وعوده إلى أرض كنعان — لهذا أقول أن سارة كان لها من العمر نحو سبعين سنة حين كانت فى مصر .

أما الحديث فلم يبين كم كان عمرها . فاذا سلمنا جدلا أن ابراهيم قد كذب وكان من ضمن كذبه (أجله الله عن ذلك ونزهه) هذه الفعلة فلا يرد عليه الايراد الذى أوردته على التوراة ولكنى كنت اناقش شيئا وضعته أمامى وهو محط الاستبعاد - وليس الحديث امامى وهو لم يعين =

ولادة اسماعيل بن ابراهيم من هاجر

لم تفصل قصة ولادة اسماعيل ورزق والده به فى القرآن الكريم وإنما ذكرت فى سفر التكوين

= سنا ولا يتأتى عليه ذلك الاعتراض واعجب شيء أنهم يشتدون فى المدافعة عن التوراة كأنها نص قرآنى عندهم

أما قول حضراتهم (وعلى تسليم أن سنها كانت اذ ذاك سبعين لاوجه له الخ)

فاقول : ذلكم ليس إلى حضراتكم . فانكم تفرضون للمرأة التى رمت خلفها سبعين هلالا من أهلة الأعوام انها لم تزل حافظة لنضارة الشباب يرى الملوك المترفون أنها من آرابهم . فلكم ماشئتم ، وليس لكم ولا فى قدرتكم أن تزيلوا الاستبعاد من نفسى . فانى أتمشى مع سنة الوجود ومع المألوف المعروف ومع طبيعة الملوك واهل الترف الذين لا يرون التنعم إلا مع من كانت غير بعيدة العهد بأول الحياة وأما من قدمتها السن الى الشاطىء الثانى للحياة فلا يرون التمتع بها غنيمة

انا لا أمانع فى أن سارة كانت وضيئة ولكن وضاءة وجهها ما كانت لتحول دون ظهور امارات الكبر عليها وما كانت لتكف يد الدهر عن ان ترسم على جبينها وفى وجناتها وعند فمها الخطوط المنبئة عن قدم ميلادها الشاهدة بما حملت من أعباء الأعوام بحيث لا تكون موضع طماعية المترفين من الملوك .

ولعل حضرات أصحاب الفضيلة اقتدوا بقول القائل

تعشقها شمطاء شاب وليدها   وللناس فيما يعشقون مذاهب

لينظر القارىء الكريم معى الى لفظ الحديث الذى يعزونه الى رسول الله ﷺ فانه واجد قول ابراهيم لسارة . « ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فاخبريه انك أختى الخ » فالمنطق المعقول يقتضى انها اذا كانت امرأته يتركها لأنها مشغولة واذا كانت أخته فانه يأخذها لأنها غير مشغولة ببعل

ولكن المفسرين قالوا ان السياسة كانت على ان القوم كانوا لا يتعرضون لغير ذات البعل وإنما كانوا يعرضون لذات البعل ويأخذونها قهرا - أقول سلمنا جدلا أن السياسة كانت كذلك فما بالكم ناقضتم أنفسكم ونقضتم ما أبرمتم وقلتم ان الجبار أخذها وما هو الحامل للجبار على مخالفة القاعدة التى زعمتم انها كانت متبعة مرعية بين أولئك الأقوام - وبعد هذا فأين النقل الصحيح لذلك على أن حضرات أصحاب الفضيلة لو تحروا الحق فى شأن ابراهيم وكان كاذبا « حاشاه » كما =

مفصلة — وأما التى ذكرت فى القرآن الكريم فلم يذكر فيها آسماعيل وسنذكرها عند موقفه فى

يقولون لوجدوه قد كذب ست كذبات وهى: (١) قوله انى سقيم (٢) قوله بل فعله كبيرهم هذا (٣) قوله عن زوجه انها أختى (٤) قوله هـذا ربى حين رأى كوكباً (٥) قوله هذا ربى حين رأى القمر (٦) قوله هـذا ربى حين رأى الشمس . فهـذه ست كذبات ينتظره كذبات غيرهن يوم القيامة حين يهرع الناس اليه طالبين ان يشفع لهم فى فصل الخطاب إذ (يقول لهم لست هناكم انى كذبت ثلاث كذبات) مع انهن ست وهكذا يجعلونه كذابا فى الدنيا كذابا فى الآخرة ولم يكفهم تلك السبع من الكذبات حتى يتأولوا فيهن فتكون نتيجة التأول انه احتال على الناس وصرفهم عن إجابة طلبهم الى الشفاعة فى الموقف بمـا ليس عذرا حقيقيا اذ كذباته ليست مما يوجب عقابا فاجابته إنما هى تملص من طلبهم الذى افتدى منه بالصاق الكذب بنفسه وهو اعتذار لا يحسن لأن كذبه لا تبعة عليه فيه . فهل هذا لسان الصدق الذى جعله الله لابراهيم — اللهم اشهد على أنت وملائكتك انى أشهد ان ابراهيم لم يكن كاذبا ولا مفتريا

بقى ان أقول ان رد الفخر الرازى للحديث الذى ينبز فيه ابراهيم بالكذب هو الصواب الذى لا يشوبه خطأ والحق الصريح الموافق لأصول الاسلام لأنه حديث آحاد يلصق بأحد الأنبياء بل بأبى الأنبياء من بعده وهو خليل الله ابراهيم نقيصة شنيعة وهى الكذب والتهاون فى العرض . وقد مر بك أيها القارىء الكريم ان مثله يرد طبقا لما جاء فى العقائد النسفية وشرحها والرسالة العضدية وحاشية عبد الحكيم السيالكوتى عليها وما نقلناه عن ابن حجر فى فتح البارى

كتب أصحاب الفضيلة فى الرد على ما ذهب اليه الفخر الرازى من عدم قبول الأحاديث الدالة على كذب ابراهيم ﷺ فأجابوا عن شق وقالوا لقد رد عليه العلماء — ومع كونهم هم ومن ردوا على الفخر الرازى لم يصيبوا المحز ولم يطبقوا المفصل لأنهم لم ينقضوا الأصل الذى رمى اليه وقد اجتمعت عليه كلمة المتكلمين وأهل الحديث ، فقد تركوا ما أورده من القطع بأن الله تعالى لا يرخص لأحد من أنبيائه فى الكذب لأن ذلك يرفع الثقة من الأوامر الالهيـة والنواهى . لاحتمال أنها مما رخص الله فيه لهم بالكذب

وبعد هذا . فهل ما حصل من ابراهيم هو كذب أو صورة كذب كما يدعون

والجواب كلا - فان قوله إنى سقيم يحتمل أنه كان به سقم خفيف أو انه كان سقيم البـــاطن والضمير قلق الخاطر مألوما فى نفسه لرويته قومه يعبدون غير الله ولا يصغون لعظة ولا نصيحة وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا . فان الجواب عليه يحتاج الى أن نشرح ماهو الكذب فنقول - الكذب

« تابع الهـــامش »

الاخبار عن الشيء على غير ما هو عليـــه فى الواقع مع اعتقاد المخبر ان ما قاله غير مطابق للواقع قاصداً بذلك خديعة السـامع لخبره وإيهامه ان الشيء على ما أخبر به ابتغاء إضلاله عن الحق مع إمكان أن يقع كلامه من السامع موقع الصدق

فاذا كان الـكلام لا يمكن ان يفيد ذلك لم يكن هناك كذب فى الخبر

فهل كان ابراهيم يضلل قومه ليعتقدوا ان الصنم الأكبر قد حطم سائر الأصنام

كلا فان الذى يعتقد ان الصنم المصنوع من خشب أو غيره من حجر أو معدن يأخذه الغيظ من أمثاله فيعمد الى تحطيمهن . لايكون عنده ذرة من عقل — وما كان القوم بهـــذا المقدار من الغباء - بل مثله فى ذلك الأخبار مثل من يأتى الى مصحف قـد كتبته بخط بديع . فيقول لك أأنت كتبته . فتقول له وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب - بل أنت كتبته على سبيـل التهكم والاستهزاء به . فانك لا تريد أن تضله عن الحق وتجعله يعتقد ان الـكتابة الجميلة من صنع يده - ومتى خرج الخبر الى التهكم خرج عن الخبرية إلى الانشاء ولم يكن محتملا للصدق والـكذب أصلا - فابراهيم إنما قال لهم ما قاله على سبيل الاستهزاء بهم ، وليجرهم إلى إقامة حجته واضحة جلية - ومعلوم انه لا كـذب فى ذلك

— وأما قوله عن زوجه - (أختى) فانه اذا كان قـد وقع منه ذلك فيحتمل ان تـكون أختـه حقيقة كما يحتمل ان تـكون ابنة عمه وإطلاق الأخت على بنت العم سائغ لا تنكره اللغة ويحتمل ان تـكون بعيدة منه وانه يريد أختى فى الدين — كل محتمل ولا كـذب فيه

وعلى ذلك لم يحصل من ابراهيم كـذب ولا صورة كـذب

بقى أن أقول ان لى سلفا فى رد الأحاديث النـاطقة بكذب ابراهيم (نزهـه الله عن ذلك) وهو الفخر الرازى وقد حاول حضراتهم الحط من هـذا القول . لأنهم متى زيفوا الفخر الرازى فقـد زيفوا قولى . وأكبر ظنى انهم لو لم يجدوا كـلام الفخر الرازى مطابقا لما أوردته لما خطر ببالهم هذا الخاطر لأنى أنا المقصود بذلك دون غيرى — وآية ذلك أنهـم يعلمون ان الفخر الرازى قال ذلك قبل أن يصدر كـتابى . ومع ذلك فلم تنشط باحد منهم همتـه الى الرد عليـه وأن يعلنوا ذلك للأمة حتى لا تضل بقول الفخر الرازى

وبعد هذا فهل يظن حضراتهم ان قولهم . ومن ردوا على الفخر الرازى أولى عندى بالقبول من قوله ؟ أو ان ثقتى بعلم الرادين وصحة فـكرهم فى كـتاب الله وثقوب ذهنهم أكبر عندى من الثقة بالفخر الرازى فى ذلك كله ؟ اذا كان أحد قد أخبرهم بذلك فقد افترى إثما عظيما ولم يصدقهم من بكره

« تابع الهامش »

على أني لو كان حتما على ان ألغى عقلى ولم يكن لى بد من ان أقلد فانى لا أختار حضراتهم ومن ردوا على الفخر الرازى ان أكون تابعا خطواتهم سائرا على نهجهم . بل إنى أختار الفخر الرازى ومن كانوا على سبيله ان أقتدى بهم اذا كان لا بد من الاقتداء ـ فانى لم أعهده الا قوالا للحق غير متجانف عن سبيل الرشد ولا محكم هواه ولا حاطب فى حبل غيره ـ وهو مأجور على مايبدى من رأى او فهم أصاب أو أخطأ لأنه مجتهد فى تحصيل الحق على كل حال

قال أصحاب الفضيلة « هذا ولنختم هذا الموضوع بما ذكره الحافظ ابن كثير فى تاريخه فى نسب سارة ليعلم منه خطأ القول بانها اخته حقيقة — قيل انها ابنة ملك حران . ، والمشهور انها ابنة عمه هاران ـ قال ومن زعم أنها ابنة اخيه هاران أخت لوط كما حكاه السهيلى عن العبسى فقد أبعد النجعة وقال بلا علم . ومن ادعى ان ذلك كان مشروعا فليس له على ذلك دليل ولو فرض أن هذا كان مشروعا فى وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فان الأنبياء لا تتعاطاه » اه

والذى أقوله انى لم أجزم بان سارة كانت أختا لابراهيم حقيقة . بل قلت (اذا صح انها كانت أخته حقيقة وصح انه قال انها أختى كما قالت التوراة الخ) فايهامهم انى جزمت فى كلامى بانها أخته غير صحيح ، وقولى (هو الذى أميل اليه) ليس قطعا منى بذلك ، بل هو الذى أميل اليه اذا تحققت الفروض السابقة . ووجهة نظرى فى ذلك . انى أعلم كما يعلم حضرات أصحاب الفضيلة ان الأصل فى الأشياء الاباحة الى أن ياتى الشرع بالحظر كما فى شرب الخمر فانه كان مباحا الى ان أتى دين الاسلام بالحظر . ونعلم ويعلمون ان آدم كان يزوج أبناءه من بناته . فهذا الأصل ، وهو الاباحة يستصحب الى أن يأتى أمر الشارع بالمنع ـ وبعد هذا نقول يحتمل أن تكون سارة أختا لابراهيم كما يحتمل أن تكون أجنبية منه أو قريبة له قرابة بعيدة أو قريبة . وانى على أتم الاستعداد للقول بأنها غير أخته قطعا متى أوقفنى حضراتهم على نص من عندنا معشر المسلمين يقطع بأنها ، ليست أختا له

هذا وقد سبق أن جزم بأنها أخته العلامة رحمة الله الهندى فى كتابه إظهار الحق وهو أعظم كتاب وجد فى مكافحة أهل الكتاب ورد افترائهم على دين الاســلام وفى إثبات تحريف أهل الكتاب لكتبهم خطأ وعمدا

وأما قول الحافظ بن كثير والمشهور انها ابنة عمه هاران فانى أقول يحتمل ان يكون لابراهيم عم اسمه هاران ولكنى لم أقف على ذلك ولم أدر من أين أخذه . ولو صح ذلك كان اطلاقه لفظ الأخت على بنت العم سائغا لجريان العرف بذلك فلعلهم كانوا مثلنا فى ذلك ـ وأما قوله فان

الأنبياء لا تتعاطاه فهذه الدعوى ينقصها الدليل . وعلى ذلك فيبقى الأمر محتملا كما قدمت

ان الضجة التى أثارها أصحاب الفضيلة حول هـــذه المسألة التى ربوها حتى صار امرها امرا وشبت عن الطوق - كانت سببا فى إطلاق ألسنة المستهزئين والخلعاء فى ابراهيم ونسبته الى ما أنزه ابراهيم عنه وأنزه لسانى عن أن ينطق به وقلمى عن ان يخطه حتى ان بعضهم شبه موقفى مع حضراتهم بموقف عبد الرحمن بن الحكم مع معاوية

أما كان الأجدر بحضراتهم ان يطووا هذا الأمر كما طويته وان يربأوا بأنفسهم عن ان يكونوا سببا فى قالة السوء عن نبى كريم وإطلاق ألسنة من يساوى ومن لا يساوى فى حقه ؟ - أأمنتم ان يلاقيكم ابراهيم فى الآخرة وان يعاتبكم على ما كان منكم من جعله عرضة لقالة مكروهة أو منديلا يمسح به أعداء الله ورسله مقاذيرهم - ، أيكون اعتذارهم بانهم قد عز عليهم ان تكون ساحته بريئة من الكذب فاحبوا أن يكملوا نقصه ؟

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

(١) وأما عبارة التكوين فهى فى الاصحاح ١٦ هكذا

(١) وأما ساراى امرأة ابرام فلم تلد له . وكانت لها جارية مصرية هاجر

(٢) فقالت ساراى لابرام هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ادخل على جاريتى لعلى ارزق منها بنين فسمع ابرام لقول ساراى

(٣) فاخذت ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام فى أرض كنعان واعطتها لابرام زوجة له

(٤) فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينها

(٥) فقالت ساراى لابرام . ظلمى عليك . أنا دفعت جاريتى إلى حضنك فلما رأت أنها حبلت صغرت فى عينها . يقضى الرب بينى وبينك

(٦) فقال ابرام لساراى هوذا جاريتك فى يدك افعلى بها مايحسن فى عينك فاذلتها ساراى فهربت من وجهها

(٧) فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية . على العين التى فى طريق شور

سنة الختان

وقد عهد الله الى ابراهيم بالختان وكانت سنه إذ ذاك تسعة وتسعين سنة . وكان اسماعيل قد بلغ ثلاث عشرة سنة فاختتن ابراهيم واسماعيل وكل من كان لابراهيم من العبيد (١) وفي انجيل برنابا ان سبب الختان ان آدم لما عصى ربه نذر ان يقطع من نفسه عضوا اذا تاب الله عليه فلما قبلت توبته وأراد الوفاء بنذره احتار ماذا يصنع ، فدله جبريل على هذا الموضع فقطعه — ولعل أبناءه تركوا هذه السنة حتى أمر الله ابراهيم باحيائها

ابراهيم والملائكة

ومن مواقف ابراهيم عليه السلام انه رأى ثلاثة رجال في البرية فاستقبلهم وكان ابراهيم يحب قرى الأضياف . فمالوا اليه . فصنع لهم طعاما وعمد الى عجل سمين فذبحه وسواه في النار وجاء به . حنيذا قد أثرت فيه النار وجعلت لونه الحمرة . وقربه اليهم . فلم تمتد الى طعامه أيديهم . فارتاب في

---

(٨) وقال ياهاجر جارية ساراى من أين أتيت والى أين تذهبين فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى

(٩) فقال لها ملاك الرب ارجعي الى مولاتك واخضعي تحت يديها

(١٠) وقال لها ملاك الرب . تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة

(١١) وقال لها ملاك الرب . ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل . لان الرب قد سمع لذلتك

(١٢) وإنه يكون إنسانا وحشيا (١) يده على كل واحد ويد كل واحد عليه

(١٣) فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت أيل رئي . لأنها قالت أها هنا أيضا رأيت بعد رؤية

(١٤) لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي . ها هي بين قادش وبارد

(١٥) فولدت هاجر لابرام ابنا . ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل

(١٦) وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام

(١) كما في الاصحاح ١٧ تكوين)

---

(١) عبارة التوراة العبرية هكذا - وهو يهي (فره آدم) ففيروها بقولهم انه يكون انسانا وحشيا - وحقيقتها انه يكون انسانا قويا - ولكنهم لم يجدوا اسوأ من كلمة (وحشي) ليصفوا بها اسماعيل

شأنهم وأوجس منهم خيفة . فخاطبهم فى هذا الشأن فعلم أنهم ملائكة أرسلهم الله للانتقام من أهل سادوم وعامورة وهم المعبر عنهم بقوم لوط . وكانت سادوم وعامورة فى مكان البحر الميت المعروف اليوم ببحر لوط ويقال أنه ظهرت بشاطئه بعض آثارهما

دفاع ابراهيم عن لوط بن اخيه

خاف ابراهيم من هذا العذاب النازل أن يمس ابن أخيه فقال لهم . إن فيها لوطا . فقالوا له نحن أعلم بمن فيها وانه وأهله من الناجين

مجادلة ابراهيم عن قوم لوط

كان ابراهيم عليه السلام رجلا رقيق القلب . فلما علم أن قوم لوط هالكون وان الملائكة قادمون لانفاذ الأمر فيهم . أخذته الشفقة عليهم . فاخذ يجادل فى شأن قوم لوط ويستنزل الرحمة بهم . رجاء أن ينظر الله اليهم نظر رحمة . قال تعالى . (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب) . وهذه المجادلة عنهم لم تفصل فى القرآن الكريم [١]

---

(١) ولكنها فصلت فى سفر التكوين ص ١٨ هكذا

٢٢ وانصرف الرجال (الملائكة) من هناك وذهبوا نحو سدوم . وأما ابراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب ٢٣ فتقدم ابراهيم وقال . أفتهلك البار مع الأثيم ٢٤ عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة . أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه

(٢٥) حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر . أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم . حاشا لك . أديان كل الأرض لا يصنع عدلا ؟

(٢٦) فقال الرب ان وجدت فى سدوم خمسين بارا فى المدينة فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم

(٢٧) فأجاب ابراهيم وقال إنى شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد

(٢٨) ربما نقص الخمسون بارا خمسة أتهلك كل المدينة بالخمسة فقال لا أهلك ان وجدت هناك خمسة وأربعين

(٢٩) فعاد يكلمه أيضا وقال عسى أن يوجد هناك أربعون فقال لا أفعل من أجل الأربعين

(٣٠) فقال لا يسخط المولى فأتكلم عسى أن يوجد هناك ثلاثون فقال لا أفعل ان وجدت هناك ثلاثين

البشرى باسحاق

والبشرى التى بشر بها ابراهيم هى أن الملائكة قالوا له اننا جئنا لنبشرك بغلام عليم فراجعهم قائلا ابشرتمونى على أن مسنى الكبر وصار لا يرجى لمن كان مثلى أن يلد وامرأتى عاقر قد بلغت سن اليأس. وكانت سارة تسمع كلام الملائكة لابراهيم فضحكت من هذه البشرى العجيبة. وقالت كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً؟ وابدت غاية الاستغراب فأحال الملائكة الأمر على قدرة الله الذى لا يعجزه شىء - وأقنوا وقتا لهذا الأمر ثم فصلوا عن ابراهيم الى سدوم وعامورة

اقرءوا هذه الآيات:

(٦٩) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ.

(٧٠) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ٧١ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ٧٢ قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ٧٣ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ٧٤ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ٧٥ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ٧٦ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ

وفى سورة الذاريات: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ٢٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا

---

(٣١) فقال انى شرعت أكلم المولى. عسى أن يوجد هناك عشرون فقال لا أهلك من أجل العشرين
(٣٢) فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة فقال لا أهلك من أجل العشرة
(٣٣) وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع ابراهيم ورجع ابراهيم الى مكانه.

سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ الَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ٢٦ فَقَرَّبَهُ الَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٢٨ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ (١) فَصَكَّتْ
وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ٢٩ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ انَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ
أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١ قَالُوا انَّا أُرْسِلْنَا الَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ٣٣ مُسَوَّمَةً
عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ .

حب الاستطلاع فى ابراهيم

كان ابراهيم عليه السلام محبا للاستطلاع شغوفا بأن يرى الشىء الذى يقع عنده موقع الغرابة . وقد أوحى اليه أن الله سيحيى الموتى ويحشرهم ليوم لا ريب فيه ويجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته . فأحب أن يرى ميتا عاد حيا فسأل الله ذلك فقال الله له أو لم تؤمن ؟ قال بلى . ولكن ليطمئن قلبى . فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير فيقتلها ويفرق أجزاءها على الجبال ثم يدعوها فانه سيجدها آتية اليه وحينئذ يكون قد رأى الميت قد عاد حيا . ففعل ودعا الطيور فعادت اليه صحيحة كأنها لم تذق للموت طعما (٢)

---

(١) أى فى شدة من الكرب

(٢) وهذا الشأن من شؤون ابراهيم قد ذكر فى سفر التكوين فى الاصحاح الخامس عشر على غير هذا الوجه بل على وجه ان ابراهيم أراد أن يعلم انه سيرث الأرض التى وعده الله أن تكون لنسله وذريته فأراد الله أن يعلمه ذلك وأمره أن يأخذ عجلة ثلاثية وعنزا ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة فأخذها وشق ما عدا الحمامة واليمامة وجعل كل شق مقابل صاحبه فنزل الجوارح على الجثث وعند الغروب وقع سبات على ابراهيم وظلمة ورعب وفى تلك الحال قال الله لابراهيم ان نسلك سيستعبدون فى أرض الغربة ويذلون أربعمائة سنة ثم يخرجون فى الجيل الرابع يرجعون الى هذه الأرض ويملكونها . ولما غابت الشمس أنزل الله تنور دخان ومصباح نار جازا بين القطع وقطع الله العهد لابراهيم ان أولاده يأخذون هذه الأرض ويطردون منها أهلها

الاصحاح الخامس عشر تكوين : - ٧ - وقال له أنا الرب الذى أخرجك من (أور)

اقرؤا قوله تعالى فى سورة البقرة (وَإِذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى . قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)

والقرآن نزل مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه فهو الواجب التصديق دوما خالدا

الـكلدانيين(١) لأعطيك هذه الأرض لترثها

(٨) فقال ابراهيم أيها السيد الرب بماذا أعلم انى أرثها

(٩) فقال له خذ عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة

(١٠) فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه

(١١) وأما الطير فلم يشقه فنزلت الجوارح على الجثث وكان ابرام يزجرها

(١٢) ولما صارت الشمس الى المغيب وقع على ابرام سبات واذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه

(١٣) فقال لابرام اعلم يقينا ان نسلك سيكون غريبا فى أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربعمائة سنة (٢)

(١٤) فالأمة التى يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة

(١٥) وأما أنت فتمضى الى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة

(١٦) وفى الجيل الرابع يرجعون الى هنا لأن ذنب الأموريين ليس الى الآن كاملا

(١٧) ثم غابت الشمس فصارت العتمة واذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع

(١٨) وفى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك اعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الـكبير نهر الفرات

(١٩) القينيين والقنزيين والقدمونيين (٢٠) والحثيين والفرزيين والرفائيين (٢١) والأموريين والـكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين

---

(١) بلد كان قرب الشاطىء الغربى للفرات كما تقدم

(٢) ليعلم القارىء ان الاربعمائة سنة تحسب من وقت الميثاق لا انها مدة بقائهم فى أرض الغربة فان المحققين على أن مده غربة بنى اسرائيل فى مصر (٢١٥ سنة

إسحق عليه السلام

رزق أبيه به

قدمنا ان الملائكة بشروا ابراهيم بابنه اسحاق وان سارة ضحكت من هذه البشرى عجبا من أن يكون نسل بين شيخ وامرأة عاقر قد بلغت من الكبر عتيا وان الملائكة قالوا لها ان هذا وعد من الله القادر (قالوا أتعجبين من أمر الله)

لم يحل الحول على سارة وهى بنت تسعين سنة حتى حملت باسحاق ولما ولدته أسمته (يصحق) وترجمتها يضحك تريد ان كل من سمع بولادة هذا الولد من أبويه هذين يضحك لما فى هذه الولادة من الغرابة وقد آل أمره الى ان يكون نبيا لقوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) وقوله (وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) - (ووهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا)[1]

تغرب ابراهيم فى ارض أبى مالك .. (ملك جرار)

قبل أن يرزق ابراهيم بابنه اسحاق كان قد انتقل الى الجنوب وتغرب فى جرار وسكن بين قادس وشور

وشور هذه هى الطريق الذى يسلكه من خرج من مصر يريد بلاد العراق ولما كان فى جرار خاف الملك أن يهلكه اذا علم أنه زوج لسارة حتى تخلص له فقال حين سئل عنها أنها أختى

---

(١) وقد جاء فى التوراة قصة رزق ابراهيم وزوجه بولدهما اسحاق هكذا فى سفر التكوين الاصحاح الحادى والعشرين

(١) وافتقد الرب سارة كما قال وفعل الرب لسارة كما تكلم

(٢) فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابنا فى شيخوخته فى الوقت الذى تكلم الله عنه

(٣) ودعا ابراهيم اسم المولود له الذى ولدته سارة اسحاق

(٤) وختن ابراهيم اسحاق وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله

(٥) وكان ابراهيم ابن مائة سنة حين ولد له اسحاق ابنه

(٦) وقالت سارة قد صنع الله الى ضحكا كل من يسمع يضحك لى

(٧) وقالت من قال لابراهيم سارة ترضع بنين حتى ولدت ابنا فى شيخوخته فكبر الولد وعظم وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحاق

وكانت وضيئة فأرسل الملك فأخذها وقبل ان يقترب الملك الى سارة أرِيَ في منامه ما أفزعه وأنذر أنه ميت بسبب المرأة التي آخذها وهي متزوجة فاحتج في نومه بأنه برىء لا يستحق ما يهدد به من القتل لأنه قال عنها أختي وهي قالت عنه أخي وانه لم يعمل الا بسلامة قلبه ونقاوة يده ولم يقترف اثما فأمر برد المرأة الى زوجها لأنه نبي وانه سيدعو له فلا يموت بهذا السبب وانه اذا لم يردها فانه يموت

فلما هب الملك من نومه أخبر عبيده وخاصته وأرسل الى ابراهيم وعاتبه فيما صنع معه حتى كاد يجلب عليه وعلى شعبه غضب الله . وانه بقوله اختي عمل معه ما لا يعمل وأطال في عتاب ابراهيم فما كان جواب ابراهيم الا الاعتذار بخوفه من ان يقتلوه لأجل امرأته وما يظن انأحدا في هذه الأرض يخاف الله — ثم ترقى في الاعتذار بأنه لم يكذب لأنها أخته حقيقة لأبيه ولم تكن أخته لأمه فلم يقل إلا حقا

فأخذ الملك غنما وبقرا وعبيدا وأماء واعطاها لابراهيم ورد عليه سارة وأباح له أرضه يتبوأ منها حيث يشاء وقال لسارة إني اعطيت اخاك الفا من الفضة اكراما لك فدعا له ابراهيم فشفى الملك وجواريه ونساؤه من كل ما كان الله قد ابتلى به الملك ونساءه وجواريه لأنه كان قد اعقم ارحامهن وفي تلك الجهة كانت ولادة إسحاق وقصة ارتحال ابراهيم الخ لم تذكر في القرآن وانما ذكرت في التوراة ـ وقد اعادوا لنا بها القصة التي وقعت في مصر وانا استبعد حصولهما لأن سارة ايام كانت في مصر كانت بنت سبعين سنة وحين كانت في ارض ابي مالك كانت سنها احدى وتسعين سنة وليس من المستساغ ان يطمع ملك مترف في بنت سبعين او تسعين .[1]

---

[1] (١) وانتقل ابراهيم من هناك الى ارض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار
(٢) وقال ابراهيم عن سارة امراته هي أختي فارسل ابو مالك ملك جرار واخذ سارة
(٣) فجاء الله الى ابى مالك في حلم الليل قال له ها أنت ميت لأجل المرأة التي أخذتها فانها متزوجة ببعل
(٤) ولكن لم يكن أبو مالك قد اقترب اليها فقال يا سيد أأمة تقتل بامرأة
(٥) ألم يقل هو لي انها اختي وهي ايضا نفسها قالت هو اخي بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا
(٦) فقال له الله في الحلم انا ايضا علمت انك بسلامة قلبك فعلت هذا وانا ايضا امسكتك من ان تخطىء الي لذلك لم ادعك تمسها
(٧) فالآن رد امراة الرجل فانه نبي فيصلي لاجلك فتحيا وان كنت لست تردها فاعلم انك

مسألتان

الأولى : ان كان صحيحا ما جاء فى عبارة التوراه من أن إبراهيم اتفق مع سارة على ان يقول أنها أختى وتقول هى أنه أخى وكانا أخوين حقيقة يكون ذلك قبل تشريع تحريم الأخت على أخيها وهذا هو الذى أميل إليه ان كان ذلك حقا وحينئذ لا حاجة إلى قول (أنها أخته فى الدين) لان أولئك المتأولين مادعاهم إلى التأويل إلا اعتقادهم أن الشريعة التى كان عليها إبراهيم كانت كشريعة موسى صلى الله عليه وسلم من تحريم الأقارب ديناً كالأخت والعمة وهذا ما ليس فيه نص قطعى

هذا موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب اسرائيل الله وأمه يوكابد بنت لاوى فيكون عمران متزوجا بعمته كما تدل عليه عبارة الايات ٥٧، ٥٨، ٥٩ من الاصحاح السادس والعشرون من سفر العدد وهو من الاسفار الخمسة التى يعزونها إلى موسى — وقد رأيت فى تاريخ القضاعى أنه مر بمسالة إخوة سارة ولم يذكرها: أصلا وحسنا فعل وأنتم تعلمون انى أشك فيها شكا قويا وفيه أيضا أنها كانت ابنة عمه

الثانية — لاشك أن ابراهيم كان عالما بانه متى قال عن زوجه أنها أختى فان الملك أو غيره من الأمراء سياخذها زوجة أو جارية له ويفترشها افتراش الزوجة أو الأمة — فكيف تسمح

موتا تموت انت وكل من لك

(٨) فبكر ابو مالك فى الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام فى مسامعهم نخاف الرجال جداً ثم دعا ابى مالك ابراهيم قال له ماذا فعلت بنا وبماذا اخطات اليك حتى جابت على وعلى مملكتى خطيئة عظيمة اعمالا لا تعمل عملت فىّ

(١٠) وقال ابى مالك لابراهيم ماذا رايت حتى عملت هذا الشيء

(١١) فقال ابراهيم إنى قلت ليس فى هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلوننى لأجل امرأتى

(١٢) والحقيقة أيضا هى أختى ابنة أبى غير أنها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجة .

(١٣) وحدث لما أتاهنى الله من بيت أبى انى قلت لها هذا معروفك الذى تصنعين الى فى كل مكان نأتى اليه قولى عنى هو أخى

(١٤) فأخذ أبى مالك غنما وبقرا وعبيدا وأماء وأعطاها لابراهيم ورد اليه سارة امرأته

(١٥) وقال أبى مالك هو ذا أرضى قدامك اسكن فيما حسن فى عينك

نفس ابراهيم بهذا العمل يؤتى إلى زوجته ؟ والرجولة والمروءة تاءبيان مثل هذا العمل بل الموت فى هذا السبيل فخر وذكر

وليس لنا جواب بازاء هذا إلا أن نقول (إذا صح وقوع شىء من ذلك) أن إبراهيم لا يمكن أن ياتى هذا العمل إلا بسابق وعد من الله تعالى أن يحفظها ممن يريد أن يمسها ـ فاتيا هذا الأمر وفى يد إبراهيم وثيقة من إلهه القادر بحفظه فيها وحياطتها من كل من يريد أن يقترب اليها بسوء وعاقبة ذلك كله الخير لابراهيم بمايدره الملك عليه وعلى زوجه كما حصل فى هذه الدفعة وفى مصر وهى تشبه هذه تماما — على أنى أشك فى ذلك كما قدمت

إسماعيل عليه السلام

وإقدام ابيه على ذبحه

هنا نذكر قصة اسماعيل لقصرها ولأنها على التحقيق جزء من قصة ابراهيم فليس غريبا أن تذكر فى خلالها

لم تقص فى القرآن قصة اسماعيل وانما ذكر اسمه فى القرآن وأثنى عليه الله تعالى بقوله فى سورة مريم (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)

وجاء فى القرآن قصة ذبح إبراهيم لولده وهمه بذلك إلى أن نودى بالكف عن ذبحه وأنه فدى بكبش يذبح عوضا عنه

كانت المنامات عند الصالحين من عباد الله بمثابة الوحى والأمر المباشر وقد رأى ابراهيم فى منامه انه أمر ان يقدم ابنه قربانا لله ويحرقه كما تقدم القرابين وتحرق وكان ذلك الولد إسماعيل على ما نذكر فيما بعد فصدع إبراهيم بذلك الأمر الصادر اليه فى المنام وعرض الأمر على ولده فتقبل القضاء بالرضا وقال ـ يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . ويقول بعض المفسرين انه رأى فى منامه انه يذبح ذلك الولد عملا فقص ذلك على ولده فشجعه ابنه على أن يحقق منامه فلما حق العمل وأهوى بالمدية الى ذبحه ناداه الله بالكف . وان هذا العمل منه يكفى تصديقا

للرؤيا . ورأى ابراهيم كبشا قريبا منه فذبحه فدية عن ولده والآيات الخاصة بهذه الحادثة لم تذكر اسم ذلك الولد ولكن سياق الكلام وذكر تبشير ابراهيم باسحاق بعدها لا يكاد يبقى شكا فى أن الذبيح اسماعيل

اقرءوا قوله تعالى

سورة الصافات : وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ ٩٩ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ ١٠٠
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَى،قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ١٠٣
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ
الْمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ ١٠٨ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ١٠٩
كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١١١ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٢
وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ [1]

(ولا شك أن الضمير فى عليه راجع الى الذبيح) فالاتيان بالبشرى باسحاق بعد ذكر القصة صريح فى ان اسحاق غير الغلام الذى ابتلى الله ابراهيم بذبحه وعود الضمير الى الغلام الذبيح وذكر اسم اسحاق معه صريحا يقتضى التغاير بين الذبيح واسحاق (ومعنى تله صرعه والقاه على عنقه وخده)

اما هذه القصة فى التوراة فبطلها عند اليهود اسحاق وفى اعتقادى ان لفظ اسحاق حشر حشراً فى غضون القصة وذلك حرصا منهم على ان يكون ابوهم هو الذبيح الذى جاد بنفسه فى طاعة ربه

---

(١) قصة الذبح فى التوراة ـ الاصحاح الثانى والعشرون

(١) وحدث بعد هذه الأمور ان الله امتحن ابراهيم فقال له يا ابراهيم فقال ها انا ذا

(٢) فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذى تحبه (اسحاق) واذهب الى ارض الموريا [1] واصعده محرقة على احد الجبال الذى اقول لك

---

(١) جبل الموريا هو الذى عليه مدينة أورشليم

وهو فى حالة صغره . ودليلى على ان الذبيح هو اسماعيل من التوراة نفسها . ان الذبيح وصف بانه ابن ابراهيم الوحيد اى الذى ليس له سواه اذ سخاوة نفس ابراهيم بولده الوحيد يذبحه امتثالا لأمر ربه له فى منام ادل على نهاية الطاعة والامتثال لأمر الله . وهذا هو الاسلام بعينه اذ الاسلام هو الطاعة والامتثال وهو دين الله فى الأولين والآخرين واذا رجعنا الى اسحاق لم نجده وحيداً لابراهيم فى يوم من الأيام لأن اسحاق ولد ولاسماعيل نحو اربع عشر سنة كما هو صريح التوراة

---

(٣) فبكر ابراهيم صباحا وشد على حماره واخذ اثنين من غلمانه معه واسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذى قال له الله

(٤) وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وابصر الموضع من بعيد

(٥) فقال ابراهيم لغلاميه اجلسا انتما هنا مع الحمار واما انا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما :

(٦) فأخذ ابرهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحاق ابنه واخذ بيده النار والسكين فذهب كلاهما معا وكلم اسحاق ابراهيم اباه وقال : ياابى فقال ها انا ذا يا ابنى . فقال هو ذا النار والحطب ولكن اين الخروف للمحرقة

(٨) فقال ابراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابنى . فذهبا كلاهما معا فلما أتيا الى الموضع الذى قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب .

(١٠) ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه

(١١) فناداه ملاك الرب من السماء وقال يا ابراهيم فقال ها أنذا

(١٢) فقال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا لأنى الآن علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى (١)

(١٣) فرفع ابراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسك فى الغابة بقرنيه فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه

(١٤) فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه حتى انه يقال اليوم فى جبل الرب يرى

---

(١) وفى رأيى ان مسألة الذبح كانت قبل ولادة اسحق وان ابراهيم اسكن اسماعيل وامه مكان مكة قبل مسألة الذبح وانها حصلت بنواحى مكة لافى جبل الموريا

وتحريف أهل التوراة لتوراتهم أمر معلوم كثير الوقوع ومن شاء شيئا عن ذلك فليراجع إظهار الحق لرحمة الله الهندى راجع ١٢٦ الى ١٩٦ من الجزء الأول من كتاب إظهار الحق

وبقى اسماعيل الى ان مات ابراهيم وحضر اسماعيل وفاته ودفنه ـ وايضا فان ذبح اسحق يناقض الوعد الذى وعد به ابراهيم ان اسحق سيكون له نسل وستعلمون فيما يأتى ان مسألة الذبح وقعت فى مكة لأن اسماعيل ذهب به أبوه أيها رضيعا كما فى حديث البخارى الآتى

رحلة اسماعيل وهاجر الى وادى مكة

رحلة اسماعيل وهاجر الى مكة لم تفصل فى الكتاب الكريم ولم يذكر منها فيه سوى قوله تعالى على لسان ابراهيم (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم) . ويظهر لى ان ابراهيم دعا هذا الدعاء بعد بناء البيت ـ والوادى الذى لازرع فيه هو الوادى الذى به مكة اليوم ولم يبن بمكة شىء بعد البيت إلا فى القرن الثانى قبل الاسلام فى عهد قصى بن كلاب فانه بنى دار الندوة وتبعته قريش تبنى حول المسجد . وكان المسجد ساحة فبنوا حوله وذلك من نحو خمسين ومائة سنة قبل الاسلام راجع صبح الأعشى ٢٠٠ جزء رابع ومكة والحرم الذى حولها لا تنبت شجراً يثمر سوى شجر البادية فى صفحة ٢٥٥ من الجزء الرابع من صبح الأعشى قال ابن حوقل وليس بمكة والحرم شجر يثمر(١) الا شجر البادية أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار

ولقد فصلت مسألة ذهاب اسماعيل عن بلاد أبيه الى فاران فى سفر التكوين ونحن أولاء نسوقها هنا فى الهامش(٢)

---

(١) فى رأيى ان ذلك مبالغة فقد رأيت بجياد نخلتين

(٢) الاصحاح الحادى والعشرين تكوين

(٩) ورأت سارة ابن هاجر الذى ولدته من ابراهيم يمزح

(١٠) فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحاق

(١١) فقبح الكلام جداً فى عينى ابراهيم لسبب ابنه

(١٢) فقال الله لابراهيم لايقبح فى عينك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . فى كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها . لأنه باسحاق يدعى لك نسل

(١٣) وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك

(١٤) فبكر ابراهيم صباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا إياهما على كتفها والولد وصرفها فمضت وتاهت فى برية بئر سبع

(١٥) ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار

وفى البخارى ـ عن ابن عباس ان النبى ﷺ قال : (أول ما اتخذ النساء المِنْطَق من قبل . أم اسماعيل . اتخذت منطقا لتعفى أثرها على سارة . ثم جاء بها ابراهيم و بابنها اسماعيل وهى ترضعه حتى

---

(١٦) ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس لأنها قالت لا أنظر موت الولد فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت

فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافى لأن الله سمع لصوت الغلام حيث هو

(١٧) قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة

(١٨) وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام

(١٩) وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس

(٢٠) وسكن فى برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر

والذى ألاحظه أولا ان مؤلف كتاب التكوين أراد أن يوجد لسارة عذرا فى طلبها طرد هاجر وابنها فأتى بالآية الأولى من الاصحاح الحادى والعشرين ولكن الآية الثانية ناطقة بأن الحامل لها على طلب تغريب اسماعيل إنما هو غيرتها منه واثرتها وحبها ان يرث ابنها وحده ابراهيم دون اسماعيل — وقد قدمت ان هجرة اسماعيل وأمه او إبعادهما كان قبل وجود اسحق وانهما وجدا بتهامة الحجاز قبل ذلك . وفى حديث البخارى ان اسماعيل كان رضيعا حين أبعد هو وأمه الى مكة ومحال ان يكون من رضيع مزح ولا غيره وإنما هى غيرتها من ان يكون لابراهيم ولد من غيرها تراه معها فى البيت — وتحريف اليهود لكتابهم أشهر من نار على علم

ثانيا ان عبارة الآية ١٤ تفيد ان البلاد التى سكنها اسماعيل وامه إنما هى برية بئر سبع ثم ذهب الى فاران ولم يذكر الوادى الذى هو مكة اليوم

ثم قال فى الآية وسكن فى برية فاران وفاران تطلق على مواضع منها جبال مكة كما قال فى لسان العرب — ونص عبارته وفى الحديث ذكر فاران وهو اسم عبرانى لجبال مكة شرفها الله ذكر فى أعلام النبوة

ويدل على أن اسماعيل سكن مكة الآية ١٨ من الاصحاح ٢٥ تكوين ونصها فى الترجمة العربية وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر حينما تجىء نحو اشور أمام جميع اخوته نزل ،وحويلة هى خولان وخولان قبيلة يمانية تسكن سراة اليمن مما يلى الحجاز وهذا دليل على ان مكة تشملها مساكن اسماعيل وبنيه

وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر . وسقاء فيه ماء . ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ولاشىء ـ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها ؛ فقالت له : آلله أمرك بهذا . قال نعم . قالت إذا لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات . ورفع يديه فقال : رب إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم . حتى بلغ « يشكرون » . وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى ـ (أو قال يتلبط) . فانطلقت كراهية أن تنظر اليه . فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها . فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى . ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم ترأحدا ففعلت ذلك سبع مرات ـ « قال ابن عباس ـ قال النبى ﷺ . فذلك سعى الناس بينهما » . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه « تريد نفسها » ثم تسمعت فسمعت أيضا . فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث : فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه (أو قال بجناحه) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا . وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . (قال ابن عباس قال النبى ﷺ يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا) . وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان هاهنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه . وأن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم (أو أهل بيت من جرهم) مقبلين من طريق كداء . فنزلوا فى أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء . لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء . فأرسلوا جريا أو جريين . فاذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء . فأقبلوا (قال) وأم اسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك . فقالت نعم . ولكن لا حق لكم فى الماء . قالوا نعم . (قال ابن عباس قال النبى ﷺ) فألفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس . فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل ابيات منهم وثب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب . فلما أدرك زوجوه امرأة منهم . وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته

فلم يجد اسماعيل . فسأل امرأته عنه . فقالت خرج يبتغى لنـــا . ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بشرٍّ نحن فى ضيق وشدة . فشكت اليه . قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه ـ فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا فقال هل جاءكم من أحد . قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته . وسألنى كيف عيشنا.فأخبرته أنا فى جهد وشدة . قال فهل أوصاك بشىء . قالت نعم . أمرنى ان أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك. قال ذاكِ أبى . وقد أمرنى ان أفارقك . إلحقى بأهلك . فطلقها . وتزوج أخرى . فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله ـ ثم أتاهم بعد فلم يجده . فدخل على امرأته فسألها عنه ، فقالت خرج يبتغى لنـــا . قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت نحن بخير وسعة وأثنت على الله . فقال ما طعامكم.قالت اللحم . قال فما شرابكم . قالت الماء . قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء . (قال النبى ﷺ ولم يكن لهم يومئذ حب . ولو كان لهم دعا لهم فيه : قال فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه) . قال : فاذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه ـ فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد . قالت نعم . أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه فسألنى عنك فأخبرته . فسألنى كيف عيشنا. فأخبرته انا بخير . قال فاوصاك بشىء . قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك . قال ذاك أبى . وأنت العتبة . أمرنى ان أمسكك ـ ثم لبث عنهم ما شاء الله ـ ثم جاء بعد ذلك . واسماعيل يبرى نبلا له قريبا من زمزم. فلما رآه قام اليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا اسماعيـل : ان الله أمرنى بامر . قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعيننى . قال : وأعينك . قال : فان الله أمرنى ان أبنى ها هنا بيتا ـ وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ قال . فعند ذلك رفعا القواعد من البيت . فجعل اسماعيـل ياتى بالحجارة . وابراهيم يبنى . حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له . فقام عليه وهو يبنى واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان «ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » . قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان « ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم») اه وقد قرأت فى كتاب من كتب الأدب العبرى قريبا من ذلك

بناء البيت

لما ترك ابراهيم اسماعيل وهاجر بالوادى الذى به مكة اليوم كان يزور ولده اسماعيـل الحين بعد الحين . ففى إحدى هذه الزيارات أمر الله تعالى ابراهيم واسماعيل ان يبنيا البيت فصدعا بالأمر وبنيا الكعبة ولما تم بناؤهما أمره الله تعالى ان يعلم الناس بأنه بنى بيتا لعبادة الله تعالى وان عليهم

ان يقصدوه للنسك وطلب ابراهيم واسماعيل من الله تعالى ان يريهما المناسك التى ينسكانها وبقى ابراهيم بعد ذلك زمنا طويلا حيا

والكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله تعالى فى حين ان بقية الشعوب والقبائل فى سائر أنحاء الأرض كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتماثيل

كان أهل مصر يعبدون آلهة متعددة تارة فى وقت واحد وتارة فى أوقات متعددة . فمن عبادة الشمس الى عبادة الثور إلى عبادة الآلهة الثلاثة ازوريس وابزيس وابنهما حوريس وكانوا يرمزون بذلك الى صفات الله تعالى ، ويصنعون التماثيل لتلكم الرموز . وكان الأشوريون يعبدون بعل شموش أى الاله الشمس ويصنعون له صنما على نحو أبى الهول له رأس انسان وجسم أسد وله أجنحة

وكان الكنعانيون يعبدون البعل وهو على وصف بعل شموش بدون اجنحة وقد رأيته مشوها فى معبد بعلبك المعروف الآن بقلعة بعلبك . وكان أهل نواحى غزة يعبدون داجون [1] ويصورونه انسانا له جسم سمكة والعمونيون وأهل باشان كانوا يعبدون بعل فغور واخرون كانوا يعبدون العشتارون (أى القمر) صنم على هيئة أنثى.

اقرءوا قوله تعالى فى سورة آل عمران (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ٩٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ ابْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ الَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَانَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٩٧) وفى سورة البقرة (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ ابْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى ابْرَاهِيمَ وَاسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٢٥ وَاذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٢٦ وَإِذْ يَرْفَعُ ابْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا انَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا

---

(١) هذا الاسم مأخوذ من كلمة (دج) العبرية ومعناها سمك

وتُبْ علينا انّكَ أنتَ التوّابُ الرّحيمُ ١٢٨ ربّنا وابعثْ فيهمْ رسولاً منهم يتلوا عليهمْ آياتكَ
ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكّيهم انّكَ انتَ العزيزُ الحكيمُ

وفى سورة ابراهيم وَاذ قالَ ابراهيم ربِّ اجعلْ هذا البلدَ آمناً واجنبنى وبنىّ انْ نعبدَ الاصنامَ
ربِّ انّهنّ اضللنَ كثيرًا منَ النّاسِ فمن تبعنى فانّه منّى ومنْ عصانى فانّكَ غفورٌ رحيمٌ ربّنا
انّى أسكنتُ منْ ذرّيتى بوادٍ غيرِ ذى زرعٍ عندَ بيتكَ المحرّمِ ربّنا ليقيموا الصّلاةَ فاجعلْ أفئدةً
منَ النّاسِ تهوى اليهم وارزقهم منَ الثّمراتِ لعلّهم يشكرونَ وفى سورة الحج وَاذ بوّأنا لابراهيمَ
مكانَ البيتِ ألّا تشركْ بى شيئًا وطهّرْ بيتى للطّائفينَ والقائمينَ والرّكّعِ السّجودِ وأذّنْ فى النّاسِ بالحجِّ
يأتوكَ رجالاً وعلى كلِّ ضامرٍ يأتينَ منْ كلِّ فجٍّ عميقٍ ٢٧ ليشهدوا منافعَ لهمْ ويذكروا اسمَ اللهِ فى
أيّامٍ معلوماتٍ على مارزقهم منْ بهيمةِ الانعامِ فكلوا منها وأطعموا البائسَ الفقيرَ ٢٨ ثمّ ليقضوا
تفثهم وليوفوا نذورهم وليطّوّفوا بالبيتِ العتيقِ ٢٩ ذلكَ ومنْ يعظّمْ حرماتِ اللهِ فهوخيرٌ له عندَ
ربّه وأُحلّتْ لكمُ الانعامُ الّا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرّجسَ منَ الاوثانِ واجتنبوا قولَ الزّورِ
حنفاءَ للهِ غيرَ مشركينَ بهِ ومنْ يشركْ باللهِ فكأنّما خرَّ منَ السّماءِ فتخطفهُ الطيرُ او تهوى بهِ الرّيحُ
فى مكانٍ سحيقٍ ٣١ ذلكَ ومنْ يعظّمْ شعائرَ اللهِ فانّها منْ تقوى القلوبِ ٣٢ لكمْ فيها منافعُ إلى
أجلٍ مسمّى ثمّ محلّها إلى البيتِ العتيقِ

وفى آيه ٣٤ منها ـ والبدنَ جعلناها لكمْ منْ شعائرِ اللهِ لكمْ فيها خيرٌ فاذكروا اسمَ اللهِ عليها
صوافَّ فاذا وجبتْ جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانعَ والمعترَّ كذلكَ سخّرناها لكمْ لعلّكمْ
تشكرونَ ٤٧ لنْ ينالَ اللهَ لحومها ولا دماؤها ولكنْ ينالهُ التّقوى منكمْ كذلكَ سخّرها لكمْ
لتكبّروا اللهَ على ماهداكمْ وبشّرِ المحسنينَ

استطراد

يريد بعض الناس ان ينفى العرب عن ابراهيم واسماعيل فيتذرع الى ذلك بنفى وجود ابراهيم واسماعيل تاريخيا بمعنى أنه لم يكن فى ذلك الوقت الذى يدعى لهما من يدون التاريخ ويسطر أحواله — ومعلوم أن عدم وجود مؤرخ يكتب عن ابراهيم واسماعيل لاينفى أنهما وردا سجل الحياة فان الجد الذى يكمل العشرة من أجدادى لم أعلم اسمه ولم يسجله تاريخ فهل معنى ذلك أن ليس لى جد عاشر ؟ وعلى النافى أن يثبت ان حوادث عصرهما مسجلة كبيرها وصغيرها بيد مؤرخين كانوا فى تلك الأمكنة فتركهما محدث للريبة على أن ابراهيم واسماعيل قد ورد الخبر عنهما متواترا والتواتر حجة قطعية

يقولون أن وجود ابراهيم واسماعيل انما هو أمر اخترعه اليهود بعد الهجرة ليتقربوا الى العرب المسلمين وهذا القول حجة داحضة لأنه يقتضى ان ذكر اسماعيل وانه أبو العرب المستعربة شىء اخترع زمن البعثة بعد الهجرة اخترعه اليهود ليوجدوا صلة بينهم وبين العرب فى حين أن مسألة اسماعيل موجودة فى سفر التكوين من أسفار التوراة . وقد ترجم فى نحو سنة ٢٨٠ قبل الميلاد من العبرية الى اليونانية فى عصر بطليموس فيلادلف . وهو بطليموس الثانى فى الترجمة المشهورة بالسبعينية التى قام على ترجمتها بالاسكندرية سبعون حبرا من أحبار اليهود وذلك قبل هجرة محمد ﷺ بتسعة قرون وهو دليل مؤرخ معروف فى التاريخ وتلك دعوى لا دليل عليها - رجعوا بعد ذلك يقولون ان ابراهيم لم يبن البيت واسماعيل لم يكن ولم يوجد بمكة وانه ربما كان هناك بلدة أخرى اسمها بكة خارج بلاد العرب وهى غير مكة وجد بها ذلك البيت الذى اخبر الله انه أول بيت وضع للناس وقد أعياهم أن يجدوا ذلك

ومعلوم أن لفظ مكة عربى والعربية احدى اللغات السامية وقد قال جورجى زيدان بك فى كتابه العرب قبل الاسلام ان لفظ « بيك » معناه البيت ، وعزا ذلك الى لغة سامية ومعلوم ان اللغة العربية فيها ابدال الباء ميما وبالعكس ومن القبائل التى تفعل ذلك مازن . فيقولون فى بكر مكر وفى مكان بكان : وعندنا فى بلاد الصعيد وغيرها أثر من ذلك الى اليوم . وفى بلاد العرب كذلك كما نص عليه صديقنا البحاثة الرحالة محمد لبيب البتنونى بك فى رحلته الحجازية فمكة هى عين بكة ومعناه البيت اطلق على ما جاوره توسعا . وهذه كلمة بعل بك مركبة من كلمتين بعل ومعناه الاله وبك ومعناه البيت أي بيت البعل اسم للمعبد الذي أقيم باسم البعل ووضع به صنمه وهو به الي اليوم مشوه

الوجه كما رأيته فى سنة ١٩٠٨ وقد اطلق هذا الاسم على المدينة التى فيها بيت البعل كما هو الواقع بمكة - هذا واما وصف الكعبة والحرم ومكة وتاريخ مكة والبيت فقد وفاه صديقنا البحاثة محمد لبيب البتنونى بك فى كتابة الرحلة الحجازية

اولاد اسماعيل

وقد ذكر فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين اولاد اسماعيل الذكور وهم اثنا عشر ولدا رؤساء قبائل [1] .

عمر اسماعيل ووفاته

وفيها ان اسماعيل عاش مائة وسبعا وثلاثين سنة وفيها ايضا ما يشير الى انه مات بفلسطين ولكن ما عليه مؤرخو العرب انه بمكة ويظن انه دفن بالحجر الذى بجوار البيت هو وامه

بقية اولاد ابراهيم غير اسماعيل واسحاق

هؤلاء الذين نذكرهم لم يبينوا فى القرآن ولم يذكر أحد منهم فى معرض انه من أولاد ابراهيم ولكن هذه الأمور ذكرت فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ونص عبارته كاف عن الشرح وهو

(١) عاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا

وفاة ابراهيم

لم يجر لوفاته ذكر فى القرآن ولكن ذلك ورد فى الاصحاح الخامس والعشرين تكوين من أول

---

(١) وهذا نص العبارة

١٢ وهذه مواليد اسماعيل بن ابراهيم الذى ولدته هاجر المصرية جارية سارة لابراهيم ١٣ وهذه اسماء بنى اسماعيل باسمائهم حيث تواليدهم

(١) نبايوت بكر اسماعيل (٢) وقيدار (٣) وادبئيل (٤) ومبسام (٥) ومشماع (٦) ودومة (٧) ومسا (٨) وحدار (٩) وتيما (١٠) ويطور (١١) ونافيش (١٢) وقدمه

١٦ هؤلاء بنى اسماعيل وهذه اسماؤهم بديارهم وحصونهم اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم

الآية السابعة الى آخر الآية العاشرة وملخصها ان ابراهيم عاش مائة وخمسا وسبعين سنة ولما مات دفنه اسحاق واسماعيل فى مغارة المكفيلة فى حقل عفرون بن صرصر الحثى وفيها دفنت سارة من قبل وهو الموضع الذى عليه مقام الخليل فى حبرون وتسمى مدينة الخليل - وكان اسمها فى الأصل - قرية اربع -

قصة اسحاق

قدمنا ما كان من تبشير الملائكة ابراهيم وزوجه سارة بولدهما وانها أسمته اسحاق ولم يذكر فى القرآن الكريم من قصصه الا البشارة به وانه غلام عليم وانه نبى من الصالحين وان الله بارك عليه وقدمنا ان اليهود والنصارى يدعون انه الذبيح مع تكذيب التوراة لهـذه الدعوى ايضا ودليلهم هو الاصحاح الثانى والعشرون وقد تقدم فى قصة اسماعيل

زواج اسحاق

ومما لم يقصه القرآن من أمر اسحاق زواجه من ابنة بتوئيل بن ناحور وإنما قصته التوراة فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين وملخصها ان ابراهيم لما شاخ أتى بعبده المستولى على بيته (لعازر) وأحلفه على أنه لا يأخذ لابنه اسحاق زوجة من بنات الكنعانيين الموجردين فى فلسطين بل يأخذ له زوجة من عشيرته وبنى أبيه وأنه لا يرد ابنه الى الأرض التى خرج هو منها اذا تأبّت عليه الزوجة وامتنعت من الانتقال فذهب ذلك العبد وهيأ ما يصلح أن يكون هدية للزوجة وأخذ من الجمال والأموال ما أحب وذهب الى آرام وأناخ جماله خارج المدينة التى بها أسرة ناحور أخى ابراهيم واذا هو بفتاة حسنة المنظر خرجت من المدينة وجرتها على كتفها فملأت الجرة فقال لها العبد اسقينى فأنزلت الجرة وأعطته اياها ليشرب وقالت . استق لجمالك أيضا فتفرس فيها الى ان فرغت من سقى الجمال وحلى أنفها بخزامة من ذهب ويديها بسوارين من الذهب وسألها بنت من هى وهل عند أبيها مكان لمبيته وجماله . فأخبرته بانها بنت بتوئيل بن ناحور وان عندهم مبيتا وعلفا لماشيته وأسرعت الى البيت وأخبرت بما رأت وكان اسم الفتاة رفقة - وقام لابان بن بتوئيل فى الحال الى حيث عبد ابراهيم وأضافه وأكرم مثواه . وفى الحال أخبرهم عبد ابراهيم بما جاء لأجله وانه يريد رفقة لابن سيده فأجابوه الى ما طلب وأعطاها آنية من ذهب وفضة وثيابا وتحفا لاخيها وأمها ثم طلب اليهم أن ينصرف سريعا ووافقته رفقة على التعجيل بالمسير . فذهب بها الى ديار سيده

وكانت عزاء لاسحاق بعد موت أمـــه ـ ثم أن رفقة ولدت توءمين هما عيسو ويعقوب وكان خروجهما من بطنها بهذا الترتيب

وكان عيسو فى كبره مغرما بالصيد ويعقوب وادعا فاحب اسحاق عيسو واحبت رفقة يعقوب وكان فى ذلك الزمن للبكر امتياز على غيره فى الميراث بحق البكورية. فجاء عيسو يوما متعبا لم يظفر بصيد. وقد هيأ يعقوب طعامه من عدس. فاراد عيسو أن يأكل منه. فابى عليه ذلك إلا أن ينزل له عن حق البكورية ففعل

وان اسحاق لما كبر أراد أن يدعو لولده عيسو ويبارك عليه. وطلب اليه أن يصيد صيدا ويهيئه للأكل. حتى اذا أكل منه خصه بدعواته. وسمعت رفقة. فاحبت أن تكون البركة ليعقوب فامرته فصنع طعاما من جدى ذبحه وقربه الى والده. وأوهمه أنه عيسو. وكان اسحاق قد كبر وساعدته أمه على ذلك. فاكل ودعا له. فحقدها عليه عيسو فهرب إلى خاله لابان فى فدان أرام وخدمه وتزوج ابنتيه ليئة وراحيل. وجاريتيهما وزلفا وبلها

تغرب اسحاق

ومما ذكر فى التوراة فى شأن اسحاق ولم يذكر فى القرآن أنه حصل جوع فى الأرض كما حصل فى عهد ابراهيم. وتغرب فى جرار عند أبى مالك. وقالت رفقة عن زوجها اسحاق أنه اخى. وهو ايضا قال اختى. ورأى الرجل اسحاق يلاعبها فعلم انها زوجته. فعاتب اسحاق. وحصل ما حصل فى شان ابراهيم وسارة

وانا استبعد ان يكون ابو مالك الذى كان فى عهد اسحاق هو الذى كان فى عهد ابراهيم كما هو المتبادر من عبارة الاصحاح السادس والعشرين تكوين. لأن ذلك كان رجلا كبيرا قبل ان تحمل سارة باسحاق. واسحاق كان قد جاوز الأربعين فى تغربه

ومما ذكر ايضــا ان اسحاق قد كثرت امواله وعبيده وحفر آبارا وكلما حفر بئرا نازعه عليها اهل جرار فيتركها لهم ويحفر بئرا اخرى. وان الملك ورؤساء جنده صالحوا اسحاق اخــيرا وعقدوا معه صلحا

موت اسحاق

وفيها ان اسحاق عاش مائة وثمانين سنة ودفن فى حبرون وهى مدينة الخليل اليوم بمغارة المكفيلة

لوط عليه السلام

هو لوط بن هاران اخى ابراهيم بن تارح . آمن بابراهيم واهتدى بهديه كما قال تعالى فامن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى الخ . وتبع ابراهيم عمه فى رحلاته فكان معه بمصر واغدق عليه ملك مصر كما اغدق على ابراهيم . فكثر ماله ومواشيه ثم افترق من ابراهيم عن تراض لأن الأرض لم تتسع لمواشيهما . ونزل الى سدوم فى دائرة الأردن

اهل سدوم

كان اهل سدوم ذوى اخلاق رديئة لا يحيون من منكر ولا يتعففون عن معصية ياتونها على رءوس الاشهاد . كما قال تعالى على لسان لوط وهو يعظهم وينهاهم (وتأتون فى ناديكم المنكر) قرات فى كتاب من كتب الأدب العبرى وصفا لهم . وهو انهم كانوا يتربصون لكل داخل مدينتهم من التجار ويجتمعون عليه من كل اوب ويمدون ايديهم إلى بضاعته ياخذ كل واحد منها شيئا قليلا حتى لا يبقى فى يده شىء . فاذا جلس حزينا وجأر بالشكوى . يأتى الواحد منهم ويقول كل هذا لأنى اخذت هذا الشىء اليسير ؟ دونكه . فيقول ما عسى ان ينفعنى ما جئت به بعد ان ذهبت بضاعتى . اذهب عنى بهذا الذى جئت به . فاذا انصرف جاءه آخر بشىء تافه يريد رده عليه فيتركه الرجل لزهادة ما اتى به وينصرف . وهكذا يخسر الرجل بضاعته بتفرقها فى الأيدى الكثيرة . فهم كما قال تعالى (وتقطعون السبيل) وفى ذلك الكتاب من دلائل ظلمهم واستغراقهم فيه . ان سارة زوج ابراهيم أرسلت لعازر كبير عبيد ابراهيم ليأتيها بسلامة لوط . فلما دخل مدينة سدوم لقيه رجل من أهلها فعمد الى لعازر بحجر ضربه به فى رأسه فأسال منه دما كثيرا ثم تعلق به قائلا ان هذا الدم لو بقى لأضر بك . فاعطنى أجرى . ثم آل الأمر بينهما إلى الترافع الى قاضى سدوم . فلما سمع للخصمين حكم على لعازر بأن يعطى للسدومى أجرما ضربه بالحجر وأسال دمه . فلما رأى لعازر الجور من القاضى والخصم فى أمره عمد الى حجر ضرب به رأس القاضى فاسال دمه وقال له الأجر الذى وجب لى عليك باسالة دمك . عليك أن تعطيه لضاربى السدومى جزاء ضربه إياى واسالة دمى ولقد كنت اقرأ قول المعرى

وأى امرىء فى الناس ألفى قاضيا   ولم يمض أحكاما لحكم سدوم

فلم أفهم ما يغزوه بهذا البيت ولم أعرف ما سدوم حتى قرأت هذه القصة ففهمت معنى البيت .

هذه الحكاية مع احتمال وضعها تفيدنا معرفة الفكر العام فى أحوال هؤلاء الناس وأنهم من الشر بحيث يصلحون أن تسند اليهم أمثالها

قدمنا فى قصة ابراهيم أن الملائكة أخبروه أنهم ذاهبون للانتقام من قوم لوط الذين هم أهل سدوم وعامورة . وان ابراهيم خاف أن يمس لوط بأذى فأخبر بأنه ناج هو ومن آمن معه ثم اخـــبر فى آخر القصة بأن وقوع العذاب بالقوم أمر حتم لا تقبل فيه شفاعة ولا يغنى جدال (يا ابراهيم اعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود)

ذكرت قصة لوط بتمامها فى عدة سور باختلاف يسير . وبعضها يكمل بعضا وتتلخص فى أن قوم لوط كانوا من الشر بمكان . وانهم كانوا يقطعون الطريق على السابلة . وقد ذهب الحياء من وجوههم فلا يستقبحون قبيحا ولا يرغبون فى حسن . كما قال الله تعالى حكاية عن لوط « وتأتون فى ناديكم المنكر » وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم اليه أحد من خلق الله . وذلك أنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة من دون النساء . يستعلنون بذلك ولا يستترون ولا يرون فى ذلك سوءا أو قبحا . وان لوطا قد وعظهم ونصحهم ونهاهم وخوفهم بأس الله تعالى فلم يأبهوا له ولم يرتدعوا . فلما ألح عليهم بالعظات والانذار هددوه تارة بالرجم وتارة بالاخراج من بينهم . الى أن جاء الى لوط الملائكة (الذين مر ذكرهم فى ابراهيم وبشروه بابنه اسحاق) وقد جاءوا الى لوط بهيئة غلمان مرد حسان الوجوه فجاء أهل القرية الى لوط طالبين ضيوفه ليفعلوا فيهم الفاحشة . وقد جهد لوط فى ردهم وبالغ فى ذلك حتى طلب اليهم أن يأخذوا بناته . فلم يصغوا اليه حينئذ التفت لوط الى الملائكة وقال . لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد . أى لجاهدتهم بكم وأوقعت بهم ما يستحقون . وكان لا يعلم أنهم ملائكة الى ذلك الحين . وحينئذ أعلمه الملائكة بحقيقة أمرهم . وأنهم جاءوا للتنكيل بأولئك القوم . ولما حاول أهل القرية أخذ أولئك المردان بالقوة . وهجموا على بيت لوط طمس الله أعينهم فلم يبصروا ولم يهتدوا الى مكان يقتحمون منه عليه وعلى من معه . ثم أخرج الملائكة لوطا وابنتيه وزوجه من القرية وأمروهم الا يلتفت منهم احد وان يحضروا حيث يؤمرون فصدعوا بالأمر الا امراته فانها التفتت الى القرية لترى ما يحل بها وكان هواها فى اهل القرية دون لوط فحل بها من السخط والعذاب ما حل بهم وكانت كافرة غير مؤمنة فامطر الله عليهم حجارة من سجيل وقلبت ديار القوم وجعل عاليها سافلها

واعتقد ان البحر الميت المعروف الآن ببحر لوط وبحيرة لوط لم يكن موجودا قبل هذا الحادث

وانما حدث من الزلزال الذى جعل عالى البلاد سافلها وصارت اخفض من سطح البحر بنحو اربعمائة متر وقد جاءت الاخبار فى السنتين الماضيتين بانهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت

انظروا الى قوله تعالى فى سورة الاعراف (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ٨٣ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) ثم فى هود (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ٧٧ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ٧٨ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ولا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ٨١ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ

وفى سورة الحجر (فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ٦١ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ . قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)

وفى سورة الشعراء كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

وفى سورة النمل (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ

وفى سورة التحريم (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ

مسألة

كيف سمحت نفس لوط بابنتيه أو بناته يقدمهن لهؤلاء الفسقة وهو نبى معصوم من المعصية كما هو معتقد جمهور المسلمين فى عصمة الأنبياء وهذه المسألة لها عدة أجوبة

أولها — أن لوطا لم يعرض عليهم بناته الصلبيات وانما عرض عليهم بنات القرية وهن أزواجهم لأن كل نبى أرسل الى قوم فاولادهم ابناؤه ونساؤهم بناته مجازا وهذا جواب سخيف إذ كيف يكون لوط أبا لهؤلاء الكافرات غير المؤمنات . وكيف يعبر عنهن ببناتى وهن يأبين أبوته ويكفرنه ويجحدن نبوته ورسالته ؟ فهذا الجواب لا أرضاه ولا تطمئن له نفسى

ثانيها — أن الملائكة الذين طمع فيهم هؤلاء الفجرة كانوا ثلاثة . ولا يعقـــل أن يكون كل

واحد من أهل القرية الذين جاءوا اليه يزفون . يأمل أن ينال حاجته منهم وأهل القرية يبلغون الفا أو يزيدون ولكن المعقول أنه كان هنـــاك رئيسان مطاعان أو ثلاثة فى القوم وهم الذين يطلبون الملائكة وانما عبر باهل القرية لمظاهرتهم لهم حتى يتم مرادهم فعرض لوط على القوم بنتيه الصلبيتين لياخذوهما بطريق التزوج لا على سبيل الزنا وهذا الجواب قابل لأن يحوز مكان القبول . ولكن الذى ساشرحه فيما ياتى أولى منه بالقبول فقد نص على هذا الجواب أبو السعود فى سورة هود

ثالثها — أن لوطا عرض على القوم بناته عرضا سابريا (١) أى عرضا غير مؤكد لا يقصد به الجدوان يعطيهم بنتيه للزنا . ولكن عرض بنتيه اعتمادا على أنهم يحيون منه ويخجلون ليكفوا عن خزايته فى ضيفه كما تقول لرجل يضرب آخر وأنت تحجزه عنه دعه واضربنى أنا . لأنك تقول هذا القول وأنت جد واثق بانه لايضربك . ولو علمت أنه يضربك حقيقة ماقلت هذا القول ولاتعرضت للشفاعة . وهذا القول قد أورده كثير من المفسرين كابى السعود والفخر الرازى والاصفهانى وغيرهم وهذا الذى أرضاه واختاره

ذكرت قصة لوط فى التوراة على النحو الذى ورد فى القرآن ولا تخالفه الا فى شىء واحد وهو أنها لم تذكر عرض بناته على القوم . وذكرت أن زوج لوط وهى سائرة للابتعاد من المدينة التفتت فصارت عمود ملح وإن لوطا التجأ الى قرية تسمى صوعر . أى الصغيرة ونجا هو وابنتاه ولم تمس صوعر بضرر

مسألة اخرى

ما هو مرجع كاف الخطاب فى قوله (لو أن لى بكم قوة) الجواب

انه قومه الذين جاءوا يهرعون اليه . والمعنى لو أجد قوة تمكننى من صدكم واحلال النكال بكم وهذا الجواب لا أميل اليه — وخير منه أن يقال أن مرجع الخطاب هم الملائكة . وعلى ذلك فان لوطا تمنى لو كان عدد ضيفه كثيرا ليجدبهم قوة على مجاهدة قومه وكفهم والايقاع بهم . ولذلك ردوا عليه بقولهم (يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك)

---

(١) السابري هو بز صفيق النسج متلاحم وبائعه لايلح فى عرضه ولا يزينه للمشتري

مكان العبرة فى قصة ابراهيم ومامعها

(١) ان العقيدة الحقة اذا تغلغلت فى النفوس وأشربتها القلوب استولت على فكر الانسان واستغرقت كل خطرات قلبه وملكت عليه مشاعره ووجدانه فهو يستهين بالنار يلقى فيها وكل عذاب يحل به دون أن يرجع أو يتقهقر والمثل الأعلى فى ذلك ابراهيم الذى كان أول من ضرب المثل للامم والاجيال بعده

(٢) ان ثورة ابراهيم على الأصنام وعبادتها لم تكن ثورة كلامية بل كانت ثورة عملية . إذ جعل أصنامهم جذاذا إلا كبيرا لهم وجعل عمله وسيلة لمحاجتهم حتى أفحمهم فلجئوا الى مخاشنته والقائه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما

(٣) ان ابراهيم لم يدخر وسعا فى ابتكار اساليب الدعاية الى مارآه من الحق فتارة يلجأ إلى النجوم عله يجد فيها إلها فلما أفهمهم أن كواكب السماء كلها لايصح فيها آلهة جهر بامره قائلا . انى وجهت وجهى للذىفطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . فلم يتبرأ من الهتهم لأول وهلة . وبادىء الرأى . بل بعد ماجرهم الى امتحان الألهة واحدا بعد آخر وابان عجزها وعدم صلاحيتها لأن يكون واحد منها الها

(٤) أن ابراهيم كان جديرا بما قال الله فيه (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) فقد كان يجادل الملك ويحاجه غير متتعتع ولا وجل حتى الزمه الحجة والبسه الخزى . واقرءوا قوله تعالى (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين)

(٥) ان ابراهيم كان رقيق القلب يتجلى . ذلك فى جوابه لأبيه اذ قال له لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا فاجابه بقوله (سلام عليك ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا) وقوله (واغفر لأبى إنه كان من الضالين) وقوله (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) وهكذا ينبغى أن يكون الداعى الى الحق حليما واسع الصدر عظيم الاناة طويل البال

(٦) ان الايمان الحق اذا اطمأن به قلب أو ورثه الطاعة التى لامعصية معها حتى ان ابراهيم لما طلب منه فى المنام أن يقدم ابنه الذى ليس له سواه امتثل ذلك الأمر مقدما رضا الله تعالى على رضا نفسه وقام بكل استعداد لتقديم ابنه قربانا لله الى أن فداه الله بذبح عظيم

(٧) ان ابراهيم كان مضيافا ولايرضى لاضيافه بما يقيم أودهم بل كان يكثر لهم من القرى . لأن ثلاثة اضياف لايقدرون على التهام عجل سمين بل هو يفضل عنهم وكان يكفيهم عناق صغير أو بعض الفطير يقدم اليهم . ولكنه أظهر حفاوة هونت عليه أن يبذل من ماله كل كريم. ولا يفعل ذلك الا الكريم .

وها أنا أستطرد لكم حكاية قرأتها فى بعض الكتب العبرية الأدبية . وهى أن ابراهيم نظر إلى البرية يوما فرأى رجلا قد بلغ من الكبر عتيـــا يمشى وفى يده عكازته . فقام واستقبله واضافه وقدم له طعاما . فلما طعم الرجل مع ابراهيم . قال ابراهيم هلم نشكر الله الذى أطعمنا ورزقنا هذه النعم . ولكن الرجل أبى وقال لا أعرف الله الذى تقوله . وانما اشكر الهى الذى فى بيتى (يعنى صنمه) . فغضب ابراهيم وطرد الرجل . فلما ولى الرجل عنه رجع ابراهيم باللائمة على نفسه قائلا. ان الله سبحانه قد خلق هذا الشيخ وحباه بجلائل النعم وأطال عمره وقد مضى عليه الآن مائة سنة يكفر بالله ويجحده ولايؤدى شكر شىء من نعمه عليـــه . ومع اصراره على الكفر وتماديه فى الضلال لم يقطع الله عنه نعمة من نعمه المتواصلة وانا لأنى اطعمته مرة واحدة وخالف مشورتى فى عبادة الله اطرده وأسف لذلك أسفا شديدا . فخلق الكرم فى ابراهيم كان بالغا حده الأعلى

(٨) كان ابراهيم ذا نفس طلعة يحب استكناه الأشياء والوقوف على دقائق صنع الله تعالى . ولذلك طلب من الله أن يريه أحياء الموتى ليطمئن قلبه وقد قدمنا موقفه فى ذلك من القرآن والتوراة

(٩) كان ابراهيم قائما على قدم الاستعداد لتنفيذ أوامر الله تعالى فيما أحب أو كره دون تبرم ولا تذمر متحليا بالتقوى والطاعة والشكر والصبر . وهى مزايا بارعة قل من الناس من يجمعها . وما اجتمعت هذه الخصال فى شخص الا برع أهل جيله وفضلهم . انظروا الى قوله تعالى « ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين ١٠ اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين »

ذلك أن كثيرا من الناس يدعون الى الخير الذى لم يعهدوه فتكون منهم نبوة عنه لأول وهلة وتوقف عن الاجابة ريثما تطمئن النفس وتأنس بهذا الشىء الغريب الذى لا إلف لها به . ولكن ابراهيم لم يكن منه شىء من ذلك . بل كانت نفسه مستشرفة للهداية متلببة للدخول فى الطاعة فلم تكن منه هفوة ولا نبوة كما قال رسول الله ﷺ ما معناه . مادعوت أحدا من أصحابى الى الاسلام الا كانت منه هفوة الا أبا بكر . وأما صبره على المكاره وايثاره رضا الله تعالى عنه فيتجلى فى تقديمه ولده الواحد اسماعيل ليقتله بيده ويقربه قربانا لله تعالى ويحرق جثمانه بيده فاقدم على ذلك صابرا غير مكابر ولا متضجر

(١٠) ان اسماعيل كان عبدا مخلصا من صغره وقبل أن يبلغ حد التكليف صابرا على المكاره ، فان أباه أخبره أنه رأى فى المنام أنه أمر بذبحه فاجاب إلى ذلك صابرا غير متألم ولامتبرم . ولم يعارض فى ذلك ولم يحل على أن ذلك أضغاث أحلام بل قال له (يا أبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين)

(١١) ان اسماعيل كان إذا وعد صدق فقد وعد والده الصبر على أن يكون قربانا . ووفى بوعده وصدق فيما قال كما قال تعالى فيه (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وأى صبر لغلام لم يبلغ الحلم (وللغلمان امال كبار فى الحياة) يقدم لينحر على الحطب كما تنحر الشاة فيتقبل ذلك راضية نفسه ويطاق اماله . ويعتنق الامه . كل ذلك كثير وصاحبه جدير بالثناء وحقيق بكل وصف كريم

(١٢) ويدل ماتقدم فى قصة لوط على كرم محتد كريم واستمساك بالذمام ورعاية للجار والنزيل . فقد أراد قومه سوءا بضيفه فقام يذب عنهم ويدافع أهل بلده دونهم . وعرض بناته فدية لهم كراهة أن يخزوه فى ضيفه . قال أبو السعود فى تفسيره لسورة هود . فانه اذا أخزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل . وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة . وظلم الجار اذلال المجير

(١٣) تدل قصة لوط على أنه كان عظيم الايمان مطمئن القلب به حتى انه لم يحتج من عمه إلى معالجة وانه فى سبيل الأيمان بالله تعالى قد رضى بان يهاجر من وطنه ويبتعد عن قومه مع علمه بأن الجلاسبا والنقلة مثلة - قال الله تعالى فيه (فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى)

يعقوب عليه السلام

أولاد يعقوب عليه السلام ـ يوسف عند أبيه ـ يوسف عند سيده ـ محنة يوسف يوسف وامرأة العزيز ـ شيوع الخبر فى المدينة وتحدث النساء به ـ دعوة امرأة العزيز للوائمها ـ يوسف فى السجن يدعو لدينه ـ الفرج ليوسف ـ يوسف بحضرة الملك ـ أخوة يوسف فى مصر يمتارون ـ أخوة يوسف عند أبيهم ـ حيلة يوسف فى ابقاء بنيامين عنده ـ يوسف يتعرف الى إخوته ـ الأخلاق التى تستفاد من قصة يوسف واخوته ـ فضيلة الشكر ـ العظة البالغة

هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام من رفقة بنت بتوئيل أخى ابراهيم

كان يعقوب اثيرا عند امه ـ فلما دعا اسحاق ليعقوب وهو يظنه عيسو ـ وجاء عيسو وقد علم بذلك أخذ منه الغيظ مأخذه وخشيت رفقة على يعقوب أن يبطش به عيسو . فاشارت عليه أن يذهب الى خاله لابان . فذهب الى فدان ارام واقام عند خاله يخدمه فى نظير تزويجه بابنته راحيل — ولكن خاله ادخله على ابنته ليئة التى لا يريدها يعقوب — فكلم خاله فى ذلك فقال له اخدم منى عشر سنين أخرى لازوجك راحيل ففعل وتزوج أيضا من جاريتيهما زلفا وبلها ومنهن كان اولاده وقد ولد له أولاده جميعا فى آرام الا بنيامين ثم جاء الى فلسطين بمال كثير ونعم جليلة واهدى الى اخيه بعضها وهو خائف أن يبطش به . ولكن عيسو قابله مقابلة حسنة (١)

يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام

ان قصة يوسف عليه السلام تتصل بقصة يعقوب عليه السلام وقد مر بعضها فى قصة اسحاق لتدخلها فيها وسيمر بنا فى قصة يوسف عليه السلام قدر وافر من قصص يعقوب عليه السلام

---

(١) هذه الحكاية لم تذكر فى القرآن ولكن هذا ملخص صغير لما فى التوراة

أولاد يعقوب عليه السلام

كان ليعقوب من الولد اثنا عشر ولداً ذكراً وهم (١) رأوبين بكر يعقوب (٢) شمعون (٣) لاوى (٤) يهوذا (٥) ويساكر (٦) زبولون من ليئة بنت خاله لابان (٧) يوسف (٨) بنيامين من راحيل بنت خاله لابان (٩) دان (١٠) نفتالى من بلها جارية راحيل (١١) جاد (١٢) اشير من زلفا جارية ليئة وهؤلاء الأولاد ولدوا له وهو فى فدان آرام يرعى غنم خاله لابان فى نظير تزوجه ابنتيه ليئة وراحيل وعاد بهما بعد انقضاء الأجل وبعد أن أخذ من غنم خاله نتاج سنة إلى أرض كنعان إلا بنيامين فقد ولد فى كنعان

يوسف عند ابيه

كان يوسف جميل الصورة أثيرا عند أبيه يخصه بقسط عظيم من محبته. وكان ذلك سببا فى حقد إخوته عليه وسببا فى محنته التى كانت خيرا وبركة عليه وعلى الأمم القريبة من مصر وعلى مصر

ذكر اسم يوسف فى ٢٦ آية من الكتاب الكريم ٢٤ آية فى سورة يوسف وآية فى الأنعام وآية فى سورة غافر وها هى أرقام الآيات التى ذكر فيها فى سورة يوسف ٤، ٧، ١٠، ١١، ١٧، ٢١، ٢٩، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٦١، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٤، ٩٩ (فى سورة الأنعام آية ٨٤ وفى سورة غافر ٣٤ وقد ذكرت قصة يوسف مطولة فى سورة يوسف. وسبب نزول هذه السورة فى القرآن الكريم ان كفار مكة لقى بعضهم اليهود وتباحثوا فى ذكر محمد ﷺ. فقال لهم اليهود سلوه لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر. وعن قصة يوسف فنزلت (٥١ النسفى) والقصة ان يوسف كان صغيرا. وتقول التوراة كانت سنه سبع عشرة سنة (ومن كان فى هذه السن يبعد أن يصنع معه ما صنع الى يوسف). فرأى فى منامه ان أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له. والذى فى القرآن الكريم يفيد ان قصه هذه الرؤيا على والده كان فى غيبة اخوته. وان أباه قال له. « لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم»

وتفيد عبارة التوراة ان ذلك كان بحضرة اخوته وان اباه انتهره على هذا القول. وقال لعلنا نسجد لك أنا وأمك واخوتك متهكما وما فى القرآن هو حق

رأى أبناء يعقوب من إيثار أبيهم ليوسف وحدبه عليه ما لم يكن منه لواحد منهم فغاظهم ذلك.

وهم فى جن الشباب وطيش الحداثة . فأضمروا له الشر فقالوا لأبيهم مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون؟ أرسله معناغدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون . وكأن يعقوب قد أحس الشر الذى يضمره بنوه لأخيهم ولم يشأ أن يعلمهم بتخوفه جانبهم فقال . انى ليحزننى ان تذهبوا به . ثم ترقى فى تعليل ضنه به قائلا وأخاف أن ياكله الذئب وأنتم عنه غافلون - والله يعلم انه يتخوف عدوانهم على ولده أكثر مما يتخوف من عدوان الذئب

لم يعى أبناء يعقوب بجواب . بل أجابوه جوابا لا يبقى له علة يتشبث بهـــا . فقالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا إذا لخاسرون . وهنا تخالف التوراة القرآن فى هذه القصة وتقول ان يعقوب، هو الذى أرسل يوسف الى إخوته من تلقاء نفسه ليذهب اليهم فى المرعى ثم يعود ويطالعه باحوالهم. وكانوا قد أبعدوا فلما جاء وعليــه قميص مخطط قد حباه به والده قالوا قد جاء صاحب الأحلام لابس البجاد المخطط ثم ائتمروا به ما يصنعون ثم انتهوا الى أن يلقوه فى الجب بعد أن يعروه من قميصه ولا يسفكوا دمه وان يخبروا أباهم بأن مفترسا افترسه

والقرآن على أنهم تسلموه من يد أبيــه . وذهبوا به وأجمعوا على أن يجعلوه فى غيابة الجب ثم جاءوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق (أى فى النضال بالسهام) وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب

ولما كان المريب يشعر من نفسه بالتهمة ويتخيل ان كل واحد قد اطلع على خبيئة امره قالوا لوالدهم - وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب فلم يخف عليه شانهم . وكان كمهرة المحققين فى القضايا فى هذه الأيام فاخذ القميص . ولما لم يجد به تمزيقا ولا قطعا قال لهم متهكما . ما أحلم هــذا الذئب الذى افترس ولدى ولم يمزق عليه قميصه ولم يعمل فى قميصه نابا ولا ظفرا وقال لهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

بعد أن ترك يوسف فى الجب (البئر) وكانت قليلة الماء جاءت سيارة (قافلة) فارسلوا واردهم فادلى دلوه فى الجب فتعلق به يوسف فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء فاذا غلام وسيم تعلق بها فاستبشر الرجل وقال يابشرى هذا غلام . ويقول المفسرون ان الذين كانوا على الماء ادعوا فى القافلة انهم اشتروه من سادته . وأسروه بضاعة حتى وردوا الى مصر . وشروه أى باعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين . وكثير من الناس حتى بعض العلماء يقولون ان اخوته هم الذين انتشلوه من الجب وباعوه للسيارة وعبارة التوراة لا تساعدهم ونظم القرآن لا يساعد على ذلك لأنه ذكر السيارة وواردهم ولم يعد الى ذكر إخوة يوسف فى هذا المقام والذى فى التوراة ان إخوة

يوسف بعد أن ألقوه فى الجب جلسوا للطعام . ورأوا قافلة من الاسماعيليين تقصد مصر ومعهم الكثيراء والبلسان والطيب وجاءت قافلة أخرى من المديانيين فسحبوا يوسف من الجب وباعوه للاسماعيليين . وان يهوذا أشار على اخوته ألاّ يتركوا يوسف فى الجب وأن يبيعوه ولما جاء رأوبين الى الجب لم يجد يوسف فمزق ثيابه وبكى وهذا كله ينفى مااشتهر من أنهم باعوه والمفسرون يخبطون فى هذا كثيراً . وباع الاسماعيليون يوسف فى مصر وكان من رأى رأوبين من الأول عدم إهلاك يوسف وهو الذى أشار عليهم بالقائه فى الجب لكى يخالفهم اليه ويأتى به الى أبيه

يوسف عند سيده

بيع يوسف لرئيس الشرطة فى مصر ولم يعين البلد الذى كان عاصمة الملك فى البلاد المصرية فى ذلك الحين والأقرب أنه مدينة صان ببلاد الشرقية قرب بحيرة المنزلة . وذلك ان ملك مصر فى ذلك العهد كان من العمالقة الذين وردوا مصر قبل نزول ابراهيم وكان منهم الملك الذى أكرم مثوى ابراهيم وأعطاه الأموال الكثيرة وهم الذين شغلوا تاريخ مصر مابين الأسرة الرابعة عشرة الى الاسرة الثامنة عشرة التى منها أحمس الذى طرد العمالقة من مصر ـ ولما حصل يوسف عند سيده القى الله على سيده محبته فقال لامرأته اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكان سيده رئيس شرطة المدينة واسمه (فوطيفار) ويعبر عن منصبه فى العبرية ب (سرهاطباحيم) . أى رئيس الشرطة فكان يوسف أثيرا لديه فجعله صاحب أمره ونهيه . والرئيس على خدمه والمتصرف فى بيته بحيث لم يكن لأحد ممن فى الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته . وقد تولى الله تعالى يوسف بالهداية والتربية والتوفيق وعلمه من لدنه علما عظيما . كما قال تعالى « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ولما بلغ أشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين »

محنة يوسف

كانت منة الله تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكمنا لمحنته ـ ومحنته مكمنا للمنة العظيمة عليه وعلى اله وعلى أهل مصر وجميع الامم التى تقرب من مصر . كما قال ابن عطاء الله السكندرى ربما كمنت المنن فى المحن وكانت تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وماهو عليه من الخلق السوى والجمال المفرط فاشعل ذلك فى نفسها جذوة الحب وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها له إلى أن غلبها الحب على حيائها . فاخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها لعاملين يكفى كل واحد منهما لعزوفه عما

تريد ـ أولها ايمانه بالله وامتثاله أوامره بالتزام الطهارة من الارجاس الخلقية تلك الطهارة التى وجد عليها أباه وجده وجد ابيه

ثانيهما — ان بعلها سيده الذى حدب عليه . وأكرم مثواه . ومكن له فى بيته وجعله المتصرف فى أمواله وخدمه . ووثق به ثقة ليس لها حد . فلا ينبغى أن يقابل نعمته بالكفران . فلو لم يكن له دين يحجزه عن الشر ويلزمه الطهارة لكان ذلك كافيا لحفظ سيده فى أهله . والبعد عن تدنيس فراشه . كان ذلك دأب يوسف معها . الى أن هاج بها هائج الغرام . واعتزمت على شفاء مافى نفسها من الصبابة فصارحته القول . ودعته إلى نفسها دعوة لاهوادة معها . واحتاطت للامر وأخذت عدتها له . وغلقت الأبواب . وقالت ليوسف هيت لك فأبى وقال انه (أى بعلها) ربى أحسن مثواى انه لايفلح الظالمون . وفى هذا الموقف العنيف . شاب فى ريعان شبابه وغضارة الفتوة تدعوه سيدته الجميلة الى نفسها فيغلبه دينه ويعصمه رعى الذمام لسيده ثم يولى وجهه شطر الباب يطلب النجاة من شيطان غوايتها . وهى تجاذبه ثوبه وهو العصى حتى تمزق من خلفه . الى أن يغلبها ويفلت من يدها فيستبقان الباب . هو يريد فتح مغلقه وهى تريد أن تحول بينه وبين ما يشتهى من الافلات من يدها دون قضاء لبانتها . وحينئذ يجد ان بعلها عند الباب (١)

تدبروا اقرءوا قوله تعالى « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لايفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ، واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب »

وللعلماء فى تفسير هذه الآية آراء فقوم يقولون أن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليضاجعها وهو هم بها وانه قعد منها مقعد الرجل من امرأته فلما لم يبق شىء دون اتمام ما قصدته وقصده جاء

---

(١) ساقت التوراة هذه القصة فى سفر التكوين فى الاصحاح ٣٩ وهى لاتختلف عن القران إلا فى شىء واحد وهوانها لما امسكت بثوب يوسف خلعه لها فنادت الخدم وأخبرتهم بأن بعلها جاء برجل عبرانى يداعبها وان يوسف لما رأى المكان خاليا طلب أن يضاجعها فابت وصرخت بصوت عظيم وكان قد خلع ثوبه استعدادا للامر فخاف حين استغاثت وهرب وترك عندها قميصه.

جبريل وأخبره بأنه سيكون نبيا . وهذا العمل لا يليق من الأنبياء فكف عنها . وهذا برهان ربه ومعنى الآية لولا ان رأى برهان ربه لفعل

وقال آخرون ان البرهان الذى رآه وهو على هذه الحال ان نظر فرأى وجه أبيه وهو يؤنبه على هذا العمل عاضا على أنامله

وقال آخرون ان يوسف وهو فى تلكم الحال نودى من الله يا يوسف انك مكتوب فى ديوان الأنبياء وتعمل عمل السفهاء . الى غير ذلك من الاقوال الباردة والقائلون بذلك لم يفقهوا قول الله تعالى فى تلك الآية « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين » فكيف يكون قد صرف عنه السوء وهو قد تهيأ لفعل الفاحشة وأصغى الى شيطان الغواية . ولم يرجع كما يقولون إلا بعد ان رأى من الزواجر والروادع ما يكفى لصرف أعظم الفسقة والمستهترين عن الغى ومتابعة الشهوة . وكيف يوصف بانه من المخلصين من كان انصرافه على هذا الوجه

وأعرق هذه الأوجه فى البعد قول من يعتذر عن هم يوسف بان ذلك كان قبل النبوة أى فعل المعصية فى هذا الدور غير ممتنع على الأنبياء فان صاحب هذا القول غافل عن قوله تعالى (الله اعلم حيث يجعل رسالته) فان الرسالة انما يختار لها أصحاب الأعمال المرضية ولا يختار الله رسله من أهل الفسق . وهو تعالى يرشحهم لما يضطلعون به من رسالته فهو يعصمهم عن الخسائس وسائر ما يعير به الناس وأى عار أكبر من أن يذهب الشخص الى المعصية ثم لا يرجع الا بعد الزجر والنهى

ويقول آخرون أنه همّ الطبيعة وهو أمر لا اختيار للمرء فيه وهؤلاء أخف قولا مما تقدم

ويقول آخرون انه همّ ترك ولست اطمئن الى هذا القول وانه وجد منه هم على حال وتكلف آخرون فقالوا انه هم ليضربها

والقول الذى لا غبار عليه ويلتئم مع قوله تعالى « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » ومع قوله فى الآية نفسها « انه من عبادنا المخلصين » ان همه عليه السلام بها امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه باداب آبائه وباخلاقهم الزكية الطاهرة وان قوله وهم بها لا يصلح جوابا لان لولاها الصدارة . لانا لانقول أن هذا هو الجواب - ولكنه دليل الجواب - ونظير ذلك قوله تعالى وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين لأن لولا حرف امتناع لوجود امتنع الهم لوجود البرهان . وامتنع ابداء أم موسى بما فى نفسها على ابنها لوجود ربطنا على قلبها . والجواب محذوف تقدم دليله على لولا

يوسف وامرأة العزيز

يوجد فى الامثال ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى . ذلكم المثل هو مثل العزيز مع يوسف . ذلك أنها لما رأت سيدها لدى الباب يريد الدخول وكان معه ابن عمها أرادت ان تشفى غل صدرها وحنقها على يوسف لما فاتها من التمتع به وتوقعه فى الشر جزاء ابائه عن مطاوعتها — تقدمت نحوه وجها باكية شاكية قائلة « ما جزاء من اراد باهلك سوءاً الا ان يسجن او عذاب اليم » وافهمته انه راودها عن نفسها وانها أبت عليه — وأما يوسف فقد وجد نفسه فى مأزق حرج وان الصدق سبيل نجاته . وانه اللائق بمقابلة العزيز بما صنع معه من جميل وما اسدى اليه من المكرمة . فقال هى راودتنى عن نفسى وأنا امتنعت وابيت حتى آل أمرها الى أن نازعتنى ثوبى . وهنا ظهرت فراسة ابن عمها فى تحقيق الحق من قولها . فقال ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . لأن الهاجم على المرأة وهى تدافعه انما يظهر أثر دفاعها فى مقدمة قميصه والهارب من المرأة العالقة بثوبه انما يظهر أثر ذلك من الخلف لانه يكون مستدبرا لها وهى تجاذبه من خلف . فظهر حق يوسف وكذب امرأة العزيز بأن رأوا قميصه قد من دبر — فعاد الشاهد أو العزيز على امرأته باللوم وقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وأمر يوسف بكتمان الخبر وأمرها بالاستغفار لذنبها وصرح بأنها مخطئة فيما صنعت — اقرءوا قوله تعالى (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)

لطيفة

للامام الفخر الرازى كلمة قديمة أوردها فى تفسيره خلاصتها : — ان يوسف قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله تعالى « انه من عبادنا المخلصين » وشهد الشيطان ببراءته بقوله « فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين » وشهد ببراءته الشاهد من أهل امرأة العزيز اذ قال « إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من

الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر ، قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ، يوسف أعرض عن هذا ، واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين » وشهد ببراءته النسوة اللائى قطعن أيديهن بقولهن « ما علمنا عليه من سوء » وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها « الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » فالذى يريد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان ، وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفر له من الاقرار بالحق على أى حال ، وهو براءة يوسف من الهم بها

شيوع الخبر فى المدينة وتحدث النساء به

شاع نبأ حادثة امرأة العزيز وفتاها فى ارجاء المدينة ولاكته أفواه النساء لائمات لها على هذا الغرام وشرعن يضللنها ويلمنها بفادح اللوم. ودوى صدى هذا القول فى اذن امرأة العزيز فاخذت فى الكيد لهن ليعذرنها ولا يعذلنها فارسلت الى طائفة من نظيراتها العاذلات واعتدت لهن مكانا أنيقا يجلسن فيه وقدمت اليهن طعاما يحتاج إلى القطع بالسكين. وآتت كل واحدة منهن سكينا. وفى تلك اللحظة أمرت يوسف أن يخرج عليهن . فبهرهن جماله . وألهاهن عن أن يحسنّ قطع الفاكهة التى بأيديهن فصرن يقطعن أيديهن . وشغلن بمطالعة محاسن خلقه والتأمل فى جماله واللذة فى ذلك تغمر ألم جراحهن بأيديهن فأعلن إكبارهن لذلك الجمال ، وقلن (ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)

حينئذ باحت امرأة العزيز لهن بما يجنه فؤادها من اللوعة . وقالت لهن كما يشكو العاشق بلواه لعاشق مثله (فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ)

فأنتم ترون ان امرأة العزيز كتمت أمرها حتى صادتهن وأوقعتهن فى شباك غرامه . وصرن كلهن فى الهوى سواء ثم باحت لهن بذات نفسها آمنة النميمة عليها ومن هذا القبيل قول القائل :

لا تخف ما فعلت بك الأشواق　　واشرح هواك فكلنا عشاق

وأنتم ترون أيضا ان عشقها فضحها فى المرة الأولى . وكذبت لتتخلص من العار ولتتشفى من ذلك الرجل الذى وصل حبه الى شغاف قلبها وأنضج فؤادها بنار هواه ، فلم تحسن التخلص ولم يكن

كذبها منجيا لها من اللوم . وكان من حقها أن ترتدع ولكن الهوى صرعها للمرة الثانية فتوعدته بأن يصدع بأمرها والا كان مأواه السجن ولقاء الصغار بدخوله

ولما فشت القالة بذلك رأى العزيز وحسّن له مشيروه أمراً هو أنه لا يخلصهم من العار ويكف ألسنة الناس عنه وعن زوجته الا زجه فى السجن ليخيلوا للناس انه ما زج فى السجن إلا لأنه آثم كاذب فى ادعاء البراءة . وان زوجة العزيز بريئة مما قذفت به وهذا مصداق قوله تعالى (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين)

وانى ألفت نظركم إلى لفظ (من بعد ما رأوا الآيات) فان رؤية الآيات الدالة على صدق يوسف وكذب امرأة العزيز فيما حاولت أن تلصقه به من عار الخيانة لسيده . كان ظاهراً واضحا . وكان من حق العزيز أن يوقع بها العقاب على ما اجترحته ، ويكرم يوسف ويظهر للناس براءته (ليجزى الذين أساءوا بما عملو ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) ولكن شيئا من ذلك لم يكن . بل عمد هو وآله إلى الاساءة إلى من أحسن عمله . وحفظه بالغيب فى زوجه . ورعى له حق السيادة والاكرام فجزاه جزاء سنمار وعمد إلى المسيئة الكاذبة المستهينة بكرامتها وكرامة زوجها والتى عرضت عفافها بضاعة مزجاة فى سوق الفسوق فلم يمسها بأذى بل قدم يوسف البرىء التقى الطاهر فدية عن سمعتها فكانت كأنها الدنيا تحب على كثرة اذاها ويرغب فيها مع اساءتها .

يسيء امرؤ منا فيبغض دائما ودنياك مازالت تسيء وتومق

والآيه تشير من طرف خفى إلى أن القوم استعانوا بالقوة القضائية على الكيد ليوسف وزجه فى السجن لأن رؤية الآيات على براءته انما تكون أمام القضاء وهو أما رسمى أو عرفى . ولعل القضاء الأخير هو الذى استعملوه . وهو قضاء خير منه الاستبداد لأن الاستبداد يجور فاعله على أن عمله جور (سافر غير مقنع)ولكن القضاء الذى يجور ويلبس ثوب العدل هو شر أنواع القضاء

يوسف فى السجن يدعو لدينه

أدخل يوسف السجن على غير جريمة أتاها ودخل معه السجن فتيان أحدهما رئيس الخبازين عند الملك والثانى رئيس سقاته فبعد يوم أتاه صاحب شراب الملك واخبره أنه رأى فى منامه أنه يعصر فى كأس الملك الخمر يتناول العنقود من العنب ويعصره فى كأس الملك وجاء الخباز وقال له انى رأيت فوق رأسى طبقا من الخبز والطير تأكل من ذلك الخبز . وطلبا اليه أن ينبىء كل واحد منهما بتاويل ما رأى فى منامه .

انتهز يوسف هذه الفرصة ليعلن لهم دينه ويدعوهم اليه . وقام فيهم خطيبا ينبئهم بمقدرته على تاويل الرؤيا وانه لا ياتيهما طعام الا نباهما بتاويله قبل أن ياتيهما وان ذلك مما علمه الله تعالى اياه بتركه ملة الاقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر واتبع ملة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب . وذلك كله من فضل الله عليه وعلى ذويه وعلى الناس . وسائل صاحبيه أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار الذى أمر الا يعبد الناس ربا سواه ، وان ذلك هو الدين القويم . وان جهلة الناس لا يعلمون . وبعد ان فرغ من دعوتهم الى دينه وانتهى من خطبته الوعظية قال (ياصاحبى السجن اما أحدكما (الساقى) فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتاكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) وفى تلك الحال أمل يوسف ان يجد الفرج لما هو فيه من الضيق على يد الذى ظن أنه ناج منهما . وقال له اذكرنى عند ربك . فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وتحقق تاويل المنام كما قال .

الفرج ليوسف

بعد تلك السنين أراد الله أن يعجل بالفرج ليوسف فهيأ لذلك الاسباب وذلك أن الملك رأى سبع بقرات جميلات طالعة من النهر فارتعت البقرات فى روضة ثم رأى سبع بقرات اخرى قبيحة المنظر عجافا خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولى السمينة . ثم استيقظ من منامه . ثم عاد فرعون الى رقاده فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة فى ساق واحد واذا سبع يابسات خلفها قد لفحتهن الريح الشرقية قد عدت على السنابل الخضر فأكلتها .

أصبح فرعون منزعجا لهذين المنامين فدعا بالسحرة وكل من له علم يسألهم عن تأويل هذا المنام فلم يجد عند أحد منهم جوابا . بل قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . فى ذلك الوقت انتبه رئيس سقاة الملك الى الأمر . وتذكر ما قدم بما حدث ومر على خاطره منامه الذى رآه فى السجن ويوسف الذى عبره له تعبيرا كأنه يشاهد أمرا واقعا . فعرض الأمر على الملك واقتص عليه حلمه وحلم رئيس الخبازين وان غلاما عبرانيا فى السجن لرئيس الشرطة قد عبر لهما رؤياهما ، فكان الأمر كما قال ، وطلب ان يرسله الى السجن ليأتى بالتعبير الذى لا مراء فيه من يوسف ، فأرسله الملك اليه

فلما التقى بيوسف قال له أيها الصديق . أفتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات تاكل الخضر فاخبره يوسف بتاويل ذلك . وهو أن مصر ياتى عليها سبع

سنين مخصبات تجود الأرض فيها بالغلات الوافرة ثم سبع سنين مجدبة تاتى على المخزون من السنين السبع التى تقدمتها . ثم بعد ذلك تاتى أعوام الخصب والرغد . وان عليهم أن يقتصدوا فى سنى الخصب السبع ويخزنوا ما فضل عن القوت فى سنبله . حتى اذا حل الجدب وجدوا فى اهرائهم ومخازنهم ما يسد الرمق ويمسك الحوبة إلى أن ياتى الخصب

عاد رئيس السقاة الى الملك بتاويل رؤياه فسر بها وعلم أنه تاويل مناسب متفق مع الرؤيا . فقال الملك ائتونى بيوسف . فلما أرادوه على ذلك أبى أن يخرج من السجن حتى يعرف أمره على حقيقته وطلب الى الرسول أن يعود الى الملك ويسأل عن النسوة اللاتى قطعن أيديهن . ولا بد أن يكون قد سماهن له باسمائهن . فلما أحضرهن الملك وسالهن عن شان يوسف . قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء وأنكرن أن يكن سمعن شيئا عن شانه وشان امرأة العزيز . وهذه الآيات المتعلقة بهذا الموقف:

« وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ الَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللَّاتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ انَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ اذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ »

فى الكلام ايجاز كما هو شان القرآن من عدم ذكر الأشياء التى تكون معلومة من المقام وفى الكلام شواهد تدل عليها . والذى يفهمه من الآيات كل من له عقل ان يوسف كبر عليه أن يخرج من السجن وعليه سمة المجرمين المحدثين الخائنين ليقف أمام الملك . فاراد ألا يخرج من السجن الا وهو ثابت البراءة مرفوع الرأس أبيض الصحيفة فذكر الحادثة على وجهها وانه بريء منها وأن الجانية انما هى زوجة العزيز التى بهتته فى وجهه . وان الاشاعة فى البلد كانت أن امرأة العزيز راودته عن نفسها . وآية ذلك النسوة اللاتى قطعن أيديهن فانها لما سمعت أنهن لائمات لها دعتهن الى دارها (وسماهن طبعا) وأنهن لما رأينه قطعن أيديهن وراودنه عن نفسه ايضا لها ولأنفسهن (١) وان امرأة العزيز أقرت أمامهن قائلة فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين . قالت ذلك على ملأ منهن وانها نفذت وعيدها بالقائه فى السجن وهو بريء مما يوجب سجنه وشهادتهن بما سمعنه من امراة العزيز برهان براءته وتثبيت لقوله والذى قلته مفهوم من اساليب القرآن وان الملك احضرهن وسالهن عن شانهن فى ذلك اليوم الذى راودن فيه يوسف عن نفسه فكان جوابهن (حاش لله ما علمنا عليه من سوء)

---

(١) والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن وأكن من الجاهلين

يمكن أن يفهم قولهن هذا على أنهن لم يسمعن عن يوسف شيئا ولم يعلمن عليه سوءا أو يكون قد وقع منهن مراودات وحينئذ قد أنكرن الشهادة ولم يؤدين ماطلب يوسف منهن وهو الشهادة بما سمعنه من امرأة العزيز وتوعدها يوسف بالسجن اذا لم يصدع بامرها وذلك الموافق لقولهن حاش لله لانه نكار لما سئلن عنه . وحينئذ يكن قد خيبن أمل يوسف فيهن وأردن أنهن لايتهمنه بسوء وفى الوقت نفسه يكتمن على امرأة العزيز ماباحت به أمامهن من مراودتها اياه واستعصامه وان نجاته من السجن رهينة بموافقتها على مرادها الذى أرادته عليه من قبل — وحينئذ يكون يوسف قد اغتر بما أظهرن له من الاكبار والمحبة حتى دعته كل واحدة الى نفسها وظن أن ذلك يدعوهن الى أن يقلن الكلام الذى حصل على جهة الحق وفى ذلك براءته فلم يقلن بل قلن شيئا لم يدعين لأجله وهو قولهن (ما علمنا عليه من سوء) فان عدم علمهن بالسوء عليه لايجعله بريئا فى الواقع وهذه شهادة على النفى لاتثبت بها الوقائع المعينة التى أراد يوسف اثباتها

ويحتمل أن يكون مارواه القرآن من قولهن (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) عبــارة عن خلاصة لما روينه عنه مما يقتضى براءته . وانهن اتين بالشهادة على وجههــا وملخصها براءته من السوء — وهذا أولى الاحتمالين عندى . واقول ان اتيانهن بالشهادة على وجهها هو الذى احرج مركز امرأة العزيز وسد فى وجهها المسالك فلم تجد للانكار سبيلا فقالت الآن حصحص الحق . أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين الخ

ساقت التوراة حكاية السجن وحلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين الخ كما قصها القران الكريم ولم تذكر المرادة بين يوسف والملك فى شأن براءته ولم تذكر النسوة اللاتى قطعن أيديهن ولا أى شىء عن شأنهن وذكرت التوراة أيضا أن يوسف ارتفع شأنه فى السجن وصار كشخص رئيسه وله الأمر والنهى فى كل النازلين فى بيت السجن

اضيف الى ماتقدم من شهادة النسوة ليوسف بما يبرىء ساحته أن امرأة العزيز لما رأت أن يوسف الذى زجت به فى السجن ظلما قد اكرمه الله تعالى حتى صار من هم الملك أن يأتى به ليستخلصه لنفسه . وان تماديها فى اتهامه بما لم يقترف لايجــديها نفعا ولا يلحق بيوسف ضررا وطدت نفسها على الصدق فى شان يوسف لأول مرة . بعد أن بهتته فى وجهه ورمته بما هو منه براء وظلت مصرة على باطلهـــا السنين الطوال فاقرت بما لاتقربه المرأة الا مغلوبة على نفسها وباحت بما كتمته عن زوجها وآلها سنين عدة . فقالت « الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين .

ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وان الله لايهدى كيد الخائنين ،وما ابرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربى ان ربى غفور رحيم »

بهذا الاقرار الصريح الدال على صدق يوسف وبراءته مما قرف به ظلما ذلك الاقرار الذى ما كان يوسف يظن أنه يصدر من امرأة العزيز الجانية عليه الموقعة له فى السجن — لم يعد يومئذ فى حاجة الى جمع الأدلة وتصيد البراهين على براءته واقامة الحجج على انه حبس ظلما وعدوانا . وقدم فدية عن عرض امرأة العزيز وذبيحة بيد مكرها وقسوتها

ملاحظة — يجعل بعض المفسرين قوله تعالى (وما ابرىء نفسى الآية) من كلام يوسف وهو خطأ لأن نظم الآيات وروح الموضوع يأبيان ذلك وانما هو من قول امرأة العزيز لأن ذلك صدر ويوسف فى السجن قبل أن يقول الملك « ائتونى به استخلصه لنفسى »

يوسف بحضرة الملك

لما ظهرت براءة يوسف لفرعون هذا الظهور وخرج يوسف واضح الحجة مستقيم المحجة . قال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى . وحينئذ رأى يوسف انه لاعلة له فجاء الملك وكلمه فسر الملك به وأعجبه عقله وحسن تعبيره للرؤيا وسأله أى عمل يرضاه لنفسه ويكون فيه سروره فقال يوسف اجعلنى على خزائن الأرض . وما يخرج منها من الغلات والخيرات انى حفيظ عليم

اقرءوا قوله تعالى (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين،قال اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم، وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ، ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون)

هذا الموقف ذكر فى التوراة فى الأصحاح الحادى والأربعين من سفر التكوين وهى لم تذكر اباءه الخروج من السجن حتى تظهر براءته . بل ذكرت أن رئيس السقـــاة أخبر فرعون بأن يوسف قادر على تعبير الرؤيا وانه عبر له على النحو الذى قدمناه وقال لهم لابد من ادخار خمس غلة الأرض فى السنوات الخصبة حتى اذا جاءت سنوات القحط كانت البلاد مستعدة لمكافحة الجوع وان يقوم على ذلك نظار فى ارجاء البلاد . فقال فرعون لجنوده (هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله)

ثم التفت الي يوسف وقال له بعد ما اعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك أنت تكون

على بيتى وعلى فمك يقبل جميع شعبى الا أن الكرسى أكون فيه اعظم منك . وقال له أيضا قد جعلتك على كل أرض مصر وخلع خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف والبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه وأركبه فى مركبته الثانية ونادوا على الناس أمامه بالركوع له وجعله على كل أرض مصر وصاحب الأمر والنهى والأمر المطاع والكلمة النافذة وسمى يوسف (صفنات فعنيح) وأعطاه « أسنات بنت فوطى فارع » كاهن أور زوجة وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين هذا الحادث فخرج يوسف وارتحل فى كل أرض مصر لتفقد الاحوال وتهيئة الأعمال اللازمة لمقاومة الجوع فى البلاد

اخوة يوسف فى مصر يمتارون

مرت السبع المخصبة وأعد يوسف عدته فيها واتخذ الخزائن والأهراء وخزن الغلات فى غلفها ثم جاءت السبع المجدبة واشتد الجدب فى جميع أنحاء الأرض . فأما المصريون فذهبوا الى فرعون يطلبون القوت فأحالهم على (صفنات فعنيح) يوسف ففتح المخازن وباع لهم من الطعام ما يكفيهم وأحس أهل فلسطين الجوع وعلموا أن الطعام بمصر فأرسل يعقوب أولاده ومعهم الجمال والحمير لحمل الطعام وأعطاهم الثمن فقدموا الى مصر لشراء قوت لأهلهم . فلما قدموا الى مصر رآهم يوسف فعرفهم ولم يعرفوه . وذلك طبيعى لأنه فارقهم أمرد غض الاهاب وقد ناهز اليوم الأربعين من عمره وقد كسته ابهة الملك مهابة تغض عنه عين الناظرين اليه . وأما هم فعلى حالهم فى ملبسهم ولغتهم ومنظرهم

لما جهز يوسف اخوته بالطعام الذى اشتروه . قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم أعاملكم مرة أخرى فاذا لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تأتوا الى وذلك انه رأى أخوته جميعا إلا أخاه لأمه بنيامين وهو أصغر منه فأخذ فى استدراجهم حتى علم منهم حياته وانه عند أبيه لم يسمح بمفارقته فأعطاهم الطعام بلا ثمن فى الواقع ليأتوه بأخيهم دون أن يعلموا أنه رد عليهم الثمن. فقالوا له سنراود عنه أباه وكان يوسف قد أكرمهم وأظهر لهم السماحة . وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم التى دفعوها ثمنا للطعام فى أوعيتهم فانهم يعودون بها الينا لأنهم لا يقبلون ماليس لهم . وقد جعل يوسف ذلك شركا لهم ليعودوا اليه

اخوة يوسف عند ابيهم

عاد اخوة يوسف الى ابيهم واخبروه ان (وزير التموين والتجارة) منعهم الشراء من الطعام

فيما بعد حتى ياتوه باخيهم لأبيهم فتذكر يعقوب قديم امرهم بحديثه وعادته لوعته على يوسف . فقال لهم « هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل »

فتح اخوة يوسف متاعهم لاستخراج الطعام الذى أتوا به من مصر فوجدوا نضتهم بحالها لم تمس فكان ذلك مما شدد عزائمهم فى الكلام مع أبيهم وقالوا له يا أبانا مانبغى ؟ هذه بضاعتنا ردت الينا فاذا سمحت بأخينا يذهب معنا فاننا نمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير وهو شىء يسير عند الملك الذى طلب أخانا

والظاهر أن القحط كان شديدا جعل يعقوب يسمح بسفر ابنه تحت شروط اشترطها على أولاده. فقال لهم لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم . أى إلا أن تغلبوا عن أمركم . فاعطوه موثقهم على الوفاء بما اشترطه . وحينئذ قال - الله على مانقول وكيل . وأوصى بنيه أنهم اذا أتوا مصر لايدخلون من باب واحـــد بل يدخلون من أبواب متفرقة — ويقول المفسرون ان ذلك لخوفه عليهم من الحسد . والذى أميل اليه ان ذلك كان منه لئلا يلفتوا نظر الناس اليهم . وذلك يدعو الى التحدث بشانهم والحدس فى مقصدهم . فيظن بهم أنهم جواسيس أو رواد لمن وراءهم ممن يريد الاغارة على البلاد من الاقوام التى عضها الجوع

وماكان من الأمر فقد عاد اخوة يوسف الى مصر فى طلب الميرة ولم يبق عند ابيهم أحد منهم ومعهم البضاعة التى ردت اليهم

هذا الموضع ذكر فى التوراة . وليس بينه وبين ما فى القران كبير اختلاف

فقد ذكر فى الاصحاح ٤٢ تكوين . ان اخوة يوسف لما جاءوا اليه تنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم من أين جئتم ؟ فقالوا من أرض كنعان لنشترى طعاما . فقال لهم إنكم جواسيس جئتم لتعرفوا أرضنا ومداخلها ومخـــارجها وعورتها . فقالوا له فى عرض تبرئتهم لانفسهم . أننا لسنا جواسيس . عبيدك اثناعشر أخا بنو رجل واحد الصغير منا عند ابينا وواحد مفقود.أى ولا يعقل ان عشرة من الرجال هم اخوة لأب واحد يكونون جواسيس . فاظهر انه يريد منهم البراءة من الجاسوسية . ولا دليل على براءتهم الا أن يأتوه باخيهم الصغير وحبسهم ثلاثة أيام وفى اليوم الثالث اتى بهم وقال لهم . انى خائف الله فى امركم فان كنتم امناء ولستم جواسيس فليحبس واحد منكم . وانطلقوا انتم وخذوا قمحا لامساك رمق اهليكم وأحضروا اخاكم الصغير الى لاعلم صدقكم

وكان أخوة يوسف تذكروا حرج مركزهم امام وزير التموين والتجارة وما هم فيه من الضيق فعادوا باللوم على انفسهم إذ رأوا اخاهم يوسف وهو فى حال شدة حين هموا بقتله ثم ألقوه فى

الجب وهو يستغيث بهم فلم يغيثوه فندموا . وأيقنوا أن هـذا الموقف الذى وقفوه جزاء من الله تعالى لهم على قسوتهم على أخيهم وقال بعضهم لبعض (حقا اننا مدينون الى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع . لذلك جاءت علينا هذه الضيقة . فقال لهم رأوبين (الم اكلمكم قائلا لا تأثموا بالولد وانتم لم تسمعوا فهو ذا دمه يطالب) ولم يكن القوم يعلمون أن يوسف فاهم لحوارهم . لأنه انما كان يكلمهم بواسطة ترجمان فتحول يوسف عنهم وبكى ثم أمر أن تملأ أوعيتهم قمحا وترد فضة كل واحد منهم الى عدله وان يعطوا زادا للطريق فرأى واحد منهم فضته فى عدله فتكدروا وخافوا . وكان يوسف قد استبقى شمعون عنده رهنا على وفائهم . ولما عادوا الى ابيهم واوقفوه على حقيقة امرهم نفر من هـذا الامر فقال : اعدمتمونى يوسف فهو مفقود . وشمعون (الذى تركوه فى مصر) مفقود وتأخذون بنيامين . فان حصل له امر فى الطريق اهلك من الحزن . فقال له رأوبين سلمه لى ارده اليك فان لم أفعل فاقتل ابنى فابى ص٤٣ ولما اشتد الجوع طلب يعقوب الى بنيه أن يذهبوا لأرض مصر ويبتاعوا منها طعاما . فقال يهوذا له . ان الرجل قد اشهد علينا قائلا . لا ترون وجهى بدون أن يكون اخوكم معكم . فلامهم على اخبارهم اياه بان لهم أخا تخلف فقالوا : عذرنا أن الرجل اتهمنا بالجاسوسية وسألنا هل ابوكم حى هل لكم أخ ؟ وما كانوا يحسبون انه سيطلبه منهم . والح يهوذا على ابيه وضمنه له فسمح بذلك . وأمرهم أن يأخذوا هدية للرجل الذى يبيعهم الطعام تكون من البلسان والعسل والكثيراء واللاذن واللوز والفستق . ويردوا له الفضة ويأخذوا فضة اخرى ثمنا للطعام الجديد .

نزل اخوة يوسف بعد ذلك الى مصر فلما رأى يوسف اخوته ومعهم بنيامين أمر غلمانه باضافتهم وان يذبحوا لهم ويهيئوا طعاما لأكله معهم وقت الظهر

ولما فعل رجال يوسف ما أمروا به جاءوا باخوة يوسف الى بيته فلما علموا انهم داخلون الى البيت خافوا على أنفسهم وقالوا فيما يناجى به بعضهم بعضا : ان ادخالنا الى البيت انما هو بسبب الفضة التى وجدناها فى اعدالنا وانه سيهجم علينا ويأخذ حميرنا ويجعلنا عبيدا له . فكلموا خادما من خدم يوسف وقصوا عليه قصتهم ورجوع الفضة معهم وهم لا يعلمون ، وانهم عادوا بها وبفضة أخرى لشراء القمح . فهدأ الرجل روعهم . وادخل اليهم اخاهم شمعون الذى كان رهينة فى يد يوسف وادخلهم الى دار يوسف للغداء . ولما جاء يوسف وقت الغداء قدموا اليه الهدايا ونظر الى بنيامين وقال . أهذا أخوكم الصغير الذى قلتم لى عنه . ودعا قائلا الله ينعم عليك يابنى . ولم يطق يوسف

الجلوس معهم لما حضره من الحنين الى أخيه . فذهب الى مكان منفرد وبكى ثم عاد وسألهم عن أبيه وسلامته . ثم قدم اليهم الطعام وأكل هو وحده والمصريون وحدهم .

لأن المصريين يعتبرون الأكل مع العبرانيين نجاسة. ولعل عدم أكله مع اخوته لئلا ينتقد المصريون عليه ذلك وقد أجلس إخوته بحسب ترتيبهم فى السن فبهتوا لأن عمله صادف الواقع الذى يعرفونه وأغدق على بنيامين الطعام اه

حيلة يوسف فى ابقاء بنيامين عنده

أمر يوسف بتجهيز اخوته فملأ لهم الاعدال طعاما، وأمر أن توضع فضة كل واحد فى عدله وان توضع طاسه فى عدل الصغير وهى الطاس التى كان يشرب فيها، فساروا غير بعيد، فلم يفجأهم الا وكيل يوسف يناديهم ويوبخهم على ما صنعوا وانهم قابلوا الاحسان بالكفر . وانهم سرقوا سقاية الملك (يوسف) فاظهروا البراءة من هذا العمل . وقالوا من وجدت سقاية الملك فى رحله يؤخذ عبدا للملك . ففتش أعدالهم مبتدئا بالكبير منتهيا بالصغير فوجد السقاية فى عدل بنيامين، فرجعوا الى المدينة ودخلوا على يوسف مستعطفين مسترحمين ، ولامهم يوسف على ما صنعوا ، فراودوه على أن ياخذ أحدهم عبدا مكان اخيهم، فابى وقال: ان الذى وجد الطاس فى رحله يستعبد لى واما انتم فاذهبوا الى بلادكم ، وأبى يوسف بعد الاستعطاف وبيانهم ان اباه متعلق به وانه سلوته عن أخيه المفقود ان يطلقه فقالوا بحضرة يوسف وقد ماثوا غيظا على بنيامين لما أوقعهم فيه من الورطة : إن يسرق فقد سرق اخ له من ، قبل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم وقال لهم: انتم شر مكانا من هذا السارق والله اعلم بما تصفون . وكانوا يعنون يوسف، ذلك ان امه ماتت وهو صغير فكفلته عمته وتعلقت نفسها به. فلما اشتد قليلا اراد أبوه ان ياخذه منها، فضنت به والبسته منطقة لابراهيم كانت عندها وجعلتها تحت ثيابه، ثم أظهرت انها سرقت منها وبحثت عنها حتى اخرجتها من تحت ثياب يوسف، وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدة جزاء له بما صنع، وبهذه الحيلة استبقته عندها وكف أبوه عن مطالبتها به

يئس اخوة يوسف من أخذ أخيهم بطريق المبادلة فقال كبيرهم (رأوبين) إن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله برد أخيكم . ومن قبل ذلك كان تفريطكم فى يوسف، وعلى ذلك لن ابرح الارض (مصر) حتى يأذن لى أبى فى القدوم أو يحكم الله فى شأنى . وهو خير الحاكمين . وأشار عليهم بالرجوع إلى أبيهم واخباره بما كان من أمر أخيهم ومن الملك (يوسف) وان ابنه صار عبدا

للملك بسبب سرقته طاسه . وان ظهور السرقة كان عن ملأ منهم ومن أهل العير التى كانوا فيها وانهم صادقون فيما أخبروا به .

عاد اخوة يوسف عدا أكبرهم وأصغرهم إلى أبيهم واخبروه بالأمر على جليته فلم يدخل عليه هذا القول . واحاله على أمر دبروه له كما دبروا لأخيه من قبل ، وزاد به الحزن حتى ابيضت عيناه وعاوده من الوجد على يوسف ما عاوده فقال : ياأسفا على يوسف فلامه أولاده على ذكر يوسف وقد انقضى امره . ثم أن يعقوب رد أولاده الذين وردوا عليه إلى مصر ليشتروا طعاما وليتحسسوا له شأن يوسف وأخيه . وأمرهم بعدم اليأس من روح الله فان ذلك شأن الكفار . فذهبوا كما أمرهم أبوهم .

اقرءوا قوله تعالى (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ . قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ . قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ . قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ . قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ . كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ . قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ . وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ . ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ . وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَا عَلَىٰ

يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يابنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله. انه لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون)

من المقارنة بين هذا الموقف من القصة فى القرآن وبينه فى التوراة نجد الخلاف قليلا . فان القرآن يجعل اخذ الموثق على جميع أولاد إسرائيل العشرة والتوراة تجعله على يهوذا خاصة . ولعله كان متكلما عنهم وكلمته كلمتهم وعهده عهدهم . والقرآن يذكر ان يوسف آوى اليه أخاه وقال انى انا اخوك والتوراة تجعل يوسف مجهولا من بنيامين الى ان اخبرهم جميعا بأنه اخوهم بعد ذكر قصة الطاس . والقرآن ذكر قولهم (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) والتوراة لم تذكرها والقرآن يذكر عودة اخوة يوسف الى ابيهم واخباره بان ابنه قد سرق واستعبد فى مصر والتوراة لم تذكره .

ومعلوم ان القرآن مهيمن على ما تقدمه

يوسف يتعرف الى إخوته

جاء إخوة يوسف وقالوا يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر (من الجوع) وجئنا ببضاعة مزجاة (اقلها) فأوف لنا الكيل (وان كان الثمن لا يوجب ذلك) وتصدق علينا (باطلاق أخينا من عبوديتك) ان الله يجزى المتصدقين . فقال لهم يوسف مذكرا بما كان منهم من الاساءة : هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون اذفرقتم بينهما والهبتم صدورهما بنار البعد، ولعله انما كلمهم بلغتهم لأول مرة فعرفوا انه يوسف ـ لذلك (قالوا ائنك لانت يوسف ؟ قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين، قالوا : تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين ـ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين)

فلما فصلت عيرهم من مصر كانت نفس يعقوب مستشرفة لتغيير ما به من حال ولم يدب اليأس الى نفسه بل هو يتوقع الفرج بلقاء يوسف الذى طال حزنه عليه فقال لمن حوله من جماعته انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون ، أى لأخبرتكم بانى أتوقع لقاءه . فقالوا له تالله انك لفى ضلالك القديم أى خطئك القديم فى اعتقادك أن يوسف باق الى اليوم . ولم يطل به الانتظار حتى جاء البشير الى يعقوب بسلامة يوسف وأخيه والقى قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا وقرت عينه . وبشر نفسه باللقاء فقال للاحين له : ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون . ولا

بد أن يعقوب لم يقل هذا القول الا وقد أعلمه الله بحياة يوسف وانه سيلاقيه

شد يعقوب واله اجمعون رحالهم الى مصر . فلما جاءوا اليها دخلوا على يوسف فاوى اليه أبويه أى يعقوب وزوجه خالة يوسف لأن امه كانت قد ماتت وهو صغير وسجد له أبوه وأمه واخوته الاحدعشر. وقال لأبيه يا أبت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا . وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجعلنى على خزائن الأرض بيدى الحل والعقد والى الأمر والنهى ، وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ، وهذا كله من لطف الله بى وبكم ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم

فى هذا الموقف الباهر والاكرام العظيم الذى أكرم الله به يوسف بعد ملاقاة الأهوال التى يلين لها الحجر الصلد ، من ائتمار اخوته به فلطمه ولكمه ولكزه . فسلبه ثيابه . فالقائه فى الجب عاريا فريدا لا أنيس ولا معين ، فاخراج السيارة له وبيعه بيع الرقيق فى مصر ، فمحنته بامرأة العزيز تدبر له الكيد وتمعن فى الاساءة اليه جزاء له على تفويته غايات سافلة لها ، فسجنه السنين الطوال كل ذلك وهو مستمسك بدينه وبشرفه وكرامته ووفائه وذمته ودائب على الدعاء الى الله ، فخروجه من السجن فتوليته على خزائن الأرض ، فقدوم اخوته مستجدين حنانه وهم لا يعرفونه ، فمداعبته اياهم ، فقدوم والده اليه بعد أن ابيضت عيناه من الحزن عليه وعلى اخيه ولم يزل بياضهما الا بالقاء قميص يوسف عليه ، وسجود أبيه وأمه واخوته له ، كل ذلك مر بمخيلة يوسف فجاء يشكر الله تعالى معلنا نعمته عليه وما منحه من علم وملك داعيا الله تعالى أن يتولاه فى الدنيا والآخرة ، وان يتوفاه مسلما أى مطيعا لله غير عاص ولا آثم ، وأن يلحقه بالصالحين من آبائه الأنبياء

اقرءوا (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين)

الأخلاق التى تستفاد من قصة يوسف واخوته

هذه القصة مورد غزير المادة لمن يريد أن يستنبط الأخلاق الفاضلة الطاهرة ، ويشرح الاستقامة على المبادىء الحقة وأثرها فى النفس ، وموضع درس عميق فى علم النفس - ولا يكون العالم النفسى مسرفا اذا وضع فى الأخلاق وعلم النفس كتابا كبيرا وافيا مرجعه فيه سورة يوسف . وجعل أحوال يوسف وما حصل منه وله موضع تطبيقها . وقبل ان الم المامة خفيفة بذلك اذكر مناقشة حصلت بين احد وزراء المعارف ، فى عهد الخديو السابق وبين أحد المشايخ

ذلك أن الوزير كان من الذين تعلموا فى مصر التعليم الابتدائى والثانوى، ثم ذهب الى اوربا فكان نسخة صحيحة من التربية الفرنسية والتفكير الفرنسى

ذهب الوزير يفتش فى مدرسة المعلمين بالزقازيق، ودخل عند شيخ يدرس الاخلاق. فاعجبه تدريسه وانتهى المدرس،فساله الوزير من أى مرجع تستقى فقال. القرآن . فقال متهكما القرآن قرآن ايه ياخويا؟ تعلمهم الاخلاق من (ولقد همت به وهم بها - وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك) ؟ فقال له الشيخ يا سعادة الباشا، ان هذه السورة التى لم تعجبك يمكننى،أن استخرج منها امهات الفضائل والاخلاق.فاستخرج منها العفة والفضيلة فى شاب فى ريعان شبابه محفوف بالمغريات وموجبات الصبوة، فلم يكترث لذلك واستمسك بمبدئه وقد لقى الأهوال وعانى الصعوبات فى سبيل استمساكه بالفضيلة، فلم يغير مبدأه السجن والاذلال مع انه لو أجاب لكان منعما مرفها منظورا اليه بعين الاكبار،وان الاستمساك بالدين أصل لكل فضيلة فاستمساكه بدينه جعله يستهين بالاخطار . وان الحق وان استتر زمنا بثوب من التضليل لا بد أن يظهر ولو بعد حين - ولما انتهى الشيخ الى هذا الحد قال له الباشا(سى الشيخ امسح وانا امسح) وهأنذا أبين بعضا مما يعن لى

ان طيب الأصل اذا آزره طيب البيئة ووجد الانسان فى تلكم البيئة زمنا كافيا فان ذلك يجعله على أكمل الأوصاف وأروع الخصال ويصيره خيرا لا شر فيه والاحساس بالشرف عامل حائز على الاستمساك بالفضيلة

(١) هذا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (وكل اذا عد الرجال مقدم) غذى بدر النبوة وارتضع أفاويق الرسالة، نشأه أبوه على التقوى ورشحه بالصلاح وتعهده بالاخلاق النبوية الكريمة فنشأ أصلح نشأة، وأحس من صغره بمجد ابائه وأجداده وأبوه يذكره باولئكم الآباء الصالحين المصطفين الأخيار ويمنيه أن يلحق بهم ويسير على قدمهم - انظروا حين قص يوسف على أبيه رؤياه ماذا قال له؟ قال (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق) والاصول عليها ينبت الشجر

أفعال من تلد الكرام كريمة   وفعال من تلد الاعاجم أعجم

وهكذا يكون الرجل الذى يرشح للنبوة . ويعده الله تعالى لنشر دينه (الله اعلم حيث يجعل رسالته)

(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)

(٢) أن يوسف عليه السلام قد شب على اكمل الأوصاف عاملا بما علم من ابائه واجداده

الأنبياء صلوات الله عليهم ، فكفه ذلك عن اتباع الشهوات بل حصر فكره وعمله فى موجبات الفلاح وما يعقب رضا الله تعالى ـ لا جرم ان الله تعالى زاده علما على علمه وفتح بصيرته وجعله ذا فطنة ثاقبة ، وعلمه من تأويل الأحاديث فلا ياتيه احد يقص عليه رؤياه الا اتاه بتاويلها على وجهه ، وذلك من شدة الملاحظة وثقوب الذهن ومعرفة موارد الأمور ومصادرها مع عون الله تعالى له ، فان ذلك كله يوجب النفوذ الى بواطن الاشياء والتفطن للمناسبات على وجه يجعل الظن يقينـــا ، وذلك هو الالمعية .

الألمعى الذى يظن بك الظـ ـن كأن قد راى وقد سمعا

(٣) الأيمان بالمبدأ ياتى من وراء كل بلاء فى سبيله . فهو يسهل على صاحبه ملاقاة الصعاب ومواجهة هوج العواصف النفسية والأخطار فى سبيل تاييد ذلك المبدأ الحق . انظروا الى يوسف وهو الفتى الغض الاهاب المشتعل جمرة الشباب (الذى يقولون ان الجنون شعبة منه) مع فراغه وارتفاع شانه فى بيت سيده ، ومع الجدة التى هو فيها ، والغنى الوافر الذى يتقلب فى اعطافه ، ويرغد فى اكنافه ، ومعه فى البيت سيدة فى مثل حاله هى سيدته والحاكمة عليه ، فى بيئة كلها مغريات بارضاء الشباب وشفاء غلة النفس ، تدعوه الى نفسها فيعرض وتلح عليه فيرفض ـ ارادت قسره على ما فيه السعادة ظاهرا فأبى ، ونازعته ثوبه فنبا . استمساكا بمبدا العفاف والتقوى . وحذرا من ان يكون عار ابائه واجداده الذين علم عنهم العزوف عن كل ما يشينهم او يخل باوامر دينهم ونواهيه وحفاظا لسيده الذى اكرم مثواه واحله محل الولد ـ ومقابلة النعمة بالكفران ليس من دأبه ولا دأب اسرته . وهى لا تصغى لعظة ولا تسمع لنصيحة ، ولا ترعوى عن غى كل ذلك ينبىء عن نفس كريمة . وروح طاهرة . وعزيمة صماء لا تسمع رقى الغواية . ولا تجيب داعى الجهالة . وهذا من اخلاق اولى العزم المستضيئى البصائر . المؤمنين حق الايمان بالمبدا الذى اعتنقوه

(٤) الالتجاء الى الله عند الابتلاء . لقد اعتمد يوسف على الله تعالى عند كل ضيقة . والتجأ اليه عند كل معضلة ، فان النساء المصريات حين راين يوسف وا كبرن حسنه وجماله . وبعد ان كن عاذلات لاحيات لامراة العزيز عدن عاذرات ، وراودنه لها ولانفسهن وتوعدته امراة العزيز قائلة (لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) لجأ الى ربه مستغيثا خائفا وجلا قائلا . (رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين) ففرج الله عنه ما نزل به . وصرف عنه كيدهن وعملهن لموافقتهن على مايردن من الفاحشة . بأن أبعده عنهن بالسجن وهو أهون الشرين على يوسف ـ وهذه ضراعة الى الله لا تهديد

(٥) عشق يوسف لدينه والدعوة اليه. ان المؤمن بمبدأ من المبادىء حق الايمان. لا يترك فرصة تمر دون أن يدعو الى مبدئه الذى تغلغل فى أعماق نفسه ويبشر به. فان يوسف اهتبل فرصة احتياج رئيس الخبازين ورئيس السقاة اليه فى تعبير رؤيا كل منهما. فاخذ يدعوهما الى دينه بعد أن ابان لهما قدرته على تعبير كل رؤيا. ولو كانت الرؤيا عن طعام يرزقانه. لنبأهما بتأويلها قبل أن ياتيهما ذلك الطعام

وماذا يعيب المرء فى مدح نفسه   اذا لم يكن فى قوله بكذوب؟

ثم أخذ يبين لهما ان ذلك من تعليم أله. ومجانبته ملة الأقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر واتباعه ملة ابراهيم واسحاق ويعقوب. ثم أخذ يبين شناعة ما عليه أهل مصر من تعديد الآلهة. وتكثير الأرباب. وان دينه دين التوحيد هو الدين القيم ولكن الناس فى غفلة عنه.

اقرءوا قوله تعالى (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا. ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي. إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٣٧ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٣٨ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠

فينبغى لكل واحد منكم أن يكون نهازا للفرص لبث عظاته ونصائحه وإرشاده فى أنفس الناس واذا لم تعرض له فرصة خلقها

(٦) رزانة يوسف ومحافظته على شرفه.

ان أحدا سوى يوسف اذا كان مظلوما أو غير مظلوم وجاءه أمر الافراج والخروج من السجن. لا بد أن يبادر الى الخروج منه ويغتبط بذلك أيما اغتباط. ولكن يوسف كان عنده خلق الاباء والشمم. شرف نفسه وطهارتها آثر لديه من الخروج من السجن. فلم يشأ أن يقال عنه مجرم سر منه الملك فعفا عن جريمته وأخرجه من السجن. بل أبى أن يخرج الا بعد أن يثبت أنه برىء الساحة نقى الصحيفة. فأرسل الى الملك يبسط ظلامته ويطلب اليه إعادة التحقيق فى جريمته. فلما أجرى الملك التحقيق على وجهه وظهرت براءته رضى بالخروج من السجن مرفوع الرأس نقى الصحيفة. والشمم والاباء يحملان المتصف بهما على مجانبة كل ما يمس شرفه أو يدنس نفسه —

ذلك ان نفس الانسان أعز الأشياء عليه وآثرها لديه . فهو يحب نفسه حبا جما . ويقول بعض العلماء ان الانسان لا يحب أصدقاءه وخلانه الا لأنه يجد فيهم لذة نفسه . يرتاح اليهم ويجد سلوته بالقرب منهم . فمحبة الأحباء أثر من آثار محبة المرء لنفسه . وإذا كانت نفس الانسان عنده بهذه المنزلة من المحبة والاكبار والاعظام . لا جرم ان غرامه بنفسه يدعوه اذا كان من أهل الكرامة الى ان يطهرها من الأدناس ويحرص الحرص كله على أن تكون صفحة حياتها متلألئة لامعة لا يشوبها شيء من النقائص والخسائس

هكذا كان يوسف عليه السلام . وهـذا هو الذى حمله على الاباء من مزايلة السجن الى أن تنجلى عن ساحة شرفه تلك الغمامة التى كانت مخيمة على صفحة كبيرة من صفحات حياته فلما انجلت خرج من السجن خروج السيف جلاه صيقله

(٧) خلق الصبر - كان يوسف عليه السلام متحليا بفضيلة الصبر - والصبر من أعظم الفضائل وأجلها قدرا - ذكر فى القرآن الكريم فى نيف وسبعين موضعا وقد رتب الله كثيرا من الخيرات والدرجات العالية على تحلى الانسان بفضيلة الصبر حيث لم يجعل له جزاء محدودا ومكافأة معينة . بل جعله منوطا بكرمه الواسع . وجوده العميم بغير وزن ولا معيار . مع أنه حد لكل مزية جزاء معينا .

اقرءوا قوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا - واصبروا الخ - بلى ان تصبروا وتتقوا الخ - وبشر الصابرين . الى المهتدون. وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وسئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة

الصبر هو حبس النفس على ما تكره وهو من خواص الانسان التى تميز بها عن سائر الحيوان فان البهائم لا تحبس نفسها عن شهوة من الشهوات كالغذاء وغيره ولا تنظر فى عواقب شيء من مشتهياتها. بل هى تنظر شهوتها الحاضرة فقط ولا تحبس نفسها عنها أصلا . والصبر له أسماء تتجدد بالاضافة الى ما عنه الصبر ، فان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمى عفة . وان كان على احتمال مكروه . فان كان فى مصيبة سمى صبرا وضده الجزع والهلع. وذلك بأن يسترسل فى ضرب الخدود وشق الجيوب - وان كان الصبر فى احتمال الغنى بأن يجاوره بالشكر سمى ضبط نفس . ويقابله البطر . وان كان الصبر فى الحروب وملاقاة الأهوال . سمى شجاعة . ويضادها الجبن . وان كان الصبر عند موجبات الغضب . سمى حلما ويضاده التذمر . وان كان الصبر عند نائبة

متضجرة من نوائب الزمان . سمى سعة الصدر . ويضاده الضجر وضيق الصدر . وان كان الصبر باخفاء كلام يسوءه غيره ظهوره سمى كتمان سر . وان كان الصبر على القدر اليسير من الحظوظ سمى قناعة . وان كان الصبر عن فضول العيش بأن اقتصر على أقل القوت سمى زهدا .

اقرءوا هذه الآية الجامعة لكثير من أنواع الصبر (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)

لقد ضرب يوسف للناس المثل الأعلى فى كثير من أنواع الصبر (١) صبر على إيذاء اخوته له . وتجريدهم إياه من ثوبه . ولطمه ولكزه وإلقائه فى الجب بقصد إهلاكه (٢) صبر على استرقاقه وبيعه بيع الرقيق فى بلاد غير بلاده وفى قوم يباينونه فى اللغة . فى الدين . فى الأخلاق . فى الأدب. لا بل صبر على أعظم من هذا حيث اعتبروه شريرا جانيا . إذ باعه ملتقطوه بأبخس الأثمان .

قال تعالى (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين)

(٣) صبر على نعمة الله فجاورها بالشكر وجانب البطر حين تمكن فى بيت سيده وصار صاحب الأمر والنهى . فلم يسىء استعمال المال بصرفه على الشهوات بل شكر لله ولسيده . ولم يدخر لنفسه من ذلك الغنى ولم ينل منه الا حاجته وكف عن الفضول فكان قانعا (٤) صبر عن شهوة الفرج وقد هيئت له فى جيش من المغريات يحف به من كل ناحية . فالطالبة سيدته وربة نعمته . مع ما هى عليه من جمال ورفاغة ورغبة فيه . وهو شاب ما طر شاربه فى ابان فيضه الحيوى . وأوان التهاب جذوة الشهوة واحتشاد الدواعى الطبيعية . وانتظار الآمال والأمانى الجسام له اذا لبى . فلم يخرج من بين أولئكم المغريات الا الى العفة متوجا بتاج الصبر عن الشهوات وأسقط منازعة دواعى الهوى . وقهرها لباعث الدين وكرم النفس والحفاظ والوفاء . ونصر جند الرحمن على جند الشيطان .

أهان الهوى حتى تجنبه الهوى   كما اجتنب الجانى الدم الطالب الدما

(٥) مسته الضراء وألقى فى غيابة السجن فخالف الصبر الجميل . وسعة الصدر

(٦) خرج من السجن ومكن الله له فى الأرض وجعله على خزائنها وصار أهل القطر المصرى فى وثاقه . والنفوس بين حبسه وإطلاقه . وعزرائيل بين شفتيه وكلمته فيها الحياة الطيبة أو الموت الزؤام . وجاء اخوته يمتارون وهم ثأره والذين أبدعوا به وأودعوا عنده اساءتهم سلفا . فلم يجز شرهم بمثله . بل صبر وغفر . ولما قالوا له أئنك لأنت يوسف ؟ قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين . فأظهروا ندمهم واعترفوا بخطئهم

قائلين (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) فأسبل ذيل عفوه على إساءتهم . وأجزهم بحسن التجاوز وقال لهم (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)

هذا قليل من كثير من المشاهد الصالحات والمواقف الكريمة التى تشهد ليوسف انه رجل برع الرجال بصفاته الكريمة . وضرب الأمثال العالية بأخلاقه الطاهرة وحكمته (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب)

فضيلة الشكر

كان يوسف متحليا بفضيلة الشكر . والشكر من أخلاق الربوبية قال الله تعالى (والله شكور حليم) والشكر هو معرفة النعمة الحاصلة من المنعم والفرح بها والقيام بمقصود المنعم والعمل بما يحبه — وهذا الخلق عزيز فى الناس . اقرءوا قول الله حكاية عن ابليس (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين . وهذا وان كان قولا لابليس ولكن الله تعالى صدقه فى قوله (وقليل من عبادى الشكور) وقد أمر الله به فقال . فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) . وقال تعالى (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) وقد استثنى الله تعالى فى خمسة أشياء ولم يستثن فى الشكر . فاستثنى فى الاغناء . وفى الاجابة . وفى الرزق . وفى المغفرة . وفى التوبة . فقال « فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء » . « فيكشف ما تدعون اليه إن شاء » . « ويرزق من يشاء بغير حساب » . « ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » . « ويتوب الله على من يشاء » — وأما الشكر فقال فيه « لئن شكرتم لأزيدنكم » . ولم يستثن

وهذا يوسف يتحدث بنعم الله تعالى عليه وعلى آله وهو من الشكر . فانه لما جاء أبواه رفعهما على العرش وخر له أبواه واخوته سجدا . فقال . « يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم » وكان ختام قصته قوله « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولىي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين »

العظة البالغة

انكم ترون أن يوسف قد تقلب فى الحالين بؤس ورخاء وتداولته أيدى ريحين زعزع ورخاء وهو كالذهب الابريز لايزيد على التقلب فى النار الاصفاء أو كالياقوت لاتؤثر فيه النيران . فبينما هو فى كنف أب يؤثره بالكرامة . ويحوطه بالمحبة . ويخاف عليه من الليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . اذا هو فى يد اخوته يسلفونه الاهانة والمذلة . يضربونه ظالمين . ويلقونه فى غيابة الجب غير نادمين . وبينما هو على هذه الحال اذا هو يشم نسيم الحياة من جديد . ولكنها حياة الرق والعبودية . ثم انتقل إلى عبودية هى أشبه بالحرية اذ صار رئيس العبيد والخدم فى بيت سيده . وبينما هو فى هذه النعمة التى يغبطه عليها كثير من الاحرار . اذا هو فى غيابة السجن بلا ذنب اقترف . ولا جريمة اجترح . وبينما هو فى هذه الحال . اذا هو فى السجن مبشر دينى يدعو الى عبادة الله . ويصد الناس عن كل ماسواه من الارباب المتفرقين . واذا هو يقسم الحظوظ ويخبر بالاشياء الغائبة . ثم ترقت به الحال الى ان صار معبر منام الملك ونذيره بقحط عقب رخاء يعم كل منهما البلاد . فصيره على خزائن الأرض واصطفاه لنفسه واستخلصه لمملكته فصار قسيم الملك وكافل المملكة المصرية . وعليه اعاشة مصر والبلاد القريبة منها فهو وزير التموين

وبينما هو على هذه الحال لاينقصه إلا أن يشاهد أباه وأمه (خالته) اذا هو باخوته قد وقعوا فى شركه فداعبهم أجمل مداعبة وعبث بهم عبثا كله جد واحتال عليهم حتى أتوه بأخيه لأمه وأبيه ثم أتوه بأهلهم اجمعين . وهو فى كل هذه الاطوار المختلفة مستمسك باكمل الخصال وجميل الاخلاق

وان امرأ دامت مواثيق عهده   على مثل هذا انه لكريم

فهذه القصة الجميلة عبرة وعظة بالغة لاتلمح العبرة منها عين كل ناظر اليها ولاينفذ إلى لبابها كل قارئ لها . ولكنها كما قال تعالى . « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »

شعيب عليه السلام

قومه ومكانهم - تهديد شعيب والمؤمنين باخراجهم من القريه -
من شعيب

ذكر شعيب فى القرآن عشر مرات - فى سورة الاعراف فى الآيات ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ وفى سورة هود فى الآيات ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٥ وفى الآية ١٧٧ من سورة الشعراء وفى الآية ٣٦ من سورة العنكبوت

قومه ومكانهم

أما قومه فهم شعب مدين بن ابراهيم عليه السلام ويعبر عنهم فى التوراة بمديان . وأما مكانهم فقد كانوا نزولا فى بلاد الحجاز مما يلى الشام على خط عرض يوافق خط عرض قفط فى البر الافريقى الى الجنوب من القصير فى الجهة المقابلة

كان أهل مدين فى عيش رافغ وهم مع ذلك أهل تجارة وكانوا يعبدون غير الله تعالى ويفعلون الشرور ولا يكفون . فكانوا يطففون المكيال والميزان ويماكسون الناس فى سلعهم ارادة شرائها بثمن بخس . وكان شعيب ينهاهم عن كل ذلك ويحذرهم بأس الله تعالى فانكروا عليه ماجاء به أشد الانكار وهو دائب على نصحهم وهدايتهم . ويسميه المفسرون خطيب الأنبياء لحسن مراجعة قومه وبراعته فى اقامة الحجة عليهم ودحض حججهم وقد جاءهم ببينة من ربه على صدقه فيما يدعو اليه غير أن الله تعالى لم يذكر فى الكتاب هذه البينة وقد تنوعت أقوال المفسرين فيها بما لا برهان لهم به - فالأولى التسليم لعلم الله تعالى - وقد كانوا يقعدون على الطرق يرصدون الناس الذين يأتون إلى شعيب ليصدوهم عن الدين ويعيبون طريقته ويوعدون من آمن بشعيب . ويبغون سبيل الله عوجا . ولعل البينة الطريقة الواضحة المقبولة فى العقول وهى شريعة من الله أتاهم بها .

وقد جهدوا جهدهم فى ابطال دعوى شعيب فقد كانوا يقولون (ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول)

ويحتقرون شأنه بقولهم (وانا لنراك فينا ضعيفا) ظنا منهم أن القوة ميزان الصدق فى القول وهو ضلال منهم ثم يتهددونه بقولهم (ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) .

تهديد شعيب والمؤمنين

باخراجهم من القرية

ولما أحرج شعيب قومه بدعائهم إلى مالا يريدون من الايمان بالله وحسن المعاملة والاستقامة على الجادة . اجتمع ملأ قومه وهددوه هو والذين آمنوا معه باخراجهم من القرية اذا لم يدخلوا فى دين قومهم . فراجعهم بقوله أو لو كنا كارهين ؟ انا نكون قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم ودينكم بعد اذ نجانا الله منها بالهداية الى أقوم السبل وان العود إلى ملتكم ليس بملكنا ولكن ذلك يكون اذا اراد الله خذلاننا وابعادنا عما جاءنا به من الحق - وهذا مالاسبيل لنا الى علمه وانما يعلمه الله الذى وسع كل شىء علما وهو الذى نتوكل عليه .

وقال الملأ من قوم شعيب يحذرون الجمهور الوقوع فى دين شعيب قائلين (لئن اتبعتم شعيبا إنكم اذاً لخاسرون) لأنه يمنعكم التطفيف فى الكيل والميزان وهذا مما يزيد فى ثروتكم . وعجبوا كيف ينهاهم عن عبادة ماكان آباؤهم يعبدونه وكيف يامرهم بالعدل فى الكيل والميزان وينهاهم أن يفعلوا فى أموالهم بحسب اهوائهم وما يشتهون وعابوا عليه صلاته التى تامره بذلك وتهكموا به قائلين : (أنك لأنت الحليم الرشيد) وهو فى كل ذلك يراجعهم ويقيم الحجة عليهم الى أن تاذن الله بهلاكهم فاخذتهم الرجفة وهى الزلزال فبادوا كأن لم يغنوا فيها

وبعد أن فرغ الله من أهل مدين ونجى شعيبا والذين آمنوا معه ارسله الى أصحاب الأيكة - وهى غيضة تنبت ناعم الشجر كانت بقرب مدين تسكنها طائفة من عباد الله . قيل كانوا بادية مدين وكان شعيب اجنبيا منهم وكانوا على مثل طريقة أهل مدين . فلما نهاهم عماهم فيه قالوا (انما أنت من المسحرين وما أنت الابشر مثلنا . وان نظنك لمن الكاذبين - ظنا منهم ان الله لا يرسل الى البشر هداة منهم جهلا منهم بان الله أعلم حيث يجعل رسالته

وكان من شدة حماقتهم أن يطلبوا الى شعيب أن يسقط عليهم كسفا من السماء اى قطعة منها ان كان من الصادقين . ولشدة جهلهم لم يطلبوا الهداية الى الحق فاخذهم عذاب يوم الظلة بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت مياههم ثم ساق اليهم غمامة فاجتمعوا للاستظلال بها من وهج الشمس فامطرت عليهم نارا فاحترقوا والى ذلك الاشارة فى قوله تعالى (انه كان عذاب يوم عظيم)

اقرءوا هذه الآيات :

سورة الاعراف — وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها
ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ٨٥ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من
آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ٨٦
وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحاكمين ٨٧ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من
قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين ٨٨ قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ٨٩ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم
شعيبا إنكم إذا لخاسرون ٩٠ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ٩١ الذين كذبوا شعيبا
كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ٩٢ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم
رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ٩٢

سورة هود — وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ٨٤ ويا قوم أوفوا المكيال
والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ٨٥ بقية الله خير لكم
ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ٨٦ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا
أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد ٨٧ قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة
من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح

مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ
مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ٨٩ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ٩٠ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا
وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٩١ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ
وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٩٢ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ٩٣ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا
بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ٩٥

سورة الحجر — وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ٧٨ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ٧٩

سورة الشعراء — كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ ١٨٠ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ١٨١ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ١٨٢ وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ١٨٣ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ
١٨٤ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ١٨٦ فَأَسْقِطْ
عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٨٧ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ
عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٨٩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٩٠
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٩١

سورة العنكبوت — وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ٣٧

زمن شعيب

كنت قد قرأت فى ص ١٦ ج ٤ من كتاب صبح الاعشى لابى العباس احمد القلقشندى عبارة تفيد الجزم بان شعيبا عليه الصلاة والسلام كان زمنه بعد زمن موسى بعدة قرون وان وجوده كان فى أوائل القرن الثامن بعدموسى عليه السلام . ونص عبارته

« ثم ملك بعده - يعنى يوثام - ابنه آحاز ست عشرة سنة ايضا . وكانت الحرب بينه وبين ملك دمشق وفى زمنه كان شعيب عليه السلام » ا ه

ولكن تبين لى أن ذكر شعيب فى كلام القلقشندى خطأ وأن الصحيح « شعيا »

أما شعيب فقد كان زمنه قبل زمن موسى فان الله جل ذكره لما ذكر نوحا ثم هوداً ثم صالحا ثم لوطا ثم شعيبا قال - « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه » سورة الاعراف ومثل ذلك فى سورة يونس بعد أن ذكرهم قال « ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه » ومثل ذلك فى سورة هود وفى سورة الحج وفى سورة العنكبوت بعد أن ذكر أمم الأنبياء وأحوالهم قال « وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات »

ولبيان الحق واعطاء كل ذى حق حقه أقول إن الذى وجه نظرى الى ذلك هو الشيخ عبد الفتاح خليفه

بنو اسرائيل بمصر

نزل يعقوب اسرائيل الله باولاده مصر فى عهد يوسف عليه السلام ولم ينزل فى الكتاب الكريم شىء عن بنى اسرائيل واسرائيل بمصر بعد ذلك إلى عهد ولادة موسى . ولكن التوراة ذكرت أن يعقوب وبنيه لما أقاموا فى مصر خيرهم فرعون فى الارض التى ينزلون بها . فقالوا (بناء على تعليم يوسف لهم) انهم رعاة ماشية . وطلب يوسف إلى فرعون أن يسكنهم أرض جاسان او جاشان وهى فى شمال بلبيس من بلادها سفط الحنة الآن ويقول العلماء أنها نواحى الصالحية . وكانت العلة فى طلب يوسف ذلك لهم انها ارض مراع وهم رعاة ماشية . ويلوح لى انه انما عمل ذلك ليبعدهم عن مخالطة المصريين بقدر الامكان حتى يكونوا بمنجاة من وثنيتهم حرصا منه على بقاء ذراريهم على

التوحيد وذلك ان المصريين كانوا يقذرون الرعاة ولا يخالطونهم لان ذلك نجاسة لديهم (١)

وتذكر التوراة ان يوسف اشترى من المصريين مواشيهم وكل مايملكون من الارضين لفرعون فى نظير ما اعطاهم من الطعام حين اشتد الجوع فى الارض ثم اشترى منهم انفسهم فصاروا عبيدا لفرعون بطعام بطونهم . ونقل الناس الى المدن لانهم لا خير لهم فى البقاء بداخلية البلاد . إذ لا زرع ولا ضرع ، وامامى الان اطلس تاريخى لحضرة الفاضل الاستاذ محمد رفعت بك . وقد رسم ارض جاشان شمالى بلبيس ومن بلادها (فكوسه) اى سفط الحنة .

وفاة يعقوب

وقد عاش يعقوب سبعا واربعين ومائة سنة . ومات على رأس سبع عشرة سنة من قدومه إلى مصر . وبارك ابنى يوسف (افرايم ومنسى) ودعا لهما . وجعلهما صاحبى نصيبين كأولاد يعقوب الصلبيين فى الارض المقدسة التى يملكها بنو اسرائيل . وهى ارض فلسطين ودعا اولاده وباركهم وتنبأ لهم بما سيلاقى كل واحد منهم ونسله اجمالا . واوصاهم بالاستمساك بالدين (ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون) . وقد مات يعقوب بعد ما اوصى أن يدفن عند ابيه وجده - فأمر يوسف الاطباء بتحنيطه فحنطوه وحمل إلى فلسطين ودفن هناك كما أوصى ، أما اخوة يوسف فوقعوا على قدميه تائبين نائبين مستغفرين لسابق ذنبهم ضارعين خائفين ان يمسك يوسف عنهم سبب بره ويزوى عنهم وجه بشاشته بعد ان كان يكرمهم . مقدرين انه ما كان يكرمهم الا بسبب وجود ابيهم وقالوا له : انأبانا أوصانا ان نبلغك ان تصفح عن اساءتنا اليك وبخعوا له بأنفسهم بالعبودية فبكى يوسف وسكن روعهم وعرفهم ما فى اساءتهم من الخير لشعوب الارض وان الله فعل ذلك رحمة بعباده وعاش يوسف الى ان بلغت سنة عشرا ومائة سنه فحنطوه ووضعوه فى تابوت وبقى محفوظا الى ان اخذه بنو اسرائيل فى خروجهم من مصر .

وقد رأيت فى الحرم الخليلى بحبرون أحد التوابيت الموضوعة قريبا من مغارة المكفيلة وهى

---

(١) وتقول التوراة فى الآية ١١ من الاصحاح ٤٧ تكوين فاسكن يوسف أباه واخوته واعطاهم ملكا فى مصر فى افضل الارض من ارض رعمسيس كما امر فرعون ١٢ وعال يوسف اباه واخوته وكل بيت ابيه ورتب الطعام على حسب الأولاد .

مدفن ابراهيم وسارة ورفقة واسحق ويعقوب . وأهل البلاد يقولون أنه تابوت يوسف وانه دفن في المغارة ، واحسب ذلك منهم وهما لأن يوسف دفن في ارض افرايم كما تقول التوراة وحبرون من أرض يهـــوذا .

وقد اخبرني حضرة الفاضل محمد نمر حسن نابلسي بان يوسف مدفون بنابلس وله ضريح هناك وكذلك اخبرني بذلك حضرة الفاضل امين بك عبد الهادي من اعيان نابلس - وهذا هو المعقول لان نابلس من ارض افرايم واسمها في القديم شكيم او شخيم .

ثم ماذا ؟

ضرب الدهر ضرباته وجاءت الأسرة الثامنة عشرة المصرية . وطردوا ملوك الرعاة الذين كانوا في مصر وشغلوا من تاريخها نحو أربعة قرون . من الأسرة الرابعة عشرة الى الأسرة الثامنة عشرة وجاء أحمس رأس تلكم الأسرة وطرد الرعاة ومزقهم كل ممزق وشردهم كل مشرد . وبنو اسرائيل في أمكنتهم . وكان بين ورودهم الى مصر وخروجهم منها على يد موسى خمس عشرة سنة ومائتا سنة على ما حققه رحمة الله الهندي

جاء ملك لمصر لا يعرف يوسف ولا فضله على مصر وغيرها . ورأى بني اسرائيل يكثرون . فخاف أن يكونوا إلبا (أي قوة وحزبا) لأعداء أهل مصر فأراد أن يقتل كل ذكر من أولادهم حتى لا يكثر عددهم ويكون منهم ما يحذر على مصر والمصريين(١) . فأمر قابلتي المصريين وكان اسم أحداهما (شفرة) والثانية (فوعة) بقتل كل ذكر تلده عبرانية . وأما البنت فتبقى ، فلم تفعلا ما أمرتا به . ولما سألها قالتا له إن العبرانيات قويات . فهن يلدن قبل أن تأتي القابلة ، وكان ذلك الملك أمر باذلال العبرانيين وتسخيرهم في عمل اللبن والبناء وغير ذلك من الأعمال الشاقة ، ووكل بهم من يتبعهم حتى لا يجدوا مس الراحة رجاء أن يقلل ذلك من نسلهم فلم يفد ذلك فرعون وآله فائدة . لأن العبرانيات كن يحملن كثيرا ثم أمر فرعون جنوده والمتدخلين في الأعمال أن يلقوا كل ذكر من أولاد العبرانيين في النهر ليموت - هذا ما ذكرته التوراة وهو عين ما ذكر في القرآن إلا في تفاصيل جزئية

---

(١) يقول المفسرون أن الكهنة أخبروا فرعون بأن زوال ملكه سيكون على يد مولود لبني اسرائيل فوجه همه الى قتل ابنائهم واستحياء نسائهم - وهذا يحتمل ولا بعد فيه

اقرءوا هذه الآيات :

سورة البقرة — وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩

سورة الاعراف — وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤١

سورة ابراهيم — وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٦

سورة القصص — نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ٦

فأنتم ترون أن قتل الأبناء واستحياء النساء بلاء لا يصبر عليه ذو عقل الا بمعونة الله وإن الله سبحانه وتعالى انما كافأ بنى اسرائيل بنعمه الوافرة بما كان منهم من الصبر وان كانوا على أخلاق جافية وطباع شاذة فى نواح أخرى من نواحى سجاياهم من حيث ضجرهم بالخير يسدى إليهم . وطلبهم من موسى أن يجعل لهم إلهاً كما لهم حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم كما سيأتى ومبادرتهم الى عبادة العجل بلا روية وذلك ان أجر الصبر عند الله تعالى عظيم

موسى عليه السلام

ولادة موسى وارضاعه - تربيته فى بيت فرعون - خروج موسى من مصر الى ارض مدين وسببه - أرض مدين ونزول موسى بها - قضاء موسى مدة استئجاره موسى بالوادى المقدس - بعثته عليه السلام - عود موسى إلى مصر ودعوته لفرعون تذكير فرعون موسى تربيته فى بيت فرعون - موسى يحاج فرعون فى ربوبية الله تعالى فرعون يتجاهل الله ويدعى الالهية ويأمر ببناء صرح يصعد به الى السماء - معجزتا العصا واليد - تمادى فرعون وقومه - الائتمار بموسى لقتله - فرعون يستخف بموسى ويباهى - الآيات التى أرسلها الله تعالى على فرعون وقومه لما كذبوا موسى عليه السلام - انطلاق بنى اسرائيل - فرعون صاحب موسى رأى آخر فيه - لصوق الوثنية ببنى اسرائيل - ذهاب موسى عن بنى اسرائيل - اتخاذ بنى اسرائيل العجل - ما حقيقة العجل الذى عبده بنو اسرائيل - ومن هو السامرى - دخول الارض المقدسة - نتق الجبل فوق بنى اسرائيل - بنو اسرائيل ومسألة البقرة - قصة قارون وموقف موسى بازائه - ايذاء بنى اسرائيل لموسى - اظهار الله تعالى براءته - اختيار موسى سبعين رجلا - العبد الصالح صاحب موسى - ما اسم العبد الصالح - تذكير الله تعالى بنى اسرائيل بنعمه عليهم - موت هارون ثم موسى - موقف لبنى اسرائيل بعد موسى - ثناء الله تعالى على موسى وهارون - العظات التى تستفاد من قصة موسى - استطراد

ولادته وارضاعه

فى أثناء تلكم العاصفة الهوجاء التى مرت ببنى اسرائيل فى مصر والأهوال التى يلاقونها كان رجل عبرانى يقال له عمران (عمرام بالعبرى) بن قاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام - قد تزوج من عمته يوكابد بنت لاوى كما هو مقتضى الآية ٢٠ من الاصحاح الثانى من سفر الخروج ونصها (وأخذ عمران يوكابد زوجة له فولدت له هارون وموسى) ومعلوم أن زواج العمات [١] لم يكن قد نزل الأمر بتحريمه لأن ذلك انما كان على يد موسى بعد خروج بنى اسرائيل

---

(١) قد ينكر بعض الناس صحة زواج العمات . وأنا اقول أنه ثابت تزويج آدم أولاده من بناته فتزوج من بعد منهن من الاقارب بالأولى وما ثبت من حل التزوج بالقريبات لا يحظر الا بشرع =

من مصر ـ ولما ولدته خبأته عن عيون من يطلبون أطفال بنى اسرائيل لقتل ذكرانهم فمكث عندها ثلاثة أشهر، فلما خافت افتضاح امرها ، أعلمها الله تعالى وعلمها أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالحمر (١) والزفت وتلقيه فى اليم ففعلت وناطت بأخته أن تتبع أثره وتعلم علمه ، وكان الله تعالى قد أعلمها أنه راده اليها وجاعله من المرسلين . فلم تزل اخته تراقبه حتى علمت أنه التقط وادخل دار فرعون وان عين زوجة فرعون وقعت عليه فألقى الله عليه محبتها فاستحيته وابقته ليكون قرة عينها وعين فرعون راجية أن ينفعهما أو يتخذاه ولدا وهذا تدبير من الله لموسى وأمه لأنه سيعود اليها لتكون ظئرا له وتتقاضى على ارضاعه أجراً وهى آمنة كيد الكائدين وسعى الساعين

وكيفية اعطائها اياه لترضعه ان الله تعالى زهده فى المراضع فلم يقبل على ثدى احداهن رحمة منه تعالى بأمه وكانت اخته تقص أثره وتتبعه أينما سير به حتى رأت أعراضه عن الثدى فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امرأة عبرانية ترضعه وتكفله وأنها تكون له ناصحة مشفقة تقوم له مقام الأم وكان اسم أخته مريم

صادف قول مريم من آل فرعون أذنا مصغية وبعثوها فى طلب الظئر فجاءت بامها وأمه على التحقيق . فأقبل على ثديها فألقوا اليها بموسى لترضعه وهو موضع عنايتهم

اقرءوا هذه الآيات

سورة القصص ـ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ٨ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ

= جديد يأتى بعدم الاباحة العامة ونحن اسراء النص فمن اراد أن يثبت حرمة هذا النوع من الزواج فى ذلك العهد فعليه أن يأتى بالنص القاطع على ذلك

(١) الحمر بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة القطران

نَاصِحُون ١٢ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣

سورة طه ـ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ٣٧ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ٣٨ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ٣٩ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ٤٠

وقد ذكرت التوراة قصص ولادة موسى وارضاعه أولا ثم صنع سفط له وطلاءه بالحمر والزفت والقاءه خرجت ابنة فرعون ومعها جواريها إلى شاطىء النهر وانها نزلت تغتسل فعثرت على السفط الذى فيه موسى . لأنها رأته بين الحلفاء فأمرت جواريها فأتين به اليها فعلمت أنه عبرانى واحبته وللحال عرضت عليهم مريم اخت موسى أن تأتيهم بامها لترضعه فبعثتها فى ذلك فعادت بها وناطوا بها ارضاع موسى وتربيته ، والقصة هناك ليس فيها اختلاف له شأن مع ماقصه القرآن الكريم غير أن القرآن يقول أن التى تبنته امرأة فرعون وما فى سفر الخروج يقول أنها ابنته ولعل امرأته كانت واسطة بين بنته وابيها وهى التى تولت تحسين أمر استبقائه لفرعون فالخطب هين ـ وأمر آخر هو أن القران يذكر أن الله أمرها بالقاء التابوت فى اليم أى الماء وأن الماء سيلقيه بالساحل والتوراة تذكر أنها وضعته بالساحل بدأة ذى بدء

تربية موسى فى بيت فرعون

طبعى أن تكون أم موسى بعد أن أتمت رضاعته قد أتت به الى بيت فرعون وتولى البلاط الفرعونى تربيته كما كانوا يربون ابناء الملوك فى ذلك العهد بواسطة الكهنة[1] ورجال الدين بحسب

---

[1] نقد اللجنة

« الموضوع التاسع »

(تربية موسى فى بيت فرعون)

فى صفحة ١٤٣ ما نصه :

طبعى ان تكون أم موسى بعد أن أتمت رضاعه قد أتت به الى بيت فرعون وتولى البلاط=

التقاليد التى كانت لذلك البيت فى تلك الأيام وأن يكون موسى قد تعلم تعليما راقيا ـ ويضاف الى ذلك ما افاضه الله عليه فى كبره من الحكمة والعلم الثابت فى قوله تعالى

سورة القصص ـ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٤

وقد ذكرت التوراة أن أم موسى ردته الى ابنة فرعون فاتخذته ولدا وأسمته موسى وقالت انى انتشلته من الماء ولفظ موسى فى العبرى (موشى) بامالة حركة الشين الى الكسرة

= الفرعونى تربيته كما كانوا يربون أبناء الملوك فى ذلك العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد التى كانت لذلك البيت فى تلك الأيام وأن يكون موسى قد تعلم تعليما راقيا :

اقرءوا هذه الآية :

سورة القصص — ولمـــا بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين — هذا نص عبارته بالحرف .

(رأى اللجنة)

لا نفهم السر فى قوله ـ اقرءوا هـذه الآية . ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ـ

هل يقصد ان ما آتاه الله من الحكم والعلم لما بلغ أشـده واستوى هو من تعلمه التعلم الراقى فى البلاط الفرعونى بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد التى كانت لذلك البيت فى تلك الأيام .

ان كان قصده هـذا فعجيب جداً فان معنى الآية الكريمة على ما يؤخـذ من الألوسى وغيره باختصار (ولما بلغ أشده) أى المبلغ الذى لا يزيد عليه نشؤه (واستوى) اى كمل وتم تأكيد وتفسير لما قبله وقيل هما مختلفان وقـد ذكر المفسرون لهما معانى عدة واختار الألوسى ان المعنى ولما قوى جسمه واعتدل عقله (آتيناه حكما) أى نبوة (وعلما) أى بالدين والشريعة وقيل الحكم السنة والعلم التوراة وقيل المراد آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان عليه السلام لا يفعل فعلا يستجهل فيه :

ثم قال الألوسى بعد كلام فى ترجيح القول الأخير ما نصه ومن ذهب الى أن هذا الايتاء كان قبل الهجرة قال يجوز ان يكون المعنى آتيناه رياسة بين قومه بنى اسرائيل بان جعلناه ممتازا فيما بينهم يرجعون اليه فى مهامهم ويمتثلونه اذا امرهم بشىء أو نهاهم عنه وعلمـا ينتفع به وينفع به غيره وذلك إما بمحض الالهام او بتوفيقه لاستنباط دقائق واسرار مما نقل اليه من كلمات آبائه الأنبياء عليهم السلام ولا بدع فى أن يكون عليه السلام عالما بما كان عليه آباؤه الأنبياء وبما كانوا يتدينون =

خروج موسى من مصر
الى ارض مدين وسببه

شب موسى فى بيت فرعون . وكان أيدا قوى البأس وافر القوة . ولم يخف عليه انه دخيل فى بيت فرعون وانه اسرائيلى من ذلك الشعب المضطهد من فرعون وآله . فكان ظهيرا للعبرانيين قومه - وقد جاء فى الطبرى أنه من حين شب موسى وقوى كف عادية المصريين عن بنى اسرائيل-

---

= به من الشرائع بواسطة الالهام او بسماع ما يفيده العلم من الأخبار : اه المقصود منه

فهل يرى فضيلة الأستاذ ان النبوة والشريعة او التوراة والسنة أو سيرة الحكماء والعلماء وسمتهم أو الامتياز على قومه والعلم الذى ينتفع به وينفع غيره والذى حصل عليه إما بمحض الالهام أو بتوفيق الله له لاستنباط دقائق واسرار مما نقل عن آبائه الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين قد اكتسبه موسى عليه الصلاة والسلام من الكهنة ورجال الدين فى البلاط الفرعونى - لا نظن انه يرى ذلك - ولا نظن الا انه كتب هذه الآية فى هذا المقام سهوا :

اما ما ذكره فى اصل الموضوع من قوله طبعى الخ فنقول فى شأنه ان الثابت قطعا ان موسى عليه السلام قد تربى فى بيت فرعون وهو صغير بدليل قوله تعالى حكاية عن فرعون (الم نربك فينا وليدا) اى صبيا ثم الذى نعتقده وندين الله عليه ان الله حماه فى اثناء التربية وهو صبى من الكهنة الفرعونية ورجال دينه وانه لم يتعلم منهم شيئا والله أعلم :

رد المؤلف على نقد اللجنه

الموضوع التاسع

(تربية موسى فى بيت فرعون)

لقد كتبت فى كتابى ما نصه حضرات أصحاب الفضيلة - والذى يظهر لى أنهم تملكتهم الروعة والجزع حين قرءوا عبارتى وقد ذكرت فيها ان الكهنة لا بد ان يكونوا قد تولوا تربية موسى بحسب التقاليد التى كانت لذلك البيت فى تلك الأيام - وخيل اليهم اننى أقرر ان الكهنة ورجال الدين قد صبغوا موسى بالصبغة الوثنية وصيروه من عباد الأوثان - وكان الحق على حضراتهم ان يسألوا العالمين باحوال القبط فى تلك الأيام عن وظيفة الكهنة فانى أؤكد لحضراتهم انهم سيعلمون ان الكهنة كانوا كل شىء لكل شىء وانهم كانوا الأطباء ومعلمى الحساب والهيئة والأقرباذين والتاريخ والصيدلة والفلسفة ومعلمى القراءة والكتابة . وفى يدهم وحدهم كل علوم =

ومن الأمور الطبيعية أن يعرف فيه بنو اسرائيل الظهير والنصير . وان يلجأ اليه المظ

خرج موسى يوما على حين غفلة من أهل المدينة فوجد رجلا مصريا يأخذ

فى بعض عمـــله فاستغاث العبرانى بموسى فجاء الى المصرى على حال حرَد ووكز

القاضية . فواراه التراب ولم يعلم بذلك الأمر سوى الرجل العـــبرانى الذى نصر

موسى على مافعل وقال فى نفسه هذا الذى أتيت من عمل الشيطـان أنه عدو مضل

الى الله أن يتوب عليه وألا يجعله ظهيرا للمجرمين وناصرا لأهل الشر . فلما كان ا

= الثقافة وانهم كانوا متمكنين فى توحيد الله الحق وكان ذلك سرا يكتمونه عن الع

موسى ولا يبوحون به إلا للخاصـة ومن يريدون الدخول فى زمرتهم . وأما العام

بهذه الأوثان والتماثيل ويســتديمون طاعتهم بتبليغهم أوامر الآلهة وهكذا — ق

البداية : والنهاية وأهل مصر وان كانوا يعبـدون أصناما إلا انهـم يعلمون ان الذى

ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له فى ذلك ص ٢٠٤ ج ١

وليكن فى علم حضرات أصحاب الفضـيلة انى أغار على دين الله وعلى أنبيائه ورسله الأطهـار كغيرتهم أو أشد . وإنى على أكثر من اليقين بأن موسى عليه الصـلاة والسلام لم يلج الـكفر بالله قلبه صغيرا ولا كبيرا قبل النبوة — وانه رضع عقيدة الايمان مع ابن أمه وانه قد عرف وكره الذى فيه ولد وعشه الذى منه درج وتلقن الايمان والتوحيد من أمه وابيه وان مستقر اعتقاده لم يتلوث بشىء من وثنية المصريين وذلك كله ماثل للعيان فى كتاب الله الـكريم — ومن شاء فلينظر الى قوله بعد ان وكز القبطى فقضى عليه وأدركه الندم على ما فرط منه من غير قصـد الى الجريمة والمعصية « هـذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين » وكيف ضرع الى الله قائلا « رب بمـا أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين » فانه لم يضرع الى امون رع ولا ازوريس ولا ايزيس ولا الى حوريس ولا الى ابيس وغيرهن .

اذا اطمأنت أنفس حضرات اصحاب الفضـيلة الى ماقدمت . فانى أقول لهم ان قصـدى من الآية التى أتيت بها . ان موسى لم يقتصر الله فى إمداده على الثقافة التى أصابها فى البلاط الفرعونى بل آزر ذلك الحكمة والعلم اللذان أمده الله تعالى بهما حين بلغ أشده واستوى وصار بذلك مفزع آل اسرائيل وغوثهم وغياثهم . وقد نص العلمـاء على ان بنى اسرائيل قد خف عنهم الحيف فى المدة التى كان فيها موسى فى بيت فرعون من حين كبر وعرف انه من بنى اسرائيل

بذلك يندفع ذلك التعجب وينهـــار كل ما بنوا عليه من الحدس والتخمين وفرض الفروض والأخذ والرد — وأؤكد لحضراتهم انى لم أكتب هذه الآية سهوا بل عنيت بها ماقد قدمته والله =

الى المدينة وهو يخاف افتضاح فعلته التى فعل - وقد ذكر الطبرى بسنده إلى ابن عباس خبراً طويلا فى قصة ولادة موسى الى أن ذهب الى مدين جاء فيه أن المصريين لما عثروا على قتيل موسى ولم يعلموا له قاتلا سبق الى فكرهم أن بنى اسرائيل هم قاتلوه فقالوا لفرعون ان بنى اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال ابغونى قاتله ومن يشهد عليه لأنه لايستقيم أن نقضى بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك .

فبينما هم يطوفون ولايجدون . اذ مر موسى من الغد فوجد ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا

=على ما أقول شهيد وكفى بالله شهيدا

وانى أقطع كما قطع حضراتهم أن موسى قد تربى فى بيت فرعون صغيرا وأزيد على ذلك انه لم تنقطع صلته بالبيت الفرعونى كبيرا - وأدين لله كما يدينون ان الله تعالى قد حماه من كل نزعة وثنية وان العقيدة الوثنية لم تجد الى قلبه سبيلا ولم تجد الى مستقر اعتقاده مسربا

وأما كون موسى لم يتعلم من الكهنة شيئا فان عقلى لا يتسع الى هذا الحد ولا أجيز فى مجرى العادة ان ابن فرعون بالتبنى ينشأ جاهلا لا يقرأ ولا يكتب ولا يتعلم حسابا وهو الذى يرشح عند المصريين لجسام الأعمال وربما كانوا يعدونه ليتولى الالهية فى يوم من الأيام اذا خلا البيت المالك عن ملك من صلب الأسرة ولم يوجد فيها من يتولى ذلك واذا كان حضراتهم قد حصلوا من الشجاعة على مقدار تطوع لهم أنفسهم معه ان يكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فانى أقف عند ما أعلم وأفوض علم ما وراء ذلك الى الله تعالى وعلى ما حملت وعليهم ما حملوا

اذا ما انتهى علمى تناهيت عنده أطال فأملى أم تناهى فأقصرا

وبعد ذلك . فالقرآن الكريم يشهد بصريح عبارته ان موسى لم ينقطع عن البلاط الفرعونى بمجرد فطامه . ففرعون يقول له (ألم نربك فينا وليدا) قال فى التاج - الوليد الغلام حين يستوصف قبل ان يحتلم ص ٥٤٤ تكملة ج ٢ ومعنى يستوصف أى يصير بهيئة الشاب لأن الوصيف هو الشاب من الخدم - قال فى اللسان (والخادم ان كان شابا وصيف) ثم أتبع فرعون ذلك بقوله (ولبثت فينا من عمرك سنين) وقد قال البيضاوى : قيل مكث فيهم ثلاثين سنة أى قبل ان يذهب الى مدين . ومعنى ذلك انه مكث هذه المدة فى بيت فرعون. واذا كان قد انقطع عن البيت الفرعونى منذ صغره لم يكن لفرعون أن يمن عليه بأنه مكث فيهم من عمره سنين لانه يكون قد مكث مع اليهود وفى اليهود — وما كان موسى بالذى يظل جاهلا لا يثقف بثقافة عصره حتى يبلغ ثلاثين سنة

وبعد هذا كله فانى أهمس فى أذن حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة بكلمة صغيرة فأقول لهم ان شأنكم فى كتابى أن تبحثوا عن تصريح لى يخالف نصا قطعي الثبوت والدلالة أو تصريح لى بمخالفة=

فاستغاثه الاسرائيلي وهو الذي من شيعته على الفرعوني الذي هو من عدوه فصادف موسى وقد ندم على ما كان منـــه بالأمس وكره الذي رأى وغضب موسى . فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني . وفي الوقت ذاته قال للاسرائيلي . (انك لغوى مبين) قال فاذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف الاسرائيلي أن يكون اياه أراد بعد ما قال له انك لغوى مبين . فحاجز الاسرائيـــلي الفرعوني وقال لموسى ياموسى . (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس) ؟ وانما قال له ذلك مخافة أن يكون موسى أياه أراد ليقتله .

فانطلق الفرعوني فاخبر قومه . ورفعوا الأمر الى فرعون بان القاتل هو موسى فارسل اليه الذباحين في ذلكم الوقت خالف رجل شريف من آل فرعون قومه وجاء الى موسى من أقصى المدينة

= معلوم من الدين بالضرورة فاذا لم يكن هذا ولا هذا فلا شأن لكم فاذا سوغتم لأنفسكم باكثر من هذا . فابرزوا لى الوثيقة التى جاءتكم من الله تعالى بان سلطكم على عقائد عباده وضمائرهم وأباح لكم بها أن تتسوروا على وجدانهم وخلجات أنفسهم وخواطرهم لتلقوا فيها الشك وهى حرم مقدس يجب عليهم الدفاع عنها باشد مما يدافعون عن أرواحهم وأموالهم وأعراضهم - وهل أدب الدين أو أدب السلوك أو أدب المروءة ان يعمد العالم من امثالكم الى احد من عباد الله تعالى لم يستحق اثما ولم يحدث فى الدين جريمة فيوجه كلامه توجيها يلقى الشبهة فى عقيدته الدينية ويخيل لسامع كلام الناقد أنه مرق من الدين واتبع غير سبيل المؤمنين لمجرد احتمال لم يدر الا فى خلد ذلك الموجه ولا يمكن أن يمر بخاطر انسان سواه ليسوىء سمعته ويشينه بين الناس بغير سلطان ولا برهان

ياقوم - لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة . فقد اتهم اسامة بن زيد رجلا بانه سلم ونطق بالشهادة متعوذا . ولما جاء الى رسول الله وبلغه خبر فعلة اسامة وكان معرضا عن المخبرين فرفع رأسه الى اسامة فقال : كيف انت ولا إله إلا الله ؟ فقال يارسول الله انما قالها متعوذا يتعوذ بها فقال عليه الصلاة والسلام هلا شققت عن قلبه فنظرت اليه - ثم نزلت آية (يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) . وقد رويت فى هذه الحادثة روايات اخرى بمعنى ماتقدم ص ١٥٧ ج ٢ روح المعانى للالوسى

وأما قول حضراتهم ان وليدا بمعنى صبى . فهو يوهم أنه انقطع عن بيت فرعون منذ صغره أيام كان لا يعى دينا مع ان الوليد ليس معناه الصبي مجردا بل هو الغلام اذا بلغ الشبـــاب قبل أن يحتلم

مسرعا ليسبق الذين يطلبون موسى من طريق مختصر وأعلمه علم القوم ومادبروا عليه . وذلك من فتون الله له . ونصح ذلك الرجل الشريف له أن ينجو بنفسه . ويفارق بلاد مصر حتى لاتمتد اليه أيديهم بسوء فقبل منه موسى هذه النصيحة الغالية . وذهب على وجهه يريد أرض مدين ـ وانما وصفت الرجل بالشرف لأمرين

الأول ـ أن من الأمثال الجارية (الاطراف سكنى الاشراف) وذلك أنهم ينالون حاجاتهم من المدينة بفضل مالهم من قوة وثروة . ويسعى اليهم أهل الحاجات بفضل مالهم من جاه وعز

الثانى ـ أن الله عبر عن نصيحته بقوله لموسى (أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) والملأ القوم يملأون عين من يراهم مهابة وروعة ولا يطلع على أسرار الملأ إلا من كان منهم ولا يقف على مايبيتون الا من كان من طبقتهم ولا يحجبون عنه سرهم . ومثل هذا لايكون الا من اشرافهم وعليتهم

اقرءوا هذه الآيات ـ سورة القصص . وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ١٧ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ١٨ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ١٩ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢١

سورة طه ـ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا (١)

---

(١) ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى من الآية ١١ الى آخر الآية ١٥ من الاصحاح الثاني من سفر الخروج وهي لاتختلف عما في القرآن في شيء جوهري . غاية الأمر أنها ذكرت أن=

ارض مدين ونزول موسى بها

هى بلاد واقعة حول خليج العقبة من عندنهايته الشمالية وشمال الحجاز وجنوب فلسطين تنسب الى مدين (وتقول التوراة مديان) بن ابراهيم عليه السلام سميت القبيلة باسمه وكانوا شاوية وفى الطبرى عن سعيد بن جبير ان ما بين مصر ومدين ثمان ليال وكانت مدين هى البلاد التى وقع اختيار موسى على قصدها . والنزول بها . ولعله راعى صلة القرابة بين مديان بن ابراهيم واسحق ابن ابراهيم الذى من ذريته موسى

وظاهر أن موسى خرج من مصر على عجل . فلم يتزود للطريق ولم يعدللسفر عدته . معتمدا على الله فى هدايته الى السبيل السوى . فلم يكن فى قافلة أو رفقة فى ذلك السفر الشاق لأن من يطلب النجاة بخيط رقبته . لا يمكن أن يروى فى أمره أويعد لسفره عدته . وفى الطبرى عن سعيد بن جبير أن موسى لم يكن له طعام سوى ورق الشجر . وانه خرج حافيا فما وصل الى مدين حتى وقع خف قدمه أى أن الجلدة الملاصقة للارض من قدمه قد أضربها السير الحثيث المتواصل حتى سقطت . وعن ابن عباس أنه ورد ماء مدين وان خضرة البقل لتتراءى من بطنه من الهزال

ورد موسى ماء مدين فماذا رأى ؟

ورد الماء فوجد عليه جماعات كثيرة من الناس يسقون ماشيتهم . ووجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما عن الورد وتحبسانها بعيدا عن الحوض انتظارا لان يسقى أولو القوة من الرعاة ماشيتهم . حتى اذا فرغوا من حاجتهم جاءتا واستقتا لماشيتهما . وفى الطبرى أنهما كانتا تسقيان من الحياض - ومما لاخفاء به أن التقدم فى ورود الماء لسقى الماشية انما يكون لأولى القوة . وأما أهل الضعف فحظهم التأخر حتى اذا لم يبق وارد ولا صادر سواهم أوردوا ماشيتهم . انـــظروا إلى قول الشاعر .

= الخصمين فى اليوم الثانى كانا عبرانيين وأن موسى قال للمذنب منهما : لم تضرب صاحبك ؟ فقال له من جعلك رئيسا وقاضيا علينا أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى . وعبارة القران تشير الى أن أحد الرجلين صاحبه الذى نصره بالامس عبرانى من شيعة موسى والثانى مصرى عدو لهما - ولم تذكر التوراة أن رجلا جاء من أقصى المدينة يسعى وأنبأه أن الملأ يأتمرون به وأشار عليه بالخروج ومعلوم أن المعول على ما فى القرآن

اذا الله جازى قوم سوء بفعلهم فجازى بنى العجلان رهط بن مقبل
أولئك قوم لم يكونوا أعـــزة ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الوراد عن كل منهل

يريد أنهم لضعف قوتهم وذلتهم يتأخرون عن الناس فى ورود الماء . حتى اذا صدر الوراد ولم تبق لأحد حاجة الى الماء . أوردوا . وإنما يطلب أهل القوة والعزة الورود أولا . لأن الماء فى هذه الحال يكون صافيا والذى يرد آخراً إنما يرد بعد نضوب الماء . وحينئذ لا تخرج منه الدلاء الا ماء كدرا بما خالطه من طين البئر . قال عمرو بن كلثوم التغلبى

ونشرب ان وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

موسى رجل جد وانسان صدق رأى هذا فلم يعجبه أن يبتعد النسوة . ويتقدم للورود الرجال . فسأل المرأتين عن شأنهما وحبسهما ماشيتهما عن الورود فقالتا لا نسقى حتى يصدر هؤلاء القوم ماشيتهم . لأننا اذا حاولنا التقدم عليهم أو مشاركتهم منعونا بفضل قوتهم . وليس لنا من يلزمهم انتظارنا لأن أبانا شيخ كبير . لا يقدر على مباشرة شىء من امر الرعى والسقى فحمى موسى لهما وطرد أولئك الرعاة . وأقدم على البئر ينزع منها بالدلو وسقى لهما غنمهما . ولم يقدر أحد على منعه لأن الناس دائما يحترمون الأقوياء وقد رأوا من قوة موسى واقدامه ما ألزمهم حد الأدب معه

ويقول بعض المفسرين . أنه وجد البئر عليها صخرة عظيمة لا يستقل بازالتها عن فم البئر الا جماعة من الأقوياء فنزعها وحده وسقى للمرأتين غير أن فى هذا القول غفلة عما نطقت به الآية فانها تصرح بأنه وجد على البئر أمة من الناس يسقون فلم يكن بأحد حاجة الى إزالة الغطاء عن البئر ان كان له غطاء اذ القوم يسقون بالفعل ولا يكون ذلك الا اذا كانت البئر مفتوحة لا غطاء عليها (١)

عادت المرأتان الى أبيهما الشيخ فانكر منهما تبكيرهما بالعود على خلاف شأنهما كل يوم وسألهما عن سبب ذلك فاخبرتاه بما كان من الرجل المصرى الذى سقى لهما . وسنى لهما العود مبكرتين

---

(١) يريد بعض المفسرين أن يجمع بين القرآن وما قاله بعضهم من إنه كان فوهة البئر صخرة رفعها موسى فقال انها بئران أحداهما كان يستقى منها الناس والأخرى كانت عليها الصخرة فرفعها موسى وسقى لهما وبعض المفسرين يقول رأيت هناك بئرين . وإنى أسلم أنه رأى بئرين ولكن ما حجته على أنهما كانتا معا فى الوجود على عهد موسى ؟ إذ من المحتمل ان أحداهما حفرت فى عهد الاسلام أو قبله بقليل ولم تكن فى عهد موسى

فارسل أحداهما اليه فوافته بمكانه قرب الماء . وقالت له والخجل ياخذمنها (إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)

رأى موسى الفرج من ناحية تلك المرأة وأبيها وعلم أن الله استجاب له دعاءه إذ قال (رب إنى لما أنزلت الى من خير فقير) وابن عباس وغيره من اهل التفسير يقولون انما طلب الطعام

ويقول بعض المفسرين انه اسمع المرأتين هذا القول تعريضا حتى يكون له منهما ما يقوته وهو ليس معه درهم ولا دينار ولا ما يؤكل . فكانت دعوته كدعوة المظلوم سريعة الاجابة - ومن جهة أخرى فان غرس الجميل قد أثمر وآتى أكله فى أقل من ساعة والله يضاعف الحسنات لعباده المخلصين .

تبع موسى المرأة الى منزل أبيها . وجعلها خلفه قائلا . أنا لا ننظر الى أدبار النساء ولكن انعتى لى الطريق وأنت خلفى . ويقول بعض المفسرين أنه انما قال ذلك حين تبعها وضربت الريح ثوبها فكشفت عن عجيزتها فاخرها موسى وتقدم وقال لها انعتى لى الطريق

موسى رجل ربى على العزة فى بيت فرعون . مدللا فى نعيم دائم ورفاغة وقد نزل به من الجوع ما اضطره الى أن يرضى بأخذ أجر عمل من أعمال المروءة (والجوع يرضى الأسود بالجيف) وأحسبه لو كان فى بلهنية من العيش لم يرض أن يأخذ اجرا على زكاة قوته

جاء موسى الى ذلك الشيخ فرحب به وأهل وسأله عن خطبه بعد أن قتل عنه سورة الجوع طبعا فقص عليه موسى قصصه ولعله وقفه على جلية أمره وفعل فرعون وجنوده ببنى اسرائيل من ذبح الأطفال الذكران وترك النساء وأنه أفلت من شفارهم بأعجوبة وقص عليه جميع الأدوار التى لقيتها أمه فى سبيله الى أن قتل القبطى على غير عمد وأنهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم الى أن ورد ماء مدين . فطمأنه ذلك الشيخ قائلا (لاتخف نجوت من القوم الظالمين) وأحسبه لم يصفهم بالظلم الا لكفرهم أو لذبحهم أبناء الاسرائليين واستحيائهم النساء والا فأى ظلم فى مؤاخذة موسى بما اجترحت يداه من قتل القبطى اذا كانوا لا يجاوزون الجزاء الحق

ملاحظة : يقول بعض المفسرين أن ابنة الشيخ لما جاءت الى موسى وأبلغته دعوة أبيها كانت تكلمه وكفاها على وجهها حياء منه . وهذا الخفر أمر طبيعى فى النساء اللاتى لم يخلعن نقاب الحياء ولم تكن الواحدة منهن سلفعا ولا جة خراجة متبذلة - اقرءوا هذه الآيات :

سورة القصص - وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ ٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ

مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ٢٣ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢٥

ذكرت التوراة هذا المواقف من موقف موسى بعبارة لا تخالف ماجاء فى القرآن الا فى موضعين أولهما انها ذكرت أن النسوة كن سبعا لا اثنين

ثانيهما أنها ذكرت أن النسوة كن قد ملأن الحياض لسقيا غنمهن فجاء الرعاة وطردوهن وأبعدوا الغنم عن الحوض وأخذوا فى سقى ماشيتهم فغضب موسى لهذا العمل وطرد الرعاة وسقى لهن ـ والحق ما قصه القرآن

مصاهرة موسى للشيخ

لما جاء موسى الى الشيخ وكلمه وطمأنه قالت إحدى بنتى الشيخ ـ وهى التى دعت موسى : يا أبت استأجره لرعى ماشيتنا ليكفينا مؤنة هذا العمل ان خير من استأجرت القوى الأمين . ويذكر أصحاب التفسير أن أباها سألها عن امانته وقوته من أين علمتهما . ونص عبارة الطبرى فى التفسير .

فاحفظته الغيرة ان قال وما يدريك ما قوته وأمانته ؟ فقالت أما قوته فما رأيت منه حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى فى السقى منه . وأما أمانته فانه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له فلما علم انى امرأة صوب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر الى حتى بلغته رسالتك. ثم قال : امشى خلفى وانعتى لى الطريق ولم يفعل ذلك الا وهو امين . فسرى عن ابيها وصدقها وظن به الذى قالت

نشط الشيخ لرأى ابنته وطلب الى موسى ان يخدمه برعى غنمه ثمانى سنوات فى نظير ان يزوجه باحدى ابنتيه وأشار اليها وأنه إذا اجمل معه يتم عشر سنوات فقبل موسى على انه بالخيار فى اى الاجلين . وتمت الصفقة بينهما على ذلك .

ومن ذلك الوقت صار موسى صهرا لذلك الشيخ وراعيا لغنمه . ويقول بعض المفسرين انه اخرجها معه من حين العقد ـ ومعنى قوله فلا عدوان على اى انى اذا قضيت الأجل الأول وهو الحجج الثمان فليس لك ان تطالبنى باتمام العشر واذا قضيت العشر فليس لك ان تطالبنى بزيادة عنها .

وأكثر المفسرين على ان اسم ابنة الشيخ التى صارت زوجا لموسى (صفورة) -

اقرءوا هذه الآيات

سورة القصص - قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٢٨

سورة طه - فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي

ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى وهو لا يخالف ما فى الكتاب الكريم فى شىء سوى أن التوراة لم تذكر طلب ابنة الشيخ استئجار موسى بل الذى هناك ان الشيخ طلب استئجاره ابتداء والخطب سهل جدا

وذكرت ان بنات الشيخ كن سبعا وقد جمع ابن كثير بين القولين بأن المخاطبتين لموسى كانتا اثنتين وهما المباشرتان للرعى وان سواهما لم يباشرن الرعى

من هو صهر موسى

ان مفسرى القرآن الكريم قد اضطربت أقوالهم فى اسم صهر موسى عليه السلام الذى استأجره وكثير منهم يذكر انه شعيب عليه الصلاة والسلام وقد اشتهر ذلك اشتهارا عظيما وأولع به الأدباء وأصحاب السير وهذا أبو العلاء المعرى يقول مادحا رجلا عظيما زفت اليه عرسه

كنت موسى وافته بنت شعيب   غير ان ليس فيكما من فقير

وآخرون يذكرون غير ذلك وهأنذا أسوق أقوالهم جميعا

(١) قال جماعة ان اسم والد المرأتين - يثرون - وانه ابن أخى شعيب عليه الصلاة والسلام - قال أبو جعفر جرير الطبرى . وأما أبوهما ففى اسمه اختلاف فقال بعضهم كان اسمه يثرون . وحدث بسنده الى أبى عبيدة قال . الذى استأجر موسى يثرون ابن أخى شعيب

(٢) قال آخرون بل اسمه يثرى

وقد أورد أبو جعفر الطبرى فى ذلك ثلاث روايات تنتهى كلها الى ابن عباس - فى روايتين منها

(الذى استأجر موسى يثرى صاحب مدين) وفى الثالثة (اسم أبى المرأة يثرى) وليس فى الروايات الثلاث انه شعيب أو ابن أخى شعيب

(٣) قال جماعة ان الذى استاجر موسى هو نبى الله شعيب عليه الصلاة والسلام. وفى ذلك روى الطبرى بسنده الى قرة بن خالد قال (سمعت الحسن البصرى يقول : يقولون شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء يومئذ) ص ٤٠ ج ٢٠ أقول فى كونه سيد أهل الماء نظر إذ لو كان سيد أهل الماء ما أخر الرعاء ابنتيه عن الورد ولكانتا تصدران قبل ورد الرعاء

وقد أخذ الحافظ ابن كثير فى تفسيره من قول الحسن هذا انه من القائلين بأن والد المرأتين هو شعيب عليه الصلاة والسلام ص ٣٣٢ ج ٦ والذى أميل اليه غير ذلك لأن الحسن انما قال ذلك بصيغة التبرى إذ يقول (يقولون) وصيغة التبرى لا تقضى ان حاكيها يلتزم ذلك القول ويجزم به

وقد ذكر الحافظ ابن كثير فى تفسيره ان ممن روى ان والد المرأتين هو شعيب ابن أبى حاتم بسنده الى مالك بن أنس انه بلغه ان شعيبا هو الذى قص عليه موسى القصص - ومعلوم ان (بلغه) لا تفيد الجزم القاطع . فقد بلغه وبلغنى وبلغ غيرى ذلك . بل وبلغ من قالوا ان اسمه يثرون أو يثرى. ولكن هل هذا يفيد القطع ؟ كلا

(٤) قال آخرون : ان صاحب موسى والد المرأتين هو رجل مؤمن من قوم شعيب. ذكر ذلك الحافظ ابن كثير فى تفسيره ص ٣٣٢ ج ٦ ونص عبارته (وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب)

(٥) قال آخرون : كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه (وما قوم لوط منكم ببعيد) وقد كان هلاك قوم لوط فى زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن . وقد علم انه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد . وما قيل إن شعيبا عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الاشكال

ثم من المقوى لكونه ليس بشعيب انه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه فى القرآن ههنا . وما جاء فى بعض الأحاديث من التصريح بذكره فى قصة موسى لم يصح إسناده كما سنذكره قريبا ان شاء الله اهـ من ص ٣٣٢ ج ٦ من تفسير الحافظ ابن كثير

هذه أقوال خمسة بعضها قريب من بعضها الآخر وبعضها بعيد وليس أحدها بأولى بالقبول من الآخر لأنه لم يؤيد بنص قطعى الثبوت والدلالة ولا بحديث صحيح يرجحه على غيره

ولقد راودت نفسى على أن أقول ان الشيخ الكبير هو شعيب النبى عليه الصلاة والسلام فتمثل لى شيخ المعرة يقول

لا تظلموا الموتى وان طال المدى　　انى أخاف عليكمو أن تلتقوا

وخشيت أن يلقانى شعيب عليه الصلاة والسلام فى عرصات القيامة فيلببنى الى الله عز وجل ويقول . أى رب سل عبدك هـذا لم جعلنى صاحب موسى الذى استأجره ولم أكن صاحبه ولا وجدت فى زمنه ؟ وليس بيدى حجة ولا برهان — وجدت الجزم بأن الشيخ الكبير هو شعيب قول منى على الله بما لا أعلم وهو منهى عنه بقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم)

لذلك كله آثرت تفويض العلم باسم الشيخ الكبير الى الله تعالى . إذ من المحتمل الذى لا استحالة فيه أن يكون بنفسه شعيبا عليه الصلاة والسلام ومن المحتمل أيضا أن يكون ابن أخيه كما يحتمل أن يكون رجلا صالحا من أهل مدين . كل ذلك محتمل والله أعلم

يوجد وجه سادس وهو التوقف فى أمر ذلك الشيخ الكبير كما توقفت ذكره الامام محمد بن جرير الطبرى وأورده الحافظ بن كثير فى تفسيره فى صفحة ٣٣٢ ج ٦ ونص عبـــارة الطبرى (قال ابو جعفر . وهـذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر ولا خبر بذلك تجب حجته فلا قول فى ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه اه ص ٤٠ ج ٢٠ وهو يعنى قوله تعالى (وأبونا شيخ كبير)

هذا ولقد تكلم شيخ من أفاضل العلماء معى وناقشنى فى الشيخ الكبير الذى استأجر موسى . فقال لى — ان موسى نبى كريم ورسول عظيم فلا ينبغى أن يكون الذى استأجره الا نبيا مثله أو قريبا منه فى المنزلة ولم يوجد فى مدين من هو بهذه المنزلة سوى شعيب عليه الصلاة والسلام

فقلت له لقد انتقلت المسألة من النص الى الاستحسان وليس الاستحسان من البراهين التى يحتج بها فى موقف يحتاج فيه إلى نص قاطع ـ على أن موسى لم يكن فى زمن استئجاره نبيا

وقد أورد الحافظ بن كثير عدة أحاديث مرسلة فى أى الأجلين قضى موسى وكلها تدل على أن موسى عليه السلام قضى ابر الأجلين وأوفاهما ولم يذكر فى تلك المراسيل اسم الشيخ الكبير ثم قال:

ثم قد روى أيضا نحوه من حديث عتبة بن المنذر بزيادة غريبة جدا . فقـال أبو بكر البزار : حدثنا عمر بن الخطاب السجستانى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن على بن رباح اللخمى قال سمعت عتبة بن المنذر يقول . ان رسول الله ﷺ سئل أى الاجلين قضى موسى قال « أبرهما وأوفاهما » ثم قال النبى ﷺ « ان موسى عليه السلام لما اراد فراق شعيب عليه السلام . أمر امرأته أن تسال أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به فاعطاها ماولدت غنمه فى ذلك العام من قالب لون ـ قال فما مرت شاة الا ضرب موسى جنبها بعصاه فولدت قوالب الوان كلها وولدت ثنتين وثلاثا كل شاة ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا كميشة تفوت

الكهف ولا ثغول» وقال رسول الله ﷺ «اذا فتحتم الشام فانكم ستجدون بقايا منها وهى السامرية» هكذا أورده البزار

وقد رواه ابن أبى حاتم بابسط من هذا فقال — حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى عبد الله بن لهيعة ح وحدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان انبانا الوليد انبانا عبد الله بن لهيعة عن الحرث بن يزيد الحضرمى عن على بن رباح اللخمى قال سمعت عتبة بن المنذر السلمى صاحب رسول الله ﷺ قال « ان موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه فلما وفى الأجل قيل يارسول الله أى الأجلين ؟ قال أبرهما وأوفاهما . فلما اراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به . فاعطاها ماولدت غنمه من قالبة لون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سوداء حسناء . فانطلق موسى عليه السلام الى عصاه فسماها من طرفها ثم وضعها فى ادنى الحوض ثم أوردها فسقاها ووقف موسى بازاء الحوض . فما تصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة - قال فاتأمت وألبنت ووضعت كلها قوالب ألوان الا شاه أو شاتين ليس فيها فشوش قال يحيى ولا ضبوب وقال صفوان ولا صبوب وقال ابوزرعة الصواب طنوب ولا عزوز ولا ثغول ولا كميشة تفوت الكف - قال النبى ﷺ لو افتتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهى السامرية » - ثم قال الحافظ بن كثير بعد كلام - مدار هذا الحديث على عبدالله بن لهيعة المصرى وفى حفظه سوء وأخشى أن يكون رفعه خطأ والله أعلم اه

من هذا نعلم انه لا يوجد حديث صحيح فيه اسم شعيب مصرحا به

لطيفه

جاء فى تفسير الامام البغوى (معالم التنزيل) عند قول ابنة الشيخ (ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا) قال أبو حازم سلمة بن دينار : لما سمع ذلك موسى أراد ألاّ يذهب . ولكنه كان جائعا . فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها . فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها . فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق ان أخطأت ففعلت ذلك . فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ . فقال اجلس ياشاب فتعش . فقال موسى أعوذ بالله ، فقال شعيب ولم ذاك ألست بجائع ؟ قال بلى . ولكن أخاف أن يكون ذلك عوضا لما سقيت لهما . وأنا أهل بيت لانطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا .

فقال شعيب . لا والله ياشاب ولكنها عادتى وعادة آبائى . نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى وأكل

أقول انها حكاية جميلة لولا أن موسى كان موقنا انه إنما دعاه ليجزيه أجر ما سقى لابنتيه فما كان له أن يتجاهل ذلك

بقيت مسألة وهى ان حضر موت بها قبر يقول أهل البلاد انه قبر شعيب عليه الصلاة والسلام وهو يقع فى شمال شبام يبعد عنها ساعتين بعد أن يمر السائر اليه بوادى ابن على ويخلص السائر الى سهل بعد الوادى وليس بجانبه عمران ولا يقصد ذلك القبر الا للزيارة ـ وشبام تقع فى غربى مدينة سيون . وانى أشك فى أن القبر لنبى الله شعيب

قضاء موسى مدة استئجاره

موسى بالوادى المقدس

بعثته عليه السلام

قضى موسى الأجل الذى بينه وبين صهره . والمفسرون للقرآن الكريم على أنه قضى أكبر الأجلين أى أنه خدم صهره عشر سنين وقد رووا فى ذلك حديثا عن رسول الله ﷺ والقرآن الكريم لم يبين عدد السنين التى أقامها بعد انقضاء الأجل — وأكثر المفسرين يتعجلون موسى ويقولون انه بعد انقضاء الأجل أراد العودة الى مصر وان حماه جعل له نتاج غنمه تلك السنة فحملت الماشية كلها

وأنا لا أظن ان موسى يتعجل العودة الى مصر بمجرد انتهاء الأجل لأنه يعلم أن بمصر من ينتظر الظفر به ليورده موارد الردى وقد أثبت لديهم انه مقترف الجريمة هربه منهم عقب افتضاح الأمر. ويدل على ذلك قوله (وقتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) وقوله (ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون)

أما التوراة فتقول ان عودة موسى الى مصر بأمر ربه لاخراج بنى اسرائيل من ذل العبودية كان على أثر بلوغه ثمانين سنة وانه على أثر مدة التيه كان قد بلغ مائة وعشرين سنة وقد مات ولم يدخل الأرض المقدسة وقد يكون ذلك صحيحا وهو لا يعارض الكتاب الكريم وفى معالم التنزيل انه أقام بعد انقضاء الأجل عشر سنين والا سلم التفويض الى علم الله

وربما كان السبب في أن المفسرين يقولون. ان موسي سار عقب انتهاء الأجل قوله تعالي .

(فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا) وقد فاتهم ان الواو لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا . وتقول التوراة ان موسى رزق ولدا اسمه (جرشوم) وهو اسم يدل على معنى الغربة أى انه غريب المولد

بينما موسى يرعى غنمه ومعه امرأته ضل الطريق فى ليلة باردة وأراد أن يورى نارا فصلد زنده وضن بالنار وبينما هو على هذه الحال رأى نارا من بعيد فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فاسأل من عندها عن الطريق يهدوننا . والظاهر انه كان أبعد من مدين حتى جاء الى سيناء وهذا ليس بغريب فان الراعى يتبع مواضع الكلأ ومواقع المطر حيث كانت ليرعى ماشيته

لما قرب موسى من النار وجد النار فى شجرة عليق وان النار لا تطفأ والعليقة لا تشتعل ولم يجد أحدا من الناس يسأله عن الطريق وحينئذ سمع صوتا من وسط النار يناديه يا موسى انى أنا الله رب العالمين . وأمره بخلع نعله لأنه بالوادى المقدس طوى فخلعها وفى الحديث (كانتا من جلد حمار ميت)

وفى الطبرى : فلما كانت الليلة التى أراد الله بموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه أخطأ الطريق حتى لا يدرى أين يتوجه فأخرج زنده ليقدح نارا لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح ويعلم وجه سبيله فصلد عليه زنده فلم يور له نارا فقدح حتى أعياه ولاحت له النار فرآها « فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » بقبس تصطلون وهدى عن علم الطريق الذى أضللناه بنعت من خبير فخرج نحوها فاذا هى فى شجرة من العليق — وبعض أهل الكتاب يقولون فى عوسجه

فلما دنا استأخرت عنه فلما رأى استئخارها رجع عنها وأوجس فى نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم من الشجرة ، فلما سمع الصوت استأنس وقال الله : ياموسى . « إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى » فألقاهما ثم قال « ما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى » أى منافع أخرى قال (ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى) قد صار شعبتاها فمها وصار محجنها عرفا لها فى ظهرها تهتز لها أنياب فهى كما شاء الله ان تكون . فرأى امرا فظيعا فولى مدبرا ولم يعقب . فناداه ربه ان ياموسى أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى اى سنعيدها عصا كما كانت قال فلما اقبل قال خذها ولا تخف . أدخل يدك فى فمها وعلى موسى جبة من صوف فلف يده بكمه وهو لها هائب فنودى أن ألق

كمك عن يدك فالقاه عنها ثم أدخل يده بين لحييها فلما ادخلها قبض عليها فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ومحجنها بموضعه الذى كان . لا ينكر منها شيئا ثم قال أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء أى من غير برص . وكان عليه السلام رجلا آدم أقنى جعدا طوالا فادخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ثم ردها فى جيبه فعادت كما كانت على لونها . ثم قال فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين . قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى أى يبين لهم عنى ما أكلمهم به فانه يفهمهم عنى مالا يفهمون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون

ونقل عن السدى ـ فاقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم فاتاهم فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل (المرق) فنزل فى جانب الدار فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه امه فاخبرته أنه ضيف فدعاه . فلما أن قعدا تحدثا فسأله هارون من أنت فقال أنا موسى . فقام كل منهما الى صاحبه فاعتنقه

ولى هناك ملاحظة : هى أن موسى قال (وأخى هارون هو أفصح منى لسانا) وقال فى مرة أخرى (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) وعيره فرعون بعدم الفصاحة فقال (أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) والمفسرون يرون لحبسة موسى أو لكنته سببا . هو أن موسى اخذه فرعون على حجره وهو صغير فمد يده الى لحيته ونتف خصلة منها . فاراد قتله فشفعت فيه زوج فرعون وقالت أنه لا يعقل مايفعل . واشارت باختباره بتمرة وجمرة فوضعتا فى طشت فاخذ الجمرة ووضعها فى فيه فأثرت فى لسانه فلذا نشأ موسى غير فصيح بل عنده حبسة فى لسانه ـ وأحسب ذلك غير صحيح وان المسالة ذات وجهين

أولهما : ـ أن موسى ألقته أمه فى اليم والتقطه آل فرعون وحرم الله عليه المراضع لطفا بامه الوالهة الى أن جاءوا بها فارضعته وكفلته والطفل عادة اذا تاخرت عنه الرضاعة مدة كهذه يورثه ذلك حبسة فى لسانه وقد رأينا من أصحابنا من كان لا يكاد يبين ولا سبب لذلك الا احتباسه عن الرضاعة مدة

ثانيهما : ـ أن موسى خرج من مصر من عهد بعيد . واعتقادى أنه مكث فى مدين زمنا طويلا فنسى اللغة المصرية لغة القبط لطول العهد وعدم وجود من يناغيه بها أو يكلمه وأما هارون فكان بين المصريين ومقيما معهم فهو أفصح من موسى . وحقيق بان يشافههم بها ونحن أولاء يسافر الواحد

من أبنائنا الى البلاد الأوربية ولا تكون مدة أقامته أكثر من خمس أو سبع سنوات ثم يجيء الى مصر ناسيا كثيرا من لغة أبيه وأمه . وللناس نوادر فى حكاية ألفاظهم وأحوالهم

بقى أن يقال اذا كان موسى قد نسى لغة المصريين فكيف يحاور أخاه هارون الذى لم يخرج من مصر ؟ وجوابى على ذلك ان هارون بحكم البيئة كان يجيد القبطية وبحكم طينته كان يجيد العبرية . ولغة أهل مدين ولغة العبرانيين متقاربة جدا لان المديانيين اخوة للعبرانيين . أبوهم واحد هو ابراهيم. لاجرم كان هارون يفهم من موسى مالا يفهمه عنه المصريون القبط . وانى أميل الى الرأى الأول . ولبيان موقف موسى هذا

اقرءوا هذه الآيات

سورة الاسراء - وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ٣

سورة طه - وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ٨ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ١٠ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٢ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ١٣ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ١٤ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ١٦

سورة طه - اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٢٤ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ٢٩ هَارُونَ أَخِي ٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى

سورة طه - وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى ١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى ١٩ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ٢١ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ٢٣

~~ومنها أيضا~~ سورة القصص - اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ٤٢ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ٤٣ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ٤٤ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ٤٦ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ٤٧

ومنها - وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٤٤ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٤٥ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦

سورة الفرقان - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ٣٥ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ٣٦

سورة الشعراء - وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٥ . فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦

سورة النمل — اذ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ انّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٨ يَامُوسَى انَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩

سورة النمل - وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لَا تَخَفْ انّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ١٠ الَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَانّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ الَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ انَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ١٢

سورة القصص — فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا انّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ انَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ٣١ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ الَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ انَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ انّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي انّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ الَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ٣٥

سورة السجدة (١) - وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي

---

(١) السجدة الم

أسرائيل ٢٣ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ٢٤ انّ ربّك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ٢٥

سورة النازعات ـ هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوًى ١٦ اذهب الى فرعون أنه طغى ١٧ فقل هل لك الى أن تزكّى ١٨ وأهديك إلى ربّك فتخشى ١٩

وقوله تعالى ـ « واضمم اليك جناحك من الرهب » معناه أن الله تعالى يأمر موسى بان يضم يديه الى جنبيه اذا آنس من نفسه رعبا ورهبا من فرعون فان الله ينزل عليه السكينة والقوة على مقاومة ذلك فى هذا الحين ، وهذه ليست من الآيات التى ضربها لفرعون وانما هى تأييد خاص من الله لموسى وكأنها تكاد تكون أمرا غريزيا (٢)

---

(٢) المواقف المتقدمة فى التوراه

ذكرت التوراة قصة موسى هذه فيما يلى :

الاصحاح الثالث خروج

وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب ، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر فاذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق ، فقال موسى أميل الآن لانظر هذا المنظر العظيم لماذا لاتحترق العليقة ٤ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى . فقال هأنذا فقال لا تقرب الى هاهنا . اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة ٦ ثم قال انا اله أبيك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر الى الله ٧ فقال الرب انى رأيت مذلة شعبي الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم انى علمت أوجاعهم ٨ فنزلت لانقذهم من أيدى المصريين واصعدهم من تلك الأرض الى أرض جيدة وواسعة الى أرض تفيض لبنا وعسلا الى مكان الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين ، والحويين واليبوسيين ٩ والآن هو ذا صراخ بنى اسرائيل قد أتى الى ، ورأيت أيضا الضيقة التى يضايقهم بها المصريون ١٠ فالآن هلم فارسلك الى فرعون وتخرج شعبى بنى اسرائيل من مصر ١١ فقال موسى لله من أنا حتى اذهب الى فرعون وحتى اخرج بنى اسرائيل من مصر ١٢ فقال انى أكون معك وهذه تكون تلك العلامة انى ارسلتك حينما تخرجون الشعب من مصر تعبدون الله على هذا =

عودة موسى الى مصر

ودعوته لفرعون

ذكرنا عود موسى الى مصر عن القرآن والتوراة وان موسى أخبر هارون بأنه شريك له فى الرسالة ومعين له على تبليغ حجة الله فامتثل أمر الله تعالى

فانتم ترون انه ليس بين ما جاء فى القرآن وما جاء فى التوراة خاصا بمواقف موسى المذكورة سوى فروق ليست بذات بال

= الجبل ١٣ فقال موسى لله ها أنا آتى بنى اسرائيل وأقول لهم اله ابائكم أرسلنى اليكم. فاذا قالوا ما اسمه فماذا أقول لهم ١٤ فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه. وقال هكذا تقول لبنى اسرائيل أهيه أرسلنى اليكم ١٥ وقال الله ايضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل يهوه اله آبائكم اله ابراهيم اله اسحاق اله يعقوب ارسلنى اليكم هذا اسمى الى الابد وهذا ذكرى الى دور فدور ١٦ اذهب واجمع شيوخ اسرائيل وقل لهم الرب اله آبائكم اله ابراهيم واسحاق ويعقوب ظهر لى قائلا . انى قد افتقدتكم وماصنع بكم فى مصر ١٧ فقلت اصعدكم من مذلة مصر إلى ارض الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين الى ارض تفيض لبنا وعسلا ١٨ فاذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بنى اسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الرب اله العبرانيين التقانا فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا ١٩ ولكن اعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية ٢٠ فأمد يدى واضرب مصر بكل عجائبى التى أصنع فيها وبعد ذلك يطلقكم ٢١ واعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ٢٢ بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين

الاصحاح الرابع خروج

١ - فاجاب موسى وقال ولكن هاهم لا يصدقوننى ولا يسمعون لقولى بل يقولون لم يظهر لك الرب ٢ فقال له الرب ماهذه فى يدك ؟ قال عصا ٣ فقال اطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية . فهرب موسى منها ٤ ثم قال الرب مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وأمسك به فصارت عصا فى يده لكى يصدقوا انه قد ظهر لك الرب اله آبائهم اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب ٦ ثم قال له الرب أيضا أدخل يدك فى عبك فادخل يده فى عبه ثم أخرجها واذا يده برصاء مثل الثلج ٧ ثم قال له رد يدك إلى عبك فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه واذا هى قد =

ويقول بعض المفسرين ان أمهما خافت عليهما وعارضت فى ذهابهما الى فرعون خشية أن يبطش بهما فلم يصغيا لقولها ولم يكن لهما هم الا تنفيذ أمر الله تعالى

وبعض المفسرين يذكر انهما دخلا على فرعون بمجرد استئذانهما عليه وبعض آخر يقول انهما

= عادت مثل جسده ٨ فيكون اذا لم يصدقوك ولم يسمعوا الصوت الآية الأولى أنهم يصدقون صوت الآية الأخيرة ٩ ويكون اذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك انك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابس فيصير الماء الذى تأخذه من النهر دما على اليابس ١٠ فقال موسى للرب استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك بل أنا ثقيل الفم واللسان ١١ فقال له الرب من صنع للانسان فما أو من يصنع أخرس أو اصم أو بصيرا أو أعمى؟ أماهو أنا الرب ١٢ فالآن اذهب وأنا اكون مع فمك واعلمك ماتتكلم به فقال استمع أيها السيد ارسل بيد من ترسل ١٤ فحمى غضب الرب على موسى. وقال أليس هارون اللاوى أخاك؟ أنا أعلم انه يتكلم وأيضاها هو خارج لاستقبالك وحينما يراك يفرح بقلبه ١٥ فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأنا اعلمكما ماذا تصنعان ١٦ وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها ١٧ وتأخذ فى يدك هذه العصا التى تصنع بها الآيات ١٨ فمضى موسى ورجع الى يثرون حميه وقال له أنا أذهب وأرجع الى اخوتى الذين فى مصر لأرى هل هم بعد أحياء. فقال يثرون لموسى اذهب بسلام ١٩ وقال الرب لموسى فى مديان اذهب ارجع الى مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك ٢٠ فأخذ موسى امرأته وابنيه وأركبهم على الحمير ورجع الى أرض مصر وأخذ موسى عصا الله فى يده ٢١ وقال الرب لموسى عند ما تذهب لترجع الى مصر انظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها قدام فرعون ولكنى أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب ٢٢ فتقول لفرعون هكذا يقول الرب. اسرائيل ابنى البكر ٢٣ فقلت لك اطلق ابنى ليعبدنى فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر ٢٤ وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله ٢٥ فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ومست رجليه فقالت انك عريس دم لى ٢٦ فانفك عنه حينئذ فقالت عريس دم لى من أجل الختان ٢٧ وقال الرب لهارون اذهب الى البرية لاستقبال موسى فذهب والتقاه فى جبل الله وقبله ٢٨ فاخبر موسى هارون بجميع كلام الرب الذى أرسله وبكل الآيات التى أوصاه بها ٢٩ ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بنى اسرائيل ٣٠ فتكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به وصنع الآيات أمام عيون الشعب ٣١ فآمن الشعب ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى اسرائيل وانه نظر مذلتهم خروا وسجدوا اهـ =

ترددا على بابه سنتين لا يظفران بالمثول بين يديه حتى دخل عليه مضحكه وأخبره ان بالباب رجلا مجنونا يدعى ان له الها غير فرعون فكان ذلك حاثا لفرعون على طلب موسى وهارون

أما القرآن الكريم فلم يتعرض لشيء من هـذا . وإنما ذكر انهما أتيا فرعون وبلغاه رسالة الله تعالى له . أن يرسل معهما بنى اسرائيل لعبادة ربهما . وفى التوراة (أطلق شعبى ليعيدوا فى البرية) وبلغه موسى فيما بلغه انه لم يقل على الله الا الحق وانه قد أرسل بآية منه ليرسل معه بنى اسرائيل . وجعل ترخيصه لبنى اسرائيل بالذهاب مع موسى الى البرية لعبادة ربهم نعمة يمنها فرعون على موسى . وهذا من تلطف موسى ورفقه فى خطاب فرعون طبقا لقوله تعـــالى « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » وهذه الآيات تدل على هذا الموقف من مواقف موسى

سورة الأعراف . وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ ١٠٥

سورة الشعراء ـ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ ١٧ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِى إِسْرَائِيلَ ٢٢

لا تنسوا ان المفسرين يجعلون الآية الأخيرة (وتلك نعمة تمنها على) توبيخا من موسى لفرعون أن جعل بنى اسرائيل عبيدا وانه يتهكم به لذلك ـ ولكنى أخالفهم فى ذلك وأقول انه يتلطف به غاية التلطف ليحمله على أطلاق بنى اسرائيل قائلا . ان تعبيدك بنى اسرائيل أى تكريمك لهم وتمكينهم من عبادة ربهم أعده نعمة مننت بها على تضاف الى تربيتى فيكم وليدا والى مكثى بينكم وفيكم من عمرى سنين ـ وما كان من شأن موسى أن يخرج الهزل فى معرض الجد ولا أن يلجأ الى المعاريض والمجازات . ولكنه كان فى محاوراته كلها مثال الجد والصراحة . يؤدى ما أمر به على الوجه الذى صدر له أن يؤديه . ومهمته العظمى إنقاذ بنى اسرائيل من ذلك العذاب المهين الذى كانوا فيه ـ وهذا طلب لذلك الأمر على وجه اللطف والرفق ـ قد يقول بعض الناس ان هذا المحمل الذى حملت الآية عليه لم يوجد لمفسر، وكتب اللغة لم تذكر هذا المعنى

والجواب ان محور رسالة موسى والغرض الأول المقصود بها هو إطلاق بنى اسرائيل والحجة الظاهرة لهذا انهم يريدون ان يعبدوا الههم فى البرية يعملون له عيدا (وفى العبرية حج) فهذا هو الغرض الأصلى الذى جاء موسى لتنفيذه وجاء بالآيات لحمل فرعون وقومه عليه . وأما استعباد فرعون لبنى اسرائيل فليس من النعمة أو المنة فى شىء وما كان موسى من المستهزئين أو الذين يأتون بالأمر يكون مغريا لفرعون بالعناد ـ والاستخفاف بمثل هذا الملك الجبار لا ينتج ما يرجو

موسى . فحمل المعنى على ما قالوه لا يجعل فى موسى حكمة الأنبياء الذين جملهم الله تعالى بها بل هذا القول الى المشاكسة أقرب ومن قوله تعالى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) أبعد . وأقرب المعانى الى ذلك هو ما ذكرته .

ومعنى (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل) . أى كرمتهم. وتكريمهم يكون برفع العذاب عنهم وإطلاق الحرية لهم فى عبادة ربهم وإرسالهم مع موسى لذلك . والتعبيد بمعنى التكريم وارد فى اللغة العربية فقد جاء فى لسان العرب ص ٢٦٣ ج ٤ ما نصه : والمعبد المكرم ... والمعبد المكرم فى بيت حاتم

تقول ألا تبقى عليك فاننى　　　أرى المال عند المكثرين معبدا

أى معظما مخدوما وبعير معبد مكرم اه

واذا عرفت هذا أيها القارىء الكريم عرفت ان الوجه الذى ذكرته اقرب الى الغرض من إرسال موسى واجدر بأن تحمل الآية عليه

تذكير فرعون موسى

تربيته فى بيت فرعون

لما دخل موسى على فرعون وادى مقالته بواسطة هارون كان فيما قال فرعون لموسى وذكره به. أنه ربى فى بيت فرعون وليدا ولبث فيهم سنين من عمره وهذا يقتضى ان يكون حافظا للمودة حريصا على التباعد عن كل ما يغيظ فرعون وآله فلا يروعهم بمعتقد غريب عنهم غير معروف لهم، وهو عبادة غير فرعون وآلهته . بل عليه ان يبادر الى عبادة فرعون . ثم ذكره بفعلته التى فعل من قتل الرجل القبطى وهربه على أثرها . فمن كان آثما اثمه لا يأتى بما هو أعظم منه وهو حملهم على ترك آلهتهم وتقديس فرعون وترك التوجه اليه بالعبادة فرد موسى على هذه المسألة الأخيرة بقوله . (فعلتها اذا وأنا من الضالين ففرت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين)

اقرءوا هذه الآيات

سورة الشعراء - قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ٢٠ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢١

وهذا الموضع من الحوار بين موسى وفرعون لم يذكر فى التوراه

موسى يحاج فرعون
فى ربوبية الله تعالى

لما فرغ موسى مما قال وذكر لفرعون انه يريد اطلاق بنى اسرائيل ليعبدوا الههم فى البرية وفرعون رجل عات تدين الأمة المصرية بعبادته وتذعن بقداسته وقد فجئه من موسى أمر لا يقره ولا يرضاه . وهو محاولة ازاله عن عرش الربوبية .[١] أخذ على اثر ذلك يحاور موسى . فيسأله مارب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما : خالق ذلك ومبتدعه . فالتفت فرعون إلى من حوله من ملئه مظهرا العجب قائلا . ألا تستمعون . واستمر موسى قائلا « ربكم ورب ابائكم الأولين » أى حين لم يكن فرعون موجودا ولا معبودا فقال فرعون لملئه « ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون » لأنه جاءنا بشىء لانعرفه ولانقره . فاستمر موسى قائلا . « رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون »

ولما علم موسى وهارون عدم ارعواء فرعون عن غيه . وتماديه فى ادعاء الربوبية وانه مكذب لامحالة . قالا له . « إنا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى » فقال لهما ـ فمن ربكما ياموسى ؟ فافهمه ان الهه هو الذى احصى كل شىء خلقه فهو الذى أعطاهم الحواس والعقول وخلق لهم ما فى الأرض جميعا وجعلهم فيها خلفاء . وصرفهم فى خيراتها ومرافقها وما عليها من حيوان ؛ وجعلهم مستخلفين فى كل ذلك . وهداهم الى الانتفاع بكل شىء فى مصالحهم كل فيما يصلح له ـ فسأل فرعون عن القرون الأولى . فاحال موسى على الله الذى علم كل شىء من شؤونها . وان ذلك فى كتاب . وان الله لا يضل عن أعمالهم ولا ينسى منها شيئا . وسيحاسب كل انسان بما صنع.

---

(١) كان الملوك فى قديم الزمان يحيطون انفسهم بهالة من التقديس ويضعون مكانتهم فى اطار من الالهية لاجهلا منهم بانهم اناس لايختلفون عن غيرهم ولكنهم يفعلون ذلك تمويها على العامة حتى يامنوا غائلة الثورات الهوج من الذين يطمعون فى تبوىء عرش الملك مقدرين ان ذلك التقديس يحول بين النازعين إلى الثورة وبين مايشتهون وهذه كانت حال نمروذ فى عهد ابراهيم وحال الذين اتو بعد موسى من ملوك اليونان ثم الرومان كما كانت حال الفراعنة فى مصر

ثم ذكر من قدرته على ماصنع ويصنع ماتجب بمثله الحجة على قدرته وحكمته واستحقاقه للعبادة قائلا . « الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى » . أى أخرج به أنواع النبات على تعدده وأزواجه وتباين ألوانه . وسهل للانسان ما يأكله ولماشيته ما ترعاه . وان من كانت هذه أعماله . كانت تلك الأعمال آيات يهتدى بها ذو العقل السليم

ثم قال ان الأرض منبتنا الذى أنبتنا الله منه وفيها يعود الناس اذا فنيت حياتهم . ومنها يخرجون مرة أخرى لمجازاة كل بما صنع

اقرءوا هذا الآيات فى هذا الموقف

سورة طه — انَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ٤٨ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى ٤٩ قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ٥٠ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى فِى كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنْسَى ٥٢ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ٥٣ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ انَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِى النُّهَى ٥٤ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ٥٥

سورة الشعراء — قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا انْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ انَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٧ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا انْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٨ (١)

---

(١) ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى فى الاصحاحين الخامس والسادس من سفر الخروج وهاكم نصها

١ وبعد ذلك دخل موسى وهارون وقالا لفرعون هكذا يقول الرب إله اسرائيل . اطلق شعبى ليعيدوا لى فى البرية ٢ فقال فرعون من هو الرب حتى اسمع لقوله فأطلق اسرائيل . لا أعرف الرب واسرائيل لا أطلقه ٣ فقالوا إله العبرانين قد التقانا . فنذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب إلهنا لئلا يصيبنا بالوباء او بالسيف ٤ فقال لهما ملك مصر لماذا ياموسى وهارون تبطلان الشعب من =

فرعون يتجاهل الله ويدعى الالهية

ويأمر ببناء صرح يصعد به الى السماء

لما الح موسى على فرعون بالدعوة الى الايمان بالله تعـــالى وهو فى ملأ قومه وذلك يكسر من

=أعماله . اذهبا الى اثقالكما ٥ وقال فرعون هو ذا الآن شعب الارض كثير وانتما تريحانهم من أثقالهم
٦ فأمر فرعون فى ذلك اليوم مسخرى الشعب ومدبريه قائلا ٧ لا تعودوا تعطون الشعب تبنا
لصنع اللبن كأمس وأول أمس . ليذهبوا هم يجمعوا تبنا لا نفسهم ٨ ومقـــدار اللبن الذى كانوا
يصنعونه أمس واول أمس تجعلونه عليهم لا تنقصوا منه فانهم متكاسلون . لذلك يصرخون قائلين
نذهب ونذبح لا لهنا ٩ ليثقل العمل على القوم حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا الى كلام الكذب ١٠
فخرج مسخرو الشعب ومدبروه . وكلموا الشعب قائلين هكذا . يقول فرعون لست أعطيكم تبنا ١١
أذهبوا أنتم وخذوا لا نفسكم تبنا من حيث تجدونه أنه لا ينتقص من عملكم شىء .
١٢ فتفرق الشعب فى كل أرض مصر ليجمعوا قشا عوضا عن التبن ١٣ وكان المسخرون يعجلونهم
قائلين كملوا اعمالكم أمر كل يوم بيومه كما كان حينما كان تبن ١٤ فضرب مدبرو بنى اسرائيل الذين
اقامهم عليهم مسخرو فرعون وقيل لهم لماذا لم تكملوا فريضتكم من صنع اللبن أمس واليوم كالامس
وأول من أمس ١٥ فاتى مدبرو بنى اسرائيل وصرخوا الى فرعون قائلين لماذا تفعل هكذا بعبيدك ١٦
التبن ليس يعطى لعبيدك واللبن يقولون لنا أصنعوه :وهو ذا عبيدك مضروبون. وقد أخطا شعبك ١٧
فقال متكاسلون انتم متكاسلون لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب ١٨ فالآن اذهبوا اعملوا . وتبن
لا يعطى لكم ومقـــدار اللبن تقدمونه ١٩ فرأى مدبرو بنى اسرائيل انفسهم فى بلية اذ قيل لهم لا
تنقصوا من لبنكم امر كل يوم بيومه ٢٠ وصادفوا موسى وهاورن واقفين للقائهم حين خرجوا من
لدن فرعون ٢١ فقالوا لهما ينظر الرب اليكما ويقضى لا نكما انتنتما رائحتنا فى عينى فرعون وفى عيون
عبيده حتى تعطيا سيفا فى أيديهم يقتلونا ٢٢ فرجع موسى الى الرب وقال ياسيد لماذا اسات إلى الشعب .
لماذا ارسلتنى ٢٣ فانه منذ دخلت الى فرعون لا تكلم باسمك أساء الى هذا الشعب وانت تخلص
شعبك وهذا معنى قوله تعالى (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا)

الاصحاح السادس خروج

فقـال الرب لموسى الآن تنظر ما أنا أفعـل بفرعون . فانه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية يطردهم
من ارضـــه
ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب ٣ وأنا ظهرت لابراهيم واسحاق ويعقوب بأنى الاله القادر=

هيبته ويحط من رتبته . وجه فرعون الى القوم كلامه متجاهلا الاله الذى يدعو اليه موسى وانه سيتخذ الوسيلة للصعود الى اله موسى ليصفى الحساب بينه وبينه . ولعله فهم من قول موسى رب السماء والأرض انه موجود فى السماء لأن العظيم القادر على العلو لا ينزل الى أسفل . وأوهم القوم أن الصعود الى السماء أمر تناله قدرته . فاصدر أمره الى هامان أن يطبخ له الآجر ويبنى له صرحا يأخذ فى السماء صعدا حتى ينالها ويطلع إلى إله موسى ثم أردف ذلك بأنه يظن أن موسى كاذب فى أن له إلها سوى فرعون

من الناس من يذكر الفكرة عالما بأنها مبنية على غير أساس : ثم لا يزال يخادع نفسه ونفسه تخادعه حتى يخيل اليه أن الأمر سهل الوقوع ويعاق نفسه به . شأنه فى ذلك شأن أشعب المشهور بالطمع . إذ صرف عنه الأطفال بحيلة أنه يوجد عرس فى بيت فلان وأنهم يفرقون على الناس الدراهم فانصرفوا ظانين صدقه فتبعهم املا أن يكون ما قاله لهم حقا . فينال من تلك الدراهم التى تفرق فى ذلك العرس الوهمى

لا أظن أن فرعون كان من الجهل بدرجة ان يامل ان ينال السماء ببناء يصعده ولكنه أراد أن يتغفل القوم الذين معه حتى لا يخامر انفسهم خلجة فى حطه عن عرش الربوبية . فأراد ان يدخل فى

=على كل شىء . واما باسمى يهوه فلم اعرف عندهم ٤ وايضا اقمت معهم عهدى أن اعطيهم ارض كنعان ارض غربتهم التى تغربوا فيها ٥ وانا ايضا قد سمعت انين بنى اسرائيل الدين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدى ٦ لذلك قل لبنى اسرائيل أنا الرب . وأنا اخرجكم من تحت أثقال المصريين . وأنقذكم من عبوديتهم وأخاصكم بذراع ممدودة وباحكام عظيمة واتخذكم لى شعبا وأكون لكم ألها فتعلمون انى انا الرب إلهكم الذى يخرجكم من تحت اثقال المصريين ٨ وادخلكم الى الارض التى رفعت يدى أن أعطيها لابراهيم واسحاق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثا . أنا الرب ٩ فكلم موسى هكذا بنى اسرائيل . ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية ١٠ ثم كلم الرب قائلا ١١ ادخل قل لفرعون ملك مصر ان يطلق بنى اسرائل من ارضه فتكلم موسى أمام الرب قائلا هو ذا بنو اسرائيل لم يسمعوا لى . فكيف يسمعنى فرعون وانا أغلف الشفتين ١٣ فكلم الرب موسى وهارون وأوصى معهما الى بنى اسرائيل و الى فرعون ملك مصر فى اخراج بنى اسرائيل من ارضه

٢٨ وكان يوم كلم الرب موسى فى ارض مصر ٢٩ أن الرب كلمه قائلا ان الرب كلم فرعون ملك مصر بكل ما انا أكلمك به ٣٠ فقال موسى امام الرب ها انا اغلف الشفتين فكيف يسمع لى فرعون

روعهم أنه من القدرة بحيث يقدر على منازلة كل إله ولو كان فى السماء . وانه على استعداد لمحاربة إله موسى الذى فى السماء اذا كان فيها وأنه يتهم موسى فى وجود إله سواه وانه سياخذ فى أسباب العمل فى تصفية الحساب مع ذلك الاله ولذلك أمر باتخاذ صرح يبلغ به أسباب السموات وعهد بذلك إلى هامان . ولا يبعدان تكون نفسه أشعبية فتخيل ثم خال

سمعت من أهل السودان . أن يونس الدكيم من رجال التعايشى كان أميرا على مديرية دنقله . فلما قامت الحملة المصرية لاسترجاع السودان سنة ١٨٩٦ م جاء الخبر بان الترك (المصريون والانجليز) اتون فى البحر (النيل) على السفن لأخذ البلاد السودانية وكان رجلا عاتيا قاسيا فحلف قائلا (بتا بالله اشرب البحر) يريد بذلك ان يشرب ماء النيل حتى تقف السفن على الطين فلا تقدر على المسير ويكتفى بذلك شر جنود الترك

ومع علم الحاضرين بكذبه اخذوا يظهرون له ان هذا الأمر وان كان فى مقدوره ولكن البحر (النيل) يشرب منه خليفة المهدى وكل الاخوان وبه ينمو الزرع وتشرب منه الناس والبهائم وإذا شربه فاتت تلك المصالح وهلك الناس - فهم بذلك سلموا له بكذبه واخذوا يترضونه حتى لا يفعل وهم يعلمون انه كاذب ولو خلى وما اراد ما اثر شيئا ولكنه الملق البارد

وهكذا كان شأن أصحاب فرعون يعلمون كذبه ولا يجسر أحد منهم على تكذيبه أو رده

وأخرى . ان الجيش المصرى لما انتهى من وقعة كررى خارج أم درمان خرج عبد الله التعايشى مع بعض الجنود مصعدا نحو الجنوب والجيش المصرى يرسل رصاصه على ساقة جيش التعايشى . وخاف التعايشى ان يركب جواده فيصيبه الرصاص . فمشى راجلا . وكان فى الجيش عثمان دقنه بطل الحروب السودانية المشهور فقال له اركب يا خليفة المهدى . فاجابه بلهجـــة أهل السودان (كيفن ؟ اركب والخضر ماش أمامى ؟) فقال له عثمان دقنه (فضنا من كضباتك دى يازول) اى دعنا من اكاذيبك يا رجل (نحنا معردين الخضر معردليشنو ؟ الخضر ما هو شايف رصاص الترك فى جفانا) اى نحن شاردون والخضر لأى شىء يشرد الم ير رصاص الترك ياخذنا من خلفنا ولكن فرعون لم يجد من المصريين فى ملئه من يقولون له ماقال عثمان دقنه للتعايشى . بل كانوا يؤمنون على قوله

لم يكن فى ذلك الوقت رجل صادق الفراسة يقرا لنا افكار الملأ من قوم فرعون هل كانوا يفكرون فكره ويترسمون خطواته فيما يخيل اليهم اوكانوا عالمين باستحالة ما يحاول وانما يؤمنون على قوله مجاراة له . ومجاملة ينالون بها الحظوة عنده وان كان فى نفوسهم كاذبا كما هو شأن الكثير

من المصريين فى موافقة الحكام على ارائهم . وان كانت مباينة لما يكنون فى انفسهم ؟ . . وهل فعل هامان ما امر به فرعون ؟ وإلى اى حد بلغ فى علو البنـاء ؟ وإلام آل امر ذلك البناء ؟ كل ذلك لم يذكره القرآن ولم يذكر فى التوراة بطريق التصريح او الاشارة وإنما يذكر المفسرون ان هامان بنى له الصرح حتى بلغ نهاية ما قدر عليه من البناء ثم صعد فرعون وصوب سهما إلى السماء ورمى به فعاد اليه النصل مخضبا بالدم فقال لقد قتلت اله موسى ـ ثم ماهو هامان (١) ؟ وما منصبه ؟ وهل لفظ هامان علم له أو علم منصبه الذى يشغـله ؟ ليس عندنا فى ذلك أثارة من علم . والذى أفهمه أنه وزير العمارات عند فرعون .

اقرءوا هذه الآيات

سورة القصص ـ (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٣٨)

سورة غافر ـ (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ٣٦ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ . وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ـ ٣٧ اما التوراة فلم تذكر بناء الصرح ولا امر هامان بذلك

معجزتا العصا واليد

(اتهام موسى بالسحر ـ حشد فرعون السحرة ـ القاؤهم بسحرهم ـ تلقف العصا للسحر ـ ايمان السحرة برب العالمين وثباتهم على إيمانهم . غضب فرعون من السحرة وقتلهم وصلبهم)

لما أعضل موسى واخوه بفرعون ولم يجد السبيل إلى اقرارهما بانه الاله الحق رجا ان يعجزا عن الاتيان بآية تبين صدقهما فيما جاءا به عن الههما . فطلب اية من موسى فالقى عصاه من يده فاذا

---

(١) يقول الأستاذ موسى جار الله (انه يرجح أن فرعون كان يدعو أمون معبود المصريين وان هذا القول من قبيل الأمر وهومعنى حسن لولا قوله تعالى (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) فان الصنم لا يوصف بالخطأ وانما تدل على انه رجل له قدرعال عند فرعون . هذا وفى كتاب استير ان هامان كان من وزراء الملك احشويرس وهوهامان بن همداثا الأجاجي وكان عدوا لليهود وكان عاملا على ابادتهم ١٠ : ١٣ سبتمبر . وعلى ذلك فهو اسم لذى وظيفة

هى ثعبان لا شك فيه يتحرك ويسعى - ووضع يده فى جيبه ثم نزعها فاذا هى بيضاء للناظرين
راى فرعون والملأ من قومه ذلك فعمدوا الى التمادى على تكذيب موسى فيما جاء به من الآيتين . واحالوا ذلك منه على السحر وتشاوروا فيما بينهم فى شأن موسى مؤكدين انه ساحر عليم يريد ان يخرجهم من أرضهم . فأدت بهم خاتمة المطاف الى أن أشاروا على فرعون بأن يرجىء موسى وأخاه حتى يأتى بالسحرة من آفاق مصر ليأتوا بمثل ما أتى به موسى . لأن هذه الآية التى أتى بها متى كان فى مقدور غيره أن يأتى بمثلها فقد بطلت دعواه إذ الغرض أن يأتى بشىء لا يقدر غيره على الاتيان بمثله . وإلا فانه لا يسمى معجزة تدل على صدقه فيما يبلغ عن ربه

أرسل فرعون فى مدائن مصر حاشرين يأتونه بالسحرة - وكان للسحر منزلة عظيمة فى أرض مصر . يعنى به الملوك والأمراء ويكافئون عليه . وهذا أمر لم يزل كشف الآثار المصرية يبين عنه الى اليوم . فجاءوا بجمهور عظيم من السحرة كانوا مدلين بانفسهم واثقين من مقدرتهم على السحر والتصرف فى الأعيان والعيون وعرضوا لفرعون بالأجر ينالونه جزاء قيامهم بالسحر . فوعدهم الأجر الجزيل . والزلفى لديه . وأى زلفى أعظم من زلفى قوم يؤيدون ربوبيته ويثبتون عرش (ألوهيته) - وطلب السحرة الأجر يدل على أن أمور الفراعنة كانت سخرة

راود السحرة موسى هل يلقون سحرهم أو يلقى هو سحره أولا وكان الجمع حافلا وفى يوم الزينة ويظن أنه يوم وفاء النيل . فانه كان أعظم أعيادهم فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ; وكان عتادهم العصى والحبال فالقوها فامتلأ المكان حيات وثعابين وخيل الى موسى من سحرهم أنها تسعى

فى تلك اللحظة ابتهج فرعون وجنوده وعلية قومه وأيقنوا أن السحرة قد نجحوا وأن موسى لا يمكنه أن يأتى بشىء أعظم من سحرهم إذ كل ما فى يده عصاه فاذا قلبت حية فهى حية واحدة من مئات وآلاف قد غص بها رحب الساحة التى هم فيها

وفى تلك اللحظة أيضا هال موسى أمر تلك الحيات وأوجس فى نفسه خيفة - فامره الله أن يلقى عصاه . فاذا هى حيـــة تسعى واذا هى تبتلع (١) حيات السحرة وتتلقفها فوقع الحق وبطل سحر السحرة . ودهش آل فرعون والملأ من قومه - وعلم السحرة ان السحر لا يفعل مثل ذلك . وإنما

---

(١) الذى فى القرآن تلقف ما يأفكون قال فى تاج العروس - وفى المحكم اللقف سرعة الأخذ لما يرمى اليك باليد أو باللسان . وقال غيره اللقف أن تاخذ شيئا فتأكله أو تبتلعه من ٢٤٨ ج ٦ وفى ص ٢٤٩ اللقف بالفتح الفم يمانيه

هى القوة الألهية صنعت هذا . فخروا ساجدين لله تعالى وآمنوا برب موسى وهارون مفضلين ذلك على الأجر الذى كانوا يرجونه من فرعون مستهينين بجزائه الذى سيوقعه بهم .

علم فرعون انه لم يعجز موسى ولكن موسى اعجزه فاراد ان يستر عواره فقال للسحرة عن موسى : « انه لكبيركم الذى علمكم السحر » ولهذا كان اقوى منكم وغلب سحره سحركم . قال هذا مع علمه بان موسى لم يعرفهم . ولم يجتمع معهم من قبل بل كان ثاويا فى اهل مدين . ولم يتصل بالسحرة بأية صلة . ولكنه المقهور المغلوب يلتمس لنفسه العـــذر وان كان لا يغنى - ولابد للمغلوب من بادر العذر -

ثم أخذ يتجنى على أولئك السحرة . ويقول لهم (آمنتم له قبل أن آذن لكم) موهما أنه يتصرف فى وجدانهم وأنه كان على وشك أن يأذن لهم ولكنهم أجرموا بالأيمان قبل صدور الاذن وهددهم بقطع الأيدى والأرجل من خلاف والتصليب على جذوع النخل فلم يثنهم ذلك عن الأيمان . وقد نفذ فيهم ماهددهم به - ولقد هم فرعون أن يقتل موسى خوفا من أن يبدل دين المصريين أو أن يظهر فى أرض مصر الفساد . ولعله انما يعنى بالفساد اطلاق بنى اسرائيل من اسر العبودية ويفوت بذلك على فرعون وآله المنافع التى تعود عليهم من تسخير بنى اسرائيل فى الأعمال الشاقة . ولعل الأعمال التى كانت تؤدى الى فرعون كانت على سبيل السخرة فى الأعم الأغلب كما سبقت الاشارة الى ذلك

يرشد الى هذا أن السحرة استفهموا من فرعون قائلين . (أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين) ولو كانت الأمور سائرة بغير سخرة لما ساغ لهم هذا السؤال

استنفد فرعون الوسع فى أن يثنى موسى عن دعوته إلى الله فلم يفلح ولم يقلع وكلما فتح بابا للتجنى على موسى وأخيه حول موسى مجرى الجدال الى شى اخر فيه فرج

انظروا إلى قول فرعون (لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) والى لباقة موسى فى قوله (أو لو جئتك بشىء مبين)

وكان موسى لا يترك فرصة للدعوة إلى الله سواء امام فرعون او غيره . انظروا الى قول موسى لآل فرعون لما اتهموه بالسحر (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى) وقوله لهم (أتقولون للحق لما جاءكم ؟ أى هذه المقالة) اسحر هذا ؟

كانت عصارة هذه الأحوال كلها أن فريقا من بنى اسرائيل قد آمنوا لموسى وهم على خوف من فرعون ومن ملأ بنى اسرائل أن يفتنهم لأنه كان مسرفا لا يبالى مايصنع ويظهر أنهم كانوا شبابا

لقوله تعالى (ذرية من قومه) وكان موسى يعتقد أن طغيان فرعون وملئه وإباءهم عن الإيمان به سببه أن الله تعالى أغدق عليهم الأموال فى الحياة الدنيا ومتعهم بلذائذ العيش فقست قلوبهم وظنوا بقاء ذلك النعيم فتمادوا فى طغيانهم ولم يصغوا إلى العظات التى يغاديهم بها موسى ويراوحهم . فحمله ماعاناه من العناء فى ارشادهم وماتحمل من البلاء والعنف فى دعوتهم على أن يدعو عليهم بأن يسد الله تعالى طريق هدايتهم ويقل ماباًيديهم من المال الذى هو سبب طغيانهم واسرافهم فى أمرهم وأن يشد على قلوبهم ويبعدهم عن طريق الايمان الى أن يسلمهم ذلك الى العذاب الاليم . وقد أجاب الله تعالى دعوته

ولما لم يفد العلاج مع فرعون أمر الله تعالى موسى أن يتخذ لبنى اسرائيل بيوتا للعبادة فى مصر ويقيم فيها الصلاة لله تعالى

اقرءوا هذه الآيات

سورة الاعراف ـ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٠٦ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا
هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ١٠٨ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا
لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٩ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ١١٠ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى
الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ١١١ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ١١٢ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ
كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ١١٤ قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِىَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ
نَحْنُ الْمُلْقِينَ ١١٥ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ
١١٦ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ١١٩ وَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ١٢٠ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ١٢٢ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ
مَكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ

ثمّ لأصلبنّكم أجمعين ١٢٤ قالوا انّا الى ربّنا منقلبون ١٢٥ وما تنقم منّا الا أن آمنّا بآيات ربّنا لمّا جاءتنا ربّنا أفرغ علينا صبرا وتوفّنا مسلمين ١٢٦

سورة يونس ـ ثمّ بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ٧٥ فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا قالوا انّ هذا لسحر مبين ٧٦ قال موسى أتقولون للحقّ لمّا جاءكم . أسحر هذا . ولا يفلح السّاحرون ٧٧ قالوا أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين ٧٨ وقال فرعون ائتوني بكلّ ساحر عليم ٧٩ فلمّا جاء السّحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ٨٠ فلمّا ألقوا قال موسى ما جئتم به السّحر انّ الله سيبطله انّ الله لا يصلح عمل المفسدين ٨١ ويحقّ الله الحقّ بكلماته ولو كره المجرمون ٨٢ فما آمن لموسى إلّا ذرّيّة من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإنّ فرعون لعال في الأرض وانّه لمن المسرفين ٨٣ وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا إن كنتم مسلمين ٨٤ فقالوا على الله توكّلنا ربّنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظّالمين ٨٥ ونجّنا برحمتك من القوم الكافرين ٨٦ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصّلاة وبشّر المؤمنين ٨٧ وقال موسى ربّنا إنّك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدّنيا ربّنا ليضلّوا عن سبيلك . ربّنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتّى يروا العذاب الأليم ٨٨ قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتّبعانّ سبيل الّذين لا يعلمون ٨٩

سورة طه ـ قال اجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ٥٧ فلنأتينّك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى ٥٨ قال موعدكم يوم الزّينة وأن يحشر

النَّاسُ ضُحًى ٥٩ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ٦٠ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ٦١ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ٦٢ قَالُوا إِنْ
هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ٦٣ فَأَجْمِعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ٦٤ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ
مَنْ أَلْقَى ٦٥ . قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ٦٦ . فَأَوْجَسَ فِي
نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٦٨ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا
إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ٦٨ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ
وَمُوسَى ٧٠ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ٧١ قَالُوا لَنْ
نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٧٢
إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ٧٣ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ
رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ٧٤ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ
لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ٧٦

سورة الشعراء ـ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ٢٩ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ
مُبِينٍ ٣٣ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣١ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا
هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ٣٣ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ٣٤ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

بسحره فماذا تأمرون ٣٥ قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين ٣٦ يأتوك بكل ساحر
عليم ٣٧ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ٣٨ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ٣٩ لعلنا نتبع السحرة
إن كانوا هم الغالبين ٤٠ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ٤١ قال
نعم وإنكم إذا لمن المقربين ٤٢ قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ٤٣ فألقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ٤٤ فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ٤٥ فألقي
السحرة ساجدين ٤٦ قالوا آمنا برب العالمين ٤٧ رب موسى وهارون ٤٨ قال آمنتم له قبل أن
آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف
ولأصلبنكم أجمعين ٤٩ قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون ٥٠ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا
أن كنا أول المؤمنين ٥١

هذا الموقف من مواقف موسى عليه الصلاة والسلام قد ذكر في التوراة (١)

---

(١) في الاصحاح السابع من سفر الخروج من أو إله إلى الآية ١٤ وهذا نصها

الاصحاح السابع من سفر الخروج - (١) فقال الرب لموسى انظر . أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك ٢ أنت تتكلم بكل ما آمرك وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق بني اسرائيل من أرضه ٣ ولكني أقسي قلب فرعون وأكثر آياتي وعجائبي في أرض مصر ٤ ولا يسمع لكما فرعون حتى أجعل يدي على مصر فاخرج أجنادي شعبي بني اسرائيل من أرض مصر باحكام عظيمة ٥ فيعرف المصريون أني أنا الرب حينما أمد يدي على مصر وأخرج بني اسرائيل من بينهم ٦ ففعل موسى وهارون كما أمرهما الرب هكذا فعلا . وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون ٨ وكلم الرب موسى وهارون قائلا ٩ اذا كلمكما فرعون قائلا هاتيا عجيبة تقول لهرون خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعبانا ١٠ فدخل موسى وهارون إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب . طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام=

تمادى فرعون وقومه

فى اصرارهم على الكفر ـ عودهم لايذاء بنى اسرائيل بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم تشجيـــع موسى لقومه وأمره لهم بالصبر ووعدهم بحسن العاقبة ـ فرعون يهدد موسى بالقتل

راى فرعون الآيات فتمادى على كفره واصر على عناده معرضا عن الآيات التى اتى بها موسى واغراه قومه بموسى لائمين له منكرين عليه ترك موسى وقومه يفسدون فى الأرض بالامتناع عن الأعمال التى سخروا فيها . وان يذر فرعون وآلهته لا يعبدها ولا يعبد فرعون . فسكن فرعون روع القوم واعدا اياهم بان يقتل ابناء قوم موسى ويستحيى نساءهم . معتزا بما له عليهم من القهر والغلبة والسلطان . ثم اتبع القول بالعمل

بما هو طبيعى ان يضج بنو إسرائيل بالشكوى الى موسى مما حاق بهم من الحيف والجور . فوصاهم موسى بالصبر على هذا البلاء النازل . وان يستعينوا بالله على احتماله . ووعدهم حسن العاقبة . فلم يكفكف ذلك دموعهم وقالوا له (اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا) . فمناهم هلاك عدوهم واخراجهم من الضيق الى السعة . وان يكونوا خلفاء فى الأرض التى وعدوا بها . واراد فرعون ان يبطش بموسى متحديا إلهه حتى لا يكون منه تبديل لدين القوم او فساد فى ارضهم . ولكن موسى عاذ بالله من شر هذا المتكبر الذى لا يؤمن بحساب فكان عياذا — اقرءوا فى هذا الموقف الآيات الآتيـــة .

سورة الاعراف ـ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ . أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ١٢٧ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ

= عبيده فصارت ثعبانا ١١ فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك ١٢ طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين . ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم ١٧ فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب

أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٢٩

سورة غافر - وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٢٣ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ٢٧

لم تذكر التوراة مسالة اعادة تقتيل ابناء العبرانيين

الائتمار بموسى لقتله

دفاع مؤمن ال فرعون عن موسى وانتصاره لدين موسى - مخالفة فرعون له - ردالمؤمن على الملأ من قوم فرعون ووعظه اياهم وتحذيرهم بأس الله - تذكيره اياهم بيوسف وما كان منهم من الشك فيما جاءهم به - ودعاء القوم له الى منابذة موسى والاستمساك بدين آبائه وأجداده - رده عليهم واستمساكه بالايمان بموسى - تدبيرهم عليه ونجاته منهم ومن مكرهم

خلص فرعون والملأ نجيا يأتمرون بموسى لأهلاكه . ولما كان الحق لا يعدم نصيرا قام رجل مؤمن من آل فرعون يكتم أيمانه بموسى ورب موسى الى ذلك الحين . ودافع عن موسى دفاعا يشكره الله له . وأبلى فى ذلك بلاء حسنا . وبين لهم انه لا ينبغى أن يقتلوا رجلا يقول ربى الله . لأن قوله ذلك لا يصلح سبباً للقتل . وبخاصة اذا كان قد جاءهم بالآيات الدالة على صدقه . وأنه لو فرض انه كاذب فيما يقول ما نالهم ضرر من كذبه . ولا يحملون شيئا من أثمه . ولو فرض انه كان صادقا أصابهم بعض الوعيد الذى توعدهم به . وقد عارضه فرعون فيما رأى ووجه أقواله الى الملأ ينتصر بهم على معارضته قائلا . ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد

عاد مؤمن آل فرعون الى الكلام محذرا قومه بأس الله تعالى ووقعاته فى أمم عاد وثمود وقوم

نوح وغيرهم ممن انتقم الله منهم جزاء وفاقا بما صنعت أيديهم . وذكرهم بأن الدعوة التى جاء بها موسى اليوم ليست جديدة . فقد جاء الى آبائهم واليهم ضمنا يوسف بالبينات . فلم ينل تصديقهم أياه حتى اذا هلك قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا . وأبان لهم أن ذلك من طبع الله على قلوبهم وامساكه تعالى عن هدايتهم هداية موصلة بالفعل الى المقصود . وأن الله تعالى لا يهمل الحسنات ولا السيئات بل يجازى على كل شىء . وان المؤمنين لهم الجنات يرزقون فيها بغير حساب

تمادى قومه وجهدوا أن يردوه الى دين قومه فلامهم على أنه يريد بهم السعادة وهم يريدون له الشقاء الدائم فهو يدعوهم الى الايمان وهم يدعونه الى الكفر بالله تعالى العزيز الغفار - وان الآلهة التى يدعونه الى عبادتها لا تنفع فى الدنيا ولا تشفع فى الآخرة . وان المرد الى الله تعالى وانه سيأتى عليهم وقت يذكرون فيه نصحه اياهم وانه يفوض أمره الى الله .

ولقد هموا به كما هموا بموسى فوقاه الله سوء عملهم وكانت عاقبته السعادة وعاقبة آل فرعون النار

اقرءوا هذه الآيات

سورة غافر - (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ٢٨ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٢٩ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ٣١ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٣ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ٣٤ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ٣٥)

وفى سورة غافر ايضا ـ (وَقَالَ الَّذِى آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِى أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ٣٨ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دَارُ الْقَرَارِ ٣٩ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ٤٠ وَيَا قَوْمِ مَالِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِى إِلَى النَّارِ ٤١ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِى إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٤٣ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ٤٤ فَوَقَاهُ (١) اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٤٦)

لم تذكر التوراة ائتمار القوم بموسى لقتــله ولا مسألة مؤمن ال فرعون ودفاعه عن موسى وتذكيره قومه بيوسف لان القوم نسوا حظـا مما ذكروا به ولعل حقدهم على فرعون وقومه صرفهم عن ذكر احد من المصريين قد امن بموسى

فرعون يستخف بموسى

ويباهى بأنه ملك مصر مع مافيها من الثروة ـ ويبادى بأنه رب الناس الأعلى ـ وأن كل معبود دونه

كان من موسى بعد ان نصره الله تعالى على سحرة فرعون فامنوا مستهينين بعذاب الدنيا . ان داب على دعاء فرعون الى الايمان واطلاقه بنى اسرائيل . وتمادى فرعون فى دفعه . ورأى عظيما ان يلبى دعوة موسى ويتبع دينه مع ما لفرعون من عزة السلطـان ووافر الثروة التى تدرها عليه مصر بسبب نيلها الفياض وماله من الفروع التى تبعث الحياة الرافغة فى مصر كأنها الشرايين تمد

(١) يصلح أن يعاد الضمير على موسى اذ كانوا يأتمرون به لقتله ويمكن أن يعود على مؤمن آل فرعون

مصر بالحياة اذ تسرى فى ارضها الدانية والقاصية فتسرى فيها الثروة واليسر وكأنه كان ينظر الى قول الشاعر بعد عصره

فلا تعجب فكل خليج ماء　　بمصر مسبب لخليج مال
زيادة أصبع كل يوم　　زيادة أذرع فى حسن حال

غلبت عليه نفسه المادية التى لاترى الخير والعز الا فى وفرة المال . ولا تعرف أن الله يختص برحمته وفضله من يشاء فقال (أم انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين) ثم لجأ الى الاعنات وطلب ما هو أقل مما أتى به موسى من الآيات البينات على صدقه . وقال (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) كأن هذا الذى يطلبه لا يحال على أنه سحر كما قال عن العصا التى استحالت ثعبانا واليد التى اكتست لون البياض بلا مرض بدل لون الادمة .

كانت هذه الاقوال من فرعون كافية لاستخفافه قومه . واطاعتهم له ميلا منهم عن الحق وزيغا عن طريق الهدى . لأنهم ألفوا الانقياد له حيث شاءو فى كل وجه اراد . فأفنوا ذاتهم فى ذاته . وأماتوا شخصياتهم فى شخصه وأهدروا آدميتهم ابتغاء الزلفى لديه . وجره ذلك الى ان حشر الناس من آفاق البلاد قائلا (أنا ربكم الأعلى) الذى ينبغى أن تخصوه بالعبادة دون اله موسى الذى جاءنا به على غير معرفة منا به — اقرءوا هذه الآيات

سورة الزخرف — (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِى مِنْ تَحْتِى أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٥١ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَـٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوْلَا أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ٥٣ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٥٤)

سورة النازعات (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَى ٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ٢٦)

آيات الله على فرعون وقومه

لما كذبوا موسى عليه السلام

لما أخذت فرعون العزة بالاثم وعتا عن أمر الله تعالى وتمادى فى تكذيب موسى واستمر فى إعنات بنى اسرائيل وإيقاع ضروب الاذلال والاهانة بهم أمر الله تعالى موسى أن يعلن فرعون وقومه بأن الله تعالى سيوقع بهم العذاب جزاء لهم على تكذيبه وامتناعهم من إطلاق بنى اسرائيل. فكانوا كلما وقع بهم عذاب بعد إنباء موسى إياهم به وعدوه بالايمان به تارة وبارسال بنى اسرائيل معه تارة أخرى إذا سأل ربه كشف ما وقع بهم من العذاب . فاذا كشف الله عنهم ما نزل بهم . عادوا الى طغيانهم وغدروا بعهدهم وخاسوا بوعدهم وهكذا الى أن كانت الآية الكبرى والبطشة العظمى وهى إغراق فرعون فى اليم ونجاة بنى اسرائيل والآيات هى :

(١) الجدب بأن قل عنهم النيل وقصر عن إرواء أرضهم وسنو الجدب يؤرخ بها فيقال لعام الجدب سنة .... ومنها أسنت القوم أى أصابتهم السنة

(٢) النقص من الثمرات بسبب ما يأتى عليها من الجوائح والعاهات

(٣) الطوفان ولم يقطع المفسرون بأن هذا الطوفان كان على أى وجه فهل كان بطغيان النيل على الأرض وامتداد زمن بقائه على وجه الأرض حتى عاقهم عن الزرع فى الوقت المناسب . أو كان بتتابع المطر على أرض مصر فى وقت كان فيه الزرع ناميا حتى أغرقه وأضر به كل محتمل . وقد مال البيضاوى الى هذا فى تفسيره

(٤) الجراد : بأن أرسل الله على بلاد مصر الجراد فأكل الزرع واجتاح الثمار

(٥) القمّل : الذى أقض مضاجعهم وأتعبهم أيما تعب . وفى التوراة البعوض بدل القمل . وفى البيضاوى قيل هو كبار القراد وقيل صغار الجراد . قبل نبات أجنحتها . وعبارة القاموس . والقمل كسكر صغار الذر والدبا . الذى لا أجنحة له أو شىء صغير بجناح أحمر وشىء يشبه الحلم لا يأكل أكل الجراد . خبيث الرائحة أو دواب صغار كالقردان واحدتها بهاء أو قمل الناس وهذا القول مردود اه

(٦) الضفادع : قيل انها كثرت عندهم حتى نغصت عليهم عيشهم بسقوطها فى طعامهم وفراشهم وبين ملابسهم

(٧) الدم : بان استحال الماء لأهل مصر دما . وقيل ان الله ساط عليهم الرعاف

(٨) الطمس على أموالهم وهو محقها واهلا كها

(٩) اليد : إذ كان يضع يده فى جيبه ثم يخرجها بيضاء من غير سوء

وبعض المفسرين يعد الآيات على غير هذا الوجه فيجعل فلق البحر من الآيات التسع . وآخرون يجعلون انبجاس الحجر بالماء لبنى اسرائيل من الآيات التسع ـ ولا يخفى ان فلق البحر انما كان بعد تمام الآيات . وانبجاس الحجر بالماء انما كان بعد هلاك فرعون فلا يصح أن يكون آية له ولقومه وأنا أعد الآيات هكذا

(١) السنون (٢) نقص الأموال (٣) نقص الأنفس (٤) نقص الثمرات (٥) الطوفان (٦) الجراد (٧) القمل (٨) الضفادع (٩) الدم

واعلموا أن هذه الآيات التسع غير الآيات التى أرسل بها موسى الى بنى اسرائيل وهى المذكورة فى قوله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينـــات فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم) المذكورة فى سورة الاسراء . فقد فسرها البيضاوى بأنها آيات أرسل بها موسى الى بنى اسرائيل . وهى أحكام أمروا بالأخذ بها لا آيات عقاب عوقب بها فرعون وجنوده وهو أحد وجوه أوردها فى هذه الآية

وعبارته بنصها (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هى : العصـــا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وفلق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل : وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الأخيرة . وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى ﷺ عنها فقال : لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء لدى سلطان ليقتله . ولا تقذفوا محصنة . ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله . فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع

اقرءوا هذه الآيات :

سورة الأعراف ـ (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠

فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣١ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي اسْرَائِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ الَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ اذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ١٣٥)

سورة الاسراء — (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي اسْرَائِيلَ اذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ انِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا ١٠١ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ الَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَانِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا)

سورة طه — (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ٥٦)

سورة النمل — (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ١٣ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ١٤)

سورة القصص — (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا الَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ انَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ٣٧)

سورة الزخرف — (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا الَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ انِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٦ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا اذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ٤٧ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ الَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤٨ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ انَّنَا لَمُهْتَدُونَ ٤٩ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ اذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ٥٠)

سورة القمر — (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ٤١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ٤٢)

سورة النازعات — (فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَى ٢١) [1]

---

(١) ذكرت التوراة الآيات التى جاء بها موسى الى فرعون وملئه وجعلتها ثنتى عشرة آية . ولما كان الاتيان بنص ذلك كله يطيل المقام أحببت ذكر تلك الآيات التى جاءت فيها مع الاشارة الى مواضع نصوصها طلبا للاختصار واليكم ما جاء فيها

(١) انقلاب العصا حية وقد تقدم

(٢) انقلاب نهر النيل دما سبعة أيام وموت السمك فى النهر ونتن مائه من الآية ١٤ من الاصحاح السابع خروج الى آية ٢٥ منه

(٣) صعود الضفادع من النهر الى أرض مصر ومضايقتها للمصريين حتى غطت أرض مصر . من أول الاصحاح الثامن الى الآية ١٥ منه

(٤) كثرة البعوض بأرض مصر على الناس والبهائم ولعله المعبر عنه بالقمل والبعوض هو الذى يعبر الناس عنه بالبق من الآية ١٦ إصحاح ٨ إلى آخر الآية ١٩ منه

(٥) كثرة الذباب فى أرض مصر وبيوت المصريين كثرة فاحشة حتى تنغص عيشهم فى الآية ٢٠ من الاصحاح الثامن خروج الى آخر الآية ٢٤ منه

(٦) تفشى الوباء فى مواشى المصريين من الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم من أول الاصحاح التاسع الى الآية ٧ منه

(٧) فشو الدماميل فى الناس والبهائم من الآية ٨ من الاصحاح التاسع من سفر الخروج الى الآية ١٢ منه

(٨) نزول البرد العظيم يهلك ما أصاب من المواشى والناس من الآية ١٣ من الاصحاح التاسع خروج الى الآية الخامسة والثلاثين منه

(٩) وجود الجراد بكثرة وأكله الزرع والثمار من أول الاصحاح العاشر من سفر الخروج الى الآية ١٥ منه

(١٠) اظلام أرض مصر ثلاثة أيام من الآية ٢١ من الاصحاح العاشر الى الآية ٢٣ منه

(١١) موت كل بكر من الناس والبهائم فى مصر من أول الاصحاح الحادى عشر من سفر =

انطلاق بنى اسرائيل

ندم فرعون وقومه ـ رحيل فرعون فى أثرهم لردهم . انشقاق البحر . عبور بنى اسرائيل على أرض البحر اقتحام فرعون فى أثرهم ـ انطباق الماء على فرعون وجنوده وغرقهم ـ من هو فرعون ـ أين موضع العبور

انطلق موسى بقومه بنى اسرائيل من أرض مصر ذاهبا الى أرض فلسطين كما قال تعالى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) فهل كان هذا الانطـــلاق بناء على أمر صدر له من فرعون بعد أن أمضه الله وقومه بالعذاب الشديد فى الآيات التسع ؟

تقول التوراة ان ذلك كان بناء على سماح فرعون لهم بالانطلاق ليخلص من ضروب العذاب التى حاقت بقومه ـ أى إن سماح فرعون لهم بالانطلاق للتخلص من شر موسى لا لأنه آمن برب موسى وهارون والقرآن ساكت عن هذه النقطة

ندم فرعون على ارسال بنى اسرائيل أو أنه رأى أنهم انطلقوا بلا اذن منه ـ ولعله قد بلغه ما فعله اليهوديات بالمصريات من استعارة الحلى والزينة وعدم ردها اليهن فأرسل فى المدائن حاشرين فجمع جندا عظيما واتبع بنى اسرائيل ليردهم الى عبوديته وكان بنو اسرائيل قد بلغوا ساحل البحر الأحمر على خليج السويس واطلع عليهم مع شروق الشمس فايقنوا بالهلاك وان فرعون باطش بهم فسكن موسى روعهم وضرب البحر كما أمره الله تعالى فانفلق حتى ظهرت أرضه وأمر بنى اسرائيل بالعبور فيه فعبروا من الشاطىء الغربى الى الشاطىء الشرقى . وأشرف فى ذلك الحين فرعون عل الموضع الذى عبر منه بنو اسرائيل فرأى طريقا فى البحر لا وعورة فيه . وبنى اسرائيل بين فرقى الماء لم يمسهم أذى فطمع ان يعبر فى أثرهم فيردهم هو وجنوده . فاقتحموا الطريق اليابس فى البحر خلف بنى اسرائيل . فلما جاز بنو اسرائيل البحر ولم يبق أحد منهم بين المياه المنحسرة . وفرعون قد توسط البحر هو وجنوده انطبق البحر عليهم وعاد كما كان أولا . وغرق فرعون وجنوده ولم يفلت منهم أحد ممن اقتحم الماء

= الخروج الى الآية ٢٩ من الاصحاح الثانى عشر

(١٢) اليد . علم أمرها مما تقدم

فى ذلك الوقت الذى ادرك فيه فرعون الغرق . قال (امنت أنه لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين)

والذى أعتقده أن فرعون أراد أن يدفع عن نفسه الغرق بهذه الكلمة التى نطق بها دون أن يعتقدها مقدرا أنه بذلك يخدع موسى وإلهه ويمثل فى هذه المرة الأدوار التى مثلها من قبل . لأنه وقومه كانوا يقولون لموسى (ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) الخ ويقولون لموسى (يا أيها الساحر أدع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون) فكان الله يكشف عنهم البلاء ثم يعودون سيرتهم الأولى - فظن أنه ينجو فى هذه المرة بمثل الخديعة التى كان ينجو بها أولا . ولا يعجبنى قول الجلال الدوانى . ان فرعون ناج لأنه امن . والله تعالى يقول « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن » وقال تعالى : (يوم ياتى بعض ايات ربك لا ينفع نفسا أيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى أيمانها خيرا) وفرعون لم يكسب فى أيمانه خيرا بفرض أنه آمن .

رأى فى فرعون صاحب موسى

لقد كتبت فى الطبعة الأولى ماعرفته عن فرعون الذى كان فى زمن موسى عليه السلام ونقلت ما كتبه المونسنيور لويس ملحمه فى اهرام ٧ مايو سنة ١٩٣٢ عن فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج

ولكننى الآن اردت ان آتى البيوت من أبوابها عملا بعموم قول الله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون - فذهبت الى دار الآثار وقابلت حضرة الفاضل احمد يوسف احمد افندى المصور بدار الآثار المصرية

وقد نقلت من كتاب له عنوانه (كتاب فرعون موسى - قصة الولادة والرسالة - والخروج) وهو تحت الطبع ما يأتى

لم يبق شك فى أن يوسف الصديق عليه السلام قد دخل مصر فى عهد الاسرة السادسة عشرة فى أيام احد ملوكها المدعو (ابابى الأول) وقد وجدت لوحة أثرية عبارة عن شاهد مقبرة ذكر فيها اسم (فوتى فارع) وهو المذكور فى التوراة فوطيفار - عزيز مصر . كما استدل من بعض آثار عن الاسرة السابعة عشرة على حدوث جدب فى مصر قبل هذه الاسرة وهو ماذكر فى القران والتوراة عن سنى القحط

اذن فدخول يوسف يمكن تحديده قريبا من سنة ١٦٠٠ ق . م فى عهد الملك ابابى المذكور . ويكون دخول بنى اسرائيل بعد ذلك بنحو مايقرب من ٢٧ عاما وهى المدة التى اقامها يوسف فى بيت سيده مضموما اليها المدة التى اقامها فى السجن يضم الى ذلك مدة الرخاء والخصب ثم بعض مدة الجدب إلى ان قال لاخوته (واتونى باهلكم اجمعين)

واذا اطلعنا على حياة ملوك الفراعنة فيما بين هذه الاسرة والاسرة التاسعة عشرة لم نجد أيضا ذكراً يثبت أى اضطهاد حدث لقوم اسرائيل . ولا أى ذكر لهم اثناء ذلك .

ولكن التوراة تذكر أن فرعون مصر الذى اضطهد بنى اسرائيل . كان يستخدمهم فى بناء مدينتى رعمسيس وفيثوم ـ وقد ثبت من الحفائر الأثرية وجود مدينة باسم «فيثوم» أو «بر-توم» ومعناها بيت الاله توم . ومدينة اخرى باسم « بر رعمسيس » ـ أى بيت أو قصر رعمسيس . والأولى اكتشفت بواسطة العالم الفرنسى « نافيل » فى سنة ١٨٨٣ وموضعها تل المسخوطة الآن . فى مديرية الشرقية والثانية اكتشفت بواسطة العالم المصرى الأستاذ محمود حمزة فى سنة ١٩٢٨ . وموضعها بلدة « قنتير » وتسمى بالمصرى القديم «خنت نفر» أو الوسط الجميل. وأيضا (برر عمسيس) وهى التى بناها رعمسيس الثانى لتكون عاصمة للملكة فى مصر فى وسط الوجه البحرى . ليكون بها قريبا من الحدود المصرية لتساعده على صد الاعداء. كما أنه أيضا بنى مدينة فيثوم واتضح من وجود بعض آثار الجدران فى المدينة انها أيضا كانت حصنا مصريا . وتكون التوراة قد اخطأت فى حسبانها مخازن للغلال

واذن فرعمسيس الثانى قد يعتبر الفرعون الذى اضطهد بنى اسرائيل وولد موسى فى زمنه . ويضاف الى ذلك عداؤه الشديد للشعوب الاسيوية التى ظل يحاربها متغيبا عن مصر زهاء تسع سنوات . وقد يكون كرهه لبنى اسرائيل المقيمين فى مصر مترتبا على خشيته من أن يكونوا حزبا ممالئا لاعدائه المواطنين لهم من قبل ولاسيما وقد تكاثروا فى عددهم وتناسلوا حتى كانت لهم جالية تشمل جزءاً عظيما من مديرية الشرقية

وحيث أن الملك رعمسيس الثانى قد اشرك ابنه الملك منفتاح معه فى الحكم قبل وفاته وكان منفتاح الولد الثالث عشر لرعمسيس . وقد بلغ اولاده ١٥١ وكان مسناحين ولايته للعهد . فيكون قد عاصر موسى فى بيت ابيه ـ وبحق قال لموسى « ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين » ويكون منفتاح هو فرعون الخروج . الذى ارسل اليه موسى وهرون عليهما السلام لاخراج بنى اسرائيل من مصر . وتكون التوراة على صواب عند ماقالت . وفى هذه الاثناء كان ملك مصر قد مات

وقد عثر العلامة فلندرس بترى على حجر من الجرانيت القاتم ورقمه فى الدار ٥٩٩ وهو عبارة عن لوحة كبيرة يبلغ ارتفاعها ٣ امتار و١٤ سم وهو منقوش من الوجهين احدهما للملك امنحتب الثالث من الاسرة ١٨ يذكر فيه كل ماعمله لمعبد أمون

أما الوجه الآخر فقد استعمل فى شأن منفتاح بن رعمسيس الثانى من الاسرة ١٩ وذكر فيه عبارات باسلوب شعرى يفتخر فيها بانتصاره على اللوبيين ويشير إلى سقوط عسقلان وجيزر ويانوعيم فى فلسطين ـ وجاء من ضمنها عبارة تشير الى بنى اسرائيل ونصها الحرفى ـ (لقد سحق بنو اسرائيل ولم يبق لهم بذر) وهذا أول نص رسمى فى الآثار ذكر فيه بنو اسرائيل وقد عثر على هذا الحجر فى كوم الحيتان بطيبة الأقصر

وهذا الحجر يبدو منه للمدقق ان منفتاح لم يكتبه فى عهده . والا لكانت لهذه الحوادث الهامة التى يذكرها فيه شأن عظيم كان يجب أن يدون فى أثر خاص . لا أن يستعمل له حجر كان لغيره من قبل.

ويظهر أن الكهنة التابعين لمنفتاح هم الذى استعملوا هذا الحجر ودونوا مابه ليشيدوا بذكره . فيقوموا بذلك بواجب التخليد حيث لم يكن منتظرا أن يموت الملك بتلك الصورة المعجله التى مات بها وقد ارادوا أن يوهموا الناس أن فرعون قد سحق بنى اسرائيل تمويها وقلباً للحقائق حتى يستروا امام الشعب المصرى الذى كان يحترم ديانتهم خذلانهم وخذلان الهتهم امام موسى حين كان فرعون يتعقب بنى اسرائيل

ويكون العثور على جثة منفتاح ووجودها الآن بالمتحف المصرى . مصداقا لقول القرآن الكريم « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية »

وقد وجدت الجثة مع غيرها من الجثث فى قبر امنحتب الثانى بالاقصر . وظهر من آثار قبر منفتاح أنه لم يكن مهيأ كما يجب لدفن ملك مثله . لأن موته لم يكن منتظرا فلم يهيأ له قبر خاص اه من الكتاب المذكور

أما موضع العبور فلم يعلم بالضبط والتوراة تورد أسماء أمكنة مر بها بنو اسرائيل حتى أتوا الى مكان العبور . وهذه الأمكنة ليست مسمياتها معروفه اليوم . والبحارة فى البحر الأحمر يسمون مكانا فى خليج السويس (بركة فرعون) ويقولون ان العبور كان بها وهى بعيدة عن السويس كثيرا تمر بها السفن البخارية بعد نصف الليل اذا قامت من السويس فى المساء وانى أستبعد ذلك كثيرا وأعتقد ان خليج السويس كان يمتد فى تلك الأزمان الى البحيرة المرة أو يقرب منها وفى هذا الخليج من تلك الناحية كان عبورهم . وبعبارة أخرى انهم عبروا من مكان شمالى المكان المعروف

بعيون موسى فى البر الأسيوى وهى لا تبعد عن السويس كثيرا - وبين يدى أطلس تاريخى للأستاذ محمد رفعت مساعد مراقب تعليم البنات فى وزارة المعارف الآن سنة ١٩٣٦ وقد رسم فيه طريق عبور بنى اسرائيل بين السويس وبين البحيرة المرة ورسم خطين يدلان على أن خليج السويس كان متصلا بالبحيرة المرة وأحسب انه على صواب

وتقول التوراة : ان الله أرسل ريحا شرقية على البحر فأزالت الماء حتى ظهرت اليابسة وعبر بنو اسرائيل فتبعهم فرعون فغرق

وعلى كل حال . فالآية ظاهرة واضحة سواء أكان ذلك بسبب ضرب موسى البحر أو بهبوب الريح بالكيفية التى شرحتها التوراة . فان الناس لم يعهدوا ان الريح عملت هذا العمل فى الخليج مرة أخرى . فلم يكن ذلك الا بعناية خاصة من الله تعالى لانفاذ ما فى علمه (١) والذى أريده من ذلك

---

(١) نقد اللجنة

الموضوع الأول

(انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام)

فى صفحة ٢٠٠ ما نصه :

وتقول التوراة ان الله أرسل ريحا شرقية على البحر فازالت الماء حتى ظهرت اليابسة وعبر بنو اسرائيل فتبعهم فرعون فغرق .

وقال بعد ذلك مانصه : وعلى كل حال فالاية ظاهرة واضحة سواء كان ذلك بسبب ضرب موسى البحر أو بهبوب الريح بالكيفية التى شرحتها التوراة فان الناس لم يعهدوا ان الريح عملت هذا العمل فى هذا الخليج مرة أخرى فلم يكن ذلك الا بعناية خاصة من الله تعالى لانفاذ ما فى علمه : اه بالحرف الواحد

رأى اللجنة

والذى نراه أن مثل هذه العبارة لا ينبغى ان تصدر منه بل يجب أن ينزه عنها قلم فضيلة المؤلف لانها ان لم تكن صريحة فى افادة احتمال كذب ما جاء به القرآن الكريم فهى موهمة لذلك اذ أنه بهذه العبارة ردد فى سبب فلق البحر الذى هو معجزة لموسى عليه السلام بين أن يكون ذلك السبب هو ضرب موسى البحر أى كما جاء به القرآن الكريم وبين أن يكون ذلك السبب هو هبوب الريح أى كما جاء فى التوراة فكأنه يقول سواء كان الواقع ما جاء به القرآن فيكون هو الصادق أو ما جاءت به التوراة فتكون هى الصادقة - ولولا اننا نعرف فضيلة المؤلف شخصيا وتذكرنا ما =

ان الآية واضحة جلية سواء نظر فيهـــا المسلم الى قرآنه ـ أو نظر فيها الكتابى الى توراته ـ ولا

= ذكره فى مقدمة كتابه فى البند الثالث من ان القران الكريم جاء مهيمنا على غيره من الكتب فلا يعول على ما خالفه لاسأنا الظن ـ من اجل ذلك فكرنا فى تأويل هذه العبارة كثيرا لتؤدى معنى يطابق العقيدة الاسلامية . فمن الاحتمالات التى خطرت فى البال ان مراده منهـا ان المعجزة ثابتة سواء كان ذلك بسبب ضرب موسى البحر كما هو الصحيح الواقع الذى جاء به القرآن . أو بسبب هبوب الريح كما يعتقده أهل الكتـاب وان كان غير صحيح فى الواقع . ويكون الغرض من ذلك اثبات المعجزة فى اعتقاد الفريقين وهذا الاحتمال وان كان بعيدا جدا من منطوق العبارة لأنه يحتاج الى عدة تقديرات وتقييدات فى عبارته فهو متعين

لا يقال يمكن صحة ما جاء به القران وما جاءت به التوراة معا فتحمل عبارته على تجويز الجميع بين الأمرين لأن ضرب موسى البحر بعصاه

ورد فى التوراة أيضا كما يؤخذ مما ذكره بعد ذلك صفحة ٢٠٣ فى تلخيص الاصحاح الرابع عشر من سفر الخروج فانه يقول مانصه :

فاوحى الله اليه انهم ناجون وان فرعون وجنده مغروقون وحال بين فرعون وبينهم وضرب موسى البحر فاجرى الله ريحا شرقية قوية طول الليل حتى جعلت فى البحر طريقا يابسة وسار فيه موسى وبنو اسرائيل على اليبس والماء كالسور على يمينهم وشمالهم الخ اهـ ـ لانا نقول هما متنافيان حتما فلا يمكن الحكم بصحتهما معا . ومن قرأ قوله تعالى فى سورة الشعراء (فاتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فاوحينـــا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وازلفنـا ثم الآخرين . وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) تيقن من غير شك ان انفلاق البحر لم يكن بسبب الريح القوية التى مكثت طول الليل حتى أزالت الماء وجعلت فى البحر طريقا يابسة بل يتيقن ان سبب ذلك هو ضرب موسى البحر بعصاه كما أمره الله تعالى

نعم ورد فى القصة انه حينما ضرب موسى البحر ارسل الله ريح الدبور فجففت الأرض من الوحل من غير أن يكون للريح دخل فى انفلاق البحر وازالة الماء والله اعلم

رد المؤلف على نقد اللجنة

الموضوع الأول

(انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام)

كتب حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة فى هذا الموضوع ما هو مسطر يمين هذا =

= وقد اعتصر أعضاء اللجنة حفظهم الله من عبارة الكتاب ما يأتى

(١) - انى أسوى بين القرآن الكريم والتوراة

(٢) ان عبارتى تتضمن احتمال صدق القرآن الكريم وكذبه

ثم أخذت اللجنة تردد فى الاحتمالات التى عطفت على بها لتصحيح عبارتى ولم تجد وجها مناسباً الى آخر ما نصت وشرحت ولم ينقذها من بين أمواج هذا الترديد سوى التخطئة لى .

وانى لأتألم لما نال حضرات أعضاء اللجنة من الحيرة والنصب بسببى لمحاولة تخريج قولى على وجه صحيح ويزيد فى ألمى انها لم تظفر بحاجتها وهى أقرب اليها من حبل الوريد

فالذى أقوله فى مقابلة ما جاءت به اللجنة الموقرة

(١) جاء فى صفحة ٤ من كتابى ما نصه (٣ يغلب أن أذكر ذلك الموقف ان كان له ذكر فى كتب العهد القديم أو العهد الجديد وهو أحيانا يوافق القرآن وأحيانا يخالفه ولا يعزب عن فكر القارىء الكريم ان القرآن جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فما جاء به الحق الذى لا مراء فيه وكل ما يخالفه لا يعول عليه)

وجاء فى ص ٤ أيضا ما نصه (ان كتب العهدين « القديم والجديد ليس لها سند متصل ولم تخل من تحريف المحرفين خطأ أو عمدا)

لم أضع هذين النصين فى الكتاب للتحلية والزينة فحسب ولم أجعلهما مرآة ينظر فيها ولا تمس ولكنى أردت أن يكون ما تضمناه دستورا يستصحبه القارىء فى أثناء قراءة الكتاب وينتفع بهما أثناء فهمه لمضمونه

ومعلوم ان المقدمة هى أقوال تتقدم الكلام فى موضوع العلم لارتباط لها به ، وانتفاع بها فيه - فاذا لم يستعمل القارىء مضمون هذين النصين فى هذا الموضوع فمتى يستعملهما

وقد جرت عادتى اذا نبهت على مخالفة عبارة التوراة لما جاء فى القران الكريم أن أنبه على أن ما جاء فى القران هو الحق الذى لا مرية فيه اذا كان مدى الخلاف واسعا وشقته بعيدة . فاذا لاح لى ان الخلاف ليس من الأهمية بمكان . أو ان الجمع بينهما ممكن ولو عن بعد .

وكلت حل الاشكال الى فطنة القارىء والى ما قدمت من الدستور الواجب الاتباع الذى نصصته فى المقدمة .

وانى أحمد الله تعالى . أن جعلنى أنا والآلاف الكثيرة من الناس الذين قرءوا هذا الكتاب بحيث لم تطق عقولنا السباحة فى معانيه الا فى ساحله والسلامة فى الساحل ولم يجعل لنا من قوة =

فلا معجزة ـ لأنا نقول ان المعجزة حاصلة مع فرض هبوب الريح لأنه لم يعهد أن عملت الريح

= الذكاء و توقد الذهن ما يجرئنا على الغوص فى الأعماق البعيدة الغور فنخرج من تلك الأعماق بما يحول الكعبة مباءة كفر وإلحاد . أو أن ننيخ الشرك فى دار الجهاد . وربما كمنت المنن فى المحن .

لا أريد ان أطيل الكلام فى الجمع بين ما جاء فى الكتاب الكريم وما جاء فى التوراة ولكنى أعرض لما جاء فى كتاب اللجنة من أنى سويت بين القران والتوراة فأقول

ان مسلما (ولو كان ضعيف الايمان ضعيف العقل) لا يمكن أن يسوى بين الكتابين . فكيف بمن يعلم عن كتب أهل الكتاب وما فيها من الخلل والخطأ والتحريف ما أعلمه بمـا لم يتسن لكثير من أهل الاسلام أن يعلموه

الكتاب الذى يتضمن ان الابن أكبر من أبيه بسنتين هل يمكن أن يسوى به القران الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

لا بل انى أعلم بعض المواضع التى أخطأ مترجمو كتب العهد القديم فى ترجمتها . وقد اهتديت الى ذلك بنفسى بمراجعة الأصل والترجمة ـ ان من يعلم ذلك لا يمكن أن يهجس فى خاطره هاجس بالتسوية بينهما ولا يمكن أن يسوى بينهما الا من سفه نفسه

أما الترديد الذى جعلوا حبه جملا وحبته قبة فأمره أبسط ممـا ظنوا وهو قولى (وعلى أى حال فالآية ظاهرة واضحة) أى عند المسلمين وعند أهل الكتاب وقولى بعد ذلك (سواء أكان ذلك بسبب ضرب موسى البحر) أى ان موسى ضرب البحر فانفلق البحر فور ضربه كما هو ظاهر نص القران واعتقاد المسلمين . وقولى (أو بهبوب الريح بالكيفية التى شرحتها التوراة) أى ان موسى ضرب البحر فأهب الله الريح فور ضربه فأزالت الماء كما هو ظاهر نص التوراة وكما هو اعتقاد أهل الكتاب أى فالاحتمال موزع بين أهل الاسلام الذين يعولون على القران وأهل الكتاب الذين يعولون على التوراة والفريقان يلتقيان فى ثبوت المعجزة وان كانا يختلفان بحسب ظاهر كتابيهما فيما صحب السبب وهو الضرب . هل كان عنه ريح أو لا

وفى حال كتابتى لهذا الموضع كنت ألحظ ان هناك قوما ليسوا بمسلمين ولا باهل كتاب ربما تعلقوا بمـا فى التوراة من هبوب الريح فانكروا الآية وزعموا ان الريح عملت هذا العمل وهبوب الريح ليس معجزة أو عجيبة فقمت دافعا فى صدر مقالهم (فان الناس لم يعهدوا ان الريح عملت هذا العمل فى هذا الخليج مرة أخرى فلم يكن ذلك الا بعناية خاصة من الله تعالى لانفاذ ما فى علمه)

وفهم الكلام على هذا الوجه متعين وقد فهمه الألوف من الناس ولم يكتب الى أحد انه توهم =

ذلك فى كل الدهر سواء قبل الحادثة أو بعدها فلم فعلت ذلك حين عبور بنى اسرائيل فقط ويذكر المفسرون أن الطرق كانت اثنى عشر طريقا بعدد أسباط بنى اسرائيل وعبارة القران ليست نصا فيما يقولون .

اقرءوا هذه الآيات

سورة الاعراف : (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ١٣٦ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ١٣٧)

سورة يونس : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩٠ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٩١ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ٩٥)

سورة الأسراء : (فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ١٠٣ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ

= فيه حيدا عن الحق أو جنفا عن الصراط السوى

ظهر ان العبارة صحيحة بكل ما قدمت جلية لا غبار عليها وان ملاحظة اللجنة إنما هى تحميل اللفظ ما لا يمكن أن يحتمله ولا يمكن أن يتوصل الى ما قالوا الا بتكلف

وبخاصة اذا علمنا ان القاعدة ان الكلام اذا كان يحتمل التأثيم من مائة وجه ويحتمل عدم التأثيم من وجه واحد وجب أن يصار الى الوجه الذى لا تأثيم فيه

وفى القوانين الوضعية ان القوانين تفسر دائما فى مصلحة المتهم ومعاقبة برىء واحد أشد جرما من إفلات مائة مجرم أثيم

ويكفى ان الألوف من أهل الاسلام الذين قرءوا هذا الكتاب ومنهم علماء أعلام لهم عقول وأفهام لم تخامرهم خلجة من الشك فى هذا الموضع وفى فهم القراء مايغنى عن الاطالة

لِبَنِي اسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَاذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ١٠٥)

سورة طه : (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا الَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ

دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ٧٧ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا

هَدَى ٧٩)

سورة الشعراء : (وَأَوْحَيْنَا الَى مُوسَى انْ اسْرِ بِعِبَادِي انَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ٥٢ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ

حَاشِرِينَ ٥٣ انَّ هٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٥٤ وَانَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ٥٥ وَانَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ٥٦ فَأَخْرَجْنَاهُمْ

مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٥٨ كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي اسْرَائِيلَ ٥٩ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ

٦٠ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى انَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّا انَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢ فَأَوْحَيْنَا

الَى مُوسَى انِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ٦٣ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ٦٤

وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ ٦٦ انَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُؤْمِنِينَ ٦٧ وَانَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٦٨)

سورة القصص : (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ الَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ

٣٩ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٤٠)

سورة الزخرف : فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ٥٥ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ٥٦

سورة الدخان : (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ١٧ أَنْ أَدُّوا الَيَّ عِبَادَ اللّٰهِ

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٨ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللّٰهِ انِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ١٩ وَانِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ

أَنْ تَرْجُمُونِ ٢٠ وَانْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ٢١ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ٢٢ فَأَسْرِ بِعِبَادِي

لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ٢٣ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ٢٤ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٢٥
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ٢٧ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ٢٨ فَمَا بَكَتْ
عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ٢٩ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ٣٠ مِنْ فِرْعَوْنَ
إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ٣١

سورة الذاريات : وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٣٨ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ٣٩ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠

طبيعى أن يفهم أن فرح بنى اسرائيل كان عظيما جدا بنجاتهم بهذه الاعجوبة وهلاك فرعون وجنوده فى اليم حتى صاروا سلفا ومثلا للآخرين على مرّ الدهور وتعاقب الحقب

وقد ذكرت التوراة نجـــاة بنى اسرائيل وهلاك فرعون فى الاصحاح الرابع عشر من سفر الخروج ويلخص فى أن بنى اسرائيل ضلوا طريق فلسطين وكان ملك الله يسير أمامهم فى عمود دخان نهارا وفى عمود نار ليلا ليضىء لهم ثم أمرهم الله بالعود الى مكان خاص . وغضب فرعون من انطلاقهم . فجمع جنوده وخيله ومركباته قاصدا رد بنى اسرائيل الى العبودية والذل . فلما رأى بنو اسرائيـل فرعون وجنوده ذعروا وفزعوا إلى موسى فأوحى الله اليـه أنهم ناجون وان فرعون وجنوده مغرقون . وحال بين فرعون وبينهم وضرب موسى البحر فأجرى الله تعالى ريحا شرقية قوية طول الليل حتى جعلت فى البحر طريقا يابسة وسار فيهـــا موسى وبنو اسرائيل على اليبس والماء كالسور عن يمينهم وعن شمالهم . فساروا فيه حتى عبروا إلى الضفة الأخرى ورآهم فرعون يسيرون على اليابسة فسار فى أثرهم فلما توسط اليم وعبر بنو اسرائيل جميعا انطبق الماء على فرعون وجنده فاغرقوا جميعا . ومعلوم أنه اذا تخالف مافى التوراة والقرآن فالمعول على ماجاء فى القران لأنه جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه

وفى الاصحاح الخامس عشر فرح بنو اسرائيل واعلنوا فرحهم مترنمين بتسبيح الله تعـالى . وأخذت مريم أخت هارون الدف وخرج جميـــع النساء وراءها يدففن ويرقصن لنجاتهم وهلاك عدوهم

سوء حال فرعون وقومه يوم القيامة

وما أعد الله لهم من الخزى والنكال

لا يحتاج إلى شرح ولا إلى تعليق ما جاء فى الكتاب الكريم من الآيات متعلقا بآل فرعون وقومه وما أعد الله تعالى لهم من سوء العذاب واليم العقاب فى الدار الآخرة وحسبنا فى ذلك أن نقول اقرءوا الكتاب ففيه عبرة لأولى الألباب

سورة هود ـ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٩٦ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ٩٨ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ٩٩)

سورة القصص ـ (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ٤١ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ٤٢)

سورة غافر ـ (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ٤٦ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ٤٧ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ٤٩ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٥٠ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ٥١ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٢)

سورة الدخان ـ (أنَّ شجرةَ الزَّقومِ ٤٣ طعامُ الاثيمِ ٤٤ كالمهلِ يغلي في البطونِ ٤٥ كغلي الحميمِ ٤٦ خذوه فاعتلوه الى سواءِ الجحيمِ ٤٧ ثم صبوا فوق رأسه من عذابِ الحميمِ ٤٧ ذق انك أنت العزيزُ الكريمُ ٤٩ انَّ هذا ما كنتم به تمترون ٥٠)

لصوق الوثنية

(بقلوب فريق من بنى اسرائيل على عهد موسى . طلبهم الى موسى أن يجعل لهم ألها كما للناس الهة حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم . توبيخ موسى لهم على طلبهم الها غير الله الذى انجاهم من سوء العذاب وفضلهم على العالمين . تفجير العيون من الصخر بعدد قبائل بنى اسرائيل . انزال المن والسلوى عليهم فى برية سينا . تظليل الغمام لهم من حر الشمس . طلبهم أن يطعمهم الله تعالى الفوم (الثوم) والقثاء والعدس والبصل)

كان بنو اسرائيل قد ألفو وثنية المصريين وقلدوهم فى وثنيتهم شأن المغلوب فى تقليد الغالب ولم يؤمن بموسى وألهه إلا ذرية من قومه على حال رهبة من فرعون وشيوخ بنى اسرائيل أن يفتنهم عن دينهم ويردهم إلى الوثنية كما قال تعالى (فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم باعتبار الضمير فى ملئهم راجعا إلى قوم موسى . ولم تكن العجائب التى ضرب الله بها فرعون وقومه لتزجرهم عن تلك الوثنية التى طال ألفهم لها

ما بالكم بقوم لقوا من المصريين الوان العذاب ، من الذل والاهانة وجاءهم منقذ منهم هو موسى . وقد لقى الأمرين فى انقاذهم من العذاب الأليم وتحمل فى سبيل ذلك الاهانة والسخرية والتهديد بالقتل والتكذيب . ورمى بانه ساحر مجنون . والقى على فرعون وقومه الدروس القاسية بآياته البينات الدالة على صدقه . ورأوا بأعينهم انفلاق البحر لهم حتى جازوه على يبس قاعه لم تبتل أقدامهم ولا نعالهم ولم يفقدوا نقيرا ولا قطميرا ـ بل خدعوا نساء المصريين واستعاروا منهن الحلى من الذهب والفضة وذهبوا بذلك المال كله كما ذهب الأسير بقيده

ولما اراد فرعون أن يدركهم ويردهم الى عبوديته وطمع أن يعبر كما عبروا أطبق الله عليه وعلى جنوده الماء فكانوا من المغرقين .

كل ذلك يجرى امام اعينهم وموسى يتخونهم بالنصح والموعظة . ويقول لهم ان كل الأعمال

التى عملها إنما هى من صنع إلههم وإله آبائهم الواحد الحى المنزه عن الشريك والمعين. ورمال البحر الرطبة لاتزال عالقة بنعالهم . مع هذا كله غلبت عليهم الوثنية اللاصقة بقلوبهم وغلبت عليهم بلادة الطبع وماركز فى طبيعتهم من السخف وما استولى على انفسهم من الغشاشة

أجل غلبت عليهم كل هذه الخصال الذميمة ودفعتهم الى أن يطلبوا من موسى (وقد مروا على قوم يعبدون الأصنام) ان يتخذ لهم إلها كما لهؤلاء القوم آلهة

لاجرم كان جواب موسى لهم تجهيلا ولوما وذما على طلبهم الها سوى الله الذى فعل بعدوهم العجائب المدهشة . وانجاهم من عذابه بأعجوبة الاعاجيب وخصهم بالاكرام . وفضلهم على العالمين . وان إلها هذه آياته وهذا احسانه اليهم لايعدل عن عبادته إلى عبادة غيره الا من سفه نفسه وسجل عليها من الجهل عارا لايمحى

ولما كان القوم قد عبروا إلى سهول شبه جزيرة سيناء والشمس فيها شديدة ولا مساكن يكتن فيها القوم . ولا شجر يتفيأون ظلاله شكوا إلى موسى ما يلقون من العناء فدعا موسى ربه فساق الغمام إلى ذلك المكان ليظلهم ويقيهم وهج الشمس ودام ذلك لهم

ولما كان زادهم عرضة للنفاد وتاقت انفسهم إلى اللحم مع خشيتهم الجوع والهلاك . أرسل الله لهم الرياح تحمل لهم المن والسلوى . والمن مادة تتزهر على اوراق بعض الأشجار مثل الطرفاء وغيرها يميل طعمها الى الحلاوة فيها لين وهى سهلة الهضم . والسلوى طائر السمانى كان يغطى الأرض فيأخذ منه كل انسان حاجته . وقد امرهم ان لايطغوا فيه بالادخار لأن ذلك من سوء الظن بالله . فخالف قوم منهم وادخروا فداد ماذخروه كما بين ذلك فى سفر الخروج

ولما جازوا البحر وجاءوا إلى الشاطىء الشرقى لم يجدوا ماء لشربهم وسقيا دوابهم فشكوا إلى موسى متذمرين واستسقوه فأمره الله أن يضرب الحجر بعصاه فلما ضربه انبجست منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط من الاسباط عين تجرى بالماء يشرب منها وهذه العيون بالبر الشرقى غير بعيدة من مدينة السويس شهيرة (بعيون موسى) وقل اليوم ماء هذه العيون وبعضها طمست آثاره . ويزرع على تلك المياه بعض النخيل . والظاهر ان ضرب الحجر وانبجاسه بالماء حصل مرات

اقرءوا هذه الآيات

سورة البقرة — (وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ

الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم)

سورة الأعراف : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ١٣٨ ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ١٣٩ قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين ١٤٠)

سورة الأعراف : (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ١٥٩ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا الى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ١٦٠)

سورة طه : (يابني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ٨٠ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ٨١ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ٨٢)

قد يكون طلبهم البقول والعدس والبصل واخواتها وسيلة من الله تعالى لتنبيههم الى أن طلبهم لا يكون الا اذا نزلوا مصراً من الأمصار . تجبى اليه ثمرات ريفه . وتجلب اليه خيرات الأرض الزراعية القريبة منه حتى اذا علموا بذلك كان مغريا لهم بمنازلة أعدائهم ومكاثرتهم حتى يملكوا عليهم مدينتهم للانتفاع بريفها والحاصلات التي تجبى اليها . ولكن ذلك لم يوقظ همتهم التي أخمدها ظلم فرعون وآله وما صب على رؤوسهم من المصائب في الأحقاب الطويلة التي جعلت الخنوع والذلة خلقاً مركزاً فيهم . وسيأتي لذلك فضل بيان عند طلب موسى اليهم دخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم

ذهاب موسى عن بنى اسرائيل

لميقات ربه . وكتابة الله تعالى له ألواحا متضمنة الوصايا التى يطلب الى بنى اسرائيل العمل بها

أوصى الله موسى أن يصعد الى الجبل ويمكث فيه ثلاثين ليلة حتى اذا أتمها أعطاه الله ألواحا وكتب له فيها الوصايا التى يأخذ بها بنو اسرائيل أنفسهم وأعقابهم من بعدهم

ذكر البيضاوى والنسفى والخطيب والآلوسى (وعباراتهم متفاوتة) ان موسى وعد قومه بنى اسرائيل وهم بمصر : ان أهلك الله فرعون أتاهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون . فلما أهلك الله فرعون سأل موسى ربه الكتاب . فأمره أن يصوم ثلاثين يوما وهى شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر موسى خلوف فمه . فاستاك أو أكل بعض النبات فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة . وأخرج الديلمى عن ابن عباس يرفعه لما أتى موسى ربه عز وجل وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين وقد صام نهارهن ولياليهن كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم فتناول من نبات الأرض فمضغه فقال له ربه لم أفطرت ؟ وهو أعلم بالذى كان قال أى رب كرهت أن أكلمك إلا وفمى طيب الريح قال أوما علمت ياموسى ان ريح فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك ؟ إرجع فصم عشرة أيام ثم ائتنى ففعل موسى عليه السلام الذى أمره ربه به اه

وذلك مصداق قوله تعالى . « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة »

وقبل ذهاب موسى لميقات ربه أمر أخاه هارون ان يكون خليفته على بنى اسرائيل وأكد عليه الأمر بالنظر فى مصالحهم وشؤونهم واليقظة فى امرهم

وبعد تمام الأربعين كلم موسى ربه فقال . « رب أرنى أنظر اليك » أى مكنى من رؤيتك أو تجل لى فأنظر اليك وأراك . فقال الله تعالى له . « لن ترانى ولكن انظر الى الجبل . فان استقر مكانه فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » وهنا مجال واسع للكلام بين أهل السنة المجوزين لرؤية الله تعالى والمعتزلة المانعين لها (وهذا مبحث يرى فى موضعه لاهنا). ويقول المفسرون : كيف يطلب موسى رؤية الله مع علمه بأنها غير ممكنة . ويستدلون بذلك على جوازها . وإلا لما طلبها موسى . كأن موسى بمجرد نبوته صار عالما بكل شىء . وما دروا ان موسى كان عليه أمور كثيرة ينبغي أن يعلمها . واذا كان حاله مع العبد الصالح أن قال له لما شاء

صحبته . هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً . أفما كان موسى محتاجا أن يتعلم من الله وعن الله شيئا حتى يقال انه يعلم أن الرؤية ممكنة ولولا ذلك ما سألها ؟

ويعجبني ماأورده الألوسي من قول المعتزلة — سلمنا ان سؤال الرؤيا ينافي العلم بالاحالة لكنا نلتزم القول بعدم العلم . وهو غير قادح في نبوته عليه السلام فان النبوة لا تتوقف على العلم بجميع العقائد الحقة . أو جميع مايجوز عليه تعالى وما لايجوز . بل علمه ما يتوقف عليه الغرض من البعثة والدعوة الى الله تعالى وهو وحدانيته . وتكليف عباده الأوامر والنواهي تحريضا لهم على النعيم المقيم . وليس امتناع الرؤيا من هذا القبيل [1]

---

[1] نقد اللجنة

الموضوع العاشر

(طلب موسى عليه السلام رؤية البارى تعالى)

في صفحة ٢٠٩ سطر ١٣

ويقول المفسرون كيف يطلب موسى رؤية الله مع علمه بانها غير ممكنة ويستدلون بذلك على جوازها والا لما طلبها موسى كان موسى بمجرد نبوته صار عالما بكل شيء وما دروا ان موسى كان عليه أمور كثيرة ينبغي ان يعلمها واذ كان حاله مع العبد الصالح ان قال له لما شاء صحبته هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا افما كان موسى محتاجا أن يتعلم من الله شيئا حتى يقال أنه يعلم ان الرؤية ممكنة ولولا ذلك ما سألها .

ويعجبني قول الألوسي . سلمنا ان سؤال الرؤية ينافي العلم بالاحالة لكنا نلتزم القول بعدم العلم وهو غير قادح في نبوته عليه السلام فان النبوة لا تتوقف على العلم بجميع العقائد الحقة أو جميع ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز بل علمه ما يتوقف عليه الغرض من البعثة والدعوة الى الله تعالى وهو وحدانيته وتكليف عباده الأوامر والنواهي تحريضالهم على النعيم المقيم وليس امتناع الرؤية من هذا القبيل اهـ هذا نص كلامه بالحرف .

(رأى اللجنة)

لا نعجب من أنه اختار أنه لا مانع من أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم استحالة رؤية البارى تعالى لأن المعتزلة سبقوه بهذا الراى وانما العجب كل العجب من قوله (ويعجبني قول الألوسي سلمنا الخ ما نقلناه عنه فان الناظر في كلامه هذا وتصرفه في النقل يعتقد اذا لم يطلع على كلام الألوسي من أوله الى آخره انه أي الألوسي يرى هذا الرأى ويعتقد هذا الاعتقاد مع أن الألوسي =

أعلن الله انه لن يراه . إما لأن الرؤية غير ممكنة أصلا كما يقول المعتزلة وإما لأنها غير ممكنة فى هذه النشأة — كما يقول بعض العلماء — أو لأنه لا يقوى على تلك الرؤية . ثم أراد الله ان يعلمه انه إنما طلب شيئا عظيما لا تتحمله الجبال فتجلى الله للجبل فصار دكا . أى غاص فى الأرض او تفتت وخر موسى مغشيا عليه كما يخر من أخذته الصاعقة . وذلك لما هاله من صوت ما عرا الجبل حين صار دكا . «فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين» بعظمتك وجلالك . ويقول بعض المفسرين . ان موسى مات ثم أحياه الله تعالى وهو قول لا يساعد عليه الكتاب لأن الافاقة إنما تكون عن غشية ومن حيى بعد موته لا يقال له أفاق وانما يقال بعث . وتاب موسى من ان يطلب

= بعد أن قرر استدلال اهل السنة بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (رب أرنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) على جواز رؤية البارى من وجهين قال بعد بيانه للوجهين ما نصه واعترض الخصوم الوجه الأول بوجوه الأول الى أن قال الخامس سلمنا الخ ما نقله عنه الأستاذ وبعد أن اتم ذكر جميع اعتراضات الخصوم أى المعتزلة اجاب عن كل واحد منها الى ان قال . وما ذكروه فى الوجه الخامس ظاهر رده من تقرير الوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرهما اهل السنة وحاصله انه يلزمهم أن يكون الكليم عليه السلام دون احاد المعتزلة علما ودون من حصل طرفا من الكلام فى معرفة ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز عليه وهذه كلمة حمقاء وطريقة عوجاء لا يسلكها أحد من العقلاء . فان كون الأنبياء اعلم ممن عداهم بذاته وصفاته العلية مما لا ينبغى ان ينتطح فيه كبشان . اهـ كلام الألوسى

فى تفسيره مأخوذا من شرح المواقف ويكاد يكون بالحرف ـ وعبارة المواقف فى جواب هذا الاعتراض الخامس هكذا . والجواب :

التزام ان النبى المصطفى المختار بالتكليم فى معرفة الله وما يجوز عليه ويمتنع دون آحاد المعتزلة ودون من حصل طرفا من علم الكلام هى البدعة الشنعاء والطريقة العوجاء التى لا يسلكها واحد من العقلاء . اهـ

فلعل الأستاذ نقل كلام الألوسى من غير أن يطلع على صدره ليعلم أنه من اعتراضات المعتزلة ولا على آخره ليعلم الجواب عنه فلا يعجبه . ولا نستطيع القول بأنه اطلع عليه من أوله الى اخره وتصرف فى النقل هذا التصرف الذى يعتبر تدليسا غير حميد والله اعلم .

وأما قوله فى الرد على أهل السنة (وما دروا ان موسى كان عليه أمور كثيره ينبغى ان يعلمها فمردود فان ذلك فى غير معرفة الله تعالى أى معرفة مايجب فى حقه ويستحيل ويجوز فان هذه =

مثل ذلك الطلب وآمن انه طلب ما لا يقوى على احتماله : وبأن عظمة الله بالغة الحد الذى لا يطاق . وقد اختلف أهـــل التفسير فى هل رأى موسى ربه قبل الصعق أو بعـده أو لم يره . وانا أريح نفسى من هـذا الاختلاف ملتجئا الى كتاب الله إذ يقول . « لن ترانى » . وأقول ان الرؤية لم تحصل قبل الصعق ولا بعده

بعد ان أفاق موسى من غشيته خاطبه الله تعالى بأنه اصطفاه على الناس برسالاته (وهى أسفار التوراة) وبكلامه تعالى بان يوحى اليه بلا واسطة ملك . بل يسمعه ما يريد ان يبلغه اليه وأمره ان ياخذ ما أعطاه من شرف الاصطفاء والكلام شاكرا الله تعالى على ما أعطى

= عقائد أولية مكلف بها احاد الناس ثم لا يخفى ان مثل هذا التعبير لا يناسب فى حق موسى عليه الصلاة والسلام .

وأما قوله (واذا كان حالة مع العبد الصالح الخ فيعلم جوابه مما ذكرناه أولا ومع ذلك نزيده بيانا . قرر الائمة أنه لا يعقـل أن يطلب موسى عليه السلام من العبد الصالح ان يعلمه شيئا من العقائد الدينية أو من الشريعة اللازمة لمن ارسل اليهم فان موسى من اولى العزم اى ممن هم افضل من غيرهم من الرسل فيجب ان يكون فيما ذكرناه اعلم من العبد الصالح وانما طلب ان يتعلم منه شيئا من الأسرار الكونية ومن علم الحقيقة والعلم اللدنى الباطنى قالوا ولا مانع من ان يكون العبد الصالح أعلم من موسى فى هذا النوع كما ان موسى اعـلم منه فى النوع الأول ولذلك رجح المحققون ان ذلك العبد الصالح وهو الخضر كان نبيا حتى لا يلزم افضلية الولى على النبى فى علم الحقيقة أما الأنبياء فلا مانع من تفاوتهم فى هذا النوع بل لا مانع من ان يوجد فى المفضول ميزة فى هذا العلم لا توجد فى الفاضل وان اردت زيادة تحقيق فى هذا المقام فعليك بالألوسى فى تفسير هذه الآية والله أعلم .

رد المؤلف على نقد اللجنة

الموضوع العاشر

(طلب موسى رؤية البارى تعالى)

كتب أصحاب الفضيلة ماسطر قبل هذا وقد جاء فيه (لا نعجب من أنه اختار أنه لا مانع من أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم استحالة رؤية البارى تعالى . لأن المعتزلة سبقوه بهذا الرأى الخ.) كأنهم بهذا القول ينالون منى ويبغضوضنى الى الناس والى نفسى

وانى أقول لحضراتهم أنى لو كنت أرى رأى المعتزلة لبادرت باظهاره دون أن أخشى لومة =

وكتب الله تعالى ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من بيان الحلال والحرام والمحاسن والقبائح فى ألواح اختلف المفسرون فى عددها بين عشرة واثنين كما اختلفوا فى حقيقتها بين خشب وحجر وزبرجد وياقوت . وكل هذا لا يعنينا . وكان المكتوب فيها مواعظ وأحكام وتفصيل لكل شيء يهم بنى اسرائيل . وأمره الله تعالى ان يامر بنى اسرائيل ان ياخذوا باحسنها . أى يسيروا على أحسن

=لائم كما فعل جار الله الزمخشرى . واذا كنت لا اخشى الله الذى برأنى وسوانى (فى نظر اللجنة) فكيف اخشى عبيده وهم لا يملكون لى موتا ولا حياة ولا نشورا

ان رسول الله ﷺ كان يقبل من المؤمن ايمانه دون أن يسأله عن أن الله تمكن رؤيته أو لا تمكن وما أثار هذا الخلاف سوى سلف القدرية وهذا ما آخذه عليهم وانقمه من عملهم فعليهم ما حملوا وعلى غيرهم ما حمل — ومع ذلك فلا ينقص هذا من حفظ اقدارهم التى لهم فى نفسى فانى البس كل طائفة على عيبها ولا انغمس فيما شذت به

ضمنت وفائى للعشائر كلها　　　وامسكت لما عظموا الغار أو خما

ورحم الله من قال فى وجوب التوسط

لا تكن مجبرا ولا قدريا　　　واجتهد فى توسط بين بينا

وقال : وان سألوا عن مذهبى قلت خشية　　　من الله لا طوقا ابت ولا جبرا

وليس على من حرج اذا وجدت كلاما حسنا ان استحسنه كائنا ذلك القائل من كان . والمؤمن يلتقط الحكمة حيث وجدها ومن رأيى عن الكلام فى رؤية الله تعالى وامكانها انه بحث سابق لأوانه . وانه تسلق على الغيب وتسور على ما لا يمكن القطع به فى دار الدنيا . وأن الاسلم الامساك عنه وتفويض علم ذلك الى الله تعالى وسنقدم على الله يوم القيامة فنعلم

ومن جهة اخرى اعتقد أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع اعداد الله لهم وافاضته العلم عليهم ينقصهم كثير من المعلومات يساعفهم بها الآن بعد الآن

انظروا الى موسى عليه الصلاة والسلام لما شرفه الله تعالى برسالته وبكلامه وقد حكى الله شأنه فقال فى سورة الشعراء (واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون) فأراد موسى أن يفر من هذه الرسالة ـ وقال لربه (انى اخاف أن يكذبون . ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون ولهم على ذنب فاخاف أن يقتلون) فأجابه الله بقوله كلا الخ ولما أمره بالقاء العصا فصارت تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب فقال الله له « لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون » اليس توليه مدبرا . كان سببه انه لا يعلم ان المرسلين لا يخافون لدى ربه ؟

وانى وايم الله لا ادرى كيف يفيض الله تعالى على موسى العلم باحوال ذاته وصفاته كلها وبان رؤيته=

وأفضل ما رسم فيها . بان يفعلوا ما هو أدعى الى الزلفى من الله تعالى - فاذا نص فيها على خصلتين تقربان الى الله تعالى وإحداهما تستدعى ثوابا أعظم فعليهم أن ياخذوا بالأفضل - وان كان فى كل فضل ثم وعده الله بان يريهم دار الفاسقين وقد اختلف المفسرون فى دار الفاسقين ما هى ؟ فقال فريق انها مصر عاد اليها بنو اسرائيل بعد هلاك فرعون وجنده . وهذا القول عندى ليس بشىء

= تعالى بمكنة ثم يضن على عبده موسى بالعلم بانه لا يستطيع رؤيته تعالى فى هذه الدار وان الجبل اذا تجلى له الله تعالى لا يستقر مكانه بل - يجعله دكا - وان موسى لا يطيق ذلك حتى طلبه ورفض طلبه أما كان فى علمه باحوال ذات الله وصفاته ماينهاه عن طلب يكون سببا فى صعقه ثم توبته منه ؟

ان موسى ﷺ لايرى كبيرا على نفسه ان يتعلم من الله أى أمر من الأمور ولايرى نقيصة عليه وزراية على قدره ومنصبه أن يكون متعلما من الله تعالى فى أى وقت من اوقات حياته . فلا حق لهم فى أن يقولوا (ان مثل هذا التعبير لايناسب فى حق موسى) فانى اقول لحضراتهم لا تدخلوا بينى وبين رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام . وليس بيد حضراتهم توكيل عن موسى بمقاضاتى على شىء كان منى فى حقه واحسبه لوكان شاهد امرنا اليوم لكان اكثر رضا عنى

اطال حضرات الأفاضل فى الكلام على قولى ويعجبنى قول الالوسى الخ . وقالوا انى لم اطلع على أول الكلام وآخره . وانى اسلم لهم بذلك تسليما تاما ولا انازعهم وان هذا هو الصواب ولكن ماقولهم دام فضلهم فى اننى بعد ان اطلعت على تقريرهم وعلى بان الالوسى انما كان يبسط وجهة نظر المعتزلة ويرد على ذلك الوجه الذى ذكروه قد ازددت به يقينا ووثقت بانه ليس دليلا قاطعا وان الاحتمال الذى اوردوه لم يدفع باجابة الألوسى ولا غيره - لا حبا منى فى مذهب المعتزلة ولكن لأنه مطابق لرأيى وتفكيرى مع العلم بانى أفوض علم الامكان الخاص برؤية البارى الى علم الله تعالى وان الكلام فى ذلك سابق لأوانه

ولم ازل اقول ان انبياء الله عليهم الصلاة والسلام يفتقرون الى الله فى علم ما لا يعلمون وقد أمر الله رسوله الكريم بقوله « وقل رب زدنى علما »

وفى جواب الله تعالى لنوح فى ابنه إذ يقول « قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ماليس لك به علم انى اعظك أن تكون من الجاهلين » وغير ذلك مما يشهد لى

ودعوى انه علمهم فى الحال وعند افاضة النبوة كل مايتعلق بذاته وصفاته ومايستحيل ومايجوز حتى لا يبقى عليهم أن يسألوه المزيد فى ذلك كما هو مقتضى كلام اعضاء اللجنة وما يؤخذ من فحوى عباراتهم فامر ينقصه الدليل القاطع وانما حداهم على ذلك امر حسن وهو حبهم أن يكون الأنبياء فى ذروة الكمال المطلق التى لا يقرب ساحتها أى عارض انسانى أو نقص بشرى . ولكن محبتهم =

وقال الكلبي منازل عاد وثمود . وهو كلام حاطب ليل . لأن ديار ثمود وان كانت قريبة من بنى اسرائيل الموجودين فى شبه جزيرة سينا ورؤيتها ممكنة لهم . ولكن ديار عاد فى جنوب بلاد العرب ولا يعقل ان بنى اسرائيل يجتازون الفيافى والقفار ليروا منازل عاد وقد طمست آثارها ولم ينقل ناقل انهم ذهبوا الى بلاد الأحقاف أصلا . والأقرب ما قاله قتادة من أن المراد بدار الفاسقين أرض الجبابرة والعمالقة بالشام - ولا أريد بهذه الرؤية ماذهب اليه بعض المفسرين من أنهم دخلوا بلاد الجبارين وهى الأرض التى كتب الله لهم . لأن الله تعالى حرمها على الكبار من بنى اسرائيل . وموسى لم يدخلها وإنما رآها فقط . وإنما دخلها بنو اسرائيل مع يوشع بن نون فتى موسى كما سيمر بنا . ولعل المعنى سأرى بعضكم وهم الرواد الذين دخلوا البلاد . ثم عادوا الى

= لذلك لاتحول بين الواقع المشاهد المنصوص فى الكتاب الكريم من ان الله تعالى كان يتخولهم بالتعليم ويكملهم بما يلقيه اليهم من المعارف . وانى افهم ان رسول الله محمدا ﷺ كان يوم وفاته حاصلا على قسط مما علمه الله اياه . فى الله وذاته وصفاته وحكمه البالغة لم يكن حاصلا على مثله يوم جاءه الملك بالوحى فى حراء ولا بعدها فى ثلاث سنين . ولو كان الله تعالى قد افرغ عليه العلم باحوال الله وبشأنه قبل ما عاد الى خديجة وهو فى حال رعب وقال لها (لقد خشيت على نفسى) كما فى حديث عائشة فى البخارى فى بدء الوحى . لما كانت خديجة فى احتياج إلى أن تسأل ورقة بن نوفل عما رآه ﷺ فى حراء الخ الحديث

ولو كان الأمر كما يقولون وان الرسول من حين النبوة يعلم جميع شؤون الله لقرت نفس رسول الله ﷺ بعد ان اوحى اليه فى حراء ولم يكن منه ان يعمد إلى التردى ولا يرده إلا تبدى جبريل له ومناداته بقوله (يامحمد أنت رسول الله وانا جبريل) جاء فى البخارى ولفظه هكذا (وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال (يامحمد انك رسول الله حقا فيسكن جأشه فيرجع . فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك)

بما تقدم

علم ان ما اوردته ليس فيه خطأ أو زلل وليس فيه نصرة لمذهب المعتزلة ولكنه رأيى الذى أتحمل تبعته امام الله تعالى وهو امر سائغ ولا برهان للجنة على بطلانه . ولو كان باطلا حقا كما يدعون لكان المعتزلة الذين استدلوا به على مذهبهم كفارا وهو مالم يقله احد من المسلمين .

بنى اسرائيل بخبر أولئك الجبارين فهال بنى اسرائيل امرهم وعصوا عن مقاتلتهم — والأقرب أن يكون المراد بالبعض يوشع بن نون وكالب بن يفنه

اقرءوا هذه الآيات

سورة الأعراف ـ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ١٤٥ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ١٤٦ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٤٧

اتخاذ بنى اسرائيل العجل

إلها يعبدونه ـ غضب موسى على هارون ـ أمر الله بنى اسرائيل أن يقتلوا أنفسهم ليتوب عليهم ـ إحراق موسى العجل ونسفه فى اليم ـ مجازاة السامرى الذى أضلهم بالعجل ـ الى أى شىء ينسب السامرى

قلنا فيما مضى ان بنى اسرائيل لم تكن انفس أكثرهم مرتاضة بالايمان. وانهم كانوا ذوى جهالة لم يحصلوا على الثقافة الكافية لصون عقائدهم من الزيغ والقوم عاشوا فى مصر وألفوا ان يروا عبادة المصريين للعجل أبيس. وكان للمصريين عناية فائقة بعبادة هذا العجل . وكانت

العجول المؤلهة اذا ماتت حنطوها كما يحنط الآدمى بما يحفظ جسمها من التالف ودفنوها فى مقبرة خاصة فى جهة سقارة . تسمى سرابيوم

كانت بساطتهم والفهم للوثنية مسهلة لرجل ماكر كان فيهم سماه القران السامرى . فجاءهم بعجل له خوار . وقال لهم هذا إلهكم واله موسى نسيه موسى هنا وذهب لملاقاته فى الغيبة الطويلة

وذلك ان موسى أخبرهم قبل ذهابه لميقات ربه ان غيبته عنهم لا تطول أكثر من ثلاثين يوما مع مسافة الطريق الى جبل حوريب . وهو جبل الطور فلما أمر الله موسى ان يستانف صوم عشرة ايام طالت غيبته عن قومه . واستبطأ القوم موسى . فانتهز رجل يقال له السامرى غيبة موسى وأخذ من بنى اسرائيل بعض حليهم التى كان نساؤهم أخذنها من المصريات قبل رحيل بنى اسرائيل وألقاها فى النار وسبك منها عجلا . وجعله بحيث انه كان له خوار أى صوت الثور . وقال لهم . هذا الهكم واله موسى — وليس غريبا ان يكون رجل له علم بالهندسة والحيل يجعل تمثال الثور يخور كما يخور الثور . وقد رأيت عند صديق لى تمثال بقرة من الجبس عند سرته سلك من الخيط اذا جذب الى أسفل ثم أرسل الخيط دارت آلة فى داخله ولفته على جسمها وحينئذ يحدث ما يشبه خوار العجل الصغير

وبعض الناس يأخذ عظم رأس الحمار بعد أن يبلى عنه اللحم ثم يضع ضفدعا داخل تجويف الرأس ثم يقربها من الحرارة أو من دخان نار فتنق الضفدع ويخرج نقيقها من الرأس مكبراً حتى ليخيل للسامعين ان الصوت صوت حمار

سعى اليهم هارون وأراد ردهم عن عبادة هذا العجل . وأفهم القوم انهم فتنوا به وجهد أن يردهم فلم يفلح ولم يصغوا اليه . وقالوا له « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى »

فلما قضى موسى أجل الصوم وكلم ربه وأعطاه الألواح سأله الله تعالى وهو أعلم — عما أعجله عن قومه . فقال انهم آتون على أثرى وعجلت اليك رب طلبا لرضاك . وحينئذ أخبره الله تعالى بأنهم فتنوا عن دينهم وان السامرى أضلهم فرجع موسى الى قومه غضبان حزينا حرداً على أخيه إذ لم يردهم عن فتنتهم وظن به التقصير فى النصح فلما لقيه أخذ بلحية هارون ورأسه يجره اليه وكان موسى رجلا أيداً فيه حدة لا يقوم لغضبه أحد . فاعتذر هارون بأنه عمل جهده ولو قام بقتال من ارتد لكان ذلك سببا الفرقة خشى هارون أن تكون سببا لغضب موسى لأنه لم يرتقب رأى موسى فى هذه الفتنة . ولام موسى بنى اسرائيل أشد اللوم وألقى الألواح التى كتبها الله له . ويقال انها كسرت بعد ذلك ذهب موسى الى السامرى وسأله عن شأنه والأسباب التي حدت به الي هذا العمل

المنكر فقال (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى) فقال له موسى اذهب فان الله عاقبك بأن تقول فى حياتك لا مساس وان لك موعداً لن تخلفه وأخبره ان هذا الاله الذى ظل عاكفا عليه سيحرقه موسى وينسفه فى ماء البحر . وقال لبنى اسرائيل (إنما الحكم الله الذى لا اله الا هو)

ثم ان الله تعالى أوحى الى موسى ان توبة بنى اسرائيل أن يقتلوا أنفسهم بأن يقتل كل انسان من يقابله من قريب أو أخ أو نحو ذلك ثم عفا الله عنهم بعد ان قتلوا من أنفسهم عدداً عظيما وكان اعتذار بنى اسرائيل أنهم حملوا من زينة المصريين شيئا كثيرا فقذفوه هم والسامرى وكان عن ذلك العجل

ماحقيقة العجل الذى عبده بنو اسرائيل ـ ومن هو السامرى

يقول المفسرون والتوراة انه كان عجلا من ذهب صاغه لهم صائغه من حلى المصريات كما قدمنا . ويقول المفسرون ان السامرى اسمه موسى وكان مولودا من سفاح وأن الله أمر جبريل أن يربيه ويقوم بمصالحه فكان جبريل يأتيه على فرس وكان يلاحظ بعد أن كبر أن فرس جبريل لايضع حافره على شىء الا صار حيا فأخذ من تراب أثر الحافر بعضا فلما صاغ العجل من الذهب القى ذلك التراب فى فم العجل فصار له خوار ويقول البيضاوى أن الذهب صار عجلا جسدا ذا لحم ودم له خوار (صوت البقر)

وقال بعضهم انه كان صائغا وقد دبره بطريقة خاصة تجعل للريح اذا مرت من دبره وخرجت من فمه صوت البقر

والذى أراه أن حكاية السامرى وجبريل ليست صحيحة فلا جبريل جاء الى السامرى ولا السامرى أخذ ترابا من أثر حافر فرسه . وأن القول بأنه صاغه بحيث اذا استدبر الريح خرجت الريح من فمه ولها صوت البقر وهو الخوار أقرب من ذلك بل لا غرابة فى هذا أصلا

ولو قال القائل أن الرجل خدع بنى اسرائيل وأخذ منهم الحلى وبصر بعجل على هيئة العجول التى تعبد فى مصر ولم يبصروا به فاشتراه وجاءهم به وقال لهم ماقال . وانهم قبلوا ذلك منه واعتقدوا أن ذلك العجل الههم واله موسى وعكفوا على عبادته مع انه عجل جسد لحم ودم له خوار لا يفترق عن ابناء جلدته من البقر فى شىء . ومع ذلك كله فانهم لبلادة أذهانهم وسخافة عقولهم قد جعلوه الها وعبدوه وظلوا عاكفين على عبادته . مع نهى هارون لهم وقوله : (انما فتنتم به وأن ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى) فلم يلتفتوا اليه لما أشربوه فى قلوبهم من حب العجل لما هم عليه من الكفر لم يكن بعيدا من الصواب ولم يكن مخلا بنظم القرآن

هذا هو الذى أميل اليه . ويكون السامرى قد خدعهم باخذ الحلى والقائه فى النار ليوهمهم أن حليهم صار عجلا . وأخذ المال لنفسه فشأنه شان الدجالين الذين يخدعون الناس بايهامهم بالكنوز المطلسمة وافتتاحها لهم ثم يجردونهم من كل شىء فياتون اليهم بالفقر من حيث يرجون الثروة والغنى [١] ـ وهنا يعرض سؤال لاكه بعض المسيحيين فى الجرائد وهو :

كيف يكون السامرى هو الذى أضل بنى اسرائيل بالعجل مع أن السامرى نسبة الى سامرة .«

---

(١) نقد اللجنة

الموضوع السادس

(حقيقة العجل الذى عبده بنو اسرائيل)

قال فى صفحة ٢١٥ سطر ١٤ ما نصه

ولو قال القائل ان الرجل خدع بنى اسرائيل واخذ منهم الحلى وبصر بعجل على هيئة العجول التى تعبد فى مصر لم يبصروا به فاشتراه وجاءهم به وقال لهم ما قال وانهم قبلوا ذلك منه واعتقدوا ان ذلك العجل الههم واله موسى وعكفوا على عبادته مع انه عجل جسد لحم ودم له خوار لا يفترق عن أبناء جلدته من البقر فى شىء ومع ذلك كله فانهم لبلادة أذهانهم وسخافة عقولهم قد جعلوه إلها وعبدوه وظلوا عاكفين على عبادته مع نهى هارون لهم (وقوله انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى) فلم يلتفتوا اليه لما أشربوه فى قلوبهم من حب العجل لما هم عليه من الكفر لم يكن بعيدا من الصواب ولم يكن مخلا بنظم القرآن هذا هو الذى أميل اليه ويكون السامر قد خدعهم بأخذ الحلى والقائه فى النار ليوهمهم ان حليهم صار عجلا وأخذ المال لنفسه فشأنه شأن الدجالين الذين يخدعون الناس بايهامهم بالكنوز المطلسمة وافتتاحها لهم ثم يجردونهم من كل شىء فيأتون اليهم بالفقر من حيث يرجون الثروة والغنى اه بحروفه .

(رأى اللجنة)

والذى نراه أن هذا القول مخالف لما عليه جميع المفسرين فيما نعلم وبعيد عن الصواب ومخل بنظم القران وذلك ان هذا المعنى يتلخص فى أن السامرى خدع بنى اسرائيل واخذ منهم الحلى واوهمهم انه صاغ منها عجلا جسدا له خوار مع انه فى الواقع جاء لهم بعجل حقيقى من نوع البقر فالسامرى هو الخادع والموهم بكسر الهاء وباقى قوم موسى مخدوع وموهم بفتحها :

ونحن لاندرى كيف يفهم هذا المعنى من قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم =

والسامرة بلد من فلسطين لم توجد فى زمن موسى . وانما اشتراها عمرى وهو الرابع من ملوك اسرائيل بعد أن انشقت مملكة اليهود إلى قسمين قسم هو سبط يهوذا ومقره اورشليم وملوكه من ذرية داود وسليمان وكان أول ملوك اسرائيل يربعام بن ناباط ورابعهم عمرى اشترى جبل السامرة وبنى تلك المدينة وجعلها مقر مملكة اسرائيل وذلك بعد موسى بنحو ثلاث وعشرين وخمسمائة سنة ؟

والجواب على ذلك ان السامرى ليس منسوبا الى سامرة بل الى شامر بالشين فى اللغة العبرية .

= عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)

على مقتضى أصول اللغة العربية هل يقدر فى نظم الآية خدع وأوهم بالبناء للفاعل) قوم موسى انهم اتخذوا من الحلى عجلا أو يقدر خدع وأوهم (بالبناء للمفعول) أو يراد أحد المعنيين بطريق التجوز ومن المعلوم أن افادة التركيب لهذا المعنى إنما يعقل بواحد من هذه الاحتمالات وحينئذ يقال له . أولا . ان مثل هذا التقرير أوالتجوز لا دليل عليه أصلا ولاقرينة تصاحب نظم الآية لا حالية ولا مقالية بل يعتبر الكلام بالنسبة لهذا المعنى من المعميات الشبيهة بالالغاز والدليل الواضح على صحة ما قلناه انهذا المعنى لم يخطر على بال أحد من أرباب التاويل سواء كانت عربيتهم با كتساب أو كانت سليقة

ولا يوجد نظيره فى كلام المبتدئين فضلا عن كلام رب العالمين :

وثانيا ان جريت على الاحتمال الأول فى التقرير أو التجوز فاين الموهم بفتح الهاء أو المخدوع فان قوم موسى يشمل السامرى وباقى القوم وان جريت على الاحتمال الثانى فاين الموهم بكسر الهاء والخادع . فان قال انما أسند الايهام سواء كان على جهة الفاعلية أو المفعولية للجميع مع انه واقع من البعض وعليه على قياس اسناد الاتخاذ الى الجميع على المعنى المشهور للاية مع ان المتخذ واحد منهم وهو السامرى قلنا انما جاز نسبة الاتخاذ الى الكل على المعنى المشهور لأن الباقى وافق على عبادته فهل يمكن أن يقال ذلك فى الايهام فيسند الى الموهم والموهم والخادع والمخدوع معا سواء كان مبنيا للفاعل أوللمفعول وهل لذلك نظير فى اللغة العربية فان قال نختار الاحتمال الثانى وهو البناء للمفعول ويرادبقوم موسى ما عدا السامرى أوالاحتمال الأول وهوالبناء للفاعل ويراد بقوم موسى خصوص السامرى قلنا هذه ارادة بمجرد التشهى وثانيا يصير المعنى على الاحتمال الثانى هكذا خدع قوم موسى أى ماعدا السامرى انهم اتخذوا من الحلى أى أن السامرى اتخذ لهم من الحلى عجلا وهو كما ترى واضح البطلان وأما الاحتمال الأول فينافيه آخر الآية الم يروا انه لا يكلمهم الخ .

ويقال له ثالثا من اين جاء السامرى بالعجل الذى يعبد نظيره فى مصر ومن أى سوق اشتراه =

ويغلب أن تكون الشين فى العبرية سينا فى العربية فهو سامر كما ينطقها أيضا سبط افرايم بن يوسف وقد كان رجال سبط يهوذا فى بعض الحروب يمتحنون الرجل ليعرف هل هو من سبط يهوذا أو افرايمى بان يامروه بان ينطق شبولت (سنبلة) فاذا قال سبولت علم انه افرايمى ومعنى شامر أو سامر كما هو النطق العربى والافرايمى — حارس فالسامرى نسبة إلى سامر . ونطقها فى العبرية شومير من مادة شمر أى حرس

راجعوا الآية ٦ من الاصحاح الرابع من سفر التكوين ونصها — فقال الرب لقايين ابن هابيل

مع أنهم جاوزوا البحر فهل استصحبه السامرى من مصر وعدى البحر معه أو كان على شاطىء البحر طائفة من القبط يسكنون هناك أو وجده عند القوم الذين أتوا عليهم يعكفون على أصنام لهم ؟ ويقال له رابعا يظهر من قولك (وبصر بعجل) الخ انه فسر قوله تعالى (فبصرت بما لم يبصروا به) أى فبصرت بعجل لم يبصر به باقى بنى اسرائيل وحينئذ يقال له كيف يترتب على هذا المعنى قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول حتى على تاويله المذكور فى صفحة ٢١٧ التابع فيه لأبى مسلم الأصفهانى وهو ان المراد فقبضت قبضة من أثر الرسول الخ ولا ينفعه تأويل أبى مسلم البعيد من منطوق الآية كما يعلم بمراجعته .

ويقال له خامسا ان كان الواقع كما تقول أفلا يكون الاجدر اظهار هذه الحالة والنعى على السامرى بانه اتخذ فى سبيل الاخلال طرقا غير شريفة من النصب والاحتيال وسلب الأموال والنعى على باقى القوم بالغفلة الشديدة من جهة انه نصب عليهم وأخذ الحلى منهم ومن جهة أنه لا يوجد لهم أقل شبهة فى عبادة هذا العجل الحقيقى المعروف أمره لهم .

رد المؤلف على نقد اللجنة

الموضوع السادس

مسألة اتخاذ بنى اسرائيل العجل

ذكرت فى كتابى ما نقلته اللجنة من صفحة ٢١٥ سطر ١٤ بعد ان ذكرت فى صفحة ٢١٣ ما ذكره المفسرون من انه صاغ لهم عجلا من ذهب ودبره بحيث اذا استدبرته الريح صار له خوار وعددت ذلك امرا ليس بالغريب

وفى صفحة ٢١٥ طرقت الاحتمال المنصوص بها واشهد ان احدا من المفسرين لم يخطر فى باله هذا واتشرف بانه لى وحدى

والذى يؤلمنى أن حضرات أعضاء اللجنة قد حاروا فى فهم قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من =

اخوك فقال لا أعلم (هشومير أحى أنوخى ؟ وترجمتها أحارس أنا لأخى ؟ - وقد كان مصير العجل الذى عبده بنو اسرائيل ان أحرق وذرى فى الماء

أما قول السامرى فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها فمعناها على ما اخترت انه قبض قبضة من اثر الرسول أى تعليمه واحكام التوحيد التى جاء بها الرسول وهو موسى فنبذتها أى القيتها واهملتها وكذلك سولت لى نفسى

كان عقاب السامرى فى الدنيا عقابا بدنيا وهو أن يتالم من مس أى انسان له فكان اذا اتى انسانا

= ابعده من حليهم عجلا جسدا له خوار) حيرة لم يقع فيها أحد ولم يبتل بهـا من دخل قصر (لبيرانت) ويقولون (فالسامرى هو الخادع والموهم بكسر الهاء وباقى قوم موسى مخدوع وموهم بفتحها وانهم لايدرون كيف يفهم هذا المعنى فى قوله تعالى (واتخذ قوم من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الخ)

ولو رجعوا الى لأنقذتهم من حيرتهم وقلت لهم ان من معانى « من » بكسر الميم فى اللغة العربية « البدل » وقد مثل ابن هشام فى المغنى ١٣ ج ٢ لذلك بقوله تعالى (ارضيتم بالحيـاة الدنيا من الآخرة - لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون) لأن الملائكة لاتكون من الانس - (ان تغنى عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أى بدل طاعة الله أو بدل رحمة الله - (ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا تنفع ذا الحظ من الدنيا حظه منك أى بدل طاعتك أو بدل حظك أى بدل حظه منك ومثلها أيضا بقول الشاعر . « ولم تذق من البقول الفستقا » أى بدل البقول اه

وعلى ذلك يتمشى قول الله تعالى « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار » أى اتخذوا بدل حليهم عجلا جسدا له خوار بان بذلوا الحلى واخذوا العجل جسدا له خوار - وكما تقول اتخذت من جواهرى دارا أى بدلها

واما التيه الذى اختطوه بخدع وخادع ومخدوع وموهم وموهم والتساؤل عن البناء للفاعل والبناء للمفعول واستجداء التجوز والبحث بالميكرسكوب عن القرينة الحالية والمقالية فامور لا لزوم لها بذلك يعلم حضراتهم انهم اتعبوا انفسهم بدون موجب لهذا التعب واطالوا الكلام فى غير طائل وان الترديد فى هذه الاحتمالات التى قدروها لى لم تخطر لى ببال ولم يكونوا فى احتياج اليها

أما قول حضراتهم « بل يعتبر الكلام بالنسبة لهذا المعنى من المعميات الشبيهة بالالغاز » فانه شنشنة أعرفها من اخزم وكل امرىء يجرى على اعراقه . فهنيئا لحضراتهم من عرضى ما يستحلون ومن عراى ما يحلون

وظريف جدا قولهم « ويقال له ثالثا من اين جاء السامرى بالعجل » فان هذا منهم يشعر انهم =

وخشى ان يمسه يقول له لامساس واما فى الآخرة فان الله حسيبه بما صنع

واما الذين اتخذوا العجل من بنى اسرائيل فكان جزاؤهم ان الله لا يقبل توبتهم حتى يقتل بعضهم بعضا وستأتى كيفية ذلك فيما نقصه من التوراة ويقول أهل الكتاب : ان الذى صنع العجل لبنى اسرائيل هو هارون أخو موسى : حاشاه ان يكفر بعد الايمـــان وهو نبى معصوم عن ذلك ولكن هذا دأبهم مع انبياء الله ينسبون اليهم النقائص وما ينزه نفسه عنه أحط الناس قدرا ويلصقون ذلك بهم

يفهمون ان هذا العجل له سلالة مقدسه لا توجد الا فى مصر . ولو انهم سألوا علماء الآثار والخبراء بتاريخ المصريين وعباداتهم لعلموا ان عجل المصريين ليس له سلالة خاصة يختار منها وانما يختار على الشيات التى توجد فى جلده ومثل هـذا يوجد فى بعض الأحيان فى عجاجيل بنى اسرائيل والعرب الضاربين فى شبه جزيرة سينا والعماليق الذين فى تلك الاصقاع . واذا اصروا على معرفة القوم البائعين له والمكان الذى وجد فيه ذلك العجل فليصبروا وموعدنا عرصات القيامة ان شاء الله الى أن يلاقوا السامرى فانه هو الذى يعلم اين وجده وممن أخذه ولعمرى ما الذى يفيد حضراتهم من معرفة المكان الذى وجد فيه ؟

قالوا — ويقال له رابعا . يظهر من قولك « وبصر بعجل » الخ انه فسر قوله تعالى « فبصرت بما لم يبصروا به » أى فبصرت بعجل لم يبصر به باقى بنى اسرائيل . وحينئذ يقال له كيف يترتب على هذا المعنى قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول حتى على تأويله المذكور فى صفحة ٢١٧ التابع فيه لأبى مسلم الأصفهانى وهو ان المراد فقبضت قبضة من أثر موسى الرسول الى آخره . ولا ينفعه تأويل أبى مسلم البعيد من منطوق الآية كما يعلم بمراجعته) اه

والجواب على ذلك سهل جدا وهو ان السامرى بصر بعجل لم يبصر به بنو اسرائيل فسولت له نفسه أن يطرح ما علمه من موسى من ان الاله واحد هو الله وانه لا يعبد سواه وانه ليس كمثله شيء فنبذ تلك القبضة من التعـــاليم وهى أثر من آثار موسى ورأى الفرصة سانحة للعب بعقول بنى اسرائيل واخذ الحلى الذى كان عندهم فدعاهم الى ان ياتوه به فجاءوا به ، وأوهمهم أنه سيأتيهم باله موسى وكذلك سولت له نفسه وهو كلام سائغ مشهور لا غبار عليه

وأما ماقالوه خامسا — فقد كفانا الله مؤنة الرد عليه بقوله عز شأنه « أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم

اقرءوا هذه الآيات

سورة البقرة - وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

= الرحمن فاتبعونى واطيعوا أمرى » وكفى بذلك تجهيلا وتوبيخا لهم - وأما قولهم « والنعى على السامرى الخ » فاقول أن الذنب الذى أتاه السامرى أكبر من النعى وارنى من التوبيخ بل اللائق فى مثل أمره احلال العقاب اذ لا يعاتب الا الأديم ذو البشرة . وقد عاقبه الله بتعذيبه فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد واخزى

بقى أن أصحاب الفضيلة حفظهم الله قالوا فى صدر ابداء رأيهم - والذى نراه أن هذا القول مخالف لما عليه جميع المفسرين فيما نعلم وبعيد عن الصواب ومخل بنظم القرآن - ولكنهم بعد رحلتهم الطويلة لم يقولوا لنا ماراوه صوابا من وجوه تفسير هذه الحادثة - وهذا لا يليق

وانى اقر واعترف اقرارا واعترافا لاثنيا فيهما أن هذا الرأى لى ولم أقف عليه لأحد غيرى . فهل فى ذلك ذنب على ؟ أو أنى ارتكبت بذلك اثما ؟ - وما أشبه قول حضراتهم هنا بما كان يقوله أعضاء محكمة التفتيش البابوية لمن فهم فى الانجيل معنى من المعانى - ان هذا المعنى لم تأمر به الكنيسة ولم تفهمه . فهل يريد التاريخ أن يعيد نفسه ؟ - ياقوم أن الحجر على العقول أن تعقل . وعلى الافهام أن تفهم : وعلى المدارك أن تدرك ليس من أحكام الاسلام الذى خاطب العقول ورفع قدرها وأمر الناس بالرجوع اليها فيما هو من اختصاصها

أما ماقاله المفسرون فمختلف فقائل أنه صاغ العجل من الحلى ووضع فيه ترابا من أثر حافر فرس جبريل - وقائل انه صاغه ودبره بطريقة تجعل له خوارا إذا استدبرته الريح وقائل أنه بعد ان صاغه من الحلى استحال جسدا لحما ودما فاى هذه الأقوال يرضى حضراتهم فاذا قالوا أن هذه الأقوال كلها ترضيهم لأن المفسرين قالوا بها قلت لهم محال أن تكون كلها صحيحة بل كل منها محتمل لأن يكون صحيحا

بما تقدم كله

يتبين القارىء أن المحمل الذى أوردته سائغ وكلام الله تعالى يحتمله وأنه لا بعد فيه وهو ماغزوته من ايراده وأنا لا أنكر أن أقوال المفسرين التى اوردتها كل منها محتمل أيضا - والوجه الذى أوردته أكثر مناسبة لقوله تعالى حكاية عن موسى « وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفه فى اليم نسفا » اذ الذهب لا يحترق ولا ينسف

ومنها أيضاً ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين ٩٢ ،

سورة الاعراف ـ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ١٤٢ ولما سقط فى أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ١٤٩ ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ١٥٠ قال رب اغفر لى ولأخى وادخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ١٥١ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ١٥٢ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ١٥٣ ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ١٥٤

سورة طه ـ وما أعجلك عن قومك ياموسى ٨٣ قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى ٨٤ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى ٨٥ فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ٨٦ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى ٨٧ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى

فَنَسِيَ ٨٨ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ٨٩ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ
مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ٩٠ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ
عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ٩١ قَالَ يَاهَارُونُ مَامَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ
أَمْرِي ٩٣ قَالَ يَابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ٩٤ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ
أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ٩٦ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ
وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ
نَسْفًا ٩٧ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ٩٨ (١)

---

(١) ذكرت التوراة هذا الموقف من مواقف موسى من أول الاصحاح التاسع عشر من سفر الخروج - فذكرت أن بنى اسرائيل جاءوا أمام الجبل (حوريب) وأن موسى صعدا الى الله فى الجبل فاوحى اليه كلاما يبلغه بنى اسرائيل وهو أن الله سيتخذهم شعبا مقدسا ومملكة له أن أطاعوا وصاياه . فقبلوا ذلك ووعدوا أن يفعلوا كل ما يأمرهم الله به. ثم أمره الله أن يقول لبنى اسرائيل أن يتطهروا لأن الله سيتراءى لهم . وفى اليوم الثالث صارت رعود وبروق على الجبل . وكان موسى يتكلم والله يجيبه ثم دعاه الله الى الجبل فاوصاه وأمره ونهاه ووضع لبنى اسرائيل شرائع وشعب بنى اسرائيل ارتعد وقالوا لموسى كلمنا أنت ولا يكلمنا الله لئلا نموت فوضع له الشرائع المذكورة فى الاصحاحات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ خروج وفى الاصحاح ٢٤ أمر الله موسى أن يصعد الجبل هو وناداب وابيهود وسبعون شيخا من شيوخ اسرائيل وأن يسجدوا لله من بعيد ولا يقترب من الرب سوى موسى فصعدوا ورأوا الله (تعالى عما يقولون) وتحت رجليه شبه حجر من العقيق الازرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة

ثم دعا الله موسى الى أعلى الجبل وأمر القوم بالبقاء الى أن يرجع ومعهم هرون ليقيم لهم القضاء وكان موسى فى الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة فاوحى الله اليه ما أوحى من الشرائع واعطاه =

أمر الله بنى اسرائيل

على لسان موسى بدخول الأرض المقدسة — عصيانهم موسى — تحريم الله الأرض عليهم - اتاهتهم فى البرية أربعين سنة

قرب بنو اسرائيل من أرض الموعد وهى فلسطين التى وعد الله ابراهيم واسحاق ويعقوب ان تكون ملكا لأولادهم وأن يطردوا من أمامهم الأمم التى يسكنونها - فى ذلك الوقت وأمر الله تعالى موسى أن يذهب ببنى اسرائيل الى تلك الأرض لامتلاكها. ولكن بنى اسرائيل قوم قد ثقفوا

= الالواح فيها الشريعة مكتوبة باصبع الله وهى ألواح من حجر مسواة. وقال الله لموسى انزل فقد فسد الشعب وزاغوا عن الطريق واراد الله أن يبطش بهم فتضرع اليه موسى ليصفح عنهم

ولما اقترب موسى من المحـلة ابصر العجل والرقص فغضب موسى ورمى اللوحين من يده فكسرهما فى أسفل الجبل. ثم أخذ العجل فاحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل

ولام موسى هرون فاعتذر بان الشعب شرير وقد قالوا له اصنع لنا الها يسير امامنا فان موسى لاندرى ما أصابه وأن هارون طلب منهم الذهب فطرحوه فى النار فخرج هذا العجل

ولما رأى موسى ذلك طلب من كان للرب أن ياتى اليه فاتاه بنو لاوى. فامرهم أن يضعوا سيوفهم على افخاذهم وأن يمروا بالمحلة من باب الى باب ويقتل كل رجل اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعلوا. وقتل فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف رجل. ثم صعد موسى الى الجبل وطلب من الله غفران خطيئة الشعب فاذا لم يفعل يمحو موسى من كتابه فاجابه: الذى أخطأ أمحوه من كتابى. وأمره أن يذهب بالشعب إلى الأرض التى وعدهم أن تكون لهم ميراثا وأنه سيطرد من أمامه تلك الأمم الساكنة فى الأرض وأن الله لايكون معهم. فرجاه موسى أن يكون معهم ليتميزوا عن سائر الأمم

وتذكر أيضا أن الله أرى موسى مجده على الجبل واخفاه فى نقرة من الأرض لئلا يهلك. وسجد موسى لله عند اجتيازه وطلب اليه أن يسير فى وسطهم فاوحى الله اليه بامور وشرائع ومكث عند الله أربعين يوما وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء فكتب الله على لوحين الكلمات العشر — يراجع سفر الخروج من الاصحاح التاسع إلى الاصحاح ٣٤

ولا يخفى انها تخالف القران فى كثير من المضامين. ولم تذكر جواب بنى اسرائيل اذ أمروا =

بالذلة وتمكن الصغار والهوان من أنفسهم . وألفوا الذل فى أرض الفراعنة فلم تكن لهم قوة على الدخول الى تلك الأرض وتمثل لهم شبح الموت فى كل خطوة فى ذلك السبيل . فلم يشاءوا أن يذهبوا لأمر ربهم . وقالوا ياموسى « ان فيها قوما جبارين . وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون »

كان موسى قبل أن يطلب الى بنى اسرائيل دخول تلك الأرض قد أرسل من قبله روادا يتجسسون الأرض وحال أهلها ويقول المفسرون انهم كانوا اثنى عشر رجلا فرأوا من جسامة أجسام أولئك القوم ما هالهم فلما عادوا أخبروا بنى اسرائيل بما رأوا فضعفت قلوبهم وتراءى لهم شبح الهلاك فى القدوم على هذه البلاد فلما أمرهم موسى بالعبور أبوا . وقال رجلان من الذين جاسوا خلال البلاد لبنى اسرائيل ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه غلبتم على المدينة (أريحاء) فأبوا وقالوا لموسى . « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » وأبوا عليه كل الاباء

شكا موسى أمر بنى اسرائيل معه الى الله قائلا « رب لا أملك الا نفسى وأخى فافرق (أحكم) بيننا وبين القوم الفاسقين » فأخبره الله تعالى بانها (أى الأرض) محرمة عليهم وانهم سيتيهون فى الأرض أربعين سنة فكان بقاء بنى اسرائيل فى البرية من عهد خروجهم من مصر الى أن مات موسى وعبروا نهر الأردن وملكوا أريحاء وما معها من الأرضين غرب الأردن أربعين سنة . والسر فى ذلك كما أوضحه ابن خلدون ان نفس بنى اسرائيل كانت صغيرة ضئيلة لأنهم رئموا الذل والهوان فى ملك المصريين . ومن كان كذلك لا يصلح لقتال ولا استقلال ولذلك ذابت قلوبهم فى صدورهم وملأ الخوف أنفسهم حين أمروا بقتال أولئك الجبارين

والعلماء يقررون ان حضانة العلم خمس عشرة سنة . فاذا ابتدأت أمة تتعلم فانها تجنى ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة . واما حضانة الأخلاق فمدتها اربعون سنة . فاذا أخذت الأمة تستمسك بالأخلاق فانها لا تجنى الثمرة الا بعد اربعين سنة . لذلك أراد الله تعالى ان يبقى بنى اسرائيل

= بالدخول الى الأرض التى وعدوا بامتلاكها . ولأى شىء بقوا أربعين سنة . مع أن هذه الحوادث ابتدأت من الشهر الثالث لخروجهم وسيأتى ما يدل على امتناعهم فى أول سفر التثنية

والذى يظهر من عبارة سفر الخروج ان ذهاب الشيوخ السبعين كان قبل عبادة العجل . وأما القران فانه يذكر انه ذهب لتلقى الألواح قبل عبادتهم العجل وذهب مع الشيوخ السبعين بعد ذلك وهذا هو المعقول

فى البرية أربعين سنة حتى يفنى الجيل الذى نشأ فى الذل والاستعباد وينشأ جيل ألف الحرية ولم تذله العبودية . وهكذا كان حال بنى اسرائيل فان الجيل الذى ولد فى الذل وكبر حتى مرن عليه هلك فى البرية . وجاء الجيل الذى كان صغيرا ايام عبوديتهم فى مصر والذى نشأ أو ولد فى البرية فى الحرية والعزة فلم يبال بأولئك الناس ودخل عليهم بلادهم مع يوشع بن نون فتى موسى فملكها

وهنا لطيفة أريد التنبيه عليها وهى ان يوقف عند قوله « انها محرمة عليهم . ويبتدأ بقوله تعالى أربعين سنة يتيهون فى الأرض » لأنها حرمت عليهم تحريما أبديا لا تحريما مقيدا بأربعين سنة . وذلك ان الرجال الصالحين للحرب الذين عصوا أمر موسى وقالوا : « اذهب أنت وربك فقاتلا » ماتوا فى البرية أثناء السنين الأربعين ولم يدخل أحد منهم الى ارض الموعد فكانت محرمة عليهم باطلاق

اقرءوا هذه الآيات

سورة المائدة — وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ ٢٠ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ٢١ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ . وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٢٣ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٢٦

هذا الموقف من مواقف موسى مع بنى اسرائيل لم يذكر فى سفر الخروج وكل ما ذكر إنما هو مواقف عنيفة بين موسى وقومه ووصفهم بصلابة الأعناق والتمرد وان الله عوقهم فى البرية أربعين سنة ولم يشأ لموسى ولا لهرون ان يعبر أحد منهما الى تلك الأرض فمات هرون قبل موسى ودفن فى جبل هور من جبال سينا التى فى البرية . وأما موسى فامره الله أن يصعد الى جبل نبو

وينظر ارض الموعد دون ان يدخلها ففعل ومات على الفسجة أى الأكمة التى هى من رمل أحمر ودفن هناك وخفيت معالم قبره

وأهل فلسطين يدعون أن قبره فى موضع من بلادهم ويقيمون له مولدا يقصد من كل ناحية فى كل سنة فى موعد معين

وقد ذكر هذا الموقف فى الاصحاح ١٤ سفر العدد وذكر أيضا على سبيل الحكاية والتذكير فى سفر التثنية أثناء تعداد موسى أعمال بنى اسرائيل وعصيانهم عليه ومخالفتهم لأمر الله تعالى ما ننقل بعضه من الاصحاح الأول تثنية (١)

نتق الجبل فوق بنى اسرائيل

ذكر الله تعالى فى سورتى البقرة والاعراف أنه رفع جبل الطور فوق بنى اسرائيل حتى صار كأنه ظلة وظنوا أنه واقع عليهم أو أيقنوا ذلك وأمرهم أن يأخذوا ما آتاهم من الأحكام بقوة بأن يفعلوها دون تذمر أو توقف وأن يحافظوا عليها أشد محافظة بجد وعزم قوى على تحمل مشاق ما أوتوه وأن يذكروا ما فيه بالعمل به وألا يتركوه كالمنسى . فأنهم اذا فعلوا ذلك كان مرجوا لهم أن

---

(١) ٦ـ الرب الهنا كلمنا فى حوريب قائلا ـ كفا كم قعودا فى هذا الجبل ـ

٧ ـ تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل مايليه من قرية والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر أرض الكنعانى ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات ٨ انظروا قد جعلت أمامكم الأرض التى اقسم الرب لآبائكم ابراهيم واسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم

٢٠ فقلت لكم قد جئتم الى جبل الأموريين الذى أعطانا الرب الهنا

٢١ ـ انظر قد جعل الرب الهك الأرض أمامك اصعد تملك كما ملك الرب اله آبائك لا تخف ولا ترتعب . .

٣٤ وسمع الرب صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلا ٣٥ لن يرى إنسان من هؤلاء الناس من هذا الجبل الشرير الأرض الجيدة التى أقسمت أن أعطيها لآبائهم ٣٦ ما عدا كالب بن يفنة هو يراها وله أعطى الأرض التى وطئها ولبنيه لأنه اتبع الرب تماما ٣٧ وعلى أيضا غضب الرب بسببكم قائلا وأنت أيضا لا تدخل الى هناك ٣٨ يوشع بن نون الواقف أمامك هو يدخل الى هناك . شدده لأنه هو يقسمها لاسرائيل ٣٩ وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة . وبنوكم الذين لم يعرفوا اليوم الخير والشر فهم يدخلون الى هناك .

يكونوا ممن اتقى قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق ثم لم يكن منهم الا الأعراض عن الميثاق بعد أخذه . ولولا فضل الله عليهم ورحمته بتوفيقهم للتوبة لكانوا من الخاسرين المغبونين بالمعاصى والتخبط فى الضلال

هكذا قال المفسرون ونحوا هذا النحو وشايعهم استاذنا المرحوم الشيخ محمد عبده لانه لم ير موجبا للعدول عن ظاهر القرآن الى تأويله اذ لم يصرف عنه صارف والمسألة من الممكنات العقلية وقد خلت الآية من قرينة صارفة عن الظاهر الى تأويله

وقد اورد السيد رشيد رضا فى تفسير المنار . أن هذا المعنى اعترض عليه بأنه اكراه على الايمان والجاء اليه وذلك ينافى التكليف . قال اجيب عنه بأجوبة منها ان مايفعل بالاكراه يعود اختياريا بعد زوال ما به الاكراه . ومنها ان مثل هذا الالجاء كان جائزا فى الأمم السابقة . ويزيد من قال هذا ان نفى الاكراه فى الدين خاص بالاسلام لقوله تعالى (لا اكراه فى الدين) وقوله (افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)

قال الاستاذ الامام . لا حاجة لنا فى فهم كتاب الله الى غير ما يدل عليه باسلوبه الفصيح . فهو لا يحتاج فى فهمه الى اضافات ولا ملحقات وقد ذكر لنا مسألة رفع الطور فوق بنى اسرائيل ولم يقل انه اراد بذلك الاكراه على الايمان وانما حكى عنهم فى آية اخرى انهم ظنوا انه واقع بهم . فقد قال تعالى فى سورة الاعراف (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) والنتق الزعزعة والهز والجذب والنفض ونتق الشيء ينتقه وينتقه من بابى ضرب ونصر نتقا جذبه واقتلعه وقد يكون ذلك فى الآية بضرب من الزلزال كما يدل عليه التعبير بالنتق وهو فى الأصل بمعنى الزعزعة والنفض والمفهوم من أخذ الميثاق أنهم قبلوا الايمان . وعاهدوا موسى عليه . فرفع الطور وظنهم أنه واقع بهم من الايات التى رأوها بعد أخذ الميثاق كان لأخذ ما أوتوه من الكتاب بقوة واجتهاد لأن رؤية الايات تقوى الايمان . وتحرك الشعور والوجدان ولذلك خاطبهم عند رؤية تلك الاية بقوله (خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه) أى بالمحافظة عليه والعمل به فان العمل هو الذى يجعل العلم راسخا فى النفس مستقرا عندها . أى أن نتق الجبل فوقهم لم يكن الغرض منه الاكراه على الايمان وانما كان للعمل بما أوتوه من الشريعة والمحافظة عليه بعد أن أقروا بالايمان . ثم ذكرهم بما كان منهم من التولى عن الطاعة بعد اخذ الميثاق ومشاهدات الايات . وقد حال دون ادراجهم فى سلك الخاسرين ما ادركهم من فضل الله عليهم ورحمته بهم

وقد قال السيد رشيد رضا فى تفسير المنار ايضا ـ شـــايع الأستـاذ الامام المفسرين على ان رفع الطور كان آية كونية . اى انه انتزع من الأرض وصار معلقا فوقهم فى الهواء . وهذا هو المتبـادر من الآية بمعونة السياق . وان لم تـكن الفاظها نصا فيه . إذ الرفع هو الارتفاع وجعل الشىء ـ أو أن يكون الشىء ـ رفيعا عاليا كما قال تعالى (فيها سرر مرفوعة) وقال (وفرش مرفوعة) فكل من السرر والفرش تـكون مرفوعة وهى على الأرض . وقوله تعـالى فى سورة الاعراف (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) ليس نصا أيضا فى كون الجبل رفع فى الهواء . واصل النتق فى اللغة الزعزعة والزلزلة كما سبق قال فى حقيقة الأساس : نتق البعير الرحل زعزعه . ونتقت الزبد أخرجته بالمخض ونتق الله الجبل رفعه مزعزعا فوقهم . والظلة كل ما أظلك سواء كان فوقك أو فى جانبك وهو مرتفع له ظل . فيحتمل أنهم لمـــا كانوا بجانب الطور رأوه منتوقا أى مرتفعـا مزعزعا فظنوا أن سيقع بهم وينقض عليهم . ويجوز ان ذلك كان فى اثر زلزال تزعزع له الجبل ـ ثم قال ـ واذا صح هذا التأويل لا يكون منكر ارتفاع الجبل فى الهواء مكذبا للقران اه

أقول قد يـكون جزء عظيم من الجبل اقتلع من مكانه اثناء رجفـــة أو زلزال ورأوه باعينهم وهم فى اسفل الجبل كأنه ظلة وخافوا وقوعه بهم وذلك عند اخذ ميثاقهم على العمل بالتوراة (١)

---

(١) الموضوع الثالث

نتق الجبل فوق بنى اسرائيل

قال فى صفحة ٢٢٦ سطر ٢١ ما نصه :

وقد قال السيد رشيد فى تفسير المنار أيضا شايع الأستاذ الأمام المفسرين على ان رفع الطور كان آية كونية أى أنه انتزع من الأرض وصار معلقا فوقهم فى الهواء وهذا هو المتبادر من الآية بمعونة السياق وان لم تكن الفاظها نصا فيه إذ الرفع هو الارتفاع وجعل الشىء ـ أو أن يكون الشىء ـ رفيعا عاليا كما قال تعالى (فيها سرر مرفوعة) وقال (وفرش مرفوعة) فكل من السرر والفرش تـكون مرفوعة وهى على الأرض وقوله تعالى فى سورة الاعراف (وأذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) ليس نصا أيضا فى كون الجبل رفع فى الهواء فاصل النتق فى اللغة الزعزعة والزلزلة كما سبق قال في حقيقة الأساس نتق البعير الرحل زعزعه ونتقت الزبد أخرجته بالمخض ونتق الله الجبل =

اقرءوا هـــذه الآيات

سورة البقرة - وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا

= رفعه مزعزعا فوقهم والظلة كل ما اظلك سواء كان فوقك أو فى جانبك وهو مرتفع له ظل فيحتمل أنهم لما كانوا بجانب الطور رأوه منتوقا أى مرتفعا مزعزعا فظنوا أن سيقع بهم وينقض عليهم ويجوز أن يكون ذلك فى أثر زلزال تزعزع له الجبل - ثم قال واذا صح هذا التاويل لا يكون منكر ارتفاع الجبل فى الهواء مكذبا بالقرآن . اه أى رشيد أقول قد يكون جزء عظيم من الجبل قد اقتلع من مكانه اثناء رجفة أو زلزال ورأوه بأعينهم وهم فى اسفل الجبل كأنه ظلة وخافوا وقوعه بهم وذلك عند أخذ ميثاقهم على العمل بالتوراة : هذا نص كلامه بالحرف :

ثم بعد ذكره الآيات القرآنية الواردة فى رفع الجبل قال مانصه بالحرف .

أما التوراة فلم يذكر فيها أن الله نتق الجبل فوق بنى اسرائيل وانما ذكر فيهـــا وجود رعود وبروق وارتجاف فى الجبل وبنو اسرائيل امامه حتى خافوا جداً :

فى الاصحاح ١٩ خروج ١٥ فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم ١٥ وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث لا تقربوا امرأة ١٦ وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح انه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة ١٧ واخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله فوقفوا فى أسفل الجبل ١٨ وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل ان الرب نزل عليه بالنـــار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدا ١٩ فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا موسى يتكلم والله يجيبه بصوت

وفى اصحاح ٢٠ خروج ١٨ وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ١٩ وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت اه .

رأى اللجنة

لم يسع السيد رشيدا ومؤلف هذا الكتاب ما وسع الأستاذ الأمام فى موافقة جميع المفسرين على أن رفع الطور آية كونية أى انه انتزع من الأرض وصار معلقا فوقهم فى الهواء مع اعتراف الأول بانه المتبادر من الآيتين بمعونة السياق : بل ابديا احتمالا مخترعا فى الآيتين اخرجاهما عن افادة تلك الآية الكونية بحجة أن الفاظهما ليست نصا فيما أجمع عليه المفسرون وتبعهم عليه الأستاذ الأمام =

مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٦٣ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ

= وهل الحامل لمهارد القرآن الكريم إلى ماجاء فى التوراة وهو الذى نقله مؤلف هذا الكتاب ونقلناه عنه فى عبارته السابقة فان كان هذا هو الحامل يقف الذهن فى ادراك السر فى ذلك .

ونحن نرى أن هذا الاحتمال فاسد لا يمكن تطبيق الآيتين الكريمتين عليه باى وجه من الوجوه وذلك ان الله تعالى يقول فى سورة الاعراف (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم) وفى سورة البقرة (واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور)

والنتق قال فى لسان العرب الزعزعة والهز والجذب والنفض ونتق الشيء ينتقه وينتقه بالضم جذبه واقتلعه وفى التنزيل وإذ نتقنا الجبل فوقهم أى زعزعناه ورفعناه اه

وفى الأساس ونتق الله الجبل رفعه مزعزعا فوقهم اه

وذكر المفسرون ان ابن عباس فسره بالرفع قالوا وهو ارجح ليتوافق مع الآية الأخرى وهى (ورفعنا فوقكم الطور) والرفع كما فى كتب اللغة ضد الخفض وبعد أن بين أنه يكون فى الأجسام والمعانى قال صاحب المصباح مانصه بالحرف (فالرفع فى الاجسام حقيقة فى الحركة والانتقال وفى المعانى محمول على مايقتضيه المقام اه .

ومعنى الفوقية واضح وبيان الجهات الست لايخفى على كل من قرأ الأجرومية وشراحها : وعلى ذلك يتعين أن يكون معنى (ورفعنا فوقكم الطور) اننا حركناه ونقلناه وجعلناه فوقكم ولا يعقل أن يكون فوقهم أى فى الجهة المعروفة من غير ان يكون معلقا فى الهواء :

وهل يتصور أن يكون معنى رفعناه جعلناه مرتفعا عاليا وهو بجانبهم وهم بجانبه عن يمينهم أو شمالهم أو امامهم أو وراءهم ويصدق مع ذلك أنه فوقهم .

ان تصور ذلك فلم قلت ياسيد رشيد (والظلة كل ما اظلك سواء كان فوقك أو بجانبك) ولم هذا التعميم ان كان ما بالجانب يصدق على أنه فوق .

نحن نعتقد أنه غفل عن قوله تعالى (فوقهم) وقد ذكرت الفوقية فى الآيتين معا هذا ثم يقال له هل الزلزال الذى جعل الجبل مرتفعا وعاليا مزعزعا أثره حصل اتفاقا أى بالاسباب العادية كبركان فى داخله كما يحصل فى هذه الأزمان أو أن الله أجراه من غير تلك الأسباب : وهل الغالب فى الزلزال دك الجبال أو رفعها وجعلها عالية مرتفعة . وهل مثل هذه الحالة يعبر عنها بمثل هذا التركيب فى الآيتين الكريمتين :

ويقال لمؤلف هذا الكتاب بخصوصه الله سبحانه وتعالى قال (ورفعنا فوقكم الطور) وقال (واذ نتقنا الجبل فوقهم) ولم يقل ارتفع جزء من الجبل اثناء رجفة أو زلزال ويقال له أن الذي =

الخَاسِرِين ٦٤

= نقلته عن التوراة ويجوز انك نقلته استئناسا لرأيك فى فهم القرآن . ان صح يجوز أن يكون اشارة إلى موقف آخر من مواقف بنى اسرائيل كموقفهم حينما قالوا ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون) أو كموقفهم حينما اختار موسى منهم جماعة للميقات وحكاه الله تعالى فى سورة الاعراف بقوله (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى) الخ الآيات :

وهذا على القول بانهما موقفان مختلفان لبنى اسرائيل وفى ذلك خلاف بين المفسرين .

وحيث ظهر فساد هذا التأويل وان القرآن الكريم نص فى افادة الرفع المخصوص كما قرره جميع المفسرين كان القول بعدمه تكذيبا للقرآن والله أعلم .

رد المؤلف على نقد اللجنـــة

الموضوع الثالث

نتق الجبل فوق بنى اسرائيل

كتب حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة ماهو مسطور قبل هذا . وبه ينكرون على الاحتمال الذى طرقته فى رفع الطور فوق بنى اسرائيل وينكرون أيضا على السيد رشيد رضا الاحتمال الذى أورده فى ذلك

والناظر إلى ما كتبته اللجنة يرى أن ما أطالوا به فى هذا الباب لا يساوى المداد الذى بعثرته على صفحات تلك الأوراق

والذى ينظر كتابى . يرانى قد أوردت ما أورده جمهور المفسرين وهو الذى يفهم من ظاهر القرآن أول وهلة وقد جرى عليه استاذنا الامام وقد ايدته وعززته ولم اشر إلى أى مخالفة له أو اعتراض عليه ثم انى رأيت السيد رشيدا قد أورد احتمالا واحس بما فيه من البعد عن ظاهر الآية فقال « وإذا صح هذا التأويل لا يكون منكر ارتفاع الجبل فى الهواء مكذبا للقرآن »

وقد نظرت إلى قوله فاحسست ببعده مع اعتقادى بانه محتمل فاوردت وجها يمكن أن تحمل عليه الآية هو فى نظرى أقرب من الوجه الذى أورده السيد رشيد وهو قولى . أقول قد يكون جزء عظيم من الجبل اقتلع من مكانه اثناء رجفة أو زلزال ورأوه باعينهم وهم فى اسفل الجبل فوقهم كانه ظلة وخافوا وقوعه بهم وذلك عند أخذ ميثاقهم على العمل بما فى التوراة فجاءت اللجنة وقررت أن الاحتمال الذى أوردته فاسد ولا يمكن حمل الآيتين عليه وهما قوله تعالى (وإذ نتقنا =

= الجبل فوقهم الخ) وقوله « ورفعنا فوقكم الطور » وإلى أى حد بلغ ظرف اللجنة فى قولها توبيخا وتجهيلا لى « ومعنى الفوقية واضح وبيان الجهات الست لا يخفى على كل من قرأ الأجرومية وشراحها » وفسرت قوله تعالى (ورفعنا فوقكم الطور) بمعنى اننا « حركناه ونقلناه وجعلناه فوقكم » وقالت ولا يعقل أن يكون فوقهم أى فى الجهة المعروفة من غير أن يكون معلقا فى الهواء

فالخلاف بينى وبين اصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة انهم يقولون أن الفوقية لا تكون الا على مسامتة الرأس وأنا أقول أن الفوقية تحصل مع عدم المسامتة ودليلى على ذلك قوله تعالى « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم » فان قوله من فوقكم ليس معناه فوقية مسامتة بل من مكان أعلى من مكانكم . قال فى تاج العروس ص ٥٢ ج ٧ وقوله تعالى « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم » عنى الاحزاب وهم قريش وغطفان وبنو قريظة وكانت قد جاءتهم من فوقهم وجاءت قريش وغطفان من ناحية مكة من أسفل منهم اهـ

قال الألوسى فى صفحة ١٣ ج ٧ عند قوله تعالى « اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم (من فوقكم) من أعلى الوادى من جهة المشرق والاضافة اليهم لأدنى ملابسة والجائى من ذلك بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد وبنو قريظة وبنو النضير « ومن أسفل منكم » من أسفل الوادى من قبل المغرب والجائى من ذلك قريش ومن شايعهم من الأحابيش وبنى كنانة وأهل تهامة ـ وقيل الجائى من فوقهم بنو قريظة ومن أسفل قريش واسد وغطفان وسليم وقيل غير ذلك

وأيضا قال الله تعالى ـ (ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) آل عمران آية ٥٥ فعلى فهم حضرات الأفاضل يكون الله تعالى قد وعد عيسى عليه السلام أن يجعل فوق كل كافر ممن كفروا به واحدا من اتباعه على سمت رأسه لا ينفك شأن الكفار بعيسى وشأن اتباعه عن ذلك إلى يوم القيامة

وقال تعالى فى سورة يوسف آخر آية ٧٦ (وفوق كل ذى علم عليم) فمقتضى طريقتهم فى فهم الفوقية ان الله تعالى وضع (عليما) فوق رأس كل ذى علم وهذا مالا يسلم به احد حتى حضرات أصحاب الفضيلة فيما أظن

قال اصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة ـ ويقال لمؤلف هذا الكتاب بخصوصه ـ الله سبحانه وتعالى قال ـ (ورفعنا فوقكم الطور) وقال (واذ نتقنا الجبل فوقهم) ولم يقل ارتفع جزء من الجبل اثناء رجفة أو زلزال

وانى اجيب حضراتهم بانى قرأت من قبل احدى وخمسين سنة فى كتاب اسمه متن السمرقندية =

تابع الهـــامش

= فى علم البيان عليه حاشية لأحد العلماء أن اللفظ قد يستعمل فى غير ماوضع له لعلاقة بينهما ومن تلك العلاقات الكلية والجزئية فيطلق اللفظ ويراد جزء معناه ومثلوا لذلك بقوله تعالى (يجعلون اصابعهم فى آذانهم) أى جزءا من اصابعهم وهو الأنامل . واعتقد ان علم البيان لم يتغير ولم يتحول عن وضعه فى هذه الحقبة وقد يحمل على المبالغة . قال الألوسى فى قوله تعالى (يجعلون اصابعهم فى آذانهم) وهل هذا من المجاز اللغوى لتسمية الكل باسم جزئه أو للتجوز فى الجعل أو هو من المجاز العقلى بان ينسب الجعل للاصابع وهو للانامل فيه خلاف والمشهور الأول وعليه الجمهور — وابن مالك وجماعة على الأخير .. الخ

وأرى من الجريمة أن أقول لحضراتهم انكم لم تقرءوا هذه النصوص فى علم البيان ولو طوعت لى نفسى ماصدقنى أحد .

وهبنى قلت هـــذا الصبح ليل　　　ايعمى العـــالمون عن الضياء

وأرى القول بذلك ذنبا غير مغتفر

ولكنى اقول ان حضراتهم مع علمهم بذلك لم يريدوا الا مداعبتى بطريقة بديعية يقول علماء البديع انها (تجاهل العارف) ولم يكونوا جادين حين قالوا هذا القول أو أنهم أرادوا بذلك اختبار مقدار الذكاء عندى فقط

وجاء فى التقرير أيضا — ويقال له — أى لهذا العاجز عبد الوهاب النجار — ان الذى نقلته عن التوراة — ويجوز انك نقلته استئناسا لرأيك فى فهم القرآن الخ

وجوابى على هذا — ان الذى فهمته اللجنة من انى استأنست لرأيى فى فهم القرآن فى هذا الموضع بما نقلته عن التوراة يحتاج إلى اناس ليسوا من هذا العالم ليفهموا فهمهم لأنى قلت من الجائز أن يكون جزء عظيم من الجبل اقتلع وصار معلقا فى الهواء امام أعينهم كانه ظلة . والذى نقلته عن التوراة ليس فيه هذا . فكيف استأنس لقولى أو رأيى بكلام ليس فيه ماقلت ؟ ثم انى أقول لحضراتهم — بعيشكم — أليس اقتلاع جزء عظيم من الجبل ورفعه معلقا فى الهواء يراه القوم كذلك أمام أعينهم آية كونية؟ وليس فى وسعى الا أن اقول لهم . ياقومنا (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) واما احتمال أن يكون فى موقف آخر من مواقف بنى اسرائيل فهذا مالم أرده ولم يخطر ببالى

قالت اللجنة فى الرد على — ان الله لم يقل واذ نتقنا بعض الجبل — وانا اقول لهم أن بعض الجبل يطلق عليه جبل مجازا كما قدمت وقد يقف الانسان فوق جزء صغير من الجبل ويقول قد وقفت على الجبل — والواقف على جزء من جبل عرفات يقول قد وقفت على جبل عرفات وهو لم يقف =

وَاذْكُرُوا مَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١ (١)

=الا على موضع قدميه ولا يمكن أن يكون كاذبا ويجزئه ذلك فى الوقوف ـ وتقول دخلت قصر عابدين وانت لم تدخل الا احدى حجره وأقول قد نص نقد اللجنة على التشهير بى وانما نص على ذلك فى بعض سطور النقد

قالت اللجنة ـ وحيث ظهر فساد هذا التأويل وان القرآن الكريم نص فى افادة الرفع المخصوص كما قرره جميع المفسرين كان القول بعدمه تكذيبا للقران الكريم

وانا اقول ـ وحيث قد ظهر مما قدمت أن الاحتمال الذى اتيت به سائغ وان الفوقية لا تنحصر فى فوقية المسامتة كما تدعى اللجنة لما قدمت عن تاج العروس وعن الألوسى

وحيث ان اجماع المفسرين لا يمنع انسانا أن يفهم كلام الله على وجه غير الذى قرروه

وحيث أن الحجر على العقول أن تفهم كلام الله الا كما فهمه الاقدمون اكليروسية لا تليق بسماحة الاسلام الذى ما جاء إلا لاطلاق العقول من اسر التقليد للاباء الذى تريد اللجنة قسر العقول والافهام عليه مع مناقضته لروح الاسلام الذى جاء بوضع الآصار عن الناس والاغلال التى كانت عليهم ـ يعلم أن عبارة كتابى لا غبار عليها وانها لا تحتاج فى فهمها الا الى انفس خالية من غرض التأثيم نقية من الاهواء

واما نسبة اللجنة الىّ انى اكذب القران فاقول لاعضائها انكم لتقولون قولا عظيما ـ يعظكم الله أن تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ـ وانى اكل حسابكم إلى الله يوم لا تغنى نفس عن نفس شيئا ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل . ويومئذ تبيض وجوه وتسود وجوه . وان الذى أغراكم بى سيتبرأ منكم ومما جنيتم على يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله بصير بالعباد ويومئذ يعض الظالم على يديه قائلا (ياويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا)

(١) اما التوراة فلم يذكر فيها ان الله نتق الجبل فوق بنى اسرائيل . وانما ذكر فيها وجود رعود وبروق وارتجاف فى الجبل وبنو اسرائيل امامه حتى خافوا جدا

فى الاصحاح ١٩ خروج ١٥ فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم ١٥ وقال للشعب كونوا مستعدين لليوم الثالث . لا تقربوا امرأة ١٦ وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة ١٧ وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله . فوقفوا فى أسفل الجبل=

بنو اسرائيل ومسألة البقرة [1]

أولا — اريد ان اقدم بين يدى الكلام على بقرة بنى اسرائيل - ان المفسرين يذكرون ان القتيل ضرب بجزء من البقرة فحيي واخبر بقاتله فاخذ وقتل - ويذكرون للبقرة حكايات وروايات وغرائب ما انزل الله بها من سلطان

اما قولهم ان القتيل ضرب ببعض البقرة فحيي واخبر بقاتله فهذا شيء زائد على مانص فى كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وكل ماقصوه فى هذا الموقف فى كتبهم ليس

= ١٨ وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار . وصعد دخانه كدخان الاتون . وارتجف كل الجبل جدا ١٩ وكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا . موسى يتكلم والله يجيبه بصوت

وفى اصحاح ٢٠ خروج ١٨ وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ١٩ وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت

(١) الموضوع الثانى

قصة بنى اسرائيل والبقرة

يرى أن ماذكر فى القرآن الكريم فى شأن ذبح البقرة هما قصتان منفصلتان سببا وحكما احداهما تبتدىء من قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وتنتهى بقوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) والثانية تبتدىء من قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) . وتنتهى بقوله تعالى (لعلكم تعقلون)

فقال فى شأن القصة الأولى صفحة ٢٣٣ سطر ٧ ما نصه :

والذى فهمته من القصة الأولى ان بنى اسرائيل قد وقعت عندهم واقعة قد حاروا فيها وهى ان شخصا قد قتل فى الحقل وهم لا يدرون من الذى قتله والحقل واقع بين بلاد كثيرة فأى البلاد تلصق باهله تهمة القتل ؟

رفعوا امرهم الى موسى فما كان جوابه الا أن قال لهم (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) ولما =

الا اسرائيليات تلقفها اولئك المفسرون من مسلمة أهل الكتاب امثال كعب الأحبار ووهب بن منبه الذين لا يبالون بما ينسبونه إلى كتاب الله التوراة والتوراة خالية منه بالمرة وقد أفاضوا على المسلمين ثروة من تلك الاسرائيليات التى لم ينزل الله بها سلطانا ولا يمكن أحدا من المسلمين أن يجعلها برهانا على أمر من الأمور

واذا كانت المسألة خالية من نص قطعى الثبوت والدلالة جاء فى القرآن الكريم ومن نص عن المعصوم ﷺ تجب به الحجة وتثبت به القضية وليس فيه سوى تلك الاسرائيليات المعلوم أمرها

= كان الجواب بعيدا فى رأيهم عن الغرض الذى جاءوا لأجله وقع عندهم موقع الغرابة وقالوا لموسى (اتتخذنا هزوا) ولما كان موسى انسان صدق بعيدا عن الهزء والسخرية بعباد الله قال لهم (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) الذين يهزءون بعباد الله ثم كانت المراجعة بينهم وبين موسى وربه حتى بين لهم شأن البقرة ولونها واحوالها اتم بيان ومع ذلك لم يمتثلوا بل ذبحوها بعد ان كادوا لا يفعلون أى أنهم ذبحوها بعد جهد شديد .

أتى موسى برجال اقرب محلة من مكان القتيل وأحلفهم عليها بعد ذبحها أى وهى أمامهم أنهم ما قتلوا القتيل ولا علموا به وانهم برآء على البقرة كما قص ذلك فى التوراة ثم قال هذه اليمين فى شريعتهم كيمين القسامة عندنا معشر المسلمين الخ

وذكر قبل ذلك ملخص ما جاء فى التوراة فى شأن هذه القصة صفحة ٢٣٠ فقال ما نصه :

أما ما جاء فى التوراة متعلقا بامر ذبح البقرة فيلخص فى أن بنى اسرائيل فرض عليهم انه اذا قتل قتيل فى الحقل يؤتى باهل أقرب البلاد من موضع القتيل ويأتون بعجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير ويأتى شيوخ القرية بها الى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة فى الوادى . ثم يتقدم الكهنة بنو لاوى ويباركون الله ويغسل جميع شيوخ القرية القريبة من القتيل أيديهم على العجلة ويصرخون قائلين (أيدينا لم تسفك هذا الدم واعيننا لم تبصرا غفر لشعبك اسرائيل الذى فديت يارب ولا تجعل دم برىء فى وسط شعبك اسرائيل فيغفر لهم هذا الدم) اه

ثم ذكر نص التوراة بالحرف فى هذا الموضوع من الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التثنية ويلاحظ ان نص التوراة لم يشتمل على يمين فلا ندرى من اين هذه اليمين التى ذكرها وشبهها بيمين القسامة فى الشريعة الاسلامية ؟ اللهم الا ان يقال ان صراخهم قائلين (أيدينا لم تسفك هذا الدم) الخ يعتبر يمينا عندهم وهو بعيد جدا ولعله أخذها من وضع أيديهم فى الدم يعتبر ذلك يمينا

وقال فى شأن القصة الثانية صفحة ٢٣٤ سطر ٩ ما نصه : =

كان من الظلم أن تقسر العقول على فهم وجه ليس به حجة ولا برهان وان تكف عن فهم كتاب الله تعالى على وجه مقبول فى العقول سائغ فى الافهام

ثانيا — اريد ان اناقش الوجه الذى فسروا عليه آيات الكتاب الكريم وحملوها من المعنى مالم يأذن به الله فاقول : اذا فرضنا المستحيل فى العادة وان القتيل حي واخبر بقاتله . فما فائدة ذلك ؟

انا نعلم ان القتيل اذا أحيى بعد قتله كان حكمه حكم سائر الناس فهو مخاطب باحكام الشرع فاذا شهد فلا تقبل شهادته وحده بل لابد من قيام نصاب الشهادة فاذا شهد بمال لواحد من الناس على انسان فلا بد من شاهد آخر . واذا شهد بالزنا على أحد فلا بد من شهادة ثلاثة سواه معه

= وأما القصة الثانية وهى قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا) الخ فهى فى شأن قتيل وجد قتيلا فى بيته أو محلة قومه أو سقط فى معركة فيها جماعة وقد دفع كل واحد القتل عن نفسه ولم يتعين قاتله تماما وكل واحد يتهم سواه بالقتل وحينئذ يكون المتهمون محصورين والقاتل لا يخرج عنهم بدليل قوله تعالى (فادارأتم فيها) ولما كان الله تعالى مخرجا ما يكتمون من القتل علمهم طريقة يميز بها القاتل من البرىء : ذلك بان ياتوا بالمتهم ثم يضربوه بجزء من تلك النفس أى من القتيل بان ياتى واحد ويضرب المتهم بيد القتيل أو برجله فاذا كان المتهم بريئا لم يحدث له شيء واذا كان فاعلا ظهر عليه انفعال نفسى ورعدة يعلم بسببها انه القاتل دون سواه - ثم قال وهذا الأمر يرجع الى أحوال الغرائز النفسية الخ ما قرره من أصول علم النفس واستشهد ببيتين من الشعر لشاعر عربى وبحادثة امرأة ملطية - وبما أجابه به مدرس التحقيق الجنائى ومعاون بوليس العياط مما لا يعنينا صحته ولا فساده

وقد استند فى هذا الرأى الى أن كلا الموضعين الذين اعتبرهما قصتين مبدوء بقوله تعالى (واذ) على النسق المطرد الذى لم يتخلف فى حكاية القصص المتعلقة ببنى اسرائيل فان كل قصة مبدوءة بذلك وهناك وجه آخر لهذا الرأى يفهم من كلامه وهو ان الآية الثانية تكون مفيدة لقاعدة مهمة وطريقة عامة فى استكشاف القاتل الحقيقى لا تخص بنى اسرائيل بخلاف ما اذا جعلت قصة واحدة على الرأى المشهور فانها تكون فائدة قاصرة على اظهار قاتل واحد فى بنى اسرائيل .

وذكر حكمة عدم استيفاء القصة الأولى فى القرآن بان الغرض ان يقص الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نموذجا مما بلغ اليه تعنت بنى اسرائيل فى ابطائهم عن امتثال أمر الله تعالى تعالى ومطاولتهم ومماطلتهم فى تنفيذ ما يأمرهم به دون استيفاء القصة استيفاء كاملا يشتمل على بيان الحكمة الباعثة على أمرهم بذبح البقرة . اه

هذا ما ذكره فى ابداء هذا الرأى فى تفسير آيات البقرة وقد رجا العلماء بان يعيروه اهتماما وان =

ويحد اذا لم يتم نصاب الشهادة ولا بد من الاعذار إلى المشهود عليه فيه كما يعذر اليه فى سائر الشهود لعل له طعنـــا عليه أو على غيره تسقط به اقواله . ولا تقبل شهادته لأبيه ولا بنه كما لا تقبل شهادة سائر الناس بذلك . واذا اوقع على زوجته طلاقا وقع كما يقع طلاق سواه . واذا أقر بمال لغيره على نفسه قبل منه الاقرار وأخذ به كما يقبل من غيره ويؤخذ به - واذا ادعى مالا على الغير لا يحكم له به بمجرد دعواه بل لابد من اثبات ذلك بالبينة العادلة فهو انسان كبقية الاناسى لافضل له على سواه ولا مزية له على سائر البشر وقتله ثم حياته لم يخرجه عن البشرية ولم يجعل له حكما خاصا

= يوافوه بما يرونه من الصواب الخ .

(رأى اللجنة)

والذى نراه ان ما ذهب اليه فى تأويل هذه الآيات مخالف لما ثبت بالرواية والأثر خطأ من جهة الدراية والنظر - أما الأول فلانه خالف اجماع المفسرين فيما نعلم سوى صاحب المنار فى تفسيره و سنذكر نص عبارته بعد اتمام الرد على هذا الرأى .

وقد نقل ابن جرير الطبرى التفسير المشهور لهذه القصه باسانيده عن أرباب التأويل ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . وذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ان قصة البقرة أوردها آدم بن اياس فى تفسيره قال حدثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى (ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة) قال كان رجل من بنى اسرائيل غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق وأتى موسى فقال ان قريبى قتل وأتى الى أمر عظيم . وانى لا أجد أحدا يبين لى قاتله غيرك يانبى الله . فنادى موسى فى الناس من كان عنده علم من هذا فليبينه . فلم يكن عندهم علم فأوحى الله اليه قل لهم فليذبحوا بقرة فعجبوا وقالوا كيف نطلب معرفة من قتل هذا القتيل فنؤمر بذبح بقرة وكان ما قصه الله تعالى قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر يعنى لا هرمة ولا صغيرة عوان بين ذلك أى نصف بين البكر والهرمة قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها صفراء فاقع لونها أى صاف تسر الناظرين أى تعجبهم قالوا ادع لنا ربك يبين لنـــا ما هى الآية قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اى لم يذلها العمل تثير الأرض يعنى ليست بذلول فتثير الأرض ولا تسقى الحرث يقول ولا تعمل فى الحرث مسلمة أى من العيوب لاشية فيها أى لا بياض قالوا الآن جئت بالحق قال ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة اشتروا أى بقرة كانت لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد عليهم ولولا أنهم استثنوا فقالوا وانا ان شاء الله لمهتدون لما اهتدوا اليها أبدا فبلغنا أنهم لم =

به ليس لغيره من الناس ـ واذا لم تقبل دعواه في درهم مع قلة خطره فكيف يقبل قوله فى الدماء المعصومة وكيف تهدر بقوله وحده النفس التى لا تباح الا بحقها من كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق

قد يقولون . أنه لما كان احياؤه معجزة كان قوله فى الدماء مقبولا فانا نقول ان المعجزة انما كانت فى احيائه اذا كانت قد حصلت وكان عنها عود الحياة اليه . فلما حي كان قوله كسائر اقوال الناس كما نص على ذلك الامام ابو بكر ابن العربى ونقله عنه القرطبى فى أحكامه ـ وليس من المعقول

= يجدوها الا عند عجوز فاغلت عليهم فى الثمن فقال لهم موسى انتم شددتم على أنفسكم فاعطوها ما سألت فذبحوها وأخذوا عظما منها فضربوا القتيل فعاش فسمى لهم قاتله ثم مات مكانه فاخذ قاتله وهو قريبه الذى كان يريدان يرثه فقتله على اسوأ عمله .

ثم قال الحافظ ابن حجر وأخرج بن جرير هذه القصة مطولة من طريق العوفى عن ابن عباس ومن طريق السدى كذلك وأخرجها هو وابن أبى حاتم وعبد بن حميد باسناد صحيح عن محمد بن سيرين عن عبيدة بن عمرو السلمانى احد كبار التابعين . وأما الثانى وهو الخطا من جهة الدراية والنظر فمن وجوه :

الأول . انه على هذا الفهم لا يكون للمذكور من القصة الأولى فى القرآن الكريم معنى محصل اذ يتلخص معنى ما ذكر فى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال لقومه ان الله يامركم بذبح بقرة وبعد استغرابهم لهذا الأمر طلبوا منه أن يدعو ربه ليبين هذه البقرة المرة بعد المرة وبعد بيانها امتثلوا وذبحوها بعد جهد شديد :

هذا ملخص ما ذكر من القصة الأولى ولم يبين سبب الذبح ولا فائدته :

والاجابة عن ذلك بان الغرض أن يقص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم انموذجا من تعنت بنى اسرائيل فى ابطائهم عن امتثال أمر الله تعالى ومطاولتهم ومماطلتهم فى تنفيذ ما يامرهم به دون استيفاء القصة : لا تقنع لأن فائدة القصص أما الاعتبار وأما تقريع الخالف ولا شك ان اظهار التعنت انما يثير الاعتبار ويحصل به التقريع اذا كان فى أمر معقول يتضح منه أنه لا مبرر لهم فى هذا التعنت ولا وجه لهم فى التباطؤ فى الامتثال بخلاف اظهار تعنتهم فى أمر لم يظهر سببه ولم يتبين فائدته فانه لا يثير اعتبارا ولا يحصل به تقريع بل ربما ابدت الطبيعة البشرية لهم بعض العذر على هذا التباطؤ .

على انه لو ذكرت القصة بتمامها على مافهمه اخذا من التوراة لم يفهم السامع منها فى ذبح البقرة =

ولا المقبول فى الافهام أن يقبل قوله فى دعوى القتل وتباح بذلك اراقة الدم المعصوم . ثم اننا نرد دعواه فى الشىء الحقير التافه كالدرهم اذا ادعاه. فان الدماء يجب فيها الاحتياط إذا الحياة اذ اذهبت فلا عودة لها فى هـذه الدار بخلاف الدرهم فان خطبه يسير والحصول عليه بعد فوته غير عسير والانفس تسمح به بخلاف الحياة التى ليس لها عودة فى هذه الفانية

ثالثا — قد تقرر فى علم العربية أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور . فاذا طال الـكلام وكان مرجع الضمير بعيدا فالبلاغة تقضى بان يعاد الاسم مرة أخرى ليـكون أقرب مذكور ليتأتى عود

= سببا معقولا لاظهار براءة القاتل لاخارقا للعادة ولا معتادا اللهم الا ان يكون ذلك السبب هو ما اشتملت عليه من اليمين على تسليم انها اشتملت على يمين .

(ثم ما علاقة هذه اليمين بذبح البقرة وغسل الأيدى عليها . لانفهم لذلك علاقة سوى أنه يرجع لعبادة العجل وتعظيمهم له نعوذ بالله من ذلك)

« الوجه الثانى » انه لايظهر فى هذه القصة مايقنع بعدم وجود الهزء والسخرية الا مجرد صدور الطلب والقول من موسى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى من غير أن يظهر لهم فائدة هذا الأمر الغريب فى العـادة خصوصا بالنسبة لبنى اسرائيل الذين اشتهروا بالعناد والتعنت وعدم الانقياد مع ظهور الآيات الواضحات والمعجزات الباهرات .

« الوجه الثالث » اين مرجع الضمير على هذا الرأى فى قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها) فان قالوا يرجع إلى المتهم قلنا فاين موضع ذكره فى الآيات فان قالوا يفهم من قوله تعالى (قتلتم) قلنا كان الظاهر ان يقال اضربوا انفسكم فان قالوا يعلم من المقام قلنـا هذه قصة جديدة على هذا الرأى مقامها يبتدىء من قوله تعالى (واذ قتلتم) فلا بد أن يكون مأخذ مرجع الضمير هو قوله تعالى (واذ قتلتم) الآية ثم انه يؤخذ من القصة ان المتهم متعدد فكان الظاهر أن يقال اضربوهما أو اضربوهم ولايغنى عن هذا ارادة الجنس أى جنس المتهم اذا المعنى عليه اضربوا جنس المتهم المتحقق فى اشخاص عدة وهو تـكلف بل تعسف ولايقع نظيره فى الـكلام المعتاد فضلا عن فصيح الـكلام البالغ حد الاعجاز فى البـلاغة والفصاحة ـ ألاترى انه إذا قيل حكمت المحكمة بسجن المتهم مدة كذا أو باعدامه لايفهم جميع من يسمع ذلك إلا ان المتهم المحكوم عليه شخص واحد لا اشخاص عدة واذا كان الأمر كذلك لايجوز مخالفة جميع أئمة التفسير ومنهم صحابة اجلاء لمثل هذا التعسف من التـأويل :

ثم يقال على تسليم هذا النوع من التـأويل جدلا لم يبين فى الآية الـكريمة مايترتب على ضرب =

الضمير اليه بلا تشويش على القارىء أو السامع وتفاديا من تشتيت الضمائر

يقول المفسرون أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر له ابن واحد قتله ابن عمه طمعا فى ميراثه ثم جاء يطلب بدمه قوما اخرين . فانكر الآخرون قتله وترافع القوم الى موسى. فأمرهم أن يأتوه ببقرة ليذبحوها ليبين لهم المجرم من البرىء فقالوا له انك تهزأ بنا فاستعاذ بالله من أن يكون من الجاهلين الذين يهزأون بغيرهم . فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى ؟ فقال لهم أن الله يقول : انها بقرة بين الفتية والمسنة وانها عوان ثم طلب منهم أن يفعلوا ما أمرهم الله به ولكن بنى اسرائيل

= المتهم ببعض القتيل من حصول الاضطراب والرعدة ولم يبين فيها أيضا ان تلك الرعدة انما توجد من القاتل دون غيره وحينئذ يتميز عن باقى المتهمين : ومن الواضح جدا ان ذلك هو الأجدر بالبيان والأحق بالأرشاد اليه لأن فائدة الضرب هى الدقيقة التى عليها مدار هذه الطريقة فى استكشاف القاتل . فان قالوا ان المخاطبين يعلمونها قلنا لا يتصور أن يعلموها ويجهلوا ما يوصل اليها من الضرب أو عرض المتهم على القتيل - نعم لو كان مايترتب على الضرب هو اقرار المتهم بالجريمة لايحتاج الأمر إلى البيان . وفوق هذا فقد دلت الآثار الصحيحة التى نقلنا بعضها سابقا عن أئمة المسلمين من الصحابة وغيرهم على خلاف هذا التاويل فمن أين جاء له هذا الرأى الذى لم يساعده الأسلوب ولم يؤيده المنقول بل ينافيه وتمجه العقول .

« الوجه الرابع » قوله تعالى (كذلك يحيى الله الموتى) على نحو قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) يحتاج إلى التجوز فى قوله تعالى (يحيى) بان يراد يديم الحياة وفى قوله تعالى (الموتى) بان يراد من هم فى معرض أن يموتوا لولا هذا الضرب من استكشاف القاتل الحقيقى . وهذا التجوز بعيد من وجهين : الأول لم يعهد فى القرآن الكريم على ما نعلم التجوز بلفظ الموتى عن هذا المعنى وان عهد التجوز بلفظ الحياة . الثانى عدم وجود قرائن لهذه المجازات بخلاف قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) فان القرينة واضحة .

فان قالوا صح مافهمناه من الآيات كانت القرائن واضحة على هذا التجوز مأخوذة من المقام إذ لا يوجد ميت حقيقى احياه الله حتى تحمل هذه الألفاظ على الحقيقة قلنا هذا الفهم فى معرض النزاع فلا يقبل دليلا .

وعلى تسليم ان هنا قرائن تؤخذ من المقام بناء على هذا الفهم فهل عهد فى اللغة العربية التعبير بمثل هذه العبارة فى مثل هذا المقام : وبعد ذلك يقف الذهن فى قوله تعالى (كذلك) =

قوم جبلوا على عدم امتثال أمر الله وعدم المسارعة إلى اوامره بل اعتادوا المماطلة والمطاولة . فبحكم عادتهم لم يمتثلوا فسألوه عن لونها فبين لهم أن الله يقول : انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها لحسنها . فلم يشاءوا الامتثال . وقالوا له ان البقر تشابه علينا فبين لهم البقرة بانها غير مذللة بالعمل وانها سليمة الأعضاء وان لونها واحد لاشية فيه تخالف لون جسمها . فطلبوا تلك البقرة فذبحوها وبعد الذبح جاء موسى بلسانها وضرب به القتيل فحيي وأخبر بقاتله بقدرة الله تعالى . ومع ظهور ذلك كله لبنى اسرائيل . فان قلوبهم بقيت على قساوتها كأنها الحجارة أو أشد قسوة منها ولم تؤثر تلك العجيبة فى قلوبهم لينا

= فانا ان أرجعنا اسم الاشارة إلى ماوقع من بنى اسرائيل وتكون تلك الحادثة هى المشبه بها والمشبه غيرها من الحوادث أمثالها توقفت صحة هذا الكلام على أن تلك الحادثة تبرأ فيها اناس أدام الله حياتهم بعد ان كانوا فى مظنة أن يموتوا - اما اذا فرضنا أن جميع المتهمين فى تلك الحادثة حصلت لهم رعدة واضطراب فثبت انهم قاتلون فلا مرجع لاسم الاشارة ولا يقال ان الحياة وقعت لغير المتهمين بالاعتبار على هذا الاحتمال فلا يقدمون على القتل لأنه وان ساغ اطلاق الحياة عليهم بهذا المعنى لا يسوغ اطلاق الموت عليهم لأنهم ليسوا بعرض أن يموتوا .

وعلى تسليم الاطلاق يكون المقصود من هذه الجملة هو براءة المتهم غير القاتل دون اظهار القاتل الحقيقى المقصود من القصة . واين هذه التعسفات من المعنى المشهور للاية (كذلك) أى كهذا الاحياء العجيب وهو احياء القتيل بضربه ببعض البقرة ليخبر عن قاتله يحيي الله الموتى يوم القيامة بالبعث فيكون اثباتا للبعث الذى كثر منكروه بالمشاهدة لمن حضر تلك الحادثة .

ثم أنه لم يتعرض لتفسير قوله تعالى (ويريكم اياته لعلكم تعقلون) على هذا الرأى والمعروف فى تفسير الآيات فى مثل هذا الموضع انها الدلائل الدالة على عظم قدرته تعالى وذلك انما يكون فى خلق الأمور العجيبة الخارقة للعادة والتى ليست من مقدور البشر كاحياء الموتى فهل ارشادهم إلى هذه الطريقة التى تفطن لها مدرس الجنائى وملاحظ بوليس العياط تعتبر من الآيات التى أراهم الله اياها ؟

« الوجه الخامس » هل الاضطراب الذى يحصل للمتهم بالقتل إذا عرض على القتيل أو ضرب ببعضه يجب به قصاص فى الشريعة الموسوية أو فى الشريعة الأسلامية أو بحسب القوانين الوضعية حتى يترتب عليها احياء الله الموتى : لايستطيع أحد أن يدعى ذلك فى الشريعة الموسوية وهو قد صرح بان هذا الضرب لم يعرف عند أهل الكتاب فانه مما ذكروا به ونسوه ولا يستطيع أحد أن =

اقرءوا هذه الآيات

سورة البقرة — وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ٦٧ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ٦٨ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ

= يدعى ذلك في الشريعة الاسلامية فان مثل هذا لا يعتبر من موجبات القصاص فى الشريعة الاسلامية ولا نظن مثل ذلك يعتبر لوثا أى قرينة يسوغ بمقتضاها دعوى الدم فيكلف المدعى يمين القسامة المعروفة فى علم الفقه: وكيف يعتبر لوثا مع ان هذه الرعدة والاضطراب قد تحصل للبرىء بمجرد اتهامه بالقتل لأنه لم يتعود العرض على الحكام أو لأنه شريف كبير فى قومه أو لأنه ضعيف القلب أو غير ذلك من الأسباب. وهى لا تحصل للقاتل غالبا. وقد لا تحصل للقاتل الذى اعتاد الاجرام. ومن ينظر لحالة الطبيب فى مبدأ تعلمه لفن التشريح وبعد كثرة التدريب فى الجراحات لا يشك فى تغير احوال الانسان اضطرابا وعدمه عند رؤيته لمثل هذه المؤثرات أما القوانين الوضعية فانا وان لم نطلع عليها نستبيح لأنفسنا القول بانه لا يمكن للقضاة بمقتضى هذه القوانين أن يحكموا لمجرد اضطراب أو رعدة باعدام المتهم أو بسجنه مدة تناسب جريمة القتل وحادثة طنوب التى ذكرها اقر فيها اثنان من المتهمين كما هو صريح الجواب الذى ذكره فضيلة المؤلف.

فهذه خمسة اوجه تدل على خطأ هذا الرأى من الوجهة العلمية: وهناك وجه سادس لا نبديه لمثل فضيلة الأستاذ مؤلف هذا الكتاب لأنا نعتقد أنه ذو دين وعقيدة صحيحة وانما نبديه لمن كانت عادته تاويل مثل هذه الآية من الآيات الدالة على معجزات الرسل حتى يخرجها عن كونها خارقة للعادة ويطبقها على النواميس الطبيعية.

ذلك أنه يوجد فى هذا الزمن نوع من الالحاد خفى المآل هو تاويل كل آية أو حديث صحيح يدل على معجزة رسول من الرسل حتى يكون مفادها امرا غير خارق للعادة. وهذا النوع اخطر أنواع الالحاد لأنه سبيل إلى انكار الأديان السماوية والى هدمها من أساسها. لأن اساس اثباتها المعجزات التى اجراها الله تعالى على ايدى الرسل عليهم الصلاة والسلام وأما ما استند اليه فى هذا الرأى من الوجهين السابقين فلا يصح أن يكون متكأ لمخالفة سائر المفسرين. أما الوجهة الأولى وهو تصدير الموضعين بقوله تعالى واذ. فلا يدل على انهما قصتان منفصلتان سببا وحكما اذ يمكن أن يقال أنها =

أَنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ٦٩ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ٧١ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٧٢ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

= قصة واحدة كما وردت بذلك الآثار وكما هو المعقول والله سبحانه وتعالى حكى هذه القصة بطريقة بديعة غريبة إذا سمع الأنسان مبدأها يبقى متشوقا إلى منتهاها بسبب قلب نسقها وتغيير ترتيبها فى الحكاية. وهذا القلب الذى يثير الشوق فى الأنفس يستدعى أن يبدأ كل طرف منها بقوله تعالى (وإذ) كأنه قصة قائمة بنفسها وقد ذكر المفسرون حكما لتغيير الترتيب فى هذه القصة منها تكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله ﷺ والافتيات على أمره وترك المسارعة إلى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها. ولو حكيت على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يختص بها من التوبيخ وأما الوجه الثانى فلا يحتاج إلى الرد - إذ لم يثبت أن ما ذكره قاعدة منضبطة مطردة يصح التعويل عليها فى تمييز القاتل من غيره لا فى الشرائع السماوية ولا فى القوانين الوضعية: والله اعلم - هذا ما يتعلق بكلام مؤلف هذا الكتاب فى تفسير هذه الآيات وقد رأينا أن ننقل عبارة سلفة فى هذا الرأى أى فى مخالفة المفسرين وان كان بينهما فرق كما سنذكر وهو السيد رشيد رضا فى تفسير المنار قال ما نصه صفحة ٣٥٠ من الجزء الأول. واما قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى) فهو بيان لأخراج ما يكتمون - ويروون فى هذا الضرب روايات كثيرة قيل أن المراد اضربوا المقتول بلسانها وقيل بذنبها ..: وقالوا انهم ضربوه فعادت اليه الحياة وقال قتلنى أخى أو ابن أخى فلان الخ ما قالوه والآية ليست نصا فى مجمله فكيف بتفصيله؟ والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل فى الدماء عند التنازع فى القاتل اذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجانى من غيره فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك فى الشريعة برىء من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية

ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف فى قتل تلك النفس أى يحييها بمثل هذه الأحكام وهذا الأحياء على حد قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) فالاحياء هنا معناه الإستبقاء على الحياة اهـ المقصود نقله =

تَعْقِلُونَ ٧٣ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ . وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٧٤

ويكون نظم القران فى هذه القصة هكذا . قتل بين بنى اسرائيل قتيل فتدافعوا فيه يدفع كل

= و مراده بماقدمه هو عبارة التوراة التى لخصها مؤلف هذا الكتاب وحمل القصة الأولى فى نظره عليها ثم الظاهر من عبارة السيد رشيد انه فهم ان القصة واحدة وان قوله تعالى. فقلنا اضربوه ببعضها اشارة إلى الوسيلة التى كانت عندهم للفصل فى الدماء ورأى مؤلف الكتاب قد يكون أقرب وان كان كل منهما بعيدا جدا عما تدل عليه الآيات القرآنية بل باطلا وقد سبق فى الأوجه التى ابديناها مايكفى لابطال مثل هذه الآراء والله اعلم .

رد المؤلف على نقد اللجنة

فى قصة بقرة بنى اسرائيل

ابتدأ أصحاب الفضيلة رأيهم قائلين - (والذى نراه ان ما ذهب اليه مخالف لما ثبت بالرواية والأثر) - كلام فخم ضخم رنان يوهم انى خالفت نصا قطعى الثبوت والدلالة واردا فى الكتاب الكريم أوخبرا متواترا عن المعصوم ﷺ صريحا فى بابه - ولكن القراء اذا تحروا تلك الروايات وتلك الآثار وجدوها اسرائيليات لأكثر ولا أقل . لاعيب على مخالفها ولا اثم على مزيفها - هذا وانى أقول لما وصلت فى كتابى الى قصة بقرة بنى اسرائيل نصصت بايجاز ما قاله المفسرون القدم والحديثون من أن المسألتين قصة واحدة فيها تقديم وتأخير وان الضمير فى (ببعضها) يعود على البقرة . وان القتيل حى وأخبر بقاتله على النحو الذى نقله حضرات أعضاء اللجنة. ولم أزيف هذا الرأى ولم أنقضه وإنما عن لى أن أفهم الأمر على أنهما قصتان لا قصة. ونصصت ما نقلته اللجنة عارضا إياه على أنظار العلماء ليوافونى برأيهم حتى أثبت لكل انسان رأيه عند إعادة طبع الكتاب مقدرا انه وجه مما تحتمله الآية . وأنه ليس يناقض الوجه الأول ولا بمزيف له(وان كنت أعتقد أن رأيى خير منه) وكنت أنتظر من اللجنة أن توافينى برأيها خالصا دون تأفف أو تذمر ودون رمى بمنديات كما فعلت . وهى تعلم انى مستعد لقبول الرأى والانصياع له اذا رأيته قاطعا. والعدول عن رأيى =

تهمة القتل عن نفسه . فلما ترافعوا الى موسى . أمرهم بذبح البقرة . وبعد المرادة بينه وبينهم وبين الله ذبحوها بعد جهد شديد - يقولون فامرنا موسى أن يضرب به ببعضها فحيى القتيل وأخبر بقاتله . وكذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم انكم توليتم بعد ذلك وقست قلوبكم. فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين

اذا تأمل الانسان فى هذه الحادثة وجدها - اذا كانت قد وقعت كما يقولون - قد اشتملت على معجزة غريبة عجيبة صنعها الله لموسى وقد صنع الله له من الآيات فى تأييده ماهو أبدع منها

= متى علمت بطلانه من كل وجه ولكنها عمدت الى التشهير بى قائلة (انه خالف إجماع المفسرين فيما نعلم سوى صاحب المنار) كأن ذلك الذى تقوله يخيفنى . أو كأنى لم أجهر به من أول الأمر .

وطريف لدى جدا قول اللجنة (وقد نقل ابن جرير الطبرى التفسير المشهور لهذه القصة بأسانيده عن أرباب التأويل ومنهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس) والظاهر انهم كانوا فى احتياج الى هذه التعويذة أو الرقية حتى اذا سمعتها لا يكون منى سوى الاستخذاء والتسليم بأن الوجه الذى أوردته أنا باطل فاسد وكأن هذا الرأى الذى نصه ابن عباس نص قطعى الثبوت والدلالة - وليت شعرى ماذا يقولون فى كبار المفسرين الذين خالفوا ابن عباس فى كثير من آرائه فى التفسير ؟

هبوا انى سمعته من ابن عباس نفسه أليس من حق العلم علىّ أن أسأله عمن أخذ هذا القول أمن رسول الله ﷺ أم سمعه من مسلمة أهل الكتاب أو رأى رآه من نفسه .

يا قوم إنى لا أنكر القول الذى نصه القوم عن ابن عباس ولكنى أنكر أن يكون قاطعا فى الموضوع لا يمكن معه أن يتطرق احتمال آخر - ولا أنكر وجود الخوارق على يد موسى فقد أوجد الله على يده ما هو أبلغ وأعظم ولقد أتعبتم أنفسكم فى نقل ذلك النص فلستم بقائلين شيئا من هذا الا وقد رأيته وليس الفرق بينى وبينكم الا أنكم تقولون ان الآيتين لا تفهمان الا على مقتضاه - وبذلك تجعلونه قطعى الثبوت والدلالة . وأنا أقول بامكان فهمها على وجه آخر وانه ليس قطعى الثبوت والدلالة كما يوهمه ، كلامكم .

وقد ذهب على اللجنة الموقرة أن تبين لنا الفائدة المترتبة على حياة الميت بضربه بجزء من البقرة والاخبار باسم قاتله بعد حياته

قد يقولون اننا ذكرنا ذلك بقولنا (فأخذ قاتله وهو قريبه الذى كان يريد أن يرثه فقتله على أسوأ عمله) فانى أقول ان هذا على خلاف شرعهم لأنه لا يحكم عندهم على أحد الا بشهادة شاهدين =

وأعجب . ويجد مع ذلك أنهـا قد حلت مشكلة من مشاكل بنى اسرائيل حلا وقتيا فقط . ففائدتها قاصرة وخير منها أن يأتيهم بعجيبة تحل مشاكلهم أبدا على الدوام

ظاهر الكتاب يقتضى ان سنة الله فى إحياء الموتى دائما ان يأتى ببقرة تذبح ويضرب من يريد إحياءه ببعض البقرة فيحيا ذلك الميت وليس مرادا

أرأيتم لو قتل قتيل اليوم أو قبل اليوم من بنى اسرائيل أو من سواهم من البشر وذبحنا أو ذبحوا بقرة على هـذا الوصف المذكورة فى السورة أو الف بقرة وضرب ببعضها هل يحيا ؟ كلا ففائدة هذه الحادثة جزئية لاتحل مشاكلهم على فرض وقوعها

أما ما جاء فى التوراة متعلقـا بامر ذبح البقرة فيلخص فى أن بنى اسرائيل فرض عليهم أنه اذا

= أو ثلاثة تثنية ص ١٩ : ١٥ لا يقوم واحد على انسان فى ذنب ما أو خطيئة ما من جميع الخطايا التى يخطىء بها . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر

وأقول أيضـــا ما يقوله جمهور العلماء من أن قول المقتول دمى عند فلان أو فلان قتلنى خبر يحتمل الصدق والكذب ولا خلاف فى أن دم المدعى عليه معصوم ممنوعة إباحتـه الا بيقين ولا يقين مع الاحتمال . قد يقولون ـ ان قتيل بنى اسرائيل كان امره معجزة وأخبر تعالى انه يحييـه وذلك يتضمن الاخبـار بقاتله خـبرا جزما لا يدخله احتمال فافترقا ـ أقول كما قال ابن العربى : المعجزة إنما كانت فى إحيائه فلما صار حيا كان كلامـه ككلام الناس كلهم فى القبول والرد . اه ٣٨٨ الأحكام للقرطبى

ولا توجد شريعة تأخـذ المتهم بقول المجنى عليه وحده . ولو ان قتيل بنى اسرائيل الذى عاش بعد قتله كما يقولون ادعى على رجل درهما . ما قبل قوله فيه ولا حكم لورثته به بسبب شهادته وحده فكيف يقبل قوله فى الدماء المعصومة المحترمة وهى لا تحل الا بيقين لا يتطرق اليه شك .

وبعد هذا كله فان قولهم (وأخبر تعالى انه يحييه) الى آخره أمر زائد عما يستـفاد من القرآن الكريم وليس عليه نص فى القرآن

أقر وأعترف وأنا فى حال طواعيتى واختيارى وصحتى بدنا وعقلا وجواز الاشهاد على شرعا ونفاذ تصرفاتى فى الوجوه كلها بدون إجبار ولا إكراه ان الوجه الذى أوردته فى تفسير مسألة بقرة بنى اسرائيل مخالف لما جرى عليه المفسرون جميعا من أقدم العصور الى الآن . فهل أنا فى ذلك آثم

عابت على اللجنة انى فهمت فى القرآن الكريم فهما لم يفهمه المفسرون من قبل وأتيت بوجه لم يأت به أحد . وعد أعضاؤها ذلك منى خطأ وأوجبوا على ان أفهم كما فهم المفسرون من قبل . والذى =

قتل قتيل فى الحقل يؤتى بأهل أقرب البلاد من موضع القتيل ويأتون بعجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير ويأتى شيوخ القرية بها إلى واد دائم السيـــلان لم يحرث فيه ولم يزرع . ويكسرون عنق العجلة فى الوادى ثم يتقدم الكهنة بنو لاوى ويباركون الله ويغسل جميع الشيوخ الذين من القرية القريبة من القتيل أيديهم على العجلة . ويصرخون قائلين (أيدينا لم تسفك هذا الدم . وأعيننا لم تبصر اغفر لشعبك اسرائيل الذى فديت يارب ولا تجعل دم برىء فى وسط شعبك

= أجيب حضراتهم به ان ما أوجبوه علىّ لم يوجبه الله تعالى ولا رسوله وأقول لحضراتهم أيضا ان الله تعالى قد أكمل دين الاسلام من قبل وأتم نعمته على أهله ورضيه لهم دينا قبل اثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف سنة ولم ينزل الله تعالى قرآنا يتعبد الناس فيه بآراء فريق من عباده وقد انقطع التشريع بوفاة رسول الله ﷺ فأنى لهم هذا التشريع الذى لا يعرفه الاسلام ؟ ان القرآن أنزله الله تعالى على رسوله ليتدبر الناس آياته ويفقهوا عظاته بما منحهم من عقول وقرائح .

(١) - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (سورة القتال)

(٢) - أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً (سورة النساء)

(٣) - كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب (سورة ص)

(٤) - أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين (سورة المؤمنون)

ان الله تعالى انما خاطب الناس بما منحهم من العقول وعلى مقتضى عقولهم وما أدركوه من الايمان والدين يحاسبهم فيثيبهم أو يعاقبهم على ما اجترحوا من طاعة أو معصية ولا يسألهم . عما عقله غيرهم أو فهمه سواهم أو أدركه أحد من عباده الآخرين - بل هم مسئولون عن سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

هل يجب فى عرفهم ان يكون للناس قلوب لا يفقهون بها وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها وأن يكونوا أضل من الأنعام لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلا ؟

فاذا كان الله تعالى قد منحنى عقلا وفكرا وذكاء وقريحة . أليس من الكفران لنعمته والجحد لمنته ان أطرح كل أولئك النعم خلفى ظهريا - وأعطلهن كافة وأحسب نفسى كمن رمى بالشلل فيهن جميعا . فلا أعقل الا بعقل غيرى ولا أفكر الا بفكره ولا أتدبر كتاب الله الا بتدبره وان لا أجد ولا أحس الا بوجدانه وحسه ؟

وهل يغنى أحد عنى من الله شيئا اذا سألنى عن تلك النعم لم عطلتها ولم أستعملها فيما خلقت لأجله؟ وهل ينجينى من عقابه ان أقول له انى عطلت نعمك ولم أستعمل منها شيئا وأهملتها إهمالا تاما =

اسرائيل فيغفر لهم هذا الدم اه)[1]

فالناظر الى التوراة يرى أنها جعلت الأمر شريعة معدة لأن تتبع فى النوازل والوقائع التى تقع لبنى اسرائيل

على ان ذلك لا ينافى ان حادثة وقعت عمل فيها موسى ما قصه القرآن ثم كتب الله عليهم ان يكون ذلك شريعة تتبع فى الحوادث المستقبلة المماثلة لها

وهذا الذى حدث عند بنى اسرائيل يشبه فى الجملة ما يحدث عند الاعراب فى البلاد المصرية .

= لأنك أعطيت بعض عبادك عقلا وفكرا وذكاء وقرائح

ان هذا التشريع الجديد الذى جاء به حضرات أعضاء اللجنة بعد هجرة رسول الله ﷺ باثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف سنة بعقل العقول وغل الأفهام عن فهم كتاب الله تعالى . تشريع لم يعرفه الاسلام - وهؤلاء المفسرون الأولون كان كل منهم يفسر القرآن الكريم بما وصل اليه ادراكه لا بما أدركه سواه ممن حوله من المفسرين =

---

(1) وهذا نصها من أول الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التثنية

(١) اذا وجد قتيل فى الارض التى يعطيك الرب الهك لتمتلكها واقعا فى الحقل لا يعلم من قتله

(٢) يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون الى المدن التى حول القتيل

(٣) فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بنير

(٤) وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة الى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة فى الوادى

(٥) ثم يتقدم الكهنة بنو لاوى لأنه اياهم اختار الرب الهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة

(٦) ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل ايديهم على العجلة المكسورة العنق فى الوادى

(٧) ويصرخون ويقولون ايدينا لم تسفك هذا الدم واعيننا لم تبصر

(٨) اغفر لشعبك اسرائيل الذى فديت يارب ولا تجعل دم برىء فى وسط شعبك اسرائيل . فيغفر لهم الدم اه

فان الاعراب اذا قتل عندهم قتيل لا يعلمون قاتله واتجهت التهمة الى قوم آخرين ارسلوا اليهم رسولا يقول لهم . ان دمنا عند كم فاذبحوا لنا ذبيحة . فاذا فعلوا جاء اولياء الدم . واقسم المتهمون يمين القسامة انهم لم يقتلوا ذلك القتيل ولا يعلمون قاتله . ثم يسوى لهم لحم الذبيحة فيأكلون ويأمن بعضهم بعضا وتثبت براءتهم من القتيل . ويقولون الدم يمسح العيب

ولى فى هذه الحادثة نظر اخر سوى ما ذهب اليه المفسرون

هو — اننا اذا نظرنا الى القصص التى قصها الله فى هذه السورة قبل هذه القصة - وكلها متعلقة

= هذا ابن جرير الطبرى قد أورد فى شأن صهر موسى أربعة أقوال عن أئمة المفسرين ثم اختط لنفسه طريقا آخر ولم يعول على قول منها بل قال (المسألة تحتاج الى خبر تجب حجته ولا خبر فى المسألة . فلا قول أحق بالصواب من قول الله عز وجل « يريد به . وأبونا شيخ كبير »

ان الاسلام هو الدين الذى أطلق العقول من عقلها وفك أغلال الفكر البشرى وأزال عنه القيود التى كان مكبلا بها ونفى عن الأمم ما كانوا فيه من اسر التقليد للآباء والسابقين من الأجداد وأعلن ان اتباع الآباء والأجداد بغير سلطان أتاهم حجة داحضة - وان جماله وجلاله وروعته لتتجلى لاعين من لا يدينون به فى انه الدين الذى كتبت له الصيانة من عبث العابثين لأنه ليس فيه كهنوت ولأنه بعيد عن الاكليروس قال (شارل جنيبير) مدرس مقارنة الأديان فى السربون : ومؤلف كتاب (تطور الديانات) « ان كل دين من الأديان يحمل فى طيـــاته عوامل تطوره وتحوله والدين الوحيد الذى نجا من هذا التطور انما هو دين الاسلام . والسر فى ذلك أنه ليس فيه اكليروس » اه بالمعنى

ولكن هذه الطريقة الجديدة التى يريدنى حضرات السادة الأفاضل أعضاء اللجنة على اتباعها ترمى إلى ادخال الاسلام فى طور كهنوتى على مثله قامت محكمة التفتيش البابوية فى القرون الوسطى فى اوروبا فقد كانت الكنيسة تهيمن على عقائد الناس وعلى خطرات انفسهم وهواجس افكارهم فكل انسان محرم عليه أن يقرأ الأنجيل الا باذن خاص من الكنيسة ومحرم على كل فرد ان ينطق لسانه أو يهجس فى خاطره تفسير للانجيل بغير مافسرته به الكنيسة . فاذا نطق لسانه أو مر بخاطره تفسير لم تأمر به الكنيسة لم يكن له جزاء الا التعذيب الشديد يذوق ألوانه ثم الاعدام بعد رض عظامه فى جسده بالمعاصير ثم الاحراق بالنار حيا آخر الأمر . وفى جميع ادوار العذاب يقف الآباء الرحماء رجال الدين والقساقسة يرتلون عليه الآيات ويسألون الله الرحمة لهذا المعذب . فهم يسألون له رحمة لاتجد قلوبهم مسها فى أنفسهم =

بنى اسرائيل وجدنا كل قصة مستقلة عما قبلها وما بعدها مبدوءة بقوله تعالى (واذ)

اقرءوا - واذ انجيناكم من ال فرعون - واذا فرقنا بكم البحرفأنجيناكم - واذ واعدنا موسى اربعين ليلة - واذ اتينا موسى الكتاب - واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسكم - واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة - واذ قلنا ادخلوا هذه القرية - واذ استقى موسى لقومه - واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد - واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور - واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة - واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها .

= ان حرمان العقول والافهام من التغذى بمعانى القرآن وقضاء لبانتها من جماله وجلاله وبهائه وقسر العقول على أن ترفض ماعقلت . وان تقبل من المعانى ماعقله الغير وفهمه . لايليق بالاسلام وانما يليق بالكهنوت الذى جاء الاسلام بحل النفوس من اسره وارسل الله لذلك محمدا ﷺ وهو النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون

قال حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة فى تقريرهم (دليلا على خطأى) ان نص التوراة لم يشمل على يمين فلا ندرى أين أخذ هذه اليمين التى ذكرها وشبهها بيمين القسامة فى الشريعة الاسلامية ؟. اللهم إلا أن يقال . ان صراخهم قائلين « ايدينا لم تسفك هذا الدم » الخ يعتبر يمينا عندهم وهو بعيد جدا . ولعله أخذها من وضع أيديهم فى الدم ويعتبر ذلك يمينا » اه

أقول انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا . وهذا أمر اصطلاحى يرجع فيه إلى أهل الذكر «فاسالوا أهل الذكر ان كنتم لاتعمون بالبينات والزبر »

ولكى ازيد حضراتهم بيانا اقول انكم لم تروا اسم الله محلوفا به عندهم فارتبتم فى كون ذلك القول منهم يمينا . ولكن اذا علمتم أن اليهودى لاينطق لسانه باسم الله تعالى وهو عندهم (يهووا) علمتم السر فى عدم ذكر اسم الله فى القسم . ذلك انه جاء عندهم فيما يسمونه التوراة ٢٠ : ٧١ خروج - لاتنطق باسم الرب الهك باطلا . لأنه لايبرىء من نطق باسمه باطلا .

فهذه العبارة جعلتهم يتحرجون من ذكر اسم الله مطلقا فى باطل أو حق وهم إلى اليوم حتى فى اثناء قراء التوراة اذا عرض لهم اسمه اثناء القراءة يبدلونه باسم آخر يدل على الله تعالى وليس اسما له فاذا جاء فى التوراة مثلا (ويؤمر يهوو الأبرام) فان اليهودى يقرأ هكذا (ويؤمر ه شم لأبرام) وه شم معناها الاسم أويقرأ هكذا (ويؤمر الوهيم لأبرام) أو (يؤمر أدوناى) وهذا هو =

فهذا النسق المطرد الذى لم يتخلف يجعل مسألة قتل النفس والتدارؤ فيها مسألة مستقلة بنفسها غير مرتبطة بما قبلها ولا مدمجة فيها

وقد حاك فى نفسى أن هاتين القصتين تفهمان على ضرب اخر من الفهم وقد قوى عند ذلك كل القوة .

وها أنا أعرضه على حضرات القراء راجيا أن يعيره حضرات العلماء اهتماما وأن يوافونى بما يرونه الصواب بعد قتل المسألة بحثا حتى اذا ظهر لى الحق عدت الى مارسموا ضاربا بقولى عرض الحائط

= السبب فى خلو القسم عندهم عن ذكر اسم الله

إذا عرف حضراتهم هذا فقد استبان اعتبار قولهم صارخين ايدينا لم تسفك الخ قسما

قال أصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة فى الوجه الأول (من وجوه الخطأ من جهة الدراية) أنه على هذا الفهم لايكون للمذكور من القصة الأولى فى القرآن الكريم معنى محصل الخ

والذى أقوله لحضراتهم — ان المعنى ظاهر واضح الأثر اذا قرأتم بعد تلك القصة قوله تعالى (افتطمعون أن يؤمنوا لكم) أى أن الله تعالى يقطع طماعية المسلمين فى ايمان اليهود ببيان عنادهم وابطائهم عن اجابة أمر الله تعالى بعد تبليغه لموسى وتبليغ موسى اياهم بل صاروا يتلمسون العلل للتسويف والابطاء وهؤلاء ابناؤهم الذين طبعوا على غرارهم وصبوا فى قالبهم والاصول عليها ينبت الشجر والعصا من العصية والحية لاتلد الا حية . فهم أشبه بهم من الغراب بالغراب . فالعظة بذلك تحصل للمؤمنين وتبين لهم السبب فى وقوفهم عن الايمان وتقطع طماعيتهم فى أن يؤمنوا . وهى مع ذلك تقرعهم وتظهر صلابة اعناقهم .

وليس من الضرورى فى وجوب طاعة الله ورسوله أن يظهر السبب للمأمور حتى يمتثل . بل كون الأمر صادرا من الله مبلغا بلسان الرسول الكريم الذى لاينطق عن الهوى كاف . فليس من حق كل من أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة أن يخالف عن أمر رسول الله محمد ﷺ إذا بلغه أمر الله اياه بذبح بعيره أو ناقته لو انه عاصره (وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) .

وبذلك ادفع قولهم « والاجابة عن ذلك بان الغرض... إلى قولهم بل ربما ابدت الطبيعة البشرية لهم بعض العذر على هذا التباطؤ »

قالوا « على أنه لو ذكرت القصة بتمامها على مافهمه اخذا من التوراة لم يفهم السامع منها فى البقرة سببا معقولا لاظهار براءة القاتل لاخارقا للعادة ولامعتادا » =

فلست بالمتعنت ولا بالمفتون بقولى أو رأيى ولا ممن تنزهوا عن الخطأ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

ذلك أن القصة التى أمر فيها موسى قومه بذبح البقرة لم يكن الغرض منها الاتيان بكل ما اشتملت عليه واندرج فيها من الحالات والأحكام بل الغرض أن يقص الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم نموذجا مما بلغ اليه تعنت بنى اسرائيل فى ابطائهم عن امتثال أمر الله ومطاولاتهم ومماطلتهم فى تنفيذ ما يأمرهم به . دون استيفاء القصة استيفاء كاملا يشتمل على بيان الحكمة الباعثة على امرهم بذبح البقرة بل هو يقص علينا نمطا من تعنتهم وصلابة اعناقهم

= أقول ليعلم أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة انى لم ادع ان موسى عليه السلام أمر قومه بذبح البقرة ليأتيهم فى هذا الشأن بامر خارق للعادة وهم لم يطلبوا منه ذلك . وليس من الضرورى أن تكون امورا لنبى من الأنبياء كلها خارقة للعادة فلا يأكل إلا باعجوبة ولا يشرب الا باعجوبة ولا ينام الا باعجوبة ولا يصحو الا بمعجزة ولا يمشى الا بمعجزة ولا يتكلم الا بمعجزة ولا يقعد الا بمعجزة — « بل قلت ان موسى أتى برجال أقرب محلة من مكان القتيل واحلفهم عليها بعد ذبحها » الخ

وبنحو الذى قلت قال صاحب تفسير المنار ونص عبارته «والظاهر مما قدمنا ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل فى الدماء عند التنازع فى القاتل إذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجانى من غيره فمن غسل يده وفعل مارسم فى الشريعة برىء من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية . وأما قول حضراتهم «ولا معتادا» فاذا كانوا يريدون ان ذلك الأمر ليس معتادا عندنا فالامر ظاهر . واما اذا كانوا يريدون أنه ليس معتادا عند اليهود . فقد علموا انهم ليس لهم أن يحكموا هذا الحكم على قوم لم يدرسوا كل شريعتهم ولا عاداتهم :

ان ذلك الذى ذكرتموه من أنها قصة واحدة وان القتيل حى واخبر بقاتله لايتم لكم إلا إذا كانت الآية القرآنية صريحة فى أن الله قال لهم اضربوا النفس التى قتلتموها ببعض البقرة التى ذبحتموها فيحيا القتيل ويخبركم بقاتله فضربوه ببعضها فحيي واخبرهم بقاتله .

اما وهذه الأمور لم تبين فى الكتاب الكريم فليس لديكم نص قرآنى صريح على أن ماذهبتم اليه وذهب اليه المفسرون هو الوجه الذى لامحيد عنه

يقول أصحاب الفضيلة (ثم ماعلاقة هذه اليمين بذبح البقرة وغسل الأيدى عليها)

والذى أقوله لحضراتهم أن اليهود فى تشريعهم تقديم القرابين فى كثير من الأشياء التى يعملونها. فالمرأة إذا طهرت من الحيض تقدم قربانا وإذا طهرت من نفاسها تقرب قربانا وإذا أخطأ الرجل =

واما القصة الأخرى المبينة فى قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) فانه تعالى يقص علينا فيها لونا من افضاله على بنى اسرائيل وحل مشكلاتهم بطريقة لم تخطر لهم ولا لبشر ببال . وظلت هذه الحكمة العالية المشتملة عليها تلك الطريقة غامضة على بنى اسرائيل وعلى جميع البشر الاجيال الطوال

والذى فهمته من القصة الأولى أن بنى اسرائيل قد وقعت عندهم واقعة قد حاروا فيها . وهى ان شخصا قد قتل فى الحقل . وهم لا يدرون من الذى قتله والحقل واقع بين بلاد كثيرة فاى البلاد تلصق باهله تهمة القتل ؟ رفعوا امرهم الى موسى فما كان جوابه الا ان قال لهم (ان الله

= خطيئة قدم قربانا . وإذا ولدت ابقاره قدم ابكار اولادها قربانا . ويقدم باكورة حنطته وزيته وخمره – من هذا كله نجد طقوسهم الدينية حافلة بوجوب تقديم القرابين والمحرقات . فكان الحلف للبراءة من جريمة سفك الدماء مما يقدم بين يديه قربان – وهذا أمر مفهوم فى دين تقوم طقوسه على القرابين بدون معرفة علة لذلك أو سبب .

جاء فى ص ١٤ لاويين مانصه :

(١) وكلم الرب موسى قائلا (٢) هذه تكون شريعة الابرص يوم طهره يؤتى به إلى الكاهن (٣) ويخرج الكاهن إلى خارج المحلة فان رأى الكاهن واذا ضربة البرص قد برئت من الابرص (٤) يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيـــان طاهران وخشب ارز وقرمز وزوفا ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد فى اناء خزف على ماء حى (٥) أما العصفور الحى فياخذه مع خشب الأرز والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحى فى دم العصفور المذبوح على الماء الحى (٦) وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحى على وجه الصحراء (٧) فيغسل المتطهر ثيابه ويحلق كل شعره ويستحم بماء فيطهر . ثم يدخل المحلة لكن يقيم خارج خيمته سبعة أيام (٨) وفى اليوم السابع يحلق كل شعره . رأسه ولحيته وحواجب عينيه وجميع شعره يحلق . ويغسل ثيابه ويرحض جسده بماء فيطهره (٩) ثم فى اليوم الثامن ياخذ خروفين صحيحين ونعجة واحدة حولية صحيحة وثلاثة اعشار دقيق تقدمة ملتوتة بزيت ولج زيت (١٠) فيوقف الكاهن المتطهر واياها امام الرب لدى باب خيمة الاجتماع (١١) ثم يأخذ الكاهن الخروف الواحد ويقربه ذبيحة اثم مع لج الزيت يرددهما ترديدا أمام الرب (١٢) ويذبح الخروف فى الموضع الذى يذبح فيه ذبيحة الخطية والمحرقة فى المكان المقدس . لأن ذبيحة الاثم كذبيحة الخطية للكاهن . انها قدس اقداس (١٣) وياخذ الكاهن من دم ذبيحة الاثم ويجعل الكاهن على شحمة اذن المتطهر اليمنى وعلى ابهام يده اليمنى وعلى ابهام رجله اليمنى (١٤) وياخذ =

يأمركم ان تذبحوا بقرة) ـ ولما كان الجواب بعيدا فى رأيهم عن الغرض الذى جاءوا لأجله وقع ذلك عندهم موقع الغرابة وقالوا لموسى (اتتخذنا هزوا ؟) ـ ولما كان موسى انسان صدق بعيدا عن الهزء والسخرية بعباد الله ـ قال لهم . اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين الذين يهزءون بعبـــاد الله .

ثم كانت المراجعة بينهم وبين موسى وربه حتى بين لهم شأن البقرة ولونها واحوالها اتم بيان ومع ذلك لم يمتثلوا بل ذبحوها بعد اذ كادوا لا يفعلون اى انهم ذبحوها بعد جهد شديد .

= الكاهن من لج الزيت ويصب فى كف الكاهن اليسرى (١٥) ويغمس الكاهن اصبعه اليمنى فى الزيت الذى على كفه اليسرى وينضح من الزيت باصبعه سبع مرات أمام الرب (١٦) ومما فضل من الزيت الذى فى كفه يجعل الكاهن على شحمة اذن المتطهر اليمنى وعلى ابهام يده اليمنى وعلى ابهام رجله اليمنى على دم ذبيحة الاثم (١٧) والفاضل من الزيت الذى فى كف الكاهن يجعل على رأس المتطهر ويكفر عنه الكاهن أمام الرب (١٨) ثم يعمل الكاهن ذبيحة الخطية ويكفر عن المتطهر من نجاسته ثم يذبح المحرقة (١٩) ويصعد الكاهن المحرقة والتقدمة على المذبح ويكفر عنه الكاهن فيطهر . اه

فحضرات أعضاء اللجنة يرون جعل دم الذبيحة على شحمة اذن المتطهر وعلى ابهام يده اليمنى وعلى ابهام رجله اليمنى ومثل ذلك جعل الزيت على هذه المواضع لا نعرف له معنى ولا يعرف له اليهودى معنى كذلك ولكنها أوامر شرعية عندهم .

أما قول أصحاب الفضيلة بعد ذلك (أى بعد ذكر اليمين وذبح البقرة وغسل الأيدى عليها) (لا نفهم لذلك علاقة سوى أنه يرجع لعبادة العجل وتعظيمهم له نعوذ بالله من ذلك) فانى أقول ما كنت آمل ان يمتد بى زمنى حتى أرى فريقا من جلة العلماء بالأزهر الشريف يفهمون من ذبح بقرة من البقر والحلف من الناس ـ وهى أمامهم انهم ما سفكوا دما ولا رأوا سافكه وغسل أيديهم عليها يعتبر ضربا من ضروب عبادة العجل وتعظيم أولئك القوم له ولكن الأيام أرتنى ما لم ترنى الأحلام أسأل الله تعالى أن يبقى حضراتهم لاستخراج نفائس العجائب وفرائد الغرائب .

الوجه الثـــانى

قال أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة « انه لا يظهر فى هذه القصة ما يقنع بعدم وجود الهزؤ والسخرية الا مجرد صدور الطلب من موسى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى من غير أن يظهر لهم فائدة هذا الأمر الغريب فى العادة خصوصا بالنسبة لبنى اسرائيل الذين اشتهروا بالعناد والتعنت =

اتى موسى برجال أقرب محلة من مكان القتيل وأحلفهم عليها بعد ذبحها أى وهى أمامهم انهم ما قتلوا القتيل ولا علموا به وانهم برآء من دمه وكانوا يغسلون أيديهم على البقرة كما نص ذلك فى التوراة .

هذه اليمين فى شريعتهم كيمين القسامة عندنا معشر المسلمين . اذا قتل قتيل فى محلة غير محلة قومه أو بقرب تلك المحلة ولم يعلم قاتله وكان هناك لوث يقع به فى النفس صدق المدعى وهو ولى الدم (واللوث القرينة) حلف خمسين يمينا واستحق الوارث بالقسامة فى القتل الخطأ أو شبه العمد الدية

= وبطء الانقياد مع ظهور الآيات الواضحات والمعجزات الباهرات » اهـ

والايراد الذى أوردوه على الوجه الذى أوردته هو بعينه يرد على الوجه الذى اختاره المفسرون ورضيه أعضاء اللجنة فان موسى عليه السلام لم يبد لهم فى مقابلة قولهم « أتتخذنا هزوا » الا قوله أعوذ الله أن أكون من الجاهلين . فكان مجرد صدور ذلك منه كافيا لهم عن طلب الوقوف على الأسباب والنتائج لطلبه هذا ـ ولطف الله تعالى بعبده موسى بن عمران « إذ لم يكن حضرات أعضاء اللجنة شهودا حتى يبصروهم بان هذا القول غير مقنع وانهم لا بد لهم من الاستقصاء ومتابعة السؤال عن الأسباب والنتائج . ومن لطف الله تعالى بموسى عليه السلام ان كان وجود حضراتهم بعد آلاف من السنين مضت على الحادثة .

أنا لا أقول فى هذا الوجه انه خال من الفائدة والقيمة وانما أقول انى لم أفهم الحكمة العالية من ايراده وهو وارد على ما فهمته وعلى الوجه الذى فهموه أيضا ولا الحكمة فى استصغار طلب موسى منهم ان يذبحوا البقرة امتثالا لأمر الله تعالى وأسأل الله ان يهبنى من العلم ما أفهم به ذلك

الوجه الثالث

كتب أصحاب الفضيلة فى هذا الوجه ما نص فى كلامهم . وهم يتساءلون عن مأخذ مرجع الضمير ثم جزموا بأنه قوله تعالى (قتلتم) وانه يؤخذ من القصة أن المتهم متعدد وكان الظاهر أن يقال اضربوهما أو اضربوهم ولا يغنى أن يقال اضربوا جنس المتهم المتحقق فى اشخاص عدة وان هذا تكلف بل تعسف ثم تساءلوا من اين جاءنى هذا الرأى الذى لم يساعده الأسلوب ولم يؤيده المعقول بل ينافيه وتمجه العقول ـ سامحهم الله .

والذى أقوله ان الكتاب الكريم يقول ـ « واذ قتلتم نفسا » ـ ومن البديهى ان بنى اسرائيل كانوا أكثر من مئات الوف ولا يمكن أن يكونوا قاتلين جميعا والمخاطبون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بأنفسهم قاتلين بل الذى باشر القتل واحدا واثنان . على عهد موسى ومثل =

فى القتل العمد حالة على المقسم عليه . ولا قصاص فى الجديد لأن القسامة حجة ضعيفة فلا توجب القود احتياطا للدماء . وأن لم يكن هناك لوث أو أنكر المدعى عليه اللوث فى حقه فاليمين على المدعى عليه . وأظهر الأقوال أنه يغلظ عليه بالعدد أ هـ باختصار من شرح الخطيب على متن أبى شجاع

فتلك عند اليهود شرع كالقسامة عند المسلمين فى الجملة

وأما القصة الثانية وهى قوله تعالى (واذ قتلتم نفسا) الخ فهى فى شأن قتيل وجد قتيلا فى بيته أو محلة قومه أو سقط فى معركة فيها جماعة . وقد دفع كل واحد القتل عن نفسه ولم يتعين قاتله تماما

= هذا يقال فى قوله « فادارأتم » فان الذين تدارأوا ليسوا جميع بنى اسرائيل ومن البين بنفسه ان التدارؤ هو أن يدفع الشخص القتل عن نفسه ويلصقه باخر بعينه . وهذا لايكون الا فى محصورين وضرب من وقعت عليهم الشبهة لا يكون جملة واحدة بل يقدم واحد فان ظهرت عليه أمارة القتل اكتفى به واذا لم تظهر عليه أتى بواحد آخر . فالذى يقع عليه الضرب واحد من المتدافعين الى أن تظهر الأمارة على واحد . فمأخذ مرجع الضمير هو قوله تعالى « فادرأتم » ولما كان الضرب لا يكون على المتدارئين دفعة واحدة بل الضرب يقع كل مرة على فرد واحد كما قدمنا عبر بقوله (فقلنا اضربوه ببعضها) إذ قد يستبين الأمر من أول واحد وحينئذ يكون مرجع الضمير معلوما من المقام منطويا ضمنا فى قوله فادارأتم وقد جاء فى القران الكريم عود الضمير على معلوم من المقام غير مذكور فى الكلام .

اقرءوا قوله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وان كانت واحدة فلها النصف . ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد . فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث . فان كان له إخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين » فان الضمير فى قوله « مما ترك » وما بعدها يعود على المورث المعلوم من المقام ومثل ذلك قوله تعالى ـ (وان خفتم شقاق بينهما الخ) فان الضمير يعود على الزوجين المعلومين من المقام المندرجين ضمنا فى قوله قبل ذلك (الرجال قوامون على النساء) وانى اؤكد لحضراتهم انى قرأت فى كتب النحو ان الضمير يعود الى أقرب مذكور وأقرب مذكور، لكن أن يعود الضمير عليه مؤنثا فى قوله « ببعضها » هو النفس ـ وأما البقرة فهى أبعد مذكور وما كان لعربى أو فاهم للعربية إن يفعل ذلك وان العربى اذا أراد أن يرجع الضمير الى البعيد صرح بالاسم فكان مقتضى مرادكم ان يقول « فقلنا اضربوها ببعض البقرة » . فالاحتمال الذى أوردته هو الموافق لقواعد العربية التى انتم جهابذتها =

وكل واحد يتهم سواه بالقتل وحينئذ يكون المتهمون محصورين . والقاتل لا يخرج عنهم بدليل قوله تعالى (فادارأتم فيها) ولما كان الله تعالى مخرجا ما يكتمون من القتل علمهم طريقة يميز بها القاتل من البرىء . أو هي على الأقل تضيق دائرة الاتهام وتوجه نظر القاضي الى استنباط الأدلة على المتهم أو من له اتصال بالقتـــل

ذلك بأن يأتوا بالمتهم ثم يضربونه بجزء من تلك النفس أى من القتيل وهو متصل ببقية الجسم بان يأتى واحد ويضرب المتهم بيد القتيل او رجله فاذ كان المتهم بريئا لم يحدث له شىء واذ كان قاتلا ظهر عليه انفعال نفسى ورعدة يعلم بسببها انه القـــاتل دون سواه أو هو على اتصال به وهذا الانفعال قد يكون فرحا وجذلا وقد يكون خوفا ورعدة تبعا لسبب القتل

= فان قال حضراتهم انا جعلنا مرجع الضمير فى قوله «اضربوه» هو النفس باعتبار أنها فى الحقيقة نفس رجل - قلت ومن أين يتعين انها نفس رجل ؟ وأين الدليل على ذلك . ومن ذلك كله يتبين ان ماقالوه ليس بمانع من جواز الاحتمال الذى أوردته . بل هو الصق وأوفق بقواعد اللغة ونص المفسرين ليس مانعا من جواز ذلك الاحتمال .

فالناظر الى أقوال حضراتهم والى أقوال المفسرين يجـــد انهم فرضوا أولا قتيلا حيى وأخبر بقاتله ثم أخذوا يقدمون فى آيات القرآن ويؤخرون ويعودون بالضمير على البعيد دون القريب وهو غير مناسب للعربية ويصلون ما فصـل الله ولم يسايروا القرآن حتى يهجم بهم على المعنى بل قسروه على المعنى الذى فرضوه قسرا

الوجه الرابع

كتبت اللجنة فى هذا الوجه ما هو منصوص - وبعد أن ذكرت ان الكلام يحتاج الى التجوز فى لفظى (يحيى - وموتى) قالت - لم يعهـد فى القرآن الكريم على ما نعلم التجوز بلفظ الموتى عن هذا المعنى - وهو يقتضى ان القرآن الكريم لا يصح أن يجىء فيـه مجاز الا اذا عهد مجىء مجاز آخر قبله على شاكلته - وهـذا مشكل لأن أول مجاز جاء فى القرآن لا بد ان يرد لأنه لم يعهد فى القرآن مثله وكلما جاء مجاز رددناه لأنه لم يعهد فى القرآن مثله - ثم قالت الثانى عدم وجود قرائن لهذه المجازات .

والذى أقوله لحضراتهم ان القرآن الكريم قد عهد فيه المجاز فى الحياة والموت لما هو أبعد من هذا المعنى قال تعالى « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى النـــاس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها » - فعبر بلفظ « ميتا » عن الضال وبلفظ الاحياء عن الهداية ومن كان =

وهذا الأمر يرجع الى احوال الغرائز النفسية والى العقل الباطن فى الانسان ، ذلك ان القاتل حين يباشر الجريمة . وبخاصة القتل يكون واقعا تحت تاثير انفعال خاص يغلى منه دمه - يدفعه ذلك الانفعال الى ارتكاب جريمة القتل . فاذا سكن ثائره وهدات اعصابه . وزال ذلك الدافع الذى اكسبه الجرأة حتى طوعت له نفسه ارتكاب الجريمة . عاوده الندم وتبكيت الضمير وصار شبح الجريمة مخيفا فى نظره . ويتمثل له شبحها فى كل شىء يتعلق بها فهو يكره رؤية مكان الجريمة والاشياء التى رآها رؤية مقارنة لارتكابها وتضطرب نفسه ويرتفع نبضه ويسرع اذا ذكر بشىء من الجريمة .

= على خطر الموت أقرب إلى الموت من الضال

وأما القرينة التى نشــدوها ولم يجدوها فهى موجودة وهى ان المعبر عنهم بالموتى موجودون أحياء يرزقون ولا شك ان حفظ حياة من كان على خطر فراقهـا يعبر عنه بالاحياء وبذلك سقط قول اللجنة « وهــذا الفهم فى معرض النزاع فلا يقبل دليلا » وقولها « فهل عهد فى اللغة العربية التعبير بمثل هذه العبارة فى مثل هذا المقام » وأقول أيضا قد عهد التعبير فى العربية عن حفظ الحياة بما هو أغرب من هذا ، فهذا الشاعر يقول

ما زلت تعمل من لطف احتيالك لى حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

وانى ليحزننى أن يقف ذهن حضراتهم فى قوله تعالى (كذلك) وحيرتهم فى مرجع اسم الاشارة وما كنت أظن ان حضراتهم يتوقفون هـذا التوقف فى شىء لم يتوقف فيه أحـد - فان اسم الاشارة يرجع الى ما أمرهم به من ضرب المتهم ببعض النفس التى تدارأوا فيها فان الله يحفظ به حياة من كانوا عرضة للقتل للاشتباه فيهم وهم برءاء - وأما قولهم - « توقف صحة هـذا الكلام على أن تلك الحادثة تبرأ فيها أناس أدام الله حياتهم بعد أن كانوا فى مظنة أن يموتوا الخ »

فالذى أقوله لحضراتهم ان الكتاب الكريم يبين لنا ان القتل الذى وقع كان المتهمون فيه عددا وكان كل واحد منهم يدفع القتل عن نفسه وينسبه الى اخر ومن البين بنفسه انهم ليسو برءاء جميعا ولا قاتلين جميعا . بل القتل صدر من بعضهم أو واحد منهم فقط وأهل الخبرة بهذه الأمور قالوا ان القاتل الحقيق تعتريه انفعالات نفسية وجزع يدوم بخلاف غير القـاتل . وعلى ذلك . فانى لا أخشى مفندا اذا قلت ان قرينة القتل قد ظهرت على بعض المتهمين ولم تظهر على البعض الآخر وهم الذين عبر عنهم بأنه يحييهم بعد أن كانوا على خطر الموت والتعبير بالاحيـاء عن استنقاذ حياة الشخص من خطر الموت وارد فى قوله تعالى « من أجل ذلك كتبنـا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل النـاس جميعا ومن أحياها فـكأنما أحيا الناس =

ويكثر أنه اذا ادخل على القتيل أو عرض عليه تألم أشد ألم عرفه واضطرب ولم يستطع النظر اليه ولا الى مكان حدوث الجريمة . فكيف اذا حرك عضو من أعضاء القتيل وضرب به القاتل ؟ — لاشك فى أن ذلك العمل يكون ذا تأثير عظيم فى أعصابه لا يطيق معه ذلك المنظر

هذا اذا كان القتل لحادث عارض — اما اذا كان انتقاما للشرف أو لثار فان الاعراض التى يأتى بها الانفعال تكون فرحا وجذلا

هذا قايين بن آدم طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين وحار فى أمره لايدرى

= جميعا » فكل امر يؤدى الى معرفة القاتل الحقيقى احياء لسائر المتهمين واستنقاذ لحياتهم من الهلاك .

قالت اللجنة — ثم انه لم يتعرض لتفسير قوله تعالى (ويريكم اياته لعلكم تعقلون) .

أقول ان من آيات الله تعالى الباهرة الدالة على قدرته وحكمته أن جبل الانسان وركز فيه هذه الغريزة غريزة تبكيت الضمير والأسف على ارتكاب الجرائم والانفعال حين رؤيته لآثارها بعد ظهورها وانها لا تنقص عن اختلاف الألسن والألوان فى دلالتهما على القدرة والحكمة فى قوله تعالى «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم »وألوانكم وليس من الضرورى أن تكون ايات الله مرتجلة تشده منها العقول وتدهش منها الألباب كما يريدون فبارشادهم الى هذه الطريقة التى شرحتها فى الكتاب قد أراهم بعض ايات قدرته وحكمته .

وها كم بيان معنى الآية واستعمالاتها فى القران الكريم

الآية فى استعمال القرآن

(قال الراغب : الآية هى العلامة الظاهرة وحقيقته لكل شىء ظاهر هو ملازم لشىء لا يظهر ظهوره فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذى لم يدركه بذاته اذا كان حكمهما سواء — وذلك ظاهر فى المحسوسات والمعقولات — فمن علم ملازمة العَلَمَ للطريق ثم وجد العَلَمَ علم أنه وجد الطريق . وكذلك اذا علم شيئا مصنوعا علم انه لا بد له من صانع وقيل للبناء العالى آية نحو أتبنون بكل ريع اية ولكل جملة من القرآن اه)

تعريف معنى الآية فى كليات أبى البقاء ص ٨٨

(الآية فى الأصل هى العلامة الظاهرة واشتقاقها من أى لأنها تبين أيا عن أى وتستعمل فى المحسوسات والمعقولات يقال لكل ما تتفاوت به المعرفة بحسب التفكر والتأمل فيه وبحسب منازل الناس فى العلم آية . ويقال على ما دل على حكم من أحكام الله سواء كانت آية أو سورة أو جملة منها =

ماذا يصنع بجثته فلما بعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه أدركه الندم فاصبح من النـادمين

وهذا العربى يقول فى قريب له اراد . قتله فذكره مابينهما من الرحم . فلم يؤثر ذلك فيه فقتله وندم فقـال

فلما رأيت انه غـير منته　　　أملت له كفى بلدن مقـوم
فلمـا رأيت أنى قد قتلته　　　ندمت عليـه أى ساعة مندم

= والآية أيضا طائفة حروف من القرآن علم بالتوقيف انقطاع معناها عن الـكلام الذى بعدها فى أول القران وعن الـكلام الذى قبلهـا فى اخره وعن الذى قبلها والذى بعـدها فى غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك .

والآية تعم الأمارة والدليل القاطع اه)

الآية ـ بمعنى طائفة حروف من القران

قال تعالى : منـه آيات محكمات　　الر تلك آيات الكتاب الحكيم　　تلك آيات الـكتاب المبين　　واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل

الآية ـ بمعنى العلامة

قال تعالى : قال رب اجعـل لى آية　　ان آية ملـكه أن يأتيكم التـابوت　　يوم يأتى بعض آيات ربك　　أتبنون بكل ريع آية تعبثون　　ولقد تركنا منهـا آية بينة لقوم يعقلون　　لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية

الآية ـ بمعنى المعجزة

قال تعالى :

ولقد اتينا موسى تسع آيات بينات　　اذهب أنت وأخوك بآياتى　　وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليومنن بها　　فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية　　وأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات　　وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون　　وقالوا لولا أنزل عليـه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله　　وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات

الآية ـ بمعنى العبرة والعظة

سواء استقل بها الله أو أجراها على يد الإنسان وسواء أكانت خارقة للعادة أوغير خارقة للعادة =

على أنى لا أذهب بكم بعيدا ـ فهذه مادام ماكوش المالطية قتلتها بنتها بمساعدة ابنتها الأخرى وبنت بنتها وكان الباعث على القتل الحصول على المال وهو ستمائة جنيه كانت عندها . وحصرت الشبهة فى ابنتها . فلما أراد المحقق أدخالها الى غرفة نوم امها التى ارتكبت الجريمة فيها (وقد هيئت كما كانت وقت ارتكاب الجريمة) أبت أن تدخلها اباء مطلقا . وقد حكم عليها بالسجن . وذهبت اختها الأخرى لتحاكم فى بلاد فرنسا والى الآن لم يصدر الحكم ونحن فى أواخر ديسمبر سنه ١٩٣٢ وكان حصول الجريمة بالاسكندرية فى شهر يونية سنة ١٩٣٢

= ا ـ فما استقل بها الله قوله تعالى :

ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب وجعلنا الليل والنهار آيتين وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشــابه أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون

ومن آياته أن خلقكم من تراب وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر

ب ـ ومن التى أجراها الله تعالى على يد الانسان قوله عز وجل :

ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ومن آياته الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى

(الآية ـ بمعنى حكم من أحكام الله)

قال تعالى :

تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون =

وقد أرسلت خطابا لحضرة ولدنا الفاضل احمد افندى فؤاد عبد المجيد مدرس التحقيق الجنائى بمدرسة البوليس والادارة. وسألته أن يمخض لى رأيه فى عرض معالم الجريمة على القاتل المتهم وآراء العلماء القانونيين فى هذا الموضوع فجاء منه الرد الآتى:

مصر فى يوم الجمعة ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢

سيدى صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الوهاب النجار

أقبل الأيدى وأدعو لفضيلتكم بكل خير وسعادة

تشرفت بخطابكم الكريم أمس فقط. ويسرنى استمرار فضيلتكم على البحوث العلمية والاجتماعية

= (الآية ـ بمعنى السلطان)

قال تعالى :

قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون

وقد تحصل لنا من ذلك ان الآية من ايات الله لا تنحصر فى الشىء الخارق للعادة المعجز للبشر تشده له العقول فقط كما فهم حضرات أعضاء اللجنة ولكنها تطلق على :

(١) الطائفة من القران

(٢) العلامة

(٣) المعجزة

(٤) العبرة والعظة سواء استقل بها الله تعالى أو أجراها على يد الانسان وسواء أكانت خارقة للعادة أو غير خارقة لها

(٥) الحكم من أحكام الله تعالى

(٦) السلطان والبرهان

وما ذكرته ليس خارجا عنها بل هو من صميمها ـ وأكبر ظنى انهم يعرفون الآية ولكنهم ينكرونها لغرض خاص هو الذى جعلوا وكدهم فيه ، وهو تزييف قولى على كل حال

الوجه الخامس

جاء فيما كتبته اللجنة تحت هذا العنوان ما نصه « وهل الاضطراب الذى يحصل للمتهم بالقتل اذا عرض على القتيل أو ضرب ببعضه يجب به قصاص فى الشريعة الموسوية أو فى الشريعة الاسلامية أو بحسب القوانين الوضعية حتى يترتب عليها إحياء الله الموتى ؟

أقول ـ اما الشريعة الموسوية فلاشأن لكم ولا لأحد بها فى هذه الحادثة فان موسى رسول الله =

وهذا يذكرنى الأيام الماضية

وانى بكل سرور أجيب فضيلتكم ولعلى أنال رضاكم كما فزت به عندما كنت تلميذكم .

لم يكتب فى هذا الموضوع على ما أذكر أحد من الأوربيين الانجليز ولا الفرنسيين على الأخص. وقد اطلعت على أكثر كتب التحقيق الجنائى الفرنسية والانجليزية ولم تزد الاشارة إلى هذا الموضوع فى بعضها . الا أن العرض قد يؤدى الى اعتراف القاتل أحيانا . ولم يذكروا الأسباب. كل ذلك لأن هذا البحث خاص بعلم النفس الجنائى

= عليه الصلاة والسلام كان شاهد هذه الحادثة ولم يتركهم حيارى بل أنفذ أمر الله تعالى وبين لهم ما يعملون فى أمثالها بيانا كافيا - واذا كانت كتبهم خالية من مثل هذا العمل فليس ذلك عيب شريعتهم ولكنه عيب أولئك اليهود الذين جعلوا كتابهم قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا. وقد استحفظوا على كتابهم فلم يحفظوه كما يشهد التاريخ وكتبهم بذلك

وأما الشريعة الاسلامية فانكم تعلمون كما أعلم ان بعض الأئمة يرى الأخذ بالقرائن فى بعض الأمور .

وقد عول الله تعالى عليها فى قوله تعالى فى المنافقين . (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول. فهذه القرينة التى بينها الله لرسوله لتدل على المنافق لها خطر عظيم فانه ينبنى عليها انه لا يستغفر لمن ظهرت عليه ولا يصلى عليه رسول الله ولا يقوم على قبره — وقد جعل الله ذلك الحكم منوطا بتلك القرينة فكيف يسوغون لأنفسهم القول بأن القرينة لا يعول عليها شرعا

قال ابن القيم فى كتابه « الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية » ص ٥ فان السياسة نوعان سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر بعين الشريعة علمها من علمها وجهلها من جهلها - ولا تنس فى هذا الموضع (نور) نبى الله سليمان ﷺ للمرأتين ، (كذا) فى الأصل ولعلها (قول) اللتين ادعتا الولد فحكم به داود صلى الله عليه وسلم للكبرى فقال سليمان ائتونى بالسكين أشقه بينهما فسمحت الكبرى بذلك وقالت الصغرى لا تفعل رحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى فأى شىء أحسن من اعتبار هذه القرينة الظاهرة فاستدل برضا الكبرى وانها قصدت الاسترواح الى الناس بمساواه الصغرى فى فقد ولدها ، وشفقة الصغرى عليه وامتناعها من الرضا بذلك دل على أنها أمه وان الحامل لها على الامتناع من الدعوى ما قام بقلبها من الرحمة والشفقة التى وضعها الله فى قلب الأم ، فاتضحت هذه القرينة عنده حتى قدمها على اقرارها فانه حكم =

ولم يوجد للآن كتاب ذو قيمة فى علم النفس الجنائى بالذات فى العالم الأوربى مع كثرة المؤلفات فى علم النفس على العموم لاسيما علاقته بالتربية ونظريات «فرويد» وأتباعه ومعارضيه، وهذه مست نفسية المجرم مسا خفيفا

على أن تجاربى العلمية واستنباطى من المؤثرات المشابهة تمكننى من اجابتكم على قدر ما وسع علمى وهو:

لاشك أن القاتل يتأثر لحظة عرض جثة قتيله عليه. وسبب ذلك الانفعال الشديد الناتج من تصور الحالة التى كان فيها مع القتيل أثناء ارتكاب الجريمة. فمتى ارتسمت فى ذهنه

= به لها مع قولها هو ابنها وهذا هو الحق. فان الاقرار اذا كان لعلة اطلع عليها الحاكم لم يلتفت اليه أبدا. ولذلك ألغينا اقرار المريض مرض الموت بمال لوارثه لانعقاد سبب التهمة واعتمادا على قرينة الحال فى قصده تخصيصه. ومن تراجم قضاة السنة والحديث على هذا الحديث ترجمة أبى عبدالرحمن النسائى فى سننه قال ـ التوسعة للحاكم فى أن يقول للشىء الذى لا يفعله أفعل كذا ليستبين به الحق ـ ثم ترجم عليه ترجمة أخرى أحسن من هذا فقال: الحكم بخلاف ما يعترف به المحكوم عليه إذا تبين للحاكم من الحق غير ما اعترف به، (فهذا)(١) يكون الفهم عن الله ورسوله. ثم ترجم عليه ترجمة أخرى فقال نقض الحاكم ما حكم به غيره ممن هو مثله أو أجل منه فهذه ثلاثة قواعد ورابعة وهى ما نحن فيه وهى الحكم بالقرائن وشواهد الحال. وخامسة وهى أنه لم يجعل الولد لهما كما يقوله أبو حنيفة فهذه خمس سنن فى هذا الحديث. ومن ذلك قول الشاهد الذى ذكر الله شهادته ولم ينكرها بل لم يعبه بل حكاها مقررا لها فقال تعالى (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا أن يسجن أو عذاب أليم، قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم)

فتوصل بقد القميص الى تمييز الصادق منهما من الكاذب، وهذا لوث فى أحد المتنازعين يتبين به وجه الحق. وقد ذكر سبحانه اللوث فى دعوى المال فى قصة شهادة أهل الذمة على المسلمين فى الوصية فى السفر وأمر بالحكم بموجبه. وحكم النبى صلى الله عليه وسلم بموجب اللوث فى القسامة وجوز للمدعين أن يحلفوا خمسين يمينا ويستحقوا دم القتيل فهذا لوث فى الدماء، والذى فى سورة المائدة لوث فى الأموال. والذى فى سورة يوسف لوث فى دعوى العرض ونحوه ـ وقد حكم أمير =

---

(١) لعلها «هكذا»

وتصورها هزت أعصابه فارتبكت دورته الدموية والنفسية . ولا تلبث هذه الانفعالات الداخلية ترتسم خارجا على وجهه وبصره وعقله ولسانه . فيبدر على لسانه من الكلام ما يدل على ارتكابه الجريمة وقد يعترف خروجا من هذا الضيق . وقد يلتمس لنفسه الأعذار الغريبة . على انه بعد هذه البرهة لا يلبث ان يعود الى حالة ثانوية وهى حالة الجذل أو الحزن وقد تطول تلك البرهة او تقصر حسب اعتياد القاتل على ارتكاب القتل . فاذا لم يسبق ارتكابه قتل الانسان او الحيوان طالت وان سبق له قتل حيوان قصرت قليلا . فان كان انسانا قصرت . . . الخ بالتدريج

= المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والصحابة معه برجم المرأة التى ظهر بها حمل ولا زوج لها ولا سيد . وذهب اليه أحمد ومالك فى أصح روايتيه اعتمادا على القرينة الظاهرة - وحكم عمر وابن مسعود رضى الله عنهما ولا يعرف «لهما» مخالف من الصحابة بوجوب الحد برائحة الخمر من فى الرجل او قيئه خمرا اعتمادا على القرينة الظاهرة ولم يزل الأئمة والخلفاء يحكمون بالقطع اذا وجد المال المسروق مع المتهم وهذه القرينة أقوى من البينة والاقرار فانهما خبران يتطرق اليهما الصدق، والكذب . ووجود المال معه نص صريح لا يتطرق اليه شبهة . وهل يشك أحد رأى قتيلا يتشحط فى دمه وآخر قائم على رأسه بالسكين انه قتله ولا سيما اذا عرف بعدوانه . ولهذا جوز جمهور العلماء لولى القتيل أن يحلف خمسين يمينا ان ذلك الرجل قتله . ثم قال مالك وأحمد يقتل به

« فصـــل »

ومن ذلك ان ابنى عفراء لما تداعيا قتل أبى جهل فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا قال فأريانى سيفيكما فلما نظر فيهما قال لأحدهما هذا قتله وقضى له بسلبه[1] . وهذا من أعظم الأحكام وأحقها فى الاتباع اهـ

وأما القوانين الوضعية فقد استباح حضرات أصحاب الفضيلة لانفسهم القول بانه ليس للقضاة بمقتضى هذه القوانين أن يحكموا لمجرد اضطراب أو رعدة باعدام المتهم أو بسجنه مدة تناسب جريمة القتل .

أقول . كان فى حكم الحق الواجب على حضراتهم للعلم ألا يطفروا هذه الطفرة وأن يتريثوا حتى يسألوا أهل العلم بالقوانين التى يجرى العمل فى هذه البلاد على مقتضاها حتى لا يظهروا بمظهر المتوطن فى قارة غير هذه القارة فلا يعلم من أمرها شيئا

ان أصغر كاتب فى مكاتب المحامين يعلم علما ليس بالظن ان القاضى الجنائى ليس مقيدا فى جمع الأدلة التى يكون بها اعتقاده فى أدانة المجرم الا بضميره فقط ، فله أن يقذف بالشهادات التى قدمت =

---

(١) أى رسول الله

ولكن لا بد من هذه البرهة وانفعاله فيها وظهوره الخارجي يتمشى مع طول أو قصر وجود البرهة على أنه يجوز ان المتهم البرىء يجزع عند رؤية القتيل ولكن جزعه لا يدوم وهو خارجي اكثر منه داخلي لرؤية المنظر فقط . ولا يلبث ان يعود حالا الى الحالة الاعتيادية الأصلية لا الحالة الثانوية التى سنتكلم عنها .

أما عودة القاتل الى الحال الثانوية بعد تلك البرهة السابق بيانها فهى حالة جذل أو حزن وهى تستند على الغرائز النفسانية للجانى وارتباطها بسبب الجريمة فان كان القتل انتقاما لدم أو شرف أو

= له من حالق ولا يمنعه اعتراف المجرم بارتكاب الجريمة من تكذيبه وأن يضرب باقراره عرض الحائط ويحكم ببراءته من الجريمة التى اعترف باقترافها كاذبا . فهو يكون اعتقاده من الأحوال والمناسبات والقرائن التى تحتف بالجريمة وظروفها ومن انفعالات المتهم ، وما يبدو على الشهود من اضطراب أو اصفرار أو تلعثم ـ فكل ذلك له دخل فى تكوين اعتقاد القاضى فى الجريمة والفاعل وبحسب اعتقاده الادانة أو البراءة يصدر حكمه . وليس لمحكمة النقض والابرام سيطرة عليه فى هذا وانما سيطرتها على الاجراءات والخطأ فى التطبيق فقط

ومن الأمثلة على ما قدمت . ان قتل قتيل من اسرة شتا المشهورة فى الجهات البحرية من مديرية الغربية وهو جمال الدين شتا . وكان القتل بمنزل الأسرة بدرب الابشيهى بطنطا وشرعت النيابة فى التحقيق واتهم بالقتل أحد أبناء الأسرة فجاء خادم المنزل وأقر طائعا مختارا انه هو القاتل . ولما قدمت القضية الى المحكمة وحصلت المرافعة حكمت ببراءة القاتل المعترف بالقتل والمصر عليه الى ما بعد النطق بالحكم وحكمت على قريب القتيل بالسجن

يا قوم ان شعرة واحدة توجد بين أظافر القتيل تحلل كيمائيا ويقابل تحليلها بتحليل شعرة من المتهم تكفى لجعله متهما وللحكم عليه بانه مرتكب الجريمة ويعاقب عليها . وقطعة من القماش توجد بين أسنان القتيل يوجد نظيرها مقطوعا من ثياب المتهم كافية لاعتباره قاتلا .

لا بل قطعة من المواد البرازية تكفى للدلالة على المتهم واعتباره مجرما اذا اتحدت العناصر الأصلية فى العينة التى وجدت بمكان الجريمة بالعناصر الأصلية فى براز المتهم ـ بل أثر حذاء المجرم اذا وجد فى مكان الجريمة أو فى المكان الذى وجد فيه أثر المسروقات كاف لاعتباره مجرما والحكم عليه بالعقوبة ، وكذلك وجود أثر عضة فى جسم القتيل تكفى لاثبات الجريمة على المجرم متى ثبت انها أثر اسنان المتهم . وكذلك وجود اثر عضة فى جسم المتهم تثبت عليه أنه القاتل متى قورنت باسنان القتيل ووجدت مطابقة لها

أما كان الأجدر باصحاب الفضيلة أن يكلوا الأمر فى هذا الشأن (الذى لم يدرسوا فيه سطرا =

كراهية . حصل الجذل وارتسم خارجيا - وان كان القتل لزعل أودافع من الدوافع الوقتية حصل الحزن وارتسم خارجيا أيضا . ويكون عميقا اذا كان القاتل عالما بداخليات القتيل وما تركه من الأولاد وما كان له من الفضل . والعكس بالعكس .

وقد حصل أن غاب شاب حمار عن أهله ببلدة « معمل القزاز » التابعة لمركز كفر الدوار وعادت حميره التى كانت معه من تلقاء نفسها دون أن يعود هو وبلغت أمه بغيابه . ومن التحريات ظهر أنه رئى مع اثنين يركبان حمارين معه وهذان الشخصان انكرا بتاتا وقبض عليهما . ووجدت جثة

= ولم يقرءوا عنه صفحة واحدة من كتاب) إلى من هم املى به واقوم عليه .

وأما ماقالوه من أن الارتعاد والاضطراب قد يحصل للبرىء ، للاسباب التى ابدوها فقد تكفل خطاب مدرس التحقيق الجنائى بمدرسة البوليس بالاجابة عنه إذ يقول ، على أنه يجوز أن المتهم البرىء يجزع عند رؤية القتيل ، ولكن جزعه لايدوم وهو خارجى أكثر منه داخلى لرؤية المنظر فقط ، ولا بد أن يعود حالا إلى الحالة الاعتيادية الأصلية لا الحالة الثانوية التى سنتكلم عنها ،

ويعجبنى جدا قول اللجنة (وهى لاتحصل للقاتل غالبا) أى أن القاتل يغلب عليه ألا تعروه رعدة اذا عرض عليه القتيل - وأنا انزه حضرات أعضاء اللجنة عن أن يكونوا قد باشروا القتل مجتمعين أو منفردين ، وقد جربوا أن الرعدة لم تحصل لهم حين عرض عليهم القتيل فكيف علموا ذلك ؟

ان اهل الفن الذين درسوا ومارسوا ورأوا مئين من القضايا يقولون أنه لابد من حصول الجزع أو الجذل للقاتل حين يرى قتيله وكل من الجذل والجزع أمارة على حصول القتل تبعا للعوامل النفسية التى اعترت القاتل ، واما حضرات أعضاء اللجنة فيقولون أن ذلك لايحصل للقاتل فاى الفريقين احق بالاتباع ؟ ان رجال القوانين يقدرون القرائن والأحوال النفسية قدرها ويعولون عليها فى قبول شهادة الشاهد أو ردها .

هذا صاحب العزة محمود حسن بك وكيل وزارة الداخلية سابقا والمستشار الملكى بوزارة المالية حالا يقول .

اشترطت القوانين أن يؤدى الشاهد شهادته شفاها واعتبر علماء النفس كيفية الاداء وسيلة من وسائل تحقيق صحة الشهادة لمــا يبدو على الشاهد وقت الاداء من تأثر أو انفعال كالاضطراب والحركات أو الغضب أواصفرار الوجه وغيرذلك من التغيرات وصعوبة الاداء أوسهولته والعبارة التى يؤدى بها شهادته والتأنى والتردد ودرجة تاكيده للوقائع التى يشهد بها . =

الشاب مدفونة بجوار جسر . وبعرضها عليهما انفعلا واعترفا انما كل منهما يرمى زميله بأنه هو الذى ارتكب الخنق بالذات واعدما شنقا - وغير ذلك من الحوادث التى لا تعيها الذاكرة .

هذا ما علمته - والله سبحانه وتعالى أعلم

وهذا بحث شيق . وسأبحث فيه بالذات ان شاء الله - وانى فى خدمتكم وخدمة العلم دواما .

وتفضلوا ياصاحب الفضيلة بقبول اسمى تحياتى ومزيد تشكراتى ؟

تلميذكم المخلص : احمد فؤاد عبد المجيد

مدرس التحقيق الجنائى بمدرسة البوليس والادارة

= كل هذه يرى علماء النفس أنها أمارات تدل على صحة الشهادة وصدقها أو كذبها ، وهى امارات تبدو على الشاهد اراد أو لم يرد فهى تتكلم دائما وهى تصدق دائما . أما اللسان فقد يسكت وقد يسير فى غير الطريق المستقيم بخلاف تلك الامارات اه

فهل يرى القارىء الكريم ان اتباع اعضاء اللجنة واجب فى مسألة هم أبعد الناس من العلم بها أو الواجب اتباع رأى اهل الخبرة الذين يقولون عن علم ودراسة ؟

جاء فى صفحة ١٢١ من كتاب التحقيق الجنائى (القسم الفنى)

(أمثلة القضايا المحكوم فيها بدليل بصمات الأصابع والأيدى)

حصلت حوادث جنائية عديدة كان لبصمات الأصابع والأيدى الشأن المهم فى اكتشاف مرتكبيها أو تعزيز الأدلة عليهم وصدرت فيها الأحكام منصوصا فى أسبابها على ذلك ولا نستطيع نحصرها لكثرتها على اننا سنذكر على سبيل المثال قضية الجناية نمرة ١٨٥٣ سنة ١٩٢٥ عابدين - ويتضح من بيان ماجاء بنص حكم محكمة جنايات مصر الصادر بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٩٢٧ وقائع الدعوى فيها وان بصمة أصبع المحكوم عليه التى تركها سهوا عنه فى محل الحادثة على الآنية الزجاجية التى كان بها بعض المصاغ المسروق هى التى دلت عليه بل كانت الدليل الوحيد القاطع الذى أخذت به المحكمة فى الحكم عليه

الحكم واسبابه

وحيث أنه بتاريخ ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٥ وقعت سرقة فى منزل الخواجه الفريد عفيف وآخرين بواسطة مفاتيح مصطنعة حالما كانوا غائبين عن المنزل ولما حضروا وتبينت لهم سرقة مصوغاتهم ونقودهم واوراق مالية اخرى بلغوا البوليس وهذا لاحظ عند المعاينة وجود بصمة اصبع على آنية زجاجية من الأوانى التى كانت بها بعض المصوغات المسروقة فحافظ عليها وانتدب أحد موظفى =

وقد كتبت الى ولدنا راغب عطية افندى معاون بوليس مركز العياط لما أعرفه من اجتهاده وتمرسه بضبط المجرمين ويقظته لاحوالهم - وقد اشتغل فى فرع المباحث الجنائية بمصر والجيزة مدة ليست بالقليلة وعينت له حادثة يذكر ما حصل من الانفعال للجانى فيها فجاءنى منه ما يأتى

حضرة الوالد المحترم صاحب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار

تحية وسلاما - وبعد فقد قرأت خطابكم الكريم الذى تسألوننى فيه عن ملاحظتى على أحوال المجرمين وموقفهم بازاء جرائمهم . وخصوصا عن الأحوال التى شاهدتها فى حادثة طنوب وجوابى على ذلك أن المجرم حين يرى مكان الجريمة يلمحه ببصره ثم يحول وجهه ولا يحب

= قلم تحقيق الشخصية لاجراء اللازم نحوها فهذا الموظف رفع هذه البصمة بواسطة الفتوغرافية ثم بعد ذلك أخذ البوليس يتحرى ويضاهى بصمات اصابع المشتبه فى امرهم والمشهور عنهم ارتكاب السرقات وخصوصا سرقات الخزانات الحديدية حتى استدل على المتهم عزب سلامه الذى كان وقتئذ مقبوضا عليه فى سرقة من السرقات الكبيرة بناحية بيله فاحضروه واخذت بصمة أصبعه الابهام ليده اليسرى مع شخص آخر كما اخذت بصمات اصبعه الموجودة له باوراق الفيش واجريت عملية المضاهاة بمعرفة الموظف المذكور فتبين له بطريقة واضحة ان البصمة الموجودة على الآنية الزجاجية هى بصمة اصبع عزب سلامة المذكور.

وعلى ذلك قدمت النيابة القضية ضد المتهم المذكور بهذا الدليل وحده - فى الجلسة طعن المحامى عن المتهم على اعمال نجيب افندى تادرس موظف قلم تحقيق الشخصية المذكور وطلب تعيين خبراء آخرين فى هذا الفن لبيان الحقيقة . فالمحكمة ندبت محمد بك شعير وحسن بك رفعت الملمين بهذا الفن وقررت أيضا أن ينضم نجيب افندى تادرس اليهما فى العمل وذلك للاطلاع على البصمة التى وجدت على الآنية الزجاجية المضبوطة وعلى صورها الفتوغرافية ومضاهاتها على بصمات المتهم الموجودة بالأوراق وعلى ما يأخذونه من البصمات وقت العمل وبيان ما اذا كانت البصمة الموجودة على الآنية الزجاجية هى عين بصمات المتهم أم لا - وقد قام الخبراء بهذه المأمورية وقدموا تقريرا جاء مؤيدا لتقرير نجيب افندى تادرس واوضحوا فيه أيضا انهم وجدوا (١٦) علامة فى بصمة اصبع المتهم منطبقة على العلامات الموجودة فى بصمة الآنية الزجاجية .

وحيث ان المحكمة تأخذ بهذا الدليل القاطع لما ثبت علميا (من) عدم تطرق الشك اليه :

وحيث أن المتهم له ثلاث سوابق فى سرقات وهى المبينة بصحيفة سوابقه وتلك السوابق تجعله عائدا ... فلهذه الأسباب... حكمت المحكمة حضوريا باعتبار عزب سلامه مجرما اعتاد الأجرام =

الاتجاه اليه بعد ذلك ـ وكان حصول ذلك يغرينى على الحرص على تفتيش المكان الذى حول وجهه عنه تفتيشا دقيقا

وأيضا فان المجرم لا يحب أن يدخل المكان الذى فيه الأشياء التى يحرص على اخفائها كالمسروقات والحشيش والهوراپين والكوكايين . كما حصل من المتهم الذى باشرت ضبط الأشياء التى سرقت من المرحوم السيد باشا شعير بكفر عشما عنده . وكانت المسروقات نقودا ونياشين وبراءات وحججا أخفاها أحد السارقين فى احدى القاعات فى بيته . فلما هممنا بدخول القاعة وقف عن الدخول

= وارساله إلى المحل المخصوص ليسجن به طبقا للمادة الأولى من دكريتو الأجرام إلى أن يأمر وزير الحقانية بالافراج عنه

ومن الأمثلة لتقرير الأدلة قبل المتهم (أى بالقرينة) القضية نمرة ١٤٦٨ جنح جزئية عابدين سنة ١٩٢٦ وقد صدر الحكم من محكمة عابدين الجزئية على المتهم الذى وجدت بصمة يده وكانت الدليل الوحيد على ارتكابه جريمة السرقة بالحبس شهرين مع الشغل يوم ٩ / ٩ / ١٩٢٦

ألم يأتكم ياحضرات الأفاضل نبأ الجريمة التى هزت فرنسا ؟ تلك الجريمة التى نقلت جريدة الأهرام تفصيلها عن الجرائد الفرنسية فى شهر اكتوبر سنة ١٩٣٣

تتلخص تلكم الجريمة فى أن رجلا له بنت وحيدة فى مقتبل العمر مستهترة فى ارضاء شبابها تأوى إلى حى الطلبة كثيرة الاخلاء وجدت أحد خلانها يشتهى أن يقتنى سيارة فصممت على قتل ابيها وامها وارسالهما إلى الدار الآخرة وأن تستولى على ماعندهما من نقود ليقتنى خليلها سيارة ولتتمتع هى وهو بما بقى فى السرف والبذخ فعمدت إلى والديها فدست لهما السم ـ فاما والدها فلم يتوقف فى سبيله إلى الآخرة وبزت منه بضعة عشر الف فرنك ـ واما والدتها فصابرت الموت وتشبثت باذيال الحياة فاثخنتها بالجراح حتى وثقت من أن ذلك كاف لازهاق روحها وابتزت منها الفا وخمسمائة فرنك واسرعت الى حى الطلبة حيث ينتظرها خليلها وظلت فى رقص ومعاقرة وما يتبع ذلك ثلاثة أيام .

أما ابوها فقد علم به البوليس وأمرت الحكومة بدفنه وأما والدتها فقد عثر عليها فاقدة الصواب فعولجت من السم وضمدت جراحها ونجت من الموت .

لما عثر البوليس على الفتاة فى بعض المراقص ومعها بعض اخلائها واسمها « فيوليت نوزيير » وسئلت عن الجريمة اعترفت بها فى غير خوف ولا وجل ولا حياء وقالت انها قتلت أباها انتقاما منه « لشرفها » الذى دنسه لأنه كان يكرهها على الزنا بها ـ ولما حان الوقت لمواجهتها بوالدتها كان =

فكان توقفه حاملا لى على زيادة البحث والتفتيش حتى أخرجنا المسروقات كلها من الحيطان . وردت الى صاحبها عدا بضع مئات من الجنيهات تصرف فيها السارقون قبل الضبط وكان ذلك سنة ١٩١٩

وأما حادثة طنوب التى سالتنى عنها . فهى أنه كان يوجد رجل من تلا منوفية اسمه أبو سعده أعطى ثلاثة أشخاص من ناحية طنوب مركز تلا منوفية مبلغ أربعين جنيها للاتجار فى العجول الصغيرة على أن يكون له نصف الربح فى هذه التجارة وللثلاثة النصف الباقى - والثلاثة هم عبد الغفار

= المنظر مروعا واليكم ماجاءت به جريدة الاهرام فى العدد ١٧٥٦٠ - الصادر فى ٢٦ اكتوبر سنة ٩٣٣ على مسرح الحياة :

الجريمة التى هزت فرنسا (٣)

مواجهة البنت بالأم

« لن أغفر لك الا بعد الحكم عليك . . بعد موتك ! »

يرمى القضاء بالمواجهة أن يصل الى قبس جديد ينير السبيل للعدالة . بيد ان مواجهة فيوليت نوزيير ، قاتلة أبيها بأمها لم تأت بشىء يذكر لأن التأثير بلغ مداه حتى أنه لا القاضى ولا المحامى قد استطاع أحدهما أو كلاهما ان يتدخل وبوجه أقل سؤال .

أما الأم فكانت لا تزال نزيلة مستشفى سانت انطوان ، فما طلع صباح اليوم المحدد للمواجهة حتى لم يعد فى شارع المستشفى موضع لقدم ، وفى الساعة السابعة صباحا لزم الأمر لتدخل البوليس لحفظ النظام وإفساح الطريق للسيارات وكان الجمهور يتلهف على رؤية الفتاة القاتلة . وكان يعلم انه سيؤتى الى المستشفى بالتى سممت والديها فهو يريد ان يتملى من تلك الخلقة الغريبة عنده ، وبعد ذلك يعود الناس يحدث بعضهم بعضا « بأنهم قد شاهدوا . . . »

بيد ان كل الذين انتظروا الساعات الطوال قد خاب أملهم لأن البوليس خشى أن يلحق بالفتاة اعتداء من الجمهور الكاره لها فساقها من السجن فى مركبة مقفلة الى باب صغير خلفى بالمستشفى مخصص لدخول الأطعمة والأدوية . وكانت فى ذلك الثوب الأسود الذى قضت به ليالى الهوى الأخيرة . ولم تفه بكلمة وعرضوا عليها طعاما . فأكلت قليلا . وجلست معتمدة رأسها بيدها وقد تاهت نظرتها ، تنتظر . . .

وفى تلك الأثناء كان قد وصل المسيو لنوار قاضى التحقيق ، ورئيس النيابة والمحاميان عن =

السقاء ومنجود علام والثالث قد غاب اسمه عن ذا كرتى الآن وقد اتجروا و كانوا يبعثون له فى كل اسبوع نصف الربح ، وبعد خمسه أسابيع أوخمسة أسواق قطعوا عنه نصيبه فى الكسب فجاء اليهم ولقيه الثلاثة وأضافه عبد الغفار فى بيته ومعه زميلاه . وبعد أن تناولوا طعام العشاء قدم له قهوة فيها كثير من الحشيش . ولما فقد الرجل وعيه ولم تبق فيه قوة على المدافعة لتخدر اعصابه نقلوه الى زريبة البهائم وجاء عبد الغفار (بقرمة) وهى الخشبة التى يقطع عليها الجزارون اللحم ووضع رأسه عليها وفصل عنقه مع الرأس بالساطور . ثم أخرج أمعاءه وفصل أعضاءه من المفاصل ورمى بعضها فى النيل وبعضها دفن دفنا متفرقا

= فيوليت نوزيير ، والطبيب الشرعى ، ومندوبو الصحف .

وجاءوا بالأم محمولة على عربة يد من غرفتها الى القاعة التى أعدت بالمستشفى للمواجهة . وبدأ الاستجواب . وبعد الوصول الى تفاصيل عن السرقة الأخيرة وعن وقوع الأم مغمى عليها وعن تذكرة الطبيب المزورة التى ادعت الفتاة بأنها قد اشترت الدواء بموجبها وكان ذلك الدواء هو السم الزعاف ، بدأت المواجهة

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ـ فقال قاضى التحقيق مخاطبا فيوليت نوزيير:

ـ والآن أواجهك بأمك .

فاذا دموعها تنسكب مدرارا للحال . واذا بها تزفر وتنشج نشيجا مؤلما وتصرخ صراخا غامضا. وأشارت بيدها كأنها تقول : لا!..ولم تنهض ولكن المواجهة كانت أمرا محتوما . ودنا المحاميان من الفتاة كما لو كانا سيشدان أزرها .

وفتح الباب الفاصل بين القاعتين : فكشف مشهد له الهول. فهناك ، على مقعد كبير امرأة غارقة فى ضمادات الجروح ، شاحبة شحوبا لا يخفى شبابها وجمالها . وما أن فتح الباب حتى اعتدلت فى جلستها وأدخلت عليها فيوليت فصرخت الأم :

ـ فيوليت ! فيوليت ! فيوليت ! اقتلى نفسك ! ماذا صنعت؟ فيوليت ! فيوليت . لقد قتلت أباك ذاك الذى كان طيبا الطيبة كلها ! لقد قتلت ذلك الرجل! أما أنا فلست شيئا! ولكن أباك يافيوليت !! زوجى ! أبوك !...

وتحشرج صوتها . وغص بالعبرات . وكأنها تريد ان ترتمى بكل جسمها الى الأمام ، ثم اذا بصوتها يعلو بالألم والحقد معا : =

ولما جاء أهله للبحث عنه قيل لهم (كان هنا وذهب الى سوق كذا ولم يعد) وذهب عبد الغفار معهم للبحث عنه فى البلاد وكان يبكى لبكاء أهله - ولما أعياهم الأمر حصروا شبهتهم فى عبدالغفار وزميليه ، وبلغوا النقطة فاهتمت بالأمر وتولى احمد بك الخازندار و كان وكيل النيابة التحقيق . ولما بحثت لم أجد من أعضاء القتيل سوى الرأس ومعه العنق والفخذ اليسرى واحدى القدمين . ولما عثرت على الرأس (وكان بعد ثلاثة عشر يوما من وقوع الجريمة) - أردت أن أعرضه على المتهم عبد الغفار وسألته أهذا رأس القتيل ؟ فعراه انفعال شديد . ووضع يديه على عينيه جزعا وكان يتقهقر مبتعدا عن

= - فيوليت ! . أبوك ! . أطيب الرجال ! . اقتلى نفسك . اغربى .. انتحرى ! . . .

ووقف صوتها ثانية . وكأن فيوليت قد جعلت تتلاشى وتفنى من الوجود . .

فجعلت تزفر وتبكى بكاء مرا وكان الطبيب شديد التأثر موزع القلب بين الأم والبنت وكان الجميع كأن على رءوسهم الطير وعاد صوت الأم يقول :

فيوليت ؟ أبيك ؟ تتكلمين ؟ تقولين ؟ تتهمين ؟ أباك ! مثل هذا الرجل أين مثله ؟ ! انتحرى يا شقية ! فلن أغفر لك جرمك أبد الدهر ! . .

فانهارت الفتاة من طولها كأنها بيت مشيد قد سقط . وكان اليأس قد هدمها هدما وسال دمعها مدرارا وزحفت الى قدمى أمها زحفا وكان الحضور قد عصرت قلوبهم واشتد خفقانها وحزنها وزاد ذلك ما سمعوه من البنت إذ قالت بصوت متقطع متمزق

- غفرانك يا أماه غفرانك ! . .

- كلا ! .. فلن أغفر لك ابدا ! . .

وكان صوت الأم عندئذ قد ثبت وتجلى فان ما لقيته من أهوال واستعرضته فى تلك الدقيقة قد أعطاها قوة جديدة - أتوسل اليك يا أماه ان تسامحينى ! - كلا ! أبدا - صفحا يا أماه ! - ساصفح عنك بعد الحكم عليك ، عندما تنزلين الى قبرك ! . .

سكوت وصمت . بكاء وألم . ضيق وانزعاج . أم موتورة صارخة باكية ، وبنت يائسة متهدمة ، وشهود فى حزن ليس بعده حزن . وتمنى الجميع ان يوضع لهذه المواجهة حدها . وهى لم تكد تستغرق ربع الساعة ومع ذلك كانت ممتلئة بالهول والرعب والويل . وكان من صالح الأم المريضة نفسها الكف عن إيلامها . ولم ينبس قاض او محام ببنت شفة . وكان المشهد لم يسبق له مثيل فى تاريخ القضاء . وكان الجميع من قضاة ومحامين ورجال الشرطة وأطباء وممرضين قد عجزوا عن استبقاء دموعهم فانسكبت وقد بلغ تأثر القاضى حدا جعله لا يملى كاتبه شيئا . وصرح الطبيب =

الرأس مستغيثا قائلا (حوشوها من قدامى مش قادر أشوفها) وجاس على الأرض وأبى أن يتقدم لنظر الرأس بتاتا

ومع ما تقدم فقد استمر على انكار القتل واعترف زميلاه بكل شيء والصقا به تهمة مباشرة القتل واعداد كل شيء فى بيته . وقدمت القضية الى محكمة جنايات طنطا سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ فحكم على عبد الغفار بالاعدام شنقا وعلى زميليه بالاشغال الشاقة المؤبدة . هذا ما حضرنى الآن وتفضلوا بقبول وافر احترامى ؟ ٢٢ / ١٢ / ١٩٢٢

ولدكم اليوزباشى راغب ابراهيم عطيه

معاون بوليس مركز العياط

= الشرعى فيما بعد انه منذ أربعين عاما لم يشهد مثل هذا الموقف الفاجع وكان الأستاذ هنرى جيرو محامى الفتاة ، وهو نفسه محامى جرجولوف الروسى قاتل رئيس الجمهورية الفرنسية السابق المسيو بول دومير قد تأثر عندئذ أكثر مما كان متأثرا إذ سار الى جنب موكله جرجولوف عند الفجر ، منذ بضعة أشهر الى المقصلة .. فهو هنا قد اهتز وارتجف من قمة رأسه الى قدميه لهذه الأم التى تحكم وتابى الصفح . .

وانتهى المشهد . ولزمت الأم عندئذ الصمت . وألقت برأسها الى الخلف ، وثبت نظرها كأنه قد تسمر بالسقف ولم تلق على بنتها نظرة إذ أخذوها عنها « الى السجن » وعادوا بها على محملها الى غرفتها . وتأجلت المواجهة من جديد شهرا .

لقد قالت الأم كلمتها الأولى . وهذه الكلمة هى حكم بوضع رقبة ابنتها فى حبل المشنقة ...

على أن حضراتهم لو سألونى مسترسلين لأجبتهم بانى لم أدع ان الرعدة هى الدليل الوحيد الموصل الى القتل قصاصا . بل أقول لهم انما رعدة المتهم باب يوصل الى الاعتراف المؤيد بالأدلة المادية الشاهدة على صدقه فى اعترافه كضرب المتهم عند مالك الموصل الى الاعتراف بالجريمة اعترافا مصحوبا بما يدل على صدقه فى اعترافه . وحينئذ يكون دليل القصاص ليس هو الرعدة فقط بل ما أدت اليه من الأدلة المادية — والرعدة أساسه

فالرعدة الحاصلة للمتهم عند توجيه التهمة اليه هى ظاهرة من هذه الظواهر التى كثيرا ماتعترى المجرم الحقيقى فتضيق دائرة الاتهام أمام المحقق فيسعى فى جمع الأدلة فى هذه الناحية واستخراج الواقع من تضاعيف تصوراته لأن نفس المتهم تصغر وتضعف عنده قوة المقاومة فيستسلم أمام الحقيقة ولا يجد مناصا من الاعتراف الصحيح . =

ان العلم اليوم قد كشف عن بعض الغرائز النفسية وأدخلها تحت سلطانه وأخضعها لقوانينه - هذه أمريكا قد اخترع علماؤها آلة تسجل ضربات القلب كما وكيفا فهى تسجل عدد الضربات فى الثانية الواحدة وتبين حالة الضربات ان كانت مرتفعة أومنخفضة ومن ذلك يمكنهم أن يقرءوا فى ضوء هذه الآلة الاحوال النفسية للمتهم فى جريمة من الجرائم . وطريقة ذلك أن تناط الآلة بمكان نابض من جسمه كالساعد . ثم يذكر المحقق أسماء الأمكنة والآلات والأدوات التى يمكن أن تستعمل فى الجريمة والأحوال والأزمان التى يمكن أن تقارنها أو يكون المتهم قد لابسها - فان

= قد يحصل ان تشهدوا المتهم وهو يسال عن جريمته وترونه جريئا ثابتا فى نظركم فى وقت يراه فيه المحقق المجرب مضطربا مذعورا وأنتم لا تعلمون فالمسالة فنية محضة يعرفها أرباب الفن وأهل الدراية الخاصة

حضرات أصحاب الفضيلة عندى فى موضع الاحترام والاجلال لذلك لا أريد ان أجيبهم بعدم الثقة بقولهم الصادر من غير تجربة ولاخبرة بل أسكت وكفى

واما ضربهم المثل بالطبيب الذى يزاول التشريح وانه يتاثر أول الأمر ثم يزول ذلك التاثر منه . — فانى أجيب حضراتهم بان المشرح بوصف أنه طبيب يعمل ذلك وهو مطمئن القلب جازم بان عمله ليس وراءه مسئولية ولا يظن ان تبعة عمله ستوقفه موقف الاتهام بل يرى أنه يقوم بواجب يجب عليه اداؤه والمسئولية انما تترتب على التقصير فيه

لذلك نراه مطمئنا هادئا . بخلاف المجرم فان شعوره بفداحة الجريمة التى اقترفها وبعظم المسئولية يجعله مضطربا ابدا فالقياس على الطبيب قياس مع الفارق - وأيضا فان الطبيب اذا كان مشرحا أو معالجا غيره اذا كان مجرما آثما

قال حضرات اعضاء اللجنة (فهذه خمسة أوجه تدل على خطأ هذا الرأى من الوجهة العلمية) وانا أوافق حضراتهم موافقة تامة على أن هذه خمسة اوجه تدل على خطأ الرأى من الجهة العلمية - ولكن أى الفريقين هو المخطىء ؟

ان ادنى نظر يهدى من اطلع على نقدكم وردى عليه إلى نسبة الخطأ إلى الفريق الذى ارتكبه فنظر القارىء كاف والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ونظر القارىء إلى ناحية الصواب انفذ ورأيه فى الحكم لى أو لهم أعلى .

ظريف جدا قول اللجنة - وهناك وجه سادس لانبديه لفضيلة الاستاذ الخ

فقد ارادوا أن يلهبونى بالسياط على ارجل قوم اخرين لا اعلمهم فهل هم بذلك يريدون أن =

المتهم اذا سمع اسم الآلة التى استعملت عراه انفعال(١) خاص فنبض نبضه نبضا عاليا متواترا يتغير به نظام النبض ثم يعود إلى الحالة الطبيعية فيأخذ المحقق كل كلمة اقترن بها اضطراب النبض ثم يضمها إلى قريناتها حتى يخرج بتقرير عن الجريمة وآلتها ومكانها وملابساتها من حصولها فى ظلمة أوضوء وهل حصلت من المجنى عليه مقاومة أولا وهكذا فالله تعالى مكون الغرائز ومثبتها فى الأنفس شاء أن يدل بنى اسرائيل على طريقة تبين لهم الفاعل اذا تدافعوا فى قتل نفس ولم يعلم الفاعل فداهم

= يتناسوا بقول القائل (اياك أعنى واسمعى ياجاره) ؟

قال أصحاب الفضيلة بعد ذلك « وأما الوجه الأول وهو تصدير الموضعين بقوله تعالى (واذ) فلا يدل على انهما قصتان منفصلتان سببا وحكما اذ يمكن ان يقـــال انهما قصة واحدة كما وردت بذلك الآثار وكما هو المعقول »

اقول . وهل قلت فى كتابى غير هذا ياحضرات اصحاب الفضيلة المدققين ؟ لقد قلت فى =

---

(١) جاء فى كتاب (علم النفس) لحضرات الأفاضل الأساتذة. حامد عبد القادر افندى . وعطيه الابراشى افندى . ومحمد مظهر سعيد افندى فى الصفحة ٢٦٠ من الجزء الأول منه مايأتى :

روى أنه عرض على ابن سينا . أحد الأمراء . وقد أعيا الاطباء أمره . فلما رآه وخاطبه فى شأن مرضه . تبين له أن مرضه هو الحب . ولم يشأ المريض أن يبوح باسم محبوبته . ولما علم ابن سينا أن شفاء المريض متوقف على معرفة محبوبته وازالة ماعنده من وجدانات وعواطف كامنة مرتبطة بها أخذ على عاتقه أن يعرف اسمها بأية وسيلة . فامر باحضار أكبر سكان المدينة سنا . فلما حضر قال له . اتعرف شوارع هذه المدينة وسكانها ؟ قال نعم . فأمره بان يذكر أسماء الشوارع شارعا شارعا وهو قابض على يد المريض ليتحقق من مقدار سرعة نبضه . فلما ذكر الرجل اسم أحد الشوارع . أسرع نبض المريض . فامر الرجل بان يذكر اسماء الشوارع المتفرعة من هـذا الشارع . فلما أتى إلى اسم احدها ازدادت سرعة النبض ثانيـة . فامر الرجل أن يقص عليه اسماء البيوت الواقعة فى هـذا الشارع الصغير . فلاحظ ابن سينا ازدياد نبضه عند ذكر أحد البيوت . فقال له : اخبرنى عن اسماء سكان هذا البيت من الفتيات . فلما أتى اسم المحبوبة أسرع النبض . فالتفت ابن سينا إلى المريض وقال له : اليست هـذه محبوبتك ؟ فاجابه نعم . وبالبحث علم انها ابنة عمه . وان الشاب كان يحبها حبا جما . ولم يجرؤ أن يذيع سره خوفا من أهله . ولكنهم لما علموا أن شفاءه فى التزوج بها زفوها اليه . فبرىء من مرضه وعاد الى حالته الطبيعية . فسبحان من يعلم السر وأخفى اه

على هذه الطريقة التى لا تتخلف غالبا لتحقن بها الدماء وتحيا الأنفس

وهذا هو المراد بقوله جل ذكره . كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته

ذلك أن ولى الدم ربما حصر شبهة قتل قريبه فى برىء فاغتاله على حين غرة منه ومن الناس . ويأتى ولى المقتول الثانى ويحصر شبهته فى برىء آخر فيغتاله بالطريقة التى اغتيل بها قريبه . فالله سبحانه وتعالى أراد ببيان هذه الطريقة أن يعلم الفاعل بلا لبس ويقتص منه ويحيا من كانوا مظنة للاتهام وهم برآء

= ص ٢٤٢ - ٢٤٣ (والذى اريد أن اخرج به من هذا البحث هو أن القول بان القصة الأخيرة مرتبطة بما قبلها ليس متعينا وان مسألة ضرب القتيل بجزء من البقرة فحي واخبر بقاتله لم يرد به نص قطعى الثبوت والدلالة وان الرأى الذى رأيته تحتمله الآية والله الموفق للسداد» وها انتم تقررون ماقررت « اذ يمكن أن يقال انهما قصة ، واحدة » وهذا عين ما قلته فاين موضع الرد ياحضرات الاجلاء الاعلام وعلى أى شىء تخالفنا ؟

وانى اختم الكلام فى مسألة البقرة بان اتقدم إلى أصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة بهذا السؤال ما قولكم دام فضلكم فى رجل قال لزوجته أنت طالق ان كان موسى رسول الله عليه الصلاة والسلام أو أحد من بنى اسرائيل قد ضرب ببعض البقرة التى أمر الله بنى اسرائيل بذبحها فذبحوها وما كادوا يفعلون قتيلا فحيي القتيل واخبر بنى اسرائيل باسم قاتله ـ فهل يقع عليه الطلاق بذلك وتحرم عليه زوجته فى الحال وتحل لغيره بعد العدة مع ان حلها لزوجها ثبت بيقين فلا يرفع الا بيقين مثله وحرمتها على غيره ثبتت بيقين فلا ترفع الا بيقين مثله ؟ .

وهل صاحب الفضيلة الشيخ الكبير مفتى الديار المصرية يفتى بحرمتها على زوجها بمقتضى هذه الآية ويعتبرها نصا قطعى الثبوت والدلالة ـ على حياة قتيل بنى اسرائيل واخباره بقاتله ؟ وهل فضيلته لايرى حرجا فى أن يشهد على الله تعالى بان طلاق المرأة على ذلك شرعه الذى رضيه لأهل الاسلام ؟

اسأل الله تعالى لى ولاعضاء اللجنة الهداية إلى سواء السبيل

بعد هذه السياحة الطويلة ـ اقول لحضرات اعضاء اللجنة الاجلاء أن الاحتمال الذى طرقته فى فى مسألة البقرة وطلبت رأى حضرات العلماء فيه قدرن صداه فى معهد الدراسات الجنائية بكلية الحقوق وصار له فى انفس الدارسين لعلم النفس الجنائى والمحاضرين مكانة مكينة وقدتنا ولوه فى محاضراتهم بالبحث والدرس والتحليل وما كنت أظن أن يكون لهذا الوجه هذه الأهميه وان =

وأيضا ـ من تحدثه نفسه بقتل غيره غيلة ويظن أنه يفلت من العقاب . اذا علم أنه لانجاة له لأن هذه الطريقة ستظهره . يكف عن القتل ويحقن دم من هم بقتله ودم نفسه وفى ذلك حياته وحياة غيره على حد قوله تعالى ـ ولكم فى القصاص حياة ـ لأن الحياة التى فى القصاص ليست للقتيل ولا للقاتل ولكن لمن كانوا على طريق القتل من الأحياء

بقى أن يقال . أن أهل الكتاب ليس عندهم هذا الضرب الذى مشيت عليه فى الآية ـ وجوابى على ذلك أن الله تعالى شهد عليهم بانهم نسوا حظا مما ذكروا به . فليكن هذا مما ذكروا به ونسوه

= يكون علماء النفس المتناولين له وانا حى أرزق

فهذا النجاح الذى نلته لاسبب له سوى اعضاء اللجنة جزاهم الله خيرا عما وصل الى على ايديهم من خير وان لم يقصدوه

وهل أتى حضراتهم أن الروايات التى أوردها المفسرون فى شأن البقرة والقتيل الذى يدعون أنه ضرب ببعضها فحي إلى آخره انما هى اسرائيليات ؟

قال الحافظ بن كثير (بعد ان سرد الآثار الواردة فى شأن البقرة)

وهذه السياقات عن عبيدة وابى العالية والسدى وغيرهم فيها اختلاف والظاهر أنها مأخوذة من كتب بنى اسرائيل وهى مما يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب فلهذا لا يعتمد عليها إلا ماوافق الحق عندنا والله اعلم .

ونقل فى تفسير المنار قول ابن كثير « أكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب »

وحيث قد ظهر من كل ماتقدم ان مسألة ضرب القتيل ببعض البقرة فحي وأخبر بقاتله لا تستند إلى نص قطعى الثبوت والدلالة وان اكثر مافيها من الاسرائليات فيكون الجرى على ذلك القول غير متعين ولا حرج على من يفهمها على وجه آخر مادام محافظا على اسلوب الكتاب الكريم غير مخل بمقصد من مقاصد الدين ويكون ما أوردته وجها محتملا وهذا ما أردته .

استدراك

قال حضرات اصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة « وعلى تسليم الاطلاق يكون المقصود من هذه الجملة هو براءة المتهم غير القاتل دون اظهار القاتل الحقيقى المقصود من القصة » =

وليس هذا الشأن باول شيء نسوه مما ذكروا به فكم من حادثة ذكرها القرآن وليس لها ذكر عندهم فقد سكتت التوراة عن هلاك زوجة نوح وعن مسالة ابنه وهلاكه وذكرهما القرآن

اقول انى اشهد الله وجميع خلقه واسأل أهل الأرض قاطبة عن جماعة اريد امتحانهم بعرض القتيل عليهم وضرب كل واحد منهم بيد القتيل مثلا فامضى كل واحد منهم الامتحان بدون تغير ولا اختلال فى موازين عقله وحركات نبضه إلا واحدا أخذته الرعدة وعراه من هذه المشاهدة ما يعرو من أصيب بمس وظهر عليه من امارات الجزع والاضطراب شيء لم يظهر على غيره من الجماعة . فهل تحكمون بانهم جميعا فى البراءة من سفك دم القتيل سواء ويكون من ظهرت عليه امارة من ذلك بريئا براءة جميعهم . وهل جميع الحكام فى الدنيا عندهم من طيبة القلب والرفق ماعند حضرات الأعضاء فيأمروا لمن ظهر عليه الاضطراب وحده بمكافأة حسنة ويخصوه برعاية وبملاطفة لايجدها من ابيه وامه ؟

ان نظر القراء فى الموازنة بين ماقلت وما قالوه كاف ولا الجأ فى الحكم على شان الذى انفرد بالاضطراب والارتعاد الا ضمائر حضرات القراء .

واما قول حضراتهم « واين هـــذه التعسفات من المعنى المشهور للآية » فهو آية نخار لى وعنوان شرف احرص عليه ليس شيئا فى جنبه ما نلت من أوسمة أو دبلوم قالوا « (كذلك) أى كهذا الاحياء العجيب وهو احياء القتيل بضربه ببعض البقرة يحيى الله الموتى يوم القيامة بالبعث فيكون اثباتا للبعث الذى كثر منكروه ، بالمشاهدة لمن حضر تلك الحادثة) »

والذى اقوله . ان السياق الذى جاءوا به فى هذه الجملة يدل على انهم يرون أن الباعث على احداث الله تعالى هذه المعجزة التى يقولون بحصولها وهى احياء القتيل بضربه ببعض البقرة أن يثبت موسى لبنى اسرائيل ما ينكرونه من البعث واحياء الله الموتى . وانى لهم أن يثبتوا أن بنى اسرائيل قد انكروا البعث يوم القيامة . فاوجد الله تعالى حادثة قتل القتيل والتدافع فيه إلى غير ذلك مما يحكونه فى تلك القصة ليبرهن لبنى اسرائيل على قدرة الله تعالى على احياء الأنفس بعد موتها فى الدار الأخيرة وأن الآيات التى صنعها الله لهم من قلب عصا موسى حية واليد وسائر الآيات التسع التى ضرب بها المصريون وفرعون ونجاة بنى اسرائيل بفلق البحر وضرب طريق لهم فى البحر يبسا وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى لهم ونتق الجبل فوقهم كانه ظلة وانباط الماء من الصخر بضرب موسى الحجر بعصاه كل ذلك لم يكفهم بل طلبوا أن ينظروا باعينهم احياء الله الموتى إلى ان كان ما كان مما يقولون فاين مايدل على ذلك من الكتاب الكريم ؟

والذى اريد أن أخرج به من هذا البحث هو أن القول بان القصة الأخيرة مرتبطة بما قبلها ليس متعينا وأن مسألة ضرب القتيل بجزء من البقرة فحيي وأخبر بقـــاتله لم يرد به نص قطعى الثبوت والدلالة . وان الرأى الذى رأيته بما تحتمله الآية والله تعالى هو الموافق للسداد

بعد كتابة ماتقدم وطبعه أطلعت عليه حضرة العلامة البحاثة الأستاذ محمد فتحى رئيس مجلس حسبى مصر فاظهر لى ارتياحه وأهدى الى رسالتين عنوان كل منهما (علم النفس الشرعى وكشف الجرائم) ثانيتهما تشتمل على مانشره فى مجلة المحاماة عددى مايو واكتوبر سنة ١٩٢٧ وفيها عدة

= قرأت فى جريدة الجهاد الصادرة فى هذا اليوم (٢٨ يونيه سنة ١٩٣٦) خبراً جاء فيها عن معاينة النيابة ورجال المباحث لمكان وقعت فيه جناية قتل فيها شاب فرنسى فى حجرته . وكان مستخدما فى محل فلوران وقد جد البوليس فى تتبع الجريمة حتى انتهى الى اتهام اثنين بالقتل وقد ذهبت النيابة وضابط المباحث لمعاينة مكان الجريمة بعد أن اعترف بها أحد المتهمين (عطية) والى القراء ما جاء فى الجهاد عن ذلك « وقد بدأت المعاينة فى غرفة القتيل ثم انتقل حضرة المحقق الى الغرف والممرات المحيطة بها التى مر منها المتهمان قبل تنفيذ الجريمة وبعدها

وقد علم مندوبنا ان المتهم عطية اعترف فى التحقيق الذى أجرته النيابة غير أنه لما استأنف حضرة المحقق صباح أمس التحقيق معه أصر على الانكار وكان يمتنع عن الأسئلة التى توجه اليه ـ وقبل أن تتم المعاينة أخذ المتهم عطية يصيح بأعلى صوته ـ مظلوم ياناس حرام عليكم ـ ولما سيق الى غرفة بها آلة للفرم وقف بجوارها وهم بأن يضرب رأسه بها ولكن حارساه تداركاه فمنعاه

وقد عمل حضرة المحقق على الوقوف على كيفية تمكن المتهمين من الوصول الى غرفة القتيل وتنفيذ القتل . غير ان الحالة النفسية التى كان عليها المتهم عطية حالت دون إتمام المعاينة

ومما لاحظناه ان المتهم عطيـة كان فى ذهول يدل على أنه يعـــانى من تأنيب الضمير آلاما وانفعالات اه المراد منه

ففى عرف حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة ان هذا المتهم عطية الذى عراه الانفعال والذهول برىء من جريمة القتل لأن الانفعال عند معاينة مكان الجريمة إنما يصيب البرىء لا المجرم هــذا عرف حضراتهم والواجب على الحكومـة ان تقدم هدية لهـذا المتهم المنفعل وأن تقضى ببراءته لأنه ظهر عليه الذهول والانفعال وكل ذلك فى عرف حضراتهم أمارة البراءة غالبـا ـــ وهكذا يكون النقد البرىء الراقى للبحوث العلمية العالية =

مباحث لكشف الجرائم بالوسائط العلمية وقد خطر لى أن انقل لحضرات القراء بعض الكلمات التى جاءت فى بحث طريف من ابحاث الرسالة وهو

(قياس الانفعالات النفسية عن طريق الجلد)

قال :ـ

ان كشف آثار الانفعالات النفسية لايقف عند حد قياس زمن التفاعلات العقلية بالكرونسكوب ـ بل هناك من الوسائل العلمية الأخرى مالا تقل عنه خطورة وأهمية

ولقد أشرت فى محاضرة ألقيتها فى نادى الحقوق فى يناير سنة ١٩٢٥ ومنشورة فى مجلة المحاماة المحاماة عدد نوفمبر من تلك السنة تحت عنوان (علم النفس الشرعى) وآثار الانفعالات النفسية فى كشف التاثرات النفسية بقياس قوة مقاومة سطح الجلد للتيارات الكهربائية بتمرير تيار كهربائى ضعيف فى الجسم ثم رصد آثار الانفعالات التى تنتاب الشخص الذى تحت الاختبار بمقياس دقيق لمقاومة التيار معروف باسم (جلفانومتر) وهو جهاز ذو ابرة مغناطيسية حساسة للتيارات الكهربائية وتسجل ما يطرأ عليها من التغيير

فان هذه الظاهرة الجلدية العجيبة قد درست من الوجهة الطبية وأجريت فيها عدة ابحاث فنية قام بها نخبة من خيرة العلماء أمثال شارل فيريه (C. Féré) وفيجورو (R.Vigourou) وستكر (Sticker) وتارشنوف (Tarchanof) وزومر (Sommer) وفورستنو (Furnstenau) وغيرهم من رجال العلم وابطال البحث

فدلت التجارب المتعددة التى قاموا بها على أن كل خاطر يمر بالبال أو كل لفظ يطرق السمع ولو كان مدلوله تافها وظاهره مجردا عن المغزى . له تأثيره الخاص فى النفس . ويظهر بوضوح فى جهاز الاختبار .

أما أساليب الاختبار فكثيرة متنوعة . ويكفى هنا ذكر الطريقة الأكثر شيوعا : وهى أن

= وقفت على حكم طنوب واقتطفت منه ما يأتى :

عبد الغفار السيد منصور ـ منجود علام على ـ بسيونى احمد عبد الغفار ـ عبد العزيز سيد احمد قتلوا بطنوب عمدا عبد الحميد موسى أبو سعدة بان ذبحوه وقطعوه مع سبق الاصرار ليلة ٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ وقد حكم على الأول بالاعدام وعلى الثانى والثالث بالاشغال الشاقة وبراءة الرابع فى القضية نمرة ٢٧٦ احالة سنة ١٩٢٠ وكان رئيس الجلسة صالح بك حقى وتاريخ الحكم ٢١ يوليه ١٩٢٠

يؤمر المختبر بان يستوى على مقعد مريح وثير الفراش ذى متكأين يركز عليهما منكبيه ثم يبسط راحته على لوحين نحاسيين . أو يضع أطراف بعض أصابعه فى اناءين صغيرين من الصينى بهما محلول ماح الطعام — ثم يسلط على اللوحين أو الاناءين تيار كهربائى ضعيف من بطارية قوتها ١٥ فولتا بحيث لايكون التيار محسوسا طول مدة الاختبار

وتقاس التقلبات التى تطرأ على التيار بجلفانومتر دقيق ذى مرآة عاكسة ويوضع على مسافة متر تقريبا تجاه المرآة مصباح قوى يلقى أشعته عليها وهذه تعكسها على لوح كبير من السلولويد مقسم إلى سنتيمترات . ومليمترات بحيث أن كل تغيير فى قوة مقاومة التيار مهما كان طفيفا يؤدى إلى تحرك الجلفانومتر بالمرآة فيظهر أثرهذه الحركة مكبرا فى رحلات الاشعة الساقطة على اللوح المقسم وبهذا يمكن قياس درجات انحراف الاشعة عن موضعها الأصلى بسهولة

فكل لفظ يحدث فى النفس انفعالا مهما كان طفيفا يؤثر فى قوة مقاومة الجلد للتيار تاثيرا خاصا يبدو على اللوح مكبرا وبذلك يتسنى للخبير أن يرصد مراتب الانفعالات المختلفة لكل خاطر بدقة ووضوح تام . فيدرس بماتسطره يد العلم على لوح الامتحان نفسية المختبر - درسا غاية فى الدقة حيث ينطق الجلد قبل اللسان بما يكنه الفؤاد ويضمره الجنان

أن هذا الأسلوب العجيب من البحث قد استخدم فى الابحاث الطبية وتشخيص الانفعالات النفسية فى الحالات المرضية بمهارة وأحكام

ولقد اتجهت أنظار العلماء أخيرا الى تطبيقه فى الابحاث الجنائية لكشف التأثرات الخفية الخاصة بالذكريات الاجرامية فوصلوا فى ابحاثهم الى نتائج جديرة بكل اعتبار واهتمام

أقول : أن العلم فى كل زمان يخدم القرآن الكريم ويبين البيان الوافى أن الغرائب التى فيه صحيحة مؤيدة بالبراهين الناصعة

ورد فى القرآن الكريم أن أهل الذنوب ينطق الله تعالى جلودهم يوم القيامة فتشهد عليهم بما اقترفوا من الذنوب فى الحياة الدنيا - وهذا العلم جاء اليوم يؤيد ذلك

اقرءوا قوله تعالى فى سورة فصلت (ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون . حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون) لا اريد حمل الآية على ان المراد بها ان الله تعالى ينطق الجلود بتلك الآلة ولكنى اقول ان العلماء ينطقون الجلود فى الدنيا بما اوتوا من العلم والله ينطقها فى الآخرة بما له من القدرة الغالبة والحكمة العالية

ويعجبنى قول الأستاذ العلامة محمد فتحى فى آخر رسالته المذكورة : وكلما ازدادت أساليب الاختبار تحسينا واتقانا زادت معها نسبة النجاح فى اقتحام ضمير المتهم وكشف بواطن عقله واستخلاص ما يكنه فى سويداء قلبه من الخبايا وانتزاع أعز ما يحرص عليه بين حنايا ضلوعه من الأسرار. اه

فاذا كان ذكر أسماء الأشياء التى لها ذكريات فى الجريمة كافيا لفضح سر المتهم . فمن باب أولى يكون عرض القتيل على القاتل وضربه بجزء منه حاملا على اضطرابه وظهور أمارة الاجرام عليه

جاء فى اهرام يوم السبت ٩ مارس سنة ١٩٣٥ بمناسبة الحكم على هويتمان قاتل ابن لندبرج بعد أن تكلم على الآلة الفاضحة لاسرار المجرمين قال :

وفاضحة الاسرار مفيدة ليس فى الدلالة على الذنب أو البراءة فحسب بل فى ايضاح بعض امور مشكوك فيها تتعلق بالجريمة ، فنى قضية هوتمان مثلا قد تفضح كذبه فى انكار رقاع الفدية التى لاتزال هدفا للشك وفيما اذا كان هو واحدا من عصابة دبرت طريقة الخطف أو أنه اتمه وحده ، وتساعد أيضا على معرفة صدق بعض المشتبه بهم أو كذبه ، ولا سيما الآنسة فيولات شارب خادمة اسرة زوجة لندبورغ التى انتحرت بشرب السم عندما اراد رجال البوليس استجوابها مرة ثانية والتى يعتقد كثيرون أن لها أصبعا فى المكيدة

فالآلة البوليجراف مماثلة فى فعلها من بعض الوجوه للسائل المعروف - بمصل الصدق - الذى اذا اعطى المتهم مقدارا معلوما منه ارغم على ايراد مافى ذاكرته وماتت قوة ارادته فحال دون تبرمه أو اختلاق مالا يكنه صدره فلا يتفوه بغير الحقائق ، وقد جربوا هذا المصل فى سارق بعد اتهام اخرين غيره فكانت النتيجة مدهشة اذ اعترف بارتكابه الجريمة وحده وهو الآن يكفر عن جريمته فى السجن

وفى جريمة قتل حدثت فى شيكاغو سألت الحكومة الدكتور كيلر عن استخدام البوليجراف لفصل الابرياء عن المذنبين ففعل وكان نجاح الآلة فى كشف مخبئات صدورهم مدهشا اذ اعترف المرتكبون بفعلتهم بعد أن سجلت الآلة كذبهم وبرأت الآخرين ، وهناك عدة جرائم اخرى اماطت هذه الآلة عنها نقاب الكذب والتمويه لايتسع المجال لايرادها بالتفصيل بعد ان عجز رجال الحكومة عن الوقوف على خفاياها

قصة قارون وموقف موسى بأزائه

إيذاء بنى اسرائيل لموسى - إظهار الله تعالى براءته (١)

أما قصة قارون . فتلخص فى أنه كان رجلا من بنى اسرائيل آتاه الله بسطة فى الرزق وأدر عليه أخلاف الثراء حتى أن مفاتيح خزائنه كانت تنوء بالعصبة أولى القوة فكان مرموقا من قومه بعين الغبطة - كل من رآه فى زينته وأبهته يتمنى أن يرزق مثل مارزقه من الحظ فى الدنيا ويستعظمون ذلك أيما استعظام

كان أولو البصائر من قوم قارون يعظونه ويبذلون له النصح ويحذرونه عاقبة ما هو عليه من

---

(١) نقد اللجنــــة

الموضوع السابع

(ايذاء موسى وتبرئة الله اياه)

فى صفحة ٢٤٨ سطر ٧ مانصه :

اما ايذاء بنى اسرائيل لموسى فقد اختلف فى نوع الايذاء فقال قوم أنهم قالوا ان موسى به عيب جسمى واتهموه بالأدرة وقال آخرون بالبرص فنزل الماء ليستحم ووضع ثوبه على حجر فجرى الحجر بثوب موسى فصار موسى يجرى خلفه خارج الماء ويقول ثوبى حجر ثوبى حجر إلى ان وقف الحجر فى مجتمع بنى اسرائيل وموسى مكشوف العورة فظهر لبنى اسرائيل انه برىء من العيب الذى اتهموه به

وانا لاندرى ماهو الحامل أو الداعى الذى أراده الله من جعل الحجر يشتد فى الجرى وموسى فى أثره مكشوف العورة ولم كانت هذه المعجزة التى تهتك ستر بنى كريم يحنق بسببها ويضرب الحجر حتى يؤثر فيه ندوبا وايضا فانى لم أفهم كيف يكون ابتلاء موسى بالأدرة عيبا يحول بينه وبين الوجاهة عند الله تعالى .

واذا كان الاتهام بالادرة هو الأمر الذى أوذى به موسى فكيف ينافى هذا علمهم بانه رسول الله اليهم كما يشعر بذلك قوله لهم - ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم - فلا بد أن يكون الايذاء أكبر من الاتهام بالادرة

نعم ورد الحديث بمسألة الحجر ولكن فى رجاله عوف وقد جاء عنه فى تذهيب التهذيب أنه كان =

الخيلاء والزهو ويشيرون عليه بالابتعاد عن سوء مجاورة نعمة الله بالافساد فى الأرض ويحضونه على أن يبتغى فيما اتاه الله الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا بان يظهر عليه أثر معرفة نعمة الله بالاحسان الى الفقراء من عباد الله كما يظهر أثرها عليه فى تناول المباحات من اللذائذ وألا يستعمل نعمة الله فى طرق الافساد فى الأرض . لأن ذلك يغضب الله تعالى ولأن مجاورة نعمة الله بالافساد فى الأرض تدعو الى أن يغير الله تلك النعمة . فاعطاهم أذنا صماء ولم يصغ الى نصائحهم - وقال فى المال الذى عنده . انما أوتيته على علم عندى - ويقول المفسرون أنه كان واقفا على سر

= شيعيا رافضيا شيطانا هذا نص كلامه :

(رأى اللجنة)

نلاحظ عليه أنه استبعد وقوع قصة الحجر الذى جرى بثوب موسى وطعن فى الحديث الوارد بها بان فى رجال سنده عوفا وقد جاء عنه فى تذهيب التهذيب انه كان شيعيا رافضيا شيطانا .

وانا نورد هذا الحديث ثم نبين من خرجه ليتبين أن فضيلة الاستاذ لم يكلف نفسه استقصاء البحث حتى يكون حكمه صحيحا :

فى صحيح مسلم فى فضائل موسى عليه الصلاة والسلام حدثنا محمد بن رافع حدثنا عبد الرازق اخبرنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة عن رسول الله ﷺ فذكر أحاديث منها وقال رسول الله ﷺ كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قيل فجمح موسى باثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت بنو اسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان بالحجر ندوبا ستة أو سبعة من ضرب موسى عليه السلام بالحجر

ثم رواه مسلم بسند آخر فقال وحدثنا يحيى بن حبيب الحارثى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد الحذاء عن عبدالله بن شقيق قال انبأنا أبو هريرة إلى آخره نحو ما تقدم الا انه زاد فى آخره ونزلت يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وأخرجه البخارى فى ثلاثة مواضع فى التفسير وفى أحاديث الأنبياء بسند واحد فيه عوف مع زيادة نزول الآية السابقة وفى باب الغسل بسند آخر ليس فيه عوف فقال حدثنا اسحق بن نصر حدثنا عبد الرازق عن معمر بن همام ابن منبه فهو متفق مع السند الأول لمسلم ماعدا شيخه وهو اسحق بن نصر . =

الصناعة أى الكيمياء [1] أى احالة المعادن الخسيسة الى معدن نفيس هو الذهب) ذاهلا عن أن فضته وذهبه لن يغنيا عنه من الله شيئا . لأن الله تعالى قد أهلك من القرون من هم أشد منه قوة وأكثر جمعا فما أغنى عنهم جمعهم وما كانوا يعتزون به من مال ونشب ولم يفلتوا من عذاب الله تعالى

كان من احداث الزمان أنه خرج على قومه فى زينته فقال المولعون بالدنيا الذين يزدهيهم زخرفها (يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم) فوعظهم أهل البصر النافذ فيما وراء المظاهر الخلابة وقالوا لهم : ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا : طالبين صرفهم عن المطامع الباطلة فكانت

= واما عوف فقال الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى فى بيان من طعن عليه من رجال البخارى مانصه (عوف بن ابى جميلة الأعرابى البصرى ابو سهل من صغار التابعين وثقه احمد وابن معين وقال النسائى ثقة ثبت وقال محمد بن عبد الله الانصارى كان من اثبتهم جميعا ولكنه كان قدريا وكان شيعيا (قلت) احتج به الجماعة (يعنى اصحاب الكتب الستة) ثم قال الحافظ قال مسلم فى مقدمة صحيحه واذا قارنت بين الاقران كابن عون وايوب مع عوف بن أبى جميلة واشعث الحمرانى وهما صاحبا الحسن وابن سيرين كما أن ابن عون وايوب صاحبهما كان البون بينهما بعيدا فى كمال الفضل وصحة النقل وان كان عوف واشعث غير مدفوعين عن صدق وامانة اه

وقد صحح النووى رضى الله عنه الاحتجاج برواية المبتدع غير الداعية وقال فى شرح مسلم مانصه (فى الصحيحين وغيرهما من كتب ائمه الحديث الاحتجاج بكثير من المبتدعة غير الدعاة ولم يزل السلف والخلف على قبول الرواية منهم والاحتجاج بها والسماع منهم واسماعهم من غير انكار منهم والله أعلم اه .

من ذلك نعلم أن الحديث الوارد بقصة الحجر الذى جرى بثوب موسى صحيح وانه ورد فى الصحيحين من ثلاث طرق اتفق البخارى ومسلم على طريق منها وانفرد كل بطريق وان عوفا أحد رجال طريق واحدة وهى التى انفرد بها البخارى ، فعلى فرض أنه ضعيف لا يلزم ضعف الحديث لوروده من طريقين آخرين لا يوجد عوف بين رجالها على انك علمت مما نقلناه عن =

---

[1] ظل الأوربيون يقولون باستحالة تحول المعادن حقبة من الدهر . ولكنهم بالاستمرار فى البحث فى الذرة - أو الجوهر الفرد - صاروا يقولون ان ذلك من الممكنات وهم جادون فى تفريق أجزاء الذرة حتى اذا تم لهم هذا أمكنهم أيجاد أى مركب كالذهب وغيره وحينئذ يكون ماكان يبدو مستحيلا صار جائزا .

عاقبة طغيانه وانصرافه عن شكر الله على نعمته ان أزال الله عنه لباس النعمة وأذاقه وبال أمره فخسف به وبداره الأرض ولم يجد له ناصرا أو معينا .

اقرءوا هذه الآيات : —

سورة القصص — إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ٧٦ وَابْتَغِ فِيمَا

= الحافظ بن حجر ان أكثر أئمة الحديث ومنهم أصحاب الكتب الستة على توثيق عوف والاحتجاج بروايته وان ابتداعه لا يمنع من ذلك كما قرره النووى ومانقله فى شأنه عن تذهيب التهذيب نقلها صاحبه وهو الحافظ الذهبى فيه وفى ميزان الاعتدال عن بندار فلعلها مبالغة فى بيان تشيعه والا فغيره نقل عنه انه كان شيعيا ولا يلزم منه أن يكون رافضيا والله اعلم .

أما ايذاء بنى اسرائيل لموسى فقد ذكر المفسرون فى نوعه عدة أقوال منهما أنهم نسبوا اليه عيبا فى بدنه وهو ما ذكر فى الحديث ومنها انهم نسبوا اليه أنه قتل أخاه هارون ومنها أن قارون أغرى مومسا على قذفه بنفسها ومنهما مانسبوه اليه من السحر والجنون ومنها ماحكى عنهم فى القرآن من قولهم اذهب أنت وربك فقاتلا اناهنا قاعدون ، وقولهم لن نصبر على طعام واحد وقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة إلى غير ذلك ، قال الألوسى ويمكن حمل ماقالوه على جميع ماذكر اه .

واذا صح ماقال الألوسى فلم يكن هناك من تناف بين صحة هذه الرواية فى بيان نوع الايذاء وصحة غيرها من الروايات فى بيان نوع آخر .

وأما تردده فيما أراده الله من جرى الحجر فلا وجه له فان الله أراد بذلك اظهار براءة موسى من العيب الذى اتهموه به والذى يجب تنزيه الأنبياء عنه عند المحققين قال النووى فى شرح مسلم ومنها أى من فوائد هذا الحديث ماقاله القاضى وغيره ان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين منزهون عن النقائص فى الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعايب قالوا ولا التفات إلى ماقاله من لا تحقيق له من أهل التاريخ فى اضافة بعض العاهات إلى بعضهم بل نزههم الله من كل عيب وكل شىء يبغض العيون أو ينفر القلوب اه .

ثم أن الله تعالى أظهر براءته بمعجزتين عظيمتين ظاهرتين احداهما مشى الحجر إلى ملأ بنى اسرائيل والثانية حصول الندب فى الحجر .

وأما استبعاده لوقوع هذه المعجزة لأن فيها هتكا لستر نبى كريم فلا وجه له أيضا لثلاثة أمور — =

آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ

= الأول أن المقصود كما علمت اظهار البراءة مما نسبوه اليه وذلك يستلزم الكشف وقد اقترن بمعجزة باهرة لتبكيت بنى اسرائيل على هذا الظن السيء الذى لا ينبغى أن يكون منهم فى حق هذا النبى العظيم الذى يؤيده الله تعالى بالمعجزات الباهرات فى جميع مواقفه معهم . وما أكثر مواقف بنى اسرائيل فى المراوغة والعناد والتنطع)

الأمر الثانى ووجهه أنه لو كان محرما فى شرعهم لكانوا جميعا عصاة وهو بعيد ولما كان هناك وجه لاتهامهم له بالادرة بسبب انفراده بالغسل لأنه يكون انفراده حينئذ امتثالا للشريعة كما قاله الحافظ ابن حجر ان اغتسال بنى اسرائيل عراة ونظر بعضهم إلى بعض كان جائزا فى شرعهم وانما كان موسى يغتسل وحده اخذا بالافضل . واذا كان كذلك فلا شيء فى كشف ستره أمامهم واستقباح النفس له الآن لأنه محرم فى شرعنا والله اعلم .

الأمر الثالث ما يترتب عليه من المصلحة التى لا توجد اذا بقى الأمر مكتوما بل يكون حينئذ مفسدة وأى مفسدة حيث يكون منهم استمرار العجاج فى الطعن على موسى بما يؤدى إلى زيادة شدتهم فى عنادهم له ويفضى إلى بعدهم عن قبول ما جاء به والنفور من الايمان به والرجوع إلى الكفر الذى هو مفسدة واثم كبير فأى الأمرين أرجح فى نظر فضيلة المؤلف اكفر امة باسرها وانتقاص وايذاء نبى كريم أم كشف عورة لا مفسدة فيه؟ كما اشار شراح الحديث من أن كشف العورة كان جائزا فى شريعة موسى واجتنابه عليه السلام لكشف عورته كان أخذا بالأفضل

ثم ان مقتضى كونه وجيها عند الله أن يبرئه من كل تهمة تلصق به كذبا سواء كان ما يتهم به كذبا عيبا يتنافى مع الرسالة أولا كما أن مقتضى كونه رسول الله اليهم أنقذهم من ظلمات الضلال إلى نور الايمان وأخرجهم من استعباد فرعون وقومه لهم إلى الاطلاق والحرية أن لا يؤذى منهم باى نوع من أنواع الايذاء ولاشك أن اتهامه كذبا بعيب فى بدنه يعتبر إيذاء وان لم يتناف ذلك العيب مع الرسالة =

عَظِيمٍ ٧٩ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا
إِلَّا الصَّابِرُونَ ٨٠ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ٨١ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ٨٢ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣

= على إنك علمت أن المحققين على أن مثل هذا العيب مما يجب تنزيه الأنبياء عنه .
وبذلك يعلم أن ماقاله الاستاذ ثم انى لا افهم كيف الخ لاوجه له والله سبحانه وتعالى أعلم .

رد المؤلف على نقد اللجنة

الموضوع السابع

(إيذاء موسى وتبرئة الله إياه)

نظرت الى لفظ الايذاء فى القرآن الكريم فوجدته انما يكون فى أمور هامة غليظة غالبا فقد قال الله تعالى :

(١) - (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مماقالوا وكان عندالله وجيها) الأحزاب اية ٦٩

(٢) - (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) الأحزاب اية ٥٧

(٣) - (الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) الأحزاب اية ٥٨

(٤) - ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) التوبة آية ٦١

(٥) - ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله) الأحزاب ٤٨

(٦) - ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) ابراهيم ١٢ =

أما ايذاء بنى اسرائيل لموسى فقد . اختلف فى نوع الايذاء . فقال قوم انهم قالوا ان موسى به عيب جسمى واتهموه بالادرة وقال اخرون بالبرص فنزل الماء ليستحم ووضع ثوبه على حجر فجرى الحجر بثوب موسى . فصار موسى يجرى خلفه خارج الماء ويقول ثوبى حجر ثوبى حجر الى أن وقف الحجر فى مجتمع بنى اسرائيل ورأوا أنه برىء من العيب الذى أتهموه به

وأنا لا أدرى ما هو الحامل أو الداعى الذى أراده الله من جعل الحجر يشتد فى الجرى وموسى فى اثره مكشوف العورة ولم كانت هذه المعجزة التى تهتك ستر نبى كريم يحنق بسببها ويضرب الحجر

= (٧) - واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) النساء اية ١٦

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسما فقال رجل من الأنصار ان هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله - قال فقلت ياعدو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت . فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه ثم قال (رحمة الله على موسى فقد أوذى بأكثر من هذا فصبر) أخرجاه فى الصحيحين من حديث سلمان بن مهران به

طريق آخر - قال الامام أحمد حدثنا حجاج سمعت اسرائيل بن يونس عن الوليد بن هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبدالله بن مسعود قال قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه (لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر) فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال فقسمه . قال فمررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا الدار الآخرة قال فثبت حتى سمعت قال ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله انك قلت لا يبلغنى الخ وانى مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاحمر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال دعنا منك فقد أوذى موسى أكثر من هذا فصبر - وقد رواه أبو داود فى الأدب عن محمد بن يحي الذهلى عن محمد بن يوسف الفريابى عن اسرائيل عن الوليد بن هشام وكذا رواه الترمذى فى المناقب عن الذهلى

ان الذين كانوا يؤذون الله ورسوله إنما كان بقولهم شاعر وكاهن . ساحر مجنون وقيل كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه فى غزوة أحد . وقيل طعنهم فى نكاح صفية وقال الألوسى والحق العموم فى ذلك

وقوله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الخ) قيل فى منافقين كانوا يؤذون عليا ويسمعونه ما لا خير فيه - وقيل فيمن اشتركوا فى حديث الافك بقذفهم عائشة رضي الله عنها - وقيل فيمن =

حتى يؤثر فيه ندويا ـ وايضا فانى لم افهم كيف يكون ابتلاء موسى بالأدرة عيبا يحول بينه وبين الوجاهة عند الله تعالى

واذا كان الاتهام بالادرة هو الامر الذى اوذى به موسى فكيف ينافى هذا علمهم بانه رسول الله اليهم كما يشعر بذلك قوله لهم يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم ؟ فلا بد ان يكون الايذاء اكبر من الاتهام بالادرة

نعم ورد الحديث بمسألة الحجر ولكن فى رجاله عوف وقد جاء عنه فى تذهيب التهذيب انه كان شيعيا رافضيا شيطانا

= كانوا يتبعون النساء اذا برزن فى الليل لقضاء الحاجة . قال الألوسى والظاهر العموم لكل ما ذكر من هـــذا كله نعلم ان الايذاء ورد فى القران والأحاديث فى كل استعمالاته تقريبا فى أمور شائنة كالطعن فى الكرامة أو فى العرض أو فى الدين .

وقد نظرت الى ما قاله المفسرون فى مسألة إيذاء موسى وتبرئة الله إياه فوجدت الحافظ بن كثير قد روى حديث البخارى فقال ـ قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد وخلاس عن أبى هريرة قال ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شىء استحياء منه فآذاه من اذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما افة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده . فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملأ من بنى اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون فقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله (يا أيها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)

وقد أورد بن كثير فى تفسيره هذا الحديث بتمامه ثم قال ان هذا الحديث من افراد البخارى دون مسلم ثم رواه أيضا عن أحمد عن أبى هريرة ورواه ابن جرير من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير الخ ....

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا سعيد بن سليمان . حدثنا عباد بن العوام عن سفيان ابن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فى قوله =

والذى أميل اليه فى مسألة ايذاء بنى اسرائيل موسى ما ذكره البيضاوى فى تفسير آية الأحزاب والالوسى فى تفسيره وابن الأثير فى تاريخه وعبارة ابن الاثير أوسع . ذلك أن موسى طلب الزكاة من قارون . فشحت نفسه بالمال . واراد أن يكيد لموسى ليرجمه . فاتفق معامرأة ان تقول عن موسى انه زنى بها . ولما اصبح قال لموسى : اليس من الشريعة ان الزانى يرجم ؟ قال بلى قال فانك قد زنيت بفلانة ويجب ان تسلم نفسك لنرجمك .

فلما جاءت المرأة أخبرت ان قارون لقنها أن تدعى هذه الدعوى على موسى وهو برىء منها .

= تعالى فبرأه الله مما قالوا قال (صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام أنت قتلته كان ألين لنا منك وأشد حياء فاذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بنى اسرائيل – وهكذا رواه ابن جرير عن على بن موسى الطوسى عن عباد بن العوام

وقد اورد نحو هذا الكلام الامام البغوى فى معالم التنزيل كما أورد حديث أبى هريرة

وقال أبو العالية هو أن قارون استأجر مومسا لتقذف موسى على رأس الملأ فعصمه الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون

فتلخص لنا فى المسألة ثلاثة أقوال

(١) – اتهام بنى اسرائيل لموسى بالأدرة أو غيرها من العيوب الجسمية وعدو الحجر بثوبه وعدو موسى فى أثره عريانا حتى رأوه بريئا

(٢) – اتهام بنى اسرائيل موسى بقتل هارون الى أن برأه الله من ذلك إذ أمر الملائكة بحمل هارون على سرير والطواف به على مجالس بنى اسرائيل حتى رأوه لا أثر فيه للقتل – أخرج ذلك ابن منيع وابن جرير وابن المنذر

(٣) – اتهام قارون إياه بالزنا واستأجر لذلك مومسا فأقرت ببراءة موسى وبأن قارون هو الذى أغراها على اتهامه فبرأ الله موسى وأهلك قارون

هذه أقوال ثلاثة للمتفهم لكتاب الله تعالى أن يأخذ منها ما شاء وان يدع ماشاء فأما ابن جرير فقد جوز ان يكون حديث الحجر هو المراد وجائز أن يكون اتهامه بقتل هرون هو المراد وآخر عبارته يشير الى تفويضه العلم الى الله تعالى ونص عبارته بعد أن أورد اتهام بنى اسرائيل موسى بقتل هارون (وجائز ان يكون هذا هو المراد بالأذى – وجائز أن يكون الأول هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل

وابن كثير يقول – قلت يحتمل ان يكون الكل مراداً =

وبذلك برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها . وهذا هو اللائق أن تحمل عليه الآيات لان من كان زانيا لا يكون وجيها عند الله تعالى .

ويظهر أن قارون اجتمع عليه كثرة المال والشح به على الواجبات . والتيه على قومه حتى آل أمره الى الافتراء على موسى . فكان عاقبته ان خسف الله به وبداره الأرض . ولما كان أكبر اعتقادى ارتباط الايذاء بقارون واضرابه الذين شايعوه على موسى فأنا أميل الى هذا الرأى وقد أورد الألوسى احتمالات كثيرة لا أرى ضرورة لنقلها .

= وقال الألوسى بعد أن أورد الأقوال الثلاثة « ويبعد هذا القول (أى رمى قارون موسى بالزنا) جمع الموصول وقيل ما نسبوه اليه من السحر والجنون

أقول لا استبعاد فى ذلك لأن قارون يحتمل ان يكون رئيسا لجماعة واطوه على ذلك فليس عجيبا أن يعبر بالذين الدال على الجمع

لما كان للانسان ان يختار ما تطمئن نفسه اليه انه المراد من كلام الله اخترت القول الثالث وهو طعن قارون على موسى وحجتى فى ذلك - ان الايذاء إنما يستعمل فى الشيء العظيم كما بينت ذلك فى أول الكلام وان الايذاء بذلك هو الذى يتنافى مع علمهم بأنه رسول الله اليهم المبين فى قوله (ياقوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) وهو الذى ينافى الوجاهة عند الله تعالى المبين فى قوله تعالى (وكان عند الله وجيها)

وليس من لوم على متدبر كتاب الله تعالى اذا جنح الى رأى او وجه أو تأويل وجده لائقا بفكره وارتاح اليه ضميره ما دام لا يخالف قطعى الثبوت والدلالة وليس لأحد من خلق الله أن يقول له اخلع هذا الرأى وخذ هذا الرأى والبسه لأن بعض الناس قاله - وقد رأينا ابن جرير الطبرى يروى عن المتقدمين الأحاديث اوالآثار - ثم انه يترك ذلك كله ويسير فى طريق آخر - وان قسر العقول والأفهام على رأى خاص غير قطعى الثبوت والدلالة وطلب العدول عن رأى أو تأويل الى مثله تحكم فى الضمائر ودخول بغير حق فيما بين العبد وربه وإملاء إرادة ما أنزل الله بها من سلطان

وليعلم حضرات أصحاب الفضيلة أنى إنما يعجبنى الحديث النقى الذى لا عيب فى رجاله وتطمئن نفسى اليه فأما الحديث الذى طعن فى أحد من رجاله بطعن ولو كان خفيفا أو ضئيلا فان نفسى تنفر منه مهما وثقه آخرون . فانى أقدم الجرح على التعديل وبخاصة اذا كان مبتدعا دعا الى بدعته أو لم يدع وأخص من ذلك اذا كان شيعيا يستحل الوقوع فى الشيخين او لا يتولاهما ولم يسلم من ذلك أحد من طوائف الشيعة فى نظرى سوى الزيدى =

اقرءوا هذه الآيات : —

سورة الاحزاب — يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً

سورة الصف — وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

= وقد رأيت فى تدهيب التهذيب الطعن على عوف من رجال حديث ابى هريرة بانه شيعى رافضى شيطان . فمع ماقدمت لا أرى الثقة به مهما قال حضرات أصحاب الفضيلة فى توثيقه وجواز الرواية عنه . واطمئنان النفس شىء يأتى عن طريق الوجدان لا باملاء الارادة كما يريدون .

وازيدهم الآن فى حديث ابى هريرة الحسن عن ابى هريرة والحسن موثوق به فى نظرى ونظر كل المحدثين ولكنه لم يسمع من ابى هريرة

قال فى عمدة القارىء ـ وأما الحسن فلم يسمع من أبى هريرة عند المحققين من الحفاظ ويقولون ماوقع فى بعض الروايات من سماعه عنه فهو وهم ـ وفيه أيضا خلاس عن أبى هريرة وقد جاء فى عمدة القارىء ـ وأما خلاس ففى سماعه عن أبى هريرة خلاف فقال أبو داود عن أحمد لم يسمع خلاس من أبى هريرة الخ .

وأما الرواية الثالثة للبخارى التى ليس فيها عوف وهى التى قال فيها

حدثنا اسحق بن نصر حدثنا عبد الرازق بن معمر عن همام بن منبه . فان فيها عبد الرازق وقد جاء فى عمدة القارىء ٢٥٣ ، ٢٥٤ ج ١ وقال الحافظ ابو احمد بن عدى قال بن معين ليس بالقوى ونسبه العباس بن عبد العظيم إلى الكذب . قال والواقدى أصدق منه وقال ابو احمد (لعبد الرازق حديث كثير وقد رحل اليه الناس وكتبوا عنه ولم يروا بحديثه بأسا الا أنهم نسبوه إلى التشيع وقد روى أحاديث فى فضائل أهل البيت ومثالب غيرهم مما لم يوافقه عليها أحد من الثقات فهذا أعظم ماذموه به من روايته المنا كير

وبعد هذا كله فان أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة جعلوا هذا الحديث حجة على حدوث معجزة وهى جرى الحجر بثياب موسى وزادوا فيها معجزة أخرى وهى حدوث ندب فى الحجر بضرب =

ذكرت قصة قارون فى الاصحاح السادس عشر من سفر العدد . وملخصها أن قورح (قارون) وهو ابن عم موسى . وداثان وأبيرام ابنا الياب وأون ابن فالت بنو رأوبين كانوا يقاومون موسى مع أناس من بنى اسرائيل مائتين وخمسين رؤساء الجماعة . فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما أن الجماعة كلها مقدسة وفى وسطها الرب . فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب

فلما سمع موسى سقط على وجهه وقال غدا يعلن الرب من هوله ومن المختار والمقدس حتى يقربه اليه . وأمر القوم أن يأخذوا مجامرهم وأن يضعوا فيها النار وأن يضعوا على النار بخورا . والرجل

= موسى له بالعصا

أقول

أولا — أن الحديث بفرض خلوه عن جميع الملاحظات ليس إلا خبر احاد وخبر الاحاد لا تثبت به المعجزة لأن المعجزات لا تثبت إلا بيقين لا يتطرق اليه شك وخبر الآحاد ليس فيه يقين لأنه ظنى الثبوت .

ثانيا — المعجزة لا تكون إلا مقرونة بالتحدى وما تحدى موسى بهذا الأمر أحدا ولا طلب أحد من موسى هذه المعجزة

ثالثا — أن المعجزة انما تأتى بطلب الرسول أو باقتراح قومه عليه أن يأتى بها ولم يحصل أن موسى طلب ذلك من الله تعالى ولا طلب أحد من قومه ذلك .

رابعا — ان جرى الحجر حصل رغما عن موسى وكان موسى كارها لذلك وما عهدنا معجزة تأتى رغم أنف الرسول والرسول يكون كارها لحصولها

خامسا — ماهو موقف الرسول من أمر خارق للعادة يعمله الله له ثم هو يكره ذلك هل يحل ذلك للرسول ولا يقدح فى رضاه بما صنع الله لأجله وأكرمه به ؟

سادسا — أما كان لموسى وقد رأى الحجر يشتد فى الجرى ويفعل أمرا ليس من شأنه أن يعمله ان يعلم أن الحجر لم يكن منه ذلك إلا لأمر يعلمه الله قد قهره عليه وسخره له فيسكت عنه الغضب ويرجع إلى الصواب من أمره ؟

سابعا — هل كان موسى حين طفق بالحجر ضربا بالعصا يظن أن الحجر يتألم من هذا الضرب ويندم على ما كان منه وان هذا سيصرفه عن العودة إلى مثل ماصنع مرة اخرى ؟

ثامنا — يرى أصحاب الفضيلة حصول الندب من أثر العصا معجزة ومع إكبارى لأشخاص حضراتهم أرى أنه لم توجد معجزة اخرى ولا أولى فى هذا الأمر أصلا اذ الحجر جسم صلب ومن المألوف =

الذى يختاره الله هو المقدس وعاتب موسى قورح قائلا اسمعوا يا بنى لاوى . أقليل عليكم أن اله اسرائيل افرزكم من جماعة اسرائيل وقربكم اليه لخدمته . اذن أنتم متفقون على الله وعاصون لأوامره والا فما هو هارون حتى تتذمروا عليه وأرسل يدعو داثان وابيرام بن أليـاب فلم يصعدا اليه ـ قالا لرسوله قل له أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا كما وعدتنا ولم تعطنا نصيب حقول وكروم ؟ لا نصعد اليك فاغتاظ موسى وقال لله . لا تلتفت الى تقدمتها (حمارا واحدا لم آخذ منهم ولا أسأت الى أحد منهم)

فى مثله أنه اذا تلاقى مع جسم صلب تفتت بعض الحجر وصار أثر ذلك كهيئة الندب (الندب أثر التئام الجرح شبه به الأثر فى الحجر) فليس ذلك بغريب أو غير مألوف

تاسعا ـ ادعى حضرات الأفاضل ان بنى اسرائيل كان التعرى جائزا فى شرعهم وكانوا يغتسلون عراة ولا يستترون ـ وانى اقول لحضراتهم ولكل من قال قبلهم بهذا الرأى هـذه دعوى عريضة فى ذمتكم أن تثبتوها ولا ينفع فى ذلك الاحتمال أو نحوه بل لابد فيها من النص من كتاب الله أو من كتبهم وهو مالم يوجد ولن يوجد

فانى أعرف أن السوأتين مركوز فى الطبيعة الانسانية استقباح كشفهما بدليل أن آدم وزوجه حين نزع عنهما لباسهما حين الأكل من الشجرة طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ـ ولا عبرة بالامم التى نزلت إلى الدرك الأسفل من الانسانية كزنوج المناطق الاستوائية . فان شأنهم ليس شأن بنى اسرائيل الذين يقول الله فيهم « اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين » ويقول أيضا (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) وانى بذلك أدفع ماجاء فى الأمر الثانى

عاشرا ـ عظم حضرات الأفاضل الأدرة وجعلوها منافية للنبوة وعيبا لا يصح أن يتصف به النبى ولم يقيموا الدليل الذى ينص على عدم اتصاف الأنبياء بها وانها من المنفرات التى تمنع المتصف بها ان يكون نبيا وكل ما ساقوه عمومات ليس فيها تنصيص وقد عظموا الادرة تعظيما لم يأذن به الله وفخموا من شأنها ومن ضررها ما هو ضئيل حقير

حقيقة الأدرة

الادرة هى ورم فى الخصية ويسميه الأطباء القيلة الدوالية وهى تنشأ من ميكروب يسمى (ميكروب الفلاريا) وهذا الميكروب يصيب الانسان من ناموس يوجد فيه ذلك الميكروب فاذا =

وأمر موسى قورح أن يكون مع أولاده والجماعة المظاهرين له فى أبواب خيامهم ويكون معه أبناؤه ويأتى هارون بمجمرته ويكون الجمر فى المجامر ويتقدمون أمام الله مائتين وخمسين مجمرة وان الله كلم موسى وهارون وأمرهما أن ينفرزا عن كل بنى اسرائيل ليهلكهم فضرع موسى الى الله حتى لا يأخذ كل القوم بخطيئة رجل فامره ان يبعد جماعة بنى اسرائيل عن خيام هؤلاء المشاقين ففعل .

ولما حضروا من الغد قال موسى للجماعة ـ اذا كان الله قد أرسلنى لأعمل هذه الأعمل وليست

= لقح انسان به فانه يحدث التهابا فى بعض أعضاء الجسم فاذا أصاب الساق انصبت اليها الدماء من الشرايين ولا تعود تلك الدماء تسير فى الأوردة فتضخم الرجل حتى تصير كرجل الفيل وتصير اليافا ومن ذلك اشتق (الفيلاريا) .

واذا وجد الميكروب فى الخصية أحدث التهابا فى طبقاتها فيحصل من ذلك الورم . وبذلك يكون الناس بمأمن من العدوى به الا من طريق الناموس وهى مستترة بالملابس فكم من رجل جليل القدر مالىء الأسماع والابصار وهو مصاب بالقيلة الدوالية وهو يجالس العلماء والملوك والكبراء لا تنبو عنه اعينهم ولا تزدريه انفسهم ولا يعلمون من أمره شيئا . فمثل هذه القيلة لا تكون عيبا فى رسول ولا نبى لانهم انما ينزهون عن العيوب الجسمية التى تستقذرها الأعين وتنفر منها النفس لأنهم معلمون والناس فى حاجة اليهم ولا يمكن أن يؤدوا مهمتهم مع المرض المنفر المستقذر ولذلك تجوز عليهم الأمراض غير المنفرة وهذا منها . اللهم الا اذا كبرت وزادت عن الحد وصارت كانف ذلك الرجل الذى داعبه بعض الشعراء بقوله

رأينا للذكى جدار انف ... يحاكى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه ... فلولا انفه لرأى الهلالا

وبقوله :

لك انف ذو انوف ... انفت منه الانوف
أنت بالقدس تصلى ... وهو بالبيت يطوف

والأدرة مهما عظمت ليست مرضا مستعصيا بل الجراحون يستاصلون اليافها ويعيدون الخصية سيرتها الأولى

قال أصحاب الفضيلة (الأمر الثالث) مايترتب عليه « على كشف عورة موسى » من المصلحة التى لا توجد إذا بقى الأمر مكتوما بل يكون حينئذ مفسدة وأى مفسدة حيث يكون منهم استمرار =

من نفسى . ان موت هؤلاء كموت كل انسان فليس الله قد ارسلنى . ولكن ان ابتدع الله بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل مالهم فيهبطوا أحياء الى الهاوية تعلمون ان هؤلاء القوم قد ازدروا بالله .

فلما فرغ موسى من قوله انشقت الأرض وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع الأموال وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من كل الجماعة وأرسل الله نارا على المائتين والخمسين من أعداء موسى

= العجاج فى الطعن على موسى بما يؤدى إلى زيادة شدتهم فى عنادهم له ويفضى إلى بعدهم عن قبول ماجاء به والنفور من الايمان به والرجوع إلى الكفر الذى هو مفسدة واثم كبير . فأى الأمرين أرجح فى نظر فضيلة المؤلف ؟

اكفر امة باسرها . وانتقاص وايذاء بنى كريم أم كشف عورة لامفسدة فيه كما أشار شراح الحديث من أن كشف العورة كان جائزا فى شريعة موسى واجتنابه عليه السلام لكشف عورته كان أخذا بالأفضل .

أقول لقد أكبروا من شأن ورم الخصية ما اصغرته العادة وعظموا منها ما حقره الطب . ووضعوا الخصية الدوالية فى كفة الميزان وكفر امة باسرها واستمرار الفساد فى كفته الثانية وربطوا ما فى كل من الكفتين بمورب من العقد ضلت حله الأرباء - وأقررمنع مايقولون واقول ان مرضا كورم الخصية مستتر بالثياب لو فرض وجوده فى بنى كريم لاينبنى عليه ماقالوا ولا يمكن أن تكون الأمم مطبوعة بالطابع الذى قدره حضرات الأفاضل مصبوبة فى القالب الذى هيأه ، حضراتهم فكم من ملوك كرام على اممهم ورؤساء قد بخعت لهم رعيتهم بالطاعة كانوا مصابين بعيوب ظاهرة وبقوا حافظين لمكانتهم واحترامهم ورياستهم ولم يترتب على ذلك نشوز الرعية أو مخالفتهم .

ان العلماء والمدرسين فى كل الأمم إنما هم خلفاء الأنبياء فى تعليم الأمم . وقد أفتى حضرات الأفاضل بأن الأدرة عيب منفر يفرق بين المعلم والمتعلم وفى الأزهر الشريف وسائر المعاهد الدينية علماء يدرسون ويعلمون . وقد أصبحت أشك كل الشك فى براءة كثير منهم من الأدرة - فهل يسمح فضيلة الشيخ الأكبر بأن يأمر بالكشف على حضراتهم وأن يأمر بتنحية من كان مصابا بالأدرة منهم وابعاده عن التدريس لأنه مصاب بمرض مستقذر منفر وليعلم فضيلته ان عدم إبعاد العلماء المأدورين عن التعليم ينبنى عليه نفور الأمة الاسلامية من معرفة دينها والاهتداء بهدي الرسول صلي الله عليه وسلم فليوازن بين جهالة الأمة الإسلامية بدينها وتنحية المأدورين =

الذين قربوا البخور - اقرءوا من أول الاصحاح السابع عشر من سفر العدد الى آية ٢٤ منه فهذا هو ايذاء بنى اسرائيل لموسى وهذه براءته عندهم

اختيار موسى سبعين رجلا

من شيوخ بنى اسرائيل لطلب المغفرة من الله والندم على ما صدر من قوم موسى على عبادة العجل - طلب بعضهم من موسى أن يروا الله جهرة ليؤمنوا به - اخذ الصاعقة اياهم - تضرع موسى الى الله الا يهلكهم بفعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية - احياؤهم بعد موتهم من الصعقة - التبشير بمحمد على أثر ذلك .

لما رأى القوم انهم قد ظلموا أنفسهم وقارفوا اثما كبيرا بعبادة العجل - اختار موسى من القوم

= عن التعليم فى معاهد الدين ورأيه الأعلى ان شاء الله تعالى

أراد بعد ذلك حاذق منهم ان ينقذ الموقف لما رآه من عدم السداد فيما أوردوا فكتب الفقرة الآتية

ثم ان مقتضى كونه وجيها عند الله أن يبرئه من كل تهمة تلصق به كذبا سواء كان ما يتهم به كذبا عيبا يتنافى مع الرسالة او لا — كما ان مقتضى كونه رسول الله اليهم أنقذهم من ظلمات الضلال الى نور الايمان وأخرجهم من استعباد فرعون وقومه لهم الى الاطلاق والحرية ألا يؤذى منهم باى نوع من أنواع الايذاء - ولا شك ان اتهامه كذبا بعيب فى بدنه يعتبر إيذاء وإن لم يتناف ذلك العيب مع الرسالة ، على أنك علمت على أن المحققين على ان مثل هذا العيب مما يجب تنزيه الأنبياء عنه

وبذلك يعلم ان ما قاله الأستاذ : ثم انى لا أفهم كيف الخ لا وجه له والله سبحانه وتعالى أعلم

وانى أجيب حضرة الفاضل الذى كتب هذه الفقرة بما ياتى

ان مواضع الخلف بيننا هى : —

(١) - هل ثبت بنص قاطع انهم رموه بهذا العيب الذى هو الأدرة ؟

(٢) - هل الأدرة تنافى الوجاهة عند الله وان الله ينظر الى أدر الناس فيسقطهم من الوجاهة عنده ولا ينظر الى قلوبهم وضمائرهم . =

سبعين رجلا يذهبون معه الى الجبل الذى اعتاد أن يناجي الله فيه ليقدموا الطاعة لله والندم على ما اقترفوا من اثم ويتوبوا الى الله مما جناه عبدة العجل فذهب بهم الى الجبل (حوريب) وهو

= (٣) ـ هل كان بنو اسرائيل محللا لهم أن يتكشفوا وليس عندهم شيء اسمه عورة ؟

(٤) ـ هل جرى الحجر بثوب موسى معجزة حصلت له رغم أنفه ؟

(٥) ـ هل ثبتت المعجزة بغير نص قطعى ؟

كل واحد من هـذه الأمور لم يثبت على الوجه الحق وأحاديث الآحاد لا يثبت بهـا أمر على سبيل القطع فلم تزل ذمة حضراتهم مشغولة بالبرهنة على سبيل القطع الذى لا يقبل شكا ولا احتمالا على هـذه الأمور ـ وان المحققين الذين يعزون اليهم انهم « على أن مثل هـذا العيب يجب تنزيه الأنبياء عنه » لم ينصوا على أن الأدرة عيب يجب تنزه الأنبياء عنـه وعبارته ليست نصـا . وقضية قوله ان المحققين (يرون كذا) ان فريقا من العلمـاء يرى خلاف رأيهم وذلك يخرج المسألة عن أن يكون فيها نص .

وما دام الأمر كذلك فلا برهان لـكم على ما تزعمون يوجب ان يكون التفسير الاية لا يصح الا على رأيكم

وليعلم حضرات الأفاضـل ان إثبات معجزة غير ثابتة لنبي من الأنبياء يساوى إثمه إثم انكار معجزة ثابتة ثبوتا قطعيا

وآخر الـكلام أقول لحضراتهم انى كنت جادا حين تسـاءلت عن الحكمة التى أرادها الله تعالى من كشف عورة رسوله موسى ، وهتك سـتره وإبداء سوأته للملأ من قومـه وليس فى كلام حضرات الأفاضـل ما شفى أو كفى . ألم يجد الله تعالى طريقة لتبرئة عبده موسى سوى ذلك الذى يكرهه موسى ؟

أما دعوى حضراتهم ومن نقلوا عنهم ان ذلك كان جائزا عند بنى اسرائيل فدعوى تحتـاج الى نص عندنا أو نص عندهم وهو ما لا يوجد فهى افتراض افترضوه ـ ولم تزل ذمـــة حضراتهم مشغولة ببيان الوجه الوجيه الذى لا ينازع فيه أحد

من هـــذا كله

يتبين أنى لم أحد عن طريق الصواب فى اختيـــار الوجه الثالث وانه لا حرج عليّ فى ذلك وما اعترضوا به وما قالوه لم يغير موقفي ولم يزحزحني قيد شعرة

جبل الطور . فلما كلم الله تعالى موسى وهم شهود يسمعون كلام الله عاودت جماعة منهم جبلة التمرد والعصيان فلم يؤمنوا ان الله تعالى هو الذى يكلم موسى وانه أعطاه التوراة . وقالوا له لن نؤمن لك ان الله نبأك واعطاك الكتاب حتى نرى الله تعالى جهرة باعيننا لا يحجبه حجاب ولا يستره ساتر . والظاهر انهم لم يؤامروا موسى فى هذا الاقتراح من قبل . ولو فعلوا لارشدهم وأعلمهم علم ما لقى من التجربة القاسية وهى الصعقة التى نالته على أثر ذلك الاقتراح الذى صدر منه وتجلى الله تعالى للجبل الذى صار دكا من هيبته تعالى ـ ولا يبعد أن يكون أعلمهم بذلك كما يقول بعض المفسرين وانهم لم يقبلوا منه قوله

على أثر هذا الطلب من القوم أخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم الى بعض يتهافتون على أديم الأرض ليكون ذلك برهانا فعليا لديهم على أن ما أصابهم حق لا شبهة فيه . ثم بعثهم الله من بعد موتهم بعد التضرع والتذلل من موسى وطلب العفو عما صدر من سفهائهم . والغفران لزلتهم فغفر الله لهم ذلك وأعادهم الى الحياة . وكان من طلب موسى المغفرة والرحمة فى الدنيا والآخرة . أن أخبره الله تعالى بان ذلك راجع لمشيئته . واخبره الله تعالى بانه كتب رحمته للمتقين الذين يؤتون الزكاة ويؤمنون بآيات الله ولا يعارضون فيها ولا يتعنتون فى الاقتراح بعد ايمانهم كما فعل قوم موسى . وهم الذين يتبعون النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا فى التوراة والانجيل . ومن اوصافه انه يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى آخر الآيات . فكانه تعالى كان يباهى بمحمد واتباعه اتباع موسى قبل وجود محمد وأمته باكثر من الف وخمسمائة سنة ويوبخهم بان له عبادا ليسوا على شاكلة قوم موسى يؤمنون بالله وآياته بدون تعنت او تذمر بعد اتسامهم بالايمان ـ ووصفهم باروع الأخلاق واجل الصفات .

نبوة محمـــد موجودة فى التوراة رغم ما اعتورها من التحريف والتشذيب وهأنذا أسوق تلك المواضع من التوراة تعجيلا للفائدة ولانها أيضا من قصة موسى

ففى الآية العشرين من الاصحاح السابع عشر تكوين (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه هأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا)

ولفظ العبارة الأخيرة فى العبرية (هِنِّي بِيرَخْتِي أوتُووهفْرِيتِي أوتوو هرْبِيتِي أوتو بمـاد ماد) «بامالة الألف فى بماد ماد الى واو »

ومن عادة العبرانيين الاعتماد فى الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة من جهة الحساب فلو

حسبنا لفظ بماماد بالجمل لكانت جمل محمد بلا زيادة ولا نقصان ٩٢ وهو من أبناء اسماعيل الموعود بالبركة والاثمار فى أبنائه (١)

أما بقية كتب الأنبياء ففيها أخبار كثيرة تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم والبلد الذى يخرج منه . أما هذا الموقف من مواقف موسى فاقرءوا هذه الآيات التى تدل عليه

سورة البقرة — وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦

سورة الاعراف — وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن

---

(١) ثانيا — فى الآية ١٥ من الاصحاح ١٨ من سفر التثنية قول موسى لبنى اسرائيل ١٥ يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ١٦ حسب كل ما طلبت من الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة لئلا أموت ١٧ قال لى الرب قد أحسنوا فيما تكلموا ١٨ أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيتكلم بكل ما أوصيه . فقوله من اخوتهم فى الآية ١٥ وقوله من وسطهم من اخوتهم فى الآية ١٨ تدل على أن الموعود به لا يكون من بنى اسرائيل بل من اخوتهم . واخوتهم بنو اسماعيل كما تدل على ذلك الآية ١٨ من الاصحاح ٢٥ تكوين . وسكنوا (أى أبناء اسماعيل) من حويلة الى شور التى أمام مصر حين ماتجىء نحو أشور أمام جميع اخوته نزل . وحويلة هى بلاد خولان على تخوم اليمن مما يلى الحجاز ولامقابل لأبناء اسماعيل فى جهة شور سوى بنى اسرائيل وكما تدل على ذلك أيضا الآية ١٢ من الاصحاح ١٦ تكوين (وأمام اخوته يسكن) وأيضا فان قوله (وأجعل كلامى فى فمه) الخ يدل على أنه يكون أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يدع أحد من أبناء اسماعيل ذلك سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقم نبى أمى سواه منذ خلق الله الدنيا الى اليوم

ثالثا — الآية الثالثة من الاصحاح الثامن والثلاثين تثنية ٢ قال جاء الرب من سينا وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم فجبل فاران بمكة وهى البلاد التى سكنها اسماعيل

تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ١٥٥ وَاكْتُبْ لَنَا فِى هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ١٥٦ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٥٧

وقوله ثم بعثناكم دليل على أنهم ماتوا لأن البعث لا يكون الا عن موت ولا مانع أن يكون فى الكلام مجاز فشبه إفاقتهم من الصعق بالاحياء

العبد الصالح صاحب موسى

حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرنى سعيد بن جبير انه قال لابن عباس أن نوحا البكالى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل. فقال ابن عباس كذب عدو الله. حدثنى أبى ابن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس اعلم؟ فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى يارب فكيف لى به؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم. فاخذ حوتا فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤسهما فناما واضطرب الحوت فى فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق. فلما استيقظ نسى صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به فقال له فتاه أرأيت إذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا. قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا. فقال موسى ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا. قال رجعا يقصان

آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بارضك السلام . قال انا موسى قال موسى بنى اسرائيل ؟ قال نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت - وأنت على علم من علم الله علمك الله لا اعلمه . فقال موسى : ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . فقال له الخضر فان أتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ الا والخضر قد خلع لوحا من السفينة بالقدوم . فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا . قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا ؟ قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا . قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسيانا . قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ بصر الخضر بغلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا . قال وهذه أشد من الأولى قال إن سالتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض . (قال : مائل) فقام الخضر فاقامه بيده فقال موسى قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بينى وبينك . الى قوله ذلك تاويل ما لم تستطع عليه صبرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا أن كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما .

قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا . وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين

ما اسم العبد الصالح

وأما العبد الصالح فقد اختلف العلماء فى اسمه وهل هو نبى أو رسول أو ولى واختلفوا فى زمنه وهل هو حى الى اليوم أو ميت

اما اسمه فقالوا انه الخضر وقيل بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس وقيل ملك من الملائكة

وقيل اسمه عامر وقيل احمد . واختلفوا فى اسم أبيه فقيل انه ابن آدم لصلبه وقيل انه ابن فرعون وقيل ابن العيص وقيل ابن كليان . والجمهور على انه بليا بن ملكان وان الخضر لقب له وعلى انه نبى وقال غير الجمهور انه رسول وقال آخرون انه ولى وعليه الكثير . واختلف هل هو حى اليوم او ميت فذهب جمع الى انه ليس بنبى وانكر البخارى ان يكون حيا

وفى صحيح مسلم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل موته ما من نفس منفوسة ياتى عليها مائة سنة وهى حية . وسئل غير البخارى من الأئمة فتلا قوله تعالى - وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد - وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية عنه فقال لو كان الخضر حيا لوجب عليه ان ياتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه - وسئل ابراهيم الحربى عن بقائه فقال من احال على غائب لم ينتصف منه وما القى هذا بين الناس الا الشيطان . ونقل فى البحر عن شرف الدين ابى عبد الله محمد بن ابى الفضل المرسى القول بموته . ونقله ابن الجوزى عن على بن موسى الرضا رضى الله تعالى عنهما . . اهـ من الألوسى .

ويقول بعض أهل التفسير أنه والأسكندر المقدونى ابنا خالة وكان وزيره وهو قول جاهل لأن الأسكندر كان بعد موسى باكثر من الف سنة فكيف يكون ابن خالته معاصرا لموسى رسول الله ؟

القرآن الكريم لم يرد فيه هذا الاسم ولولا وجوده فى حديث البخارى ماصدقت بوجود صاحب هذا الاسم ولكان هيان بن بيان وإنى اكتفى بما قدمته من ذكر الآيات الكريمة . ومن شاء فليقرأ سورة الكهف فهى فيها

تذكير الله تعالى لبني إسرائيل بنعمه عليهم

أن الناظر الى أحوال بنى اسرائيل والقارىء للقران ولكتب أنبيائهم يجد الله تعالى قد دللهم وأعطاهم حكم الصبى على أهله . فأتاهم بالعجائب وفعل بالامم الظالمة لهم الأفاعيل واحتمل صلفهم وطغيانهم ولم يترك وسيلة من وسائل استرضائهم الا فعلها وهم لا يزيدون الا عنادا ومخالفة عن أمره

والظاهر أن الأمم التى طردها الله أمام بنى اسرائيل وأورثهم أرضهم وديارهم كانوا غاية فى الرداءة والعصيان والكفر حتى أن بنى اسرائيل الذين نعرف حالهم كانوا مختارين من الله عليهم وقد رأيت فى الكتاب المقدس . أن موسى (على ما أذكر) قال لبنى اسرائيل لا تظنوا أن الله تعالى سيأتى بكم الى الأرض المقدسة بسبب قداستكم وطهارتكم وأنكم أفضل الناس فى طاعته . كلا فانه انما يطرد الأمم أمامكم لرداءتهم ورجسهم العظيمين

وقد ذكر الله تعالى بنى اسرائيل بما صنعه لهم من الاحسان وبالآيات التى صنعها فى سبيل

اطلاقهم من أسر فرعون وقومه ما نورده فى هذه الآيات :

سورة البقرة — يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ٤٧

واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل ولا هم

ينصرون ٤٨ وإذ نجينا كم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون

نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ٤٩ وإذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم

تنظرون ٥٠ وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ٥١ ثم عفونا

عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون ٥٢ وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون ٥٣

وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا

انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ٥٤ وإذ قلتم ياموسى

لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ٥٥ ثم بعثنا كم من بعد

موتكم لعلكم تشكرون ٥٦ وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات

ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ٥٧

ومنها أيضا — وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة

عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين ٦٠ وإذ

قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج انا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها

وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم

ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله

وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ٦١

سورة الاعراف — وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ١٤١

سورة إبراهيم — وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨

موت هارون ثم موسى

أما هارون فقد أمر الله موسى أن يذهب هو وهارون الى جبل هور فذهبا وهناك مات هارون ودفنه موسى وعاد الى بنى اسرائيل وأخبرهم بموت هارون ويقول مفسرو القران ان بنى اسرائيل قد شغبوا على موسى واتهموه بقتل هارون الى ان أراهم الله هارون على سرير بين السماء والأرض ليس به أثر للقتل ـ وأما موسى فقد أمره الله ان يذهب الى جبل نبو وان ينظر الى الأرض المقدسة ولا يدخلها وهناك مات موسى ودفن على الفسجة وهى الكثيب الأحمر

موقف لبنى اسرائيل بعد موسى

بعد وفاة موسى قام بأمر بنى اسرائيل يوشع بن نون من سبط يوسف ومعه بنو اسرائيل وعبروا الى الأرض التى وعدوا بها وكان أول بلد ملكوه مدينة أريحا وقد أمرهم الله ان يدخلوا باب المدينة حين يدخلونها سجدا أى خاشعين متذللين لله تعالى وان يقولوا (حطة) ولكن القوم عاودتهم سجية مخالفة امر الله تعالى فقالوا قولا غير الذى أمرهم بأن يقولوه ودخلوا وهم على هيئة غير التى أمروا بها فغضب الله عليهم وأنزل عليهم العذاب

ومعنى (حطة) حط عنا خطيئتنا او أمرنا حطة . وليس من البعيد أن يكون هذا اللفظ عبريا ومعناه خطيئة لأن لفظ أخطأ بالعبرية (حطا) بحاء مهملة فطاء تقول (انى حطاتى) أي أنا

أخطائت و (أَتَّا حَطَاتَا) أى أنت أخطائت ولكن يلزم عليه ان القران فيه لفظ غير عربى . وقد جوز بعض العلماء ذلك ومنعه اخرون . ولا مانع من أن يكون هذا اللفظ دخل فى العربية وصار منها

ويقول البيضاوى ان المدينة هى بيت المقدس أى أورشليم او أريحا . ولعل القول بأنها أورشليم هو الذى دعا أهلها لأن يسموا أحد أبوابها باب حطة . والقران لم يبين المدينة . والتوراة لم تذكر المسالة أصلا

اقرءوا هذه الآيات

سورة البقرة — وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ٥٩

سورة الاعراف — وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ١٦١ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ١٦٢

ثناء الله تعالى على موسى وهارون

علمنا من هذه القصة ما كابده موسى وهارون فى معالجة شؤون بنى اسرائيل وسياستهما لذلك الشعب المشاغب . وأن هارون مات فى جبل هور وأن موسى مات ودفن فى جبل نبو بعد أن أشرف على أرض الموعد . وقد أثنى الله تعالى ثناء طيبا على موسى وهارون لما كابدا من عنت قومهما وشدة مراسهم مع ما كانا عليه من الايمان المحض والاخلاص

اقرءوا الآيات الآتية :

سورة مريم — وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ

الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣

سورة الصافات ـ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ١١٤ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ١١٥ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ١١٦ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١١٨ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ١١٩ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٢١ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ١٢٢

سورة غافر ـ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ٥٣ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ٥٤

العظات التي تستفاد من قصة موسى

(١) ان الابتلاء الذى يصاب به الانسان فى الدنيا ينبغى أن يقابل بالرضا فقد يكون الخير العظيم فى هذا الابتلاء . فهذا موسى قد خرج خائفا من آل فرعون متبعا نصيحة ذلك الرجل الذى جاءه من أقصى المدينة ناصحا له بالابتعاد عن مصر لأن الملأ يأتمرون به . فهاجر من مصر وكان الخير كله فى هجرته فقد وجد أهلا بأهل وجيرانا بجيران واصطفاه ربه على الناس برسالاته وبكلامه وجعله واسطة لانقاذ قومه من فرعون وآله

(٢) ان المتوكل على الله المعتمد عليه تعالى فى أموره يقيض الله تعالى من ينقذه ويهيء له من أمره يسرا كما قيض ذلك الرجل لموسى فكان سببا لنجاته أولا وكان فى هذه النجاة أن يخصه الله بوحيه

(٣) ان الشخص المستمسك بالحق لا يبالى بمن خالفه ولو كان عظيما

فهذا موسى قال له فرعون (انى لأظنك ياموسى مسحورا) فقال له موسى فى غير مبالاة به ولا اكتراث لما هو فيه من أبهة الملك وعز السلطان (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر وأنى لأظنك يافرعون مثبورا) أى هالكا بعد أن حاسنه موسى كل المحاسنة وتلطف به كل التلطف فلما لم يفد أخشن له القول

(٤) ان الحق لا يعدم نصيرا ، ذلك موسى جاء إلى فرعون لينزله عن عرش الربوبية ويدعوه

إلى عبادة الله فاعتزم قتله وآمر قومه فقام رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه ينافح عن موسى ويدافع عنه ويحذر فرعون واله بطش الله ضاربا الأمثال بالأمم الخالية غير مبال بمخالفة فرعون

(٥) ان لذة الايمان اذا تذوقها الانسان ملكت عليه مشاعره واستهان فى سبيلها بكل عقاب . لذلك آمن السحرة بموسى والهه غير مبالين بفرعون وما أعدلهم من عذاب

(٦) أن الصبر على البلوى حميد العاقبة . فهؤلاء بنو اسرائيل ابتلوا فصبروا على الاهانة والذل والتسخير وتقتيل الأبناء واستحياء النساء إلى أن أعقبهم الله الحسنى كما قال « وتمت كلمه ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا »

(٧) ان موسى كان حليما على بنى اسرائيل رءوفا بهم . فان الله قد غضب عليهم بسبب عبادة العجل وهددهم بالابادة . وكذلك الشيوخ الذين ذهبوا لتقديم توبة الشعب طلبوا رؤية الله تعالى جهلا وعنتا فأخذتهم الصيحة فاخذ موسى يتضرع إلى الله ويقول « رب لو شئت أهلكتهم من قبل وأياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة اناهدنا اليك، قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون،الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون

استطراد

بمناسبة هذه الآية الكريمة عرض لى أن أسائل نفسى سؤالين . وهما :-

(١) أن التواريخ قد دلت على أن اليهود قد احتلوا جهات من الحجاز كتيماء ووادى القرى وفدك وخيبر ومدينة يثرب واتخذوا تلك الأمكنة مقاما وجعلوها دار قرارهم وأثاروها وعمروها وبنوا فيها المصانع والآطام العظيمة والحصون المنيعة واستقر من قبائلهم هناك بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . فما الذى أزعجهم عن فلسطين تلك الأرض التى اذا تكلموا عنها قالوا أنها تفيض لبنا وعسلا ؟

(٢) ولم كان اتجاههم إلى تلكم الأرض القليلة الريف وأرض الله واسعة أمامهم فهذه مصر متاخمة لأرضهم والشام من شمالهم والعراق مهاجرهم الأول. فلم اتجه هؤلاء الناس إلى تلك الناحية؟

(١) أما السؤال الأول فجوابه فيما اعتقد أن بنى اسرائيل انما أزعجهم من فلسطين التى كانوا يحبونها حبا جما . أغارة طيطس الرومانى على بلادهم وايقاعه بهم وتخريبه بيتهم المقدس وهيكلهم الذى كانوا يفاخرون به كل الأمم ويباهون بضخامة بنيانه وما فيه من آنية الذهب والفضة وذلك سنة ٧١ بعد الميلاد .

(٢) وأما جواب الاستفهام الثانى - فان بنى اسرائيل قد وعدوا بنبى يقوم من بين اخوتهم وهم العرب الاسماعيليون وأنه سيكون ظهوره واعلان أمره فى مدينة يثرب - فلما ضاقت أنفسهم بما أنزله بهم الرومان . رجو أن يأتيهم الفرج ويعود لهم العز بظاهرة هذا النبى الذى وصف لهم فى كتب الأنبياء فجاء وإلى مكان ظهوره انتظار المقدمه وعلى الطريق بين البلد الذى يظهر منه وبين فلسطين

جاء فى اشعيا ١٠ غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى الأرض . أيها المنحدرون فى البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها . الديار التى سكنها قيدار . لتترنم سالع من رءوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر ١٣ الرب كالجبار يخرج كرجل حرب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على اعدائه اه

فسالع هذه التى يدعوها أشعياء للابتهاج ليست سوى جبل سلع . اذ الوادى الذى به المدينة المنورة يكتنفه جبلان احدهما شرقى وهو جبل أحد . وثانيهما غربى وهو جبل سلع

والأغنية الجديدة انما هى الدين الجديد الذى يعلن توحيد الله وأفراده بالعبادة ويكون حربا للاصنام التى تعبد من دون الله تعالى كما فى قول اشعيا ص ٤٢ - قد ارتدو إلى الوراء يخزى خزيا المتكلمون على المنحوتات . القائلون للمسبوكات إنتن الهتنا

لم يأت نبى بعد أشعياء كان حربا على الأصنام وعبادتها وأعان ثورته عليها حتى ابادها من بلاده سوى محمد ﷺ - لهذا السبب جاء اليهود إلى يثرب باصق سلع التى دعاها أشعيا إلى الابتهاج بشريعة الله الجديدة والنبى القائم بها

وقد يكون قد هجس لبعض اليهود أن يكون منهم النبى الذى يقوم من سالع وتبتهج به فنزلوا فى تلك الديار رجاء أن يبعث ذلك النبى منهم وتكون لبقيتهم العزة به

داود عليه السلام

تمهيد - رجع الكلام الى داود - نعم الله على داود - موقفان لداود - الزبور - هبة سليمان لداود - حكمة داود - مايتعلق بالفتنة من القرآن - مكان العبرة من قصة داود

هو كما فى انجيل متى . داود بن يسى . بن عوبيد . بن بوعز . بن سلمون . بن نحشون . بن عميناداب . بن أرام بن حصرون . بن فارص . بن يهوذا . بن اسحاق . بن ابراهيم عليه السلام .

ورد اسم داود فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعا . فى الآيه ٢٥١ من سورة البقره . ، ١٦٣ من سورة النساء . وفى ٧٨ من سورة المائدة . وفى ٨٤ من سورة الأنعام . ، ٥٥ من سورة الأسراء و ٧٨ ، ٧٩ من سورة الأنبياء ، ١٥ ، ١٦ ، من سورة النمل ، ١٠ ، ١٢ ، من سورة سبأ . ، ٢٠ ، ٢٢ و ٢٤ ، ٢٦ ، من سورة ص - وقد آتاه الله النبوة والملك فى بنى اسرائيل - وقد ذكرت قصته فى القرآن مرات كثيرة . تارة مختصرة وتارة مطولة وكلها يكمل بعضها بعضا وقد طالت مدته فى الملك وله مواقف أيام ملكه وقبله .

والكلام فى داود وتلخيص قصته يحتاج الى تمهيد نبدأ به فنقول

تمهيد

لما دخل بنو اسرائيل بلاد فلسطين مع يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام وقسم لهم الأرضين قام يوشع بأمرهم الى وفاته . وأقاموا على ذلك يقيم لهم أمرهم قضاة منهم وليس فيهم ملك ستا وخمسين وثلاثمائة سنة بعد موسى عليه السلام

وكان بنو اسرائيل فى تلك الأثناء عرضة لغزوات الأمم القريبة منهم كالعمالقة من العرب والمديانيين والفلسطينيين والآراميين وغيرهم وكانت الأيام دولا بين الفريقين . تارة يغلبهم اليهود وتارة يغلبون اليهود وكان الأنبياء فى ذلك العهد مرشدين لأولئك القضاة والحكام من اليهود وواسطة بينهم وبين الله تعالى . وفى بعض الأحيان يكون النبى قاضيا

وكان فى أواسط المائة الرابعة فى أيام عالى الكاهن أن العبرانيين دخلوا فى حرب مع الفلسطينيين

سكان أشدود بالقرب من غزة . وقد أخذ بنو اسرائيل معهم تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه التوراة أى الشريعة ليستنصروا به . فغلبهم الفلسطينيون وأخذوا تابوت العهد ودخلوا به الى بيت داجون (١) الههم (وهو رأس انسان على جسم سمكة) . وكانت هزيمة بنى اسرائيل عظيمة وذلهم شديدا

ندع تابوت العهد فى بيت داجون مؤقتا ونذكر لكم أنه كان من قضاة بنى اسرائيل نبى اسمه صمويل (٢) قضى لبنى اسرائيل زمنا وعين ابنين له للقضاء فى أحياء اسرائيل فلم يعدلا وخاف بنو اسرائيل أن يفسد عليهم الأمر بعد صمويل وجاءوا اليه فى بلدة الرامة وألحوا عليه فى أن يقيم عليهم ملكا منهم يأتمرون بأمره ويقودهم الى قتال أعدائهم الذين أذلوهم دهرا طويلا ويدافع عنهم من يريد الاغارة عليهم ـ وكان صمويل عالما بعقلية بنى اسرائيل وعاداتهم وما انطوت عليه أنفسهم فقال لهم ـ هل عسيتم أن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا (فصل بين عسى وخبره بالشرط) والمعنى أتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فأجابوه قائلين . وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ـ والمعنى ان دواعى القتال موجودة وهى أن الأعداء أخرجونا من ديارنا وأسروا أبناءنا . فلا يتأتى منا النكول ونحن على هذه الحال .

وقد جاء فى الكتاب الكريم أنهم لما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم

عرفهم صمويل بعد ذلك أن الله قد جعل طالوت ملكا عليهم واسمه فى سفر صمويل (شاول) بن قيس بن أبيئيل بن صرور بن بكورة بن أفيح من سبط بنيامين . وكان شاول شابا جميلا لم يكن فى بنى اسرائيل أحسن منه

عرفنا أن الشاب شاول هو الذى اختاره الله ليكون ملكا لليهود

وقد نصت حكاية شاول الذى هو طالوت فى سفر صمويل الأول من الاصحاح الثامن الى الحادى عشر .

وكان من قصته وأمر تمليكه ان ضلت أتن لقيس أبى شاول فقال لابنه خذ معك واحدا من الغلمان وفتش على الأتن فبحث فى أمكنة كثيرة الى أن أتى الى المدينة التى فيها صمويل فأشار الغلام

---

(١) توجد قرية قرب الرملة من بلاد فلسطين اسمها بيت دجن أعتقد أنها بيت داجون وان معبد هذا الاله كان بها وان بها كان تابوت العهد الذى لبنى اسرائيل ورد أيام طالوت .

(٢) رأيت قبره على جبل على يمين الذاهب من بيت المقدس الى الرملة بعد أن يجاوز لفته وأبى غوش وقد قيل أنه دفن فى الرامة ولعل ذلك الموضع يقال له الرامة .

على شاول أن يقصد النبى صمويل ليدله على الأتن فذهب اليه فالتقى به فى وسط المدينة يريد صمويل لقاءه فسأله على الأتن فطمانه وأكرمه اكراما عظيما فى ذلك اليوم وفى اليوم الثانى صب صمويل الدهن على رأس شاول ومسحه به وقبله وأخبره بما سيصير اليه أمره

ثم أخذ صمويل فى العمل لتعيين من اختاره الله ملكا لليهود أمام الشعب وطلب شاول فوجد مختبئا بين الأمتعة . ولما جاءوا به كان أطول الناس فرضى به الشعب وهتفوا له وغضب اخرون . واحتقروه .

وفى القران الكريم أن نبيهم لما اخبر بنى اسرائيل ان الله قد بعث لهم طالوت ملكا تذمروا .وقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . فقال لهم نبيهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء . وكان شاول طويلا

وكان مما أخبر به صمويل بنى اسرائيل ، أن اية ملك طالوت أن ياتيهم التابوت الذى أخذ منهم و (فيه بقية مما ترك ال موسى وال هارون) أى موسى وهارون على حد قول عمر : لو ضاع عقال بشط العراق لخشيت أن يسال الله عنه ال عمر .يريد نفسه (تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) .

نعود الى التابوت الذى فى بيت داجون فنقول : ذكر فى سفر صمويل أن الفلسطينين كانو يجدون الههم داجون ملقى عن مكانه فى كل ليلة وسلط الله عليهم الفيران فافسدت عليهم حاصلاتهم وخرجت لهم البواسير وعلموا أن ذلك من وجود التابوت عندهم . فصنعوا تماثيل فيران من ذهب وتماثيل بواسير من ذهب ووضعوها مع التابوت قربانا وجاءوا بعجلة جديدة وعلقوا فيها بقرتين مرضعتين ووضعوا التابوت على العجلة وأطلقوا البقرتين فجاءتا بالتابوت بدون سائق أو قائد الى قرية بيت شمس ؟ الى أهل قرية يعاريم اليهودية فاخذوا التابوت وما معه وأوجدوه فى بيت وخصوا به أحد الكهنة لخدمته وكان مكث التابوت عند الفلسطينين سبعة أشهر وأقام فى يعاريم عشرين سنة .

وصعود التابوت من عند الفلسطينين هو الذى أقامه صمويل آية على ملك طالوت ومعنى تحمله الملائكة على هذا انها كانت تدل بالبقرتين الجارتين للعجلة

جمع بعد ذلك طالوت الجنود لقتال الفلسطينين وكان شجاعهم وعظيمهم رجل يقال له جالوت او جليات عند العبرانيين قد هابه الناس وتحاموا حربه لشجاعته وقوته .

وكان فى ذهاب طالوت اليه ان قال لجنوده (ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن

لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده) فأصاب القوم ظمأ شديد فلما اشرفوا على النهر لم يملكوا انفسهم أن شربوا منه الا قليلا منهم امتنعوا وصبروا عن الماء وآثروا طاعة الله وكانوا قليلا . فلما جاوز النهر هو والذين امنوا معه على قلتهم قالوا : لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . لأنهم نظروا الى قلتهم وكثرة اعدائهم. فقال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى المؤمنون بانهم ملاقوا الله وانما عبر بالظن للاشارة الى ان مجرد الظن كاف للعاقل فى العمل لما ينجيه لأنه اخذ بالاحوط (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقد كان من حاضرى الحرب داود بن يسى وكان صغيرا يرعى الغنم لافضل فيه للحرب ولكن أباه ارسله الى إخوته الثلاثة الذين مع طالوت ليأتيه عنهم بما يطمئنه عليهم . فراى جالوت وهو يطلب المبارزة والناس قد تحامته لما ملأ انفسهم من هيبته وتيقن كل مبارزة له انه هالك . فسال داود عما يصير لقاتل هذا الفلسطينى فاجيب بان الملك يغنيه غنى جزيلا ويعطيه ابنته ويجعل بيت أبيه حرا فى اسرائيل

كان داود فى ذهابه الى اخوته المحاربين لا يعلم انه سيحارب ولم يكن قد جرب نفسه فى الحرب ولكنه ذهب الى شاول وطلب الاذن بمبارزة جالوت فضن به شاول وحذره . فقال انى قتلت أسدا أخذ شاة من غنم أبى وكان معه دب فقتلته . وألبسه شاول لامة حرب فلم يعرف داود أن يمشى فيها فخلعها وتقدم بعصاه وخمسة أحجار ماس فى كنفه[1] انتخبها من الوادى ومعه مقلاعه وبعد كلام مع جالوت رماه داود بحجر فثبت فى جبهته وأخذ منه السيف وفصل به رأسه عن بدنه وهزم الفلسطينيون ووعد الملك داود ان يزوجه ابنته ميكال وجعله رئيس الجند
اقرءوا الآيات الآتية

سورة البقرة — أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ

(١) وعاء يجعل فيه الراعى خبزه ونحوه

أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٢٤٨ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ .

رجع الكلام الى داود

بعد هذا التمهيد الذى قدمناه نقول لما هزم داود جالوت ورجاله حسنت حاله عند شاول وصار مقدما بين رجال الحرب فى بنى اسرائيل وعظمت منزلته وزوجه ابنته وانعقدت أواصر المحبة الصادقة بين داود وبين يوناثان ابن شاول .

تغير قلب شاول بعد ذلك على داود لما أحس من تعلق الشعب به وعظمه فى أعينهم فعمل على إهلاكه خشية ان تمتد عينه الى الملك . وكان يوناثان بن شاول يعمل على تحسين مركز داود عند أبيه ويطريه ويشيد باخلاصه فى خدمة الملك ولما اعتزم شاول الفتك بداود أنذرته زوجته ميكال بنت شاول فهرب وأوهمتهم أنه على سريره ولم يكن فوق السرير سوى متاع مغطى . وكان داود قد أعطى شاول صداقها مائة غلفة من الفلسطينيين

وكان شاول حين ولى داود حرب الفلسطينيين بعد ان تغيرت نيته فيه يريد بذلك أن يلى الأعداء قتله ويكفوه أمر داود . ولكن داود كان مظفرا فى حروبه . فلما لم يهلك أحب ان يهلكه

بجنده وأعوانه ففاتهم . وكان داود مع علمه بخبث نية شاول عليه لا يقصر فى النكاية بأعداء الملك . ولما أيقن داود ان نية الملك قد صحت على قتله هرب منه . حتى لقد هم شاول أن يطعن ابنه يوناثان بالرمح لانه كان يحاجه فى داود فراغ منه ونجا . فتمت عزيمة داود على الهرب منه وان يغيب وجهه عنه

انتهى داود فى هربه الى أخيش ملك جت وهم أعداء شاول الألداء ولداود أسوأ النكايات بالقوم فى الحرب . فلما ظفروا به جاءوا به الى الملك وحرضوه على قتله . فتظاهر داود بالجنون . وأوقع الله فى قلب الملك طرد هذا المجنون من حضرته . فأمر غلمانه باطلاقه وإبعاده عنه ففعلوا وقد لامهم الملك على إدخال مجنون الى بيته

ذهب داود الى مغارة عدلام وجاء اليه اخوته وجميع بيت أبيه واجتمع اليه كل رجل متضايق وكل مدين . فانتقل الى مصفاة موآب وأرسل أباه وأمه الى ملك موآب ليكونا فى كفالته الى ان يعلم مصير أمره . ثم انتقل بمن معه الى ارض يهوذا

سمع شاول بداود ومن اجتمع له من الرجال فلام رجاله على عدم إخباره بأمر داود مع ابنه يوناثان انهما تعاهدا على الصداقة والوفاء . فأغراه أحد رجاله بأخى مالك بن خيطوب الكاهن وأخبره انه أعطى داود طعاما وسلحه بسيف جالوت وان الكاهن دعا له بالنجاح . فأتى شاول بالكاهن ولامه فى أمر داود فأثنى الكاهن على داود وقال انه مخلص فى خدمة الملك وقد شاع أمره واشتهر وان الملك لا ينبغى أن يكافىء داود عن الاحسان شرا . فأمر الملك بقتله وقتل الكهنة فقتل منهم خمسة وثمانين ولم ينج منهم سوى طفل يقال له أبياثار بن خيطوب وهرب الى داود وأخبره بكل ما فعل شاول . فرحب داود بابياثار وأقامه عنده لأن أهل بيته قتلوا بسببه

أقام داود فى البرية وشاول يطلب الفرصة لاهلاكه وعلم داود بكل ما يدبر عليه وقد جمع شاول ثلاثة الاف للتفتيش عليه والايقاع به واختبأ ومعه بعض رجاله فى كهف فجاء شاول ونام فى ذلك الكهف وداود ورجاله فى داخله . ولاحت الفرصة لداود فى قتله وأغراه رجاله بذلك فوبخهم ولم يفعل واقتصر على قطع طرف جبة شاول — ولما استيقظ شاول وخرج من الكهف تبعه داود وأخبره بأنه قد كانت له الفرصة فى قتله فلم يمد اليه يدا وان آية ذلك انه قطع طرف جبته وعف عن إلحاق الأذى به . فندم شاول وقال أنت أبر منى

لم يلبث شاول أن عاوده الخوف على ملكه من داود فألح فى طلب إهلاكه وخرج مع رؤساء

جنده فى جيش لاهلاك داود . فصبر داود حتى نزلوا منزلا ناموا فيه وقد ركز الملك رمحه عند رأسه ونام فجاء داود وتخطى الجند ورؤساءهم وأخذ الرمح وكوز ماء كان عند رأس الملك ووقف على ربوة ونادى رؤساء الجند موبخا لهم على تقصيرهم فى حراسة الملك فاستيقظوا ودعا داود أحدا منهم يجىء اليه ليأخذ رمح الملك وكوز الماء وأعلم الملك بان الفرصة قد سنحت له فى قتله ولكنه لم يفعل . فأظهر الملك الندم وعاد الملك الى بيته وأقام داود فى حصن اتخذه لنفسه

لما يئس داود من صلاح الحال بينه وبين الملك ذهب الى الفلسطينيين فطلب من ملكهم أن ينزله فى إحدى القرى يقيم فيها هو ورجاله

ولعل ملك الفلسطينيين قد رأى الفرصة سانحة لعمل هدنة مع داود ليكتفى شره ورأى ذلك خيرا من بقائه على العداء ودوام النكاية بالملك وجنده فاجاب طلب داود

لم يطل المقام بداود حتى قام شاول لمحاربة الفلسطينيين وخرج داود برجاله معهم ولكن قادة الجند تخوفوا جانبه وأغروا الملك برده فرده بعد مسير ثلاثة أيام وكان الملك به ضنينا . فلما عاد الى المكان الذى فصل منه وجد الفلسطينيين خالفوا الى نساء داود والرجال الذين معه وأولادهم فسبوهم ونهبوا كل شىء وأحرقوا القرية التى كان داود نازلا بها وتدعى (صقلغ) فجد وراء المغيرين وخلص السبي وأفحش فى قتل أولئك القوم وغنم منهم غنائم عظيمة

أما شاول فلقيه الفلسطينيون فانهزم جيشه وقتل هو وثلاثة من بنيه وهزم رجاله وجلا العبرانيون عن المدن القريبة من الموقعة وسكنها الفلسطينيون

فى أثناء هذه الخطوب مات صموئيل صلوات الله عليه وقام فى بنى اسرائيل نبى آخر اسمه جاد ـ وكان صموئيل قد تغير على شاول وابتعد عنه ولم يشأ أن يذهب اليه مع إلحاح الملك فى الطلب . وقد أخبر داود ان الملك صائر اليه بعد موت شاول

لم يكن داود يعلم بما تم على شاول وجنده من القتل والهزيمة والتشريد حتى جاء اليه غلام عماليق . وأخبر بما تم على شاول وجنده . وان شاول كان فيه بقية من رمق بعد سقوطه فى الحرب ، وعلم انه مأخوذ لا محالة فطلب الى الغلام العمالبقى ان يقتله ففعل وانه أخذ إكليله وسواره وجاء بهما الى داود فغضب عليه داود وقتله وأقام مأتما على شاول ويوناثان صديقه ورثاهما رثاء عظيما والظاهر ان شاول كان حسن السياسة وان مدته كانت مدة رفاغة وهناءة لبنى اسرائيل كما تدل عليه مرثية داود

صعد بعد ذلك داود الى حبرون وهى مدينة الخليل اليوم . فجاء رجال يهوذا وأقاموا داود ملكا على بيت يهوذا

وأما بقية اسرائيل فدانوا بالطاعة لا (يشبوشث) بن شاول وقام بأمره رجال أبيه ورؤساء جنده

وقد حصلت حروب بين رجال داود ورجال ايشبوشث بن شاول الى أن هلك ابن شاول بعد سنتين وأقام داود ملكا فى حبرون وجاء اليه بقية رؤساء اسرائيل وملكوه عليهم وأقام فى حبرون سبع سنوات . ثم انتقل الى صهيون وهو حصن سماه مدينة داود وكان المقيمون فى جبل الموريا من اليبوسيين . فاقام داود بجانبهم فى صهيون الى أن صارت جميعها لبنى اسرائيل

قام داود فى أيام ملكه بحروب كثيرة كان موفقا فيها منصورا على أعدائه واتسع ملكه حتى صار من أيلة (خليج العقبة) وهى المدينة التى على الخليج الى الفرات فدانت له تلك البلاد كلها بعد حروب كان الظفر حليفه فيها كلها فافتتح بلاد الفلسطينيين وأخذ دمشق عاصمة ملك الآراميين بعد حرب شديدة وحارب الأقوام الذين على الفرات ونصر عليهم قبل أن يملك دمشق وما معها

وقد أحسن داود الى غلام بقى من بيت شاول ورد عليه أملاك أسرته وملك داود شرق الأردن بعد أن حاربه بنو عمون

نعم الله على داود

قد ذكر الله تعالى لداود مواقف صالحات وأنه أنعم عليه نعما عظيمة فمن ذلك :

١ ـ أن الله ذكر فى الكتاب الكريم أنه سخر الجبال مع داود يسبحن بكرة وعشيا وقد دل على ذلك بقوله فى سورة سبأ ـ ولقد اتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وفى سورة ص ـ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق

قال البيضاوى فى قوله أوبى ـ رجعى فى التسبيح كلما رجع فيه اه وهذا أمر يدل على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال كالعقلاء المنقادين لأمره فى نفاذ مشيئته

٢ ـ تسبيح الطير معه كما تفعل الجبال أيضا كما تقدم فى سورة سبأ

وفى سورة ـ ص ـ والطير محشورة كل له أواب

٣ ـ علم منطق الطير : فقد جاء فى سورة النمل (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء)

قال البيضاوى والضمير فى أوتينا وعلمنا له ولأبيه أوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة — ويؤيد (فى نظرى) أنه يتكلم عنه وعن أبيه — أولا قوله تعالى : ياجبال اوبى معه والطير — ثانيا قوله تعالى والطير محشورة كل له أواب — ثالثا قوله تعالى وورث سليمان داود . اذ الظاهر أنه ورثه فى العلم والحكمة .

٤ — إلانة الحديد له كما فى قوله تعالى فى سورة سبأ — وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد (النسج أو الثقب) قال البيضاوى ألنا له الحديد جعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالاته أو بقوته اه فكان يعمل الدروع المسرودة أى ذات الحلق من الحديد بيده معجزة له وأمرا خارقا للعادة. ولو كان يعمل الدروع بواسطة النار لم يكن فى ذلك امتنانا من الله عليه إذ كل الناس يعملون كذلك . اللهم الا أن يدعى مدع ان الانة الحديد لم تكن معروفة قبل داود وان الله هداه إلى هذا الأمر الذى لم يكن معروفا قبله . وهذا مالا سبيل إلى تحقيقه

٥ — عمله الدروع المركبة من حلق الحديد [1] وكانت تعمل صفائح فكان هو الذى نسجها من حلق الحديد تناط الحلقة بامثالها إلى أن يكمل الدرع وهى أخف من الدروع الأخرى وأبعد من مضايقة لابسها وهى تق لابسها من أن تعمل فيه الأسلحة . فهى على لابسها حصن متنقل بتنقله كما قال تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)

واعلموا أن الدروع لم تبق لها فائدة حربية بعد اختراع المدافع والبنادق فان مقذوفات البنادق تخترقها وقد سمعنا انهم فى بعض الاحيان يتخذون الدروع من الحديد المقسى (أى المقوى بالنيكل) فتكون لها قوة لاتخترقها قذائف البنادق ولكنها غالية جدا

٦ — تشديد ملكه . ذلك أن الله تعالى قواه فى الملك وجعله منصورا على أعدائه فقد انتصر على جميع مبغضيه ومناوئيه قبل الملك وبعده ومكث دهرا لا يقوم له معارض الا غلبه ولا يعتدى على ملكه معتد من خارج مملكته فى أواخر ملكه — وقال البيضاوى شددنا ملكه : قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرىء بالتشديد للمبالغة : قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحى الله اليه ان اقتل المدعى عليه . فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته

---

(١) لعل الذى جعله يفكر فى عمل الدروع المسرودة عدم قدرته على المشى فى لامة الحرب التى ألبسه اياها شاول يوم برز داود لجالوت كما تقدم

٧ - آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب . والمراد بالحكمة النبوة وأصل معناها اللغوى وضع كل شيء فى محله . أى أن يقول الانسان القول لاخلل فيه وليس فيه موضع لليت أو للو . ويفعل الصواب الذى لا اعتراض لأحد عليه . بل يأتى به الانسان على وجه الكمال

ومعلوم أن النبوة هى من هذا القبيل ، ولكن الحكمة بمعنى النبوة تكون هبة من الله تعالى دون أن تكون نتيجة بحث أو درس . ولكن حكمة غير الأنبياء تكون بعد البحث والدرس . ومجاهدة النفس ورياضتها على السير بمقتضى الحكمة . فالنبوة طريق إلى الحكمة مختصر يختص الله به من اصطفاهم من عباده . وهو الفاعل المختار . قال البيضاوى فى تفسير فصل الخطاب . فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل . أو الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وانى إلى الأول أميل

٨ - ان الله تعالى أعطاه الزبور كما فى قوله تعالى - وآتينا داود زبورا - وهو عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمده والثناء عليه والتضرع له وبعض أخبار مستقبلة كما قال تعالى - ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون - أى أنه تضمن الأخبار بشأن النبى الآتى وهو محمد ﷺ وأصحابه كما فى الزبور الخامس والاربعين وكان داود عليه الصلاة والسلام حسن الصوت حسن الانشاد حتى أنه الى اليوم مضرب للمثل بحسن الصوت فيقال للحسن الصوت انه اعطى مزمارا من مزامير داود (عليه السلام) والزبور يسمى عند أهل الكتاب المزامير وعددها مائة وخمسون مزمورا وليست كلها لداود بل بعض المزامير منسوبة لقورح امام المغنين وبعضها منسوب الى داود وبعضها منسوب للمغنين على السوسن وبعضها غير منسوب . والكثير منها منسوب الى داود . وليس فى الزبور أحكام ولا أوامر ولا نواه بل كله كما وصفنا . وبعض المزامير الف بعد داود بمئات السنين كالمزمور الذى أوله . على انهار بابل . فانه الف بعد سبى الاسرائيليين إلى بابل فى حادثة بختنصر

موقفان لداود

(١) الأول - لا يختص بداود وحده بل يشترك معه ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام

قال المفسرون : ان حرثا أى زرعا أو كرما تدلت عناقيده نفشت فيه غنم لغير أهله أى أكلته ليلا فجاء المتحاكمون إلى داود وعنده سليمان . فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث عوضا عن

حرثه الذى أتلفته الغنم . برعيها اياه ايلا . فقال سليمان (وهو ابن احدى عشرة سنة) غير هذا أرفق . فامر بدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بالبـــانها وأولادها وأشعارها . والحرث الى أهل الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان

قال البيضاوى : والأول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى . والثانى مثل قول الشافعى بغرم الحيلولة للعبد المغصوب إذا أبق . وحكمه فى شرعنا عند الشـافعى وجوب ضمان المتاف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ايلا . و كذلك قضى النبى ﷺ لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته . فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الدواب حفظها بالليل . وعند أبى حنيفة لاضمان الا أن يكون معها حافظ

(٢) الثانى - قالوا ان داود جزأ أزمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما لخاصة نفسه فتسور عليه ملائكة فى صورة النـاس فى يوم الخلوة والاحتجاب والحرس على البـاب لا يتركون من يدخل عليـه . ففزع منهم فقالوا له لا تخف نحن فوجان مختصمان بغى بعضـنا على بعض - فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط (تجر فى الحـكم) واهدنا الى سواء الصراط (وهو العدل) ان هـذا أخى (فى الدين والصحبة) له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحـدة (وهى الأنثى من الضائن وقد يكـنى به عن المرأة) فقال أكفلنيها (أى ملكـنيها) وعزنى فى الخطاب (أى غلبنى فى الحجة او فى خطبـة المرأة) فاجاب داود قائلا لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجـه (منكرا فعل خليطه ومهجنا طمعه) وان كـثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم (أى قليل وجودهم وكأنه يتعجب لقلتهم) وظن داود أنمـا فتناه (ابتليناه بالذنب وامتحناه بتلك الحـكومة ليتنبه) فاسـتغفر ربه (لذنبه) وخر راكـعا وأناب (الى الله بالتوبة) . ولعل داود رأى انه أسرع بالحـكم قبل سؤال المدعى عليه . وعلم انه تجاوز الحق بذلك فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وهو أحد الآراء التى تحمل عليها الآية وهو حسن

قال البيضـاوى : وأقصى ما فى هـذه القصة الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب - وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منـه سليمان . ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجتـه وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الأنصـار المهاجرين بمثل هـذا . وما قيل انه أرسل أوريا مرارا الى الحرب وأمر ان يتقـدم حتى قتل فتزوجها - هزء وافتراء . ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين - أقول ان المائة والسـتين

حدا قذف . وكانه رضى الله عنه أراد ان يحده حد القذف والثانى تغايظ لأن المقذوف نبى

اما مواساة الأنصار للمهاجرين بنحو هذا . فبلغ على انسعد بن الربيع عرض على عبد الرحمن ابن عوف ان يطلق إحدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن فابى . وحاصل ما يفهم من هذه القصة . ان داود عليه السلام كان يرى بعض الأشياء عند غيره فيستحسنها وتقع من نفسه موقعا ويتمنى لو كانت له وهذه الأشياء أعم من ان تكون امرأة او سواها . وهو لايريد بذلك ان يكون له الشىء الا من وجه حل طبعا . فاراد الله تعالى ان ينبهه على القناعة بما عنده من أمثال ما يستحسن مما أنعم الله به عليه . فارسل الملكين بهيئة متخاصمين فلما أفتاهما وتحقق بعد ذلك انهما ملكان ظن ان الله تعالى ابتلاه وانهما معاتبان فى الواقع وليسا بخصمين فاستغفر الله تعالى وأناب اليه — وأولى منه ان يكون ندم على الحكم قبل سؤال المدعى عليه كما قدمنا — هذا هو الذى ينبغى المصير اليه وهو اللائق بمقام داود الذى يقول الله تعالى فيه (نعم العبد انه أواب) ويقول ايضا (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) ويقول ايضا (وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وبعيد من الحكمة ان يكون الحكيم فاسقا قاتلا من غير حق ولا برهان

بقى ان القول الذى نقلناه عن البيضاوى وفرض صحته وهو احتمال انه خطب على خطبة رجل آخر او طلب اليه ان ينزل له عن زوجته . وان ذلك كان سائغا عندهم . انما هو قول تلطف به المسلمون . واما اهل الكتاب فانهم يقولون . ان داود نظر وهو يمشى على سطح داره الى امرأة تستحم فاعجبته وأغرم بها وأتى بها واضطجع معها فحملت منه واعلمته وكان زوجها اوريا الحثى فى الحرب فاتى به ليسأله عن امر الحرب فى الظاهر وليحدث الرجل بامرأته عهدا حتى لا يرتاب بامرها اذا علم فيما بعد انها حامل ولكن الرجل كان تقيا جدا فبات بباب داود ولم يزر امرأته لأنه رأى من عدم التقوى ان يتمتع بزوجه واخوانه فى الحرب بعيدون عن أزواجهم . فلما علم داود بامره لم ير وسيلة لعدم افتضاح امره الا تعريض اوريا لجبهة القتال حاملا الراية وأن يتأخر عنه الجند بعد التقدم . وبهذه الوسيلة قتل الرجل . وأتت امرأته بولد من تلك الزنية ؟ وتزوجها داود . ثم مرض الولد فحزن داود لمرضه حزنا شديدا حتى لا يقدر أحد على تسرية همه . ثم مات الولد . ومن هذه المرأة كان سليمان . وكل هذا منهم كذب وافتراء وانى أرد كذبهم بالشهادات الحسنة التى شهدت بها كتبهم لداود

فى سفر صموئيل الثانى فى الاصحاح الثانى والعشرين يقول داود (يكافئنى الرب حسب برى

حسب طهارة يدى يرد على لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص الهى . لأن جميع أحكامه أمامى فرائضه لا أحيد عنها)

وهذا السفر يقرون انه كتب بالهام وهو واجب التسليم وكل ما فيه صدق عندهم ومحال أن يكون الزنا من البر واتباع وصايا الله والمحافظة على شريعته

وفى الاصحاح الثالث من الملوك الأول . فقال سليمان . انك قد فعلت مع عبدك داود أبى رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك فحفظت له هذه الرحمة العظيمة وأعطيته ابنا يجلس على كرسيه كهذا اليوم - فهل من البر والاستقامة ان يكون زانيا قاتلا ؟

وفى الاصحاح السادس من أخبار الأيام الثانى قول الله لداود (ان يكن بنوك طرقهم يحفظون حتى يسيروا فى شريعتى كما سرت أنت أمامى) فهل يريد الله لأبناء داود الذين يقويهم ويملكهم أن يكونوا كداود زناة قتلة ؟ وهل هذا الوصف مما يكافىء الله عليه بحفظهم وتشديد ملكهم؟ ويكون ذلك حفظا للشريعة ؟ وفى سفر الملوك الأول قول الله ليربعام بن ناباط عن سليمان اصحاح ١١

٣٤ ولا اخذ المملكة من يده لأجل داود عبدى الذى اخترته الذى حفظ وصاياى وفرائضى .... (٣٨) فاذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت فى طرقى وفعلت ما هو مستقيم فى عينى وحفظت فرائضى ووصاياى كما فعل داود عبدى أكون معك وأبنى لك بيتا امنا كما بنيت لداود وأعطيك اسرائيل

وكانت مدة ملك داود أربعين سنة منها سبعة أعوام وهو ملك فى حبرون - لسبط يهوذا وحده ولاسرائيل كلهم . ثلاث وثلاثون سنة ملكا لجميع اليهود فى صهيون وجعل ابنه سليمان ولى عهده قبل ان يموت ومات وهو شيخ كبير جدا

اقرءوا هذه الآيات :

سورة البقرة - أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ

أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٢٤٨ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ.

الزبور

ذكر الزبور فى الآيتين الآتيتين من القرآن الكريم

سورة النساء — وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ١٦٣

سورة الاسراء — وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ٥٥

هبة سليمان لداود

سورة ص — وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٣٠

حكمة داود

تسبيح الجبال والطير معه واشتغاله بعمل الدروع

سورة الأنبياء — وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

شَاهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ٧٩ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ٨٠

سورة سبأ — وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١

سورة ص — اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ٢٠

سورة النمل — وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ١٥ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ١٦

ما يتعلق بالفتنة من القرآن

سورة ص — وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ٢٥ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ

بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ٢٦

مكان العبرة من قصص داود

أولا . أن داود عليه السلام اختاره الله تعـالى ليفعل العجائب بيده ولم يكن من أهل تلك الأفعال لأنه كان غلاما راعيا للغنم فقتل الله تعالى بيده جالوت الجبار الذى تحامته الأبطال ولم يقاتله بسيف ولا رمح ولم ينزل اليه بدرع ولا ترس وانما قتله بحجر ارسله من المقلاع فكان ذلك أدل على قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الأشياء على يد أضعف العباد

ثانيا : ان الشخص الضعيف لا ينبغى له أن ييأس من النجـاح واحراز أسباب الفلاح مادام معتصما باسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالى

ثالثا : أن انتصار داود على جالوت لم يغير من طباع داود ولم يذهب به مذهب أهل الكبرياء بل لم يزده هذا الأمر الا تواضعا وكان الله يرفعه درجات كلما تواضع وشكر

رابعا : ان طاعة الله تعالى وشكر نعمه مما يوجب المزيد منها . فان الله تعالى لما رأى طاعة داود وشكره زاده من نعمه فألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع المسرودة لتحصن النـاس من البأس وأنعم عليه بولده سليمان الذى ورثه ملكه وعلمه وحكمته

سليمان عليه السلام

ذكر سليمان فى القرآن ست عشرة مرة فى الآية ١٠٢ من البقرة، ١٦٧ من سورة النساء وفى ٨٤ من الانعام وفى ٧٨، ٧٩، ٨١ من الانبياء، وفى ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٣٦، ٤٤ من النمل ١٢، من سبأ، ٣٠، ٣٤ من ص وقد جاء فى القران كثير من الآيات فى نعم الله المترادفة عليه وعلى أبيه وهى لا تكون كلها قصة تطرد من أولها إلى اخرها وانما هى مواقف انعم الله عليه فيها وأظهر فضله ونحن أولاء نثبتها هنا

الأول : أن الله منحه الذكاء وأصابه الحكم منذ صباه — تدل على ذلك قصة الحرث الذى نفشت فيه غنم غير أهله فقد وفق إلى الحكم الأقوم . وقد تقدمت . وقد ذكر ذلك فى القران فى قوله تعالى « وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين : ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال » وهذه القصة لم تذكر فى كتب أهل الكتاب
الثانى : ان الله تعالى علمه منطق الطير (المنطق والنطق كل لفظ يعبر عما فى الضمير والاصوات الحيوانية من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارة (ولا) سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ماهو من جنسه)

قال البيضاوى ولعل سليمان مهما صوت حيوان علم بقوته الحدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى أنه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول « اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء » وصاحت فاختة فقال إنها تقول ! « ليت الخلق لم يخلقوا » فلعل صوت البلبل كان عن شبع وفراغ بال . وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب اه

والذين لهم مراقبة للحيوان والطير يجدون أصواتها تتكيف بكيفيات مختلفة باختلاف حاجاتها ومطالبها . فمواء الهرة المحبوسة غير موائها اذا طلبت السفاد والطعام أو الماء فلكل صوت كيفيات ونبرات ليست فى الصوت الآخر يفهمه عنها ابناء جنسها وقد اخبرنى صديق الشيخ احمد عمر السكندرى أن أطفالا ألقوا فى بيته حدأة بعد أن عبثوا بها ونهكوا قوتها ورضوا بعض عظامها فالقاها أولاده فوق السطح فكان يصدر عنها صوت خاص كلما رأت الحدأ فكن يحمن عليها وفى

كل يوم يلقين اليها بعض الطعام من عظام بها بعض اللحم وارجل دجاج ونحوه مما يرزقهن الله وكان أولاده يقدمون لها الماء وبعض الأكل الى أن أبلت وقويت وطارت — وعلى كل فادراك كل صوت من الطير وما يقصد به لم يكن الا هبة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده وقد وهبها سليمان .

اقرءوا قوله تعالى فى سورة النمل

(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ)

والمراد بقوله من كل شىء كثرة نعم الله تعالى عليه ، ومنها تعليمه كلاما لا يعلمه سواه ، وهذه المنحة لم تذكر فى كتب أهل الكتاب وانما يذكرون أن سليمان كان عظيم الحكمة ولذلك يسمونه سليمان الحكيم ولا يلقبونه بالنبى أصلا .

الثالث : تسخير الرياح له يصرفها بامره كما يصرف الانسان عنان دابته وكانت تسير وقت الغدوة مسيرة شهر ومثلها فى وقت الرواح

يقول المفسرون . ان سليمان كان له نحو البساط من الخشب له الف ركن فى كل ركن الف بيت يكون فيها جند سليمان من كل صنف ، وتحت كل ركن الف جنى يحملون ذلك الشىء الخشبى حتى يرتفع فى الجو ، وحينئذ تسير به الريح وكان يخرج من القدس فيقيل فى اصطخر ، ثم يبيت بخراسان

وأقول تحريك الريح لأى شىء عظيم ليس ببعيد

ومسير الريح هذه المسافة شىء ضئيل فى قدرة الله تعالى . ولكن الذى اريد الحصول عليه هو وقوع ذلك بالفعل والدليل عليه . فانى لم أجد ذلك فى القران ولا أدرى ، لم ذهب سليمان الى اصطخر ثم إلى خرسان ؟ وليستامن ملكه ، واذا ذهب زائرا لملوك تلك البلاد فأى داع إلى أخذ الجند الذين لا يقل عددهم عن مليونين ؟ وكيف يسمح الملوك لملك زائر بادخال الآلاف المؤلفة من الجند الى ممالكهم ؟ واذا كان سليمان لم يعلم بمملكة سبأ وملكتها حتى هداه الهدهد إلى ذلك . فكيف يترك اليمن التى فى متنـــاول يده ويذهب الى اصطخر ثم الى خرسان ؟ ولم لم يكن ذلك الى مصر ومصر اقرب البلاد اليه ؟ هذا وبعض المفسرين يقدر مسير الريح بشهر أى بسير الذاهب للتنزه بحيث يكون سيره فى اليوم فرسخا أو تسعين ميلا فى الشهر ولما كان الفرسخ البرى ٤٤٤٤ مترا كان مدى غدوة الريح فى الشهر ٣٢٠ و١٣٣ ك وهو مقدار ضئيل

نعرف أن متوسط سرعة الريح المعتدلة ما بين ٤٠ الى ٥٠ كيلومترا فى الساعة فاذا كانت الغدوة ست ساعات فقط وجب أن تكون المسافة نحو ٣٠٠ كيلومترا فى اليوم غدوا وهو شيء قليل ولعل الذى حداهم إلى ذلك انهم حسبو السير المعتدل للابل فوجدوا أنها تقطع فى الشهر ٣٠×٤٢ = ١٢٦٠ كيلومترا فاذا فرض سير الريح فى الغدوة ست ساعات كان ما تقطعه الريح فى الساعة ١٨٠ كيلو مترا وهذا انما يكون فى وقت العواصف الشديدة لذلك عدلوا عن القول بذلك الى كون الشهر بسير الشخص الطالب للنزهة وقد فاتهم أن الله تعالى قال: (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) وفى اية أخرى (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التى بار كنا فيها) أى أن الريح العاصفة تجرى بأمره رخاء فهى فى هذه الحالة تقطع مثل ما تقطعه وهى عاصفة وبعد هذا فهل من لوم على من يقول: ان الريح كانت مسخرة لسليمان يصرفها تجرى بأمره رخاء فيأمرها بان تهب فى هذه الناحية لاحتياج أهلها إلى الريح الرخاء للانتفاع بها فى زرعهم ومعاشهم أو فى تزجية السفن تصل إلى المرافيء سالمة وبذلك يندفع ما قد يقال . وما فائدة تسخير الريح اذا لم تحمله وجنوده الى مسافات بعيدة .

لو أن القائلين ببساط سليمان الذى تحمله الريح اقتصروا به على عشرة أذرع فى مثلها أو عشرين ذراعا فى مثلهـــا أو مائة ذراع فى مثلها لكان الأمر معقولا مقبولا . أما وهم يقولون إن فيه ألف ركن فى كل ركن ألف بيت فانهم يجعلون له من السعة وترامى الأطراف ما لا يقبله تصور بل لم يكن فى ملك سليمان كله ما يكفى لشغله من الجند إذ جعلوا به مليونا من البيوت للجند فاذا كان بالبيت الواحد جنديان فقط كان به مليونان من الجند . ولا يصح أن يكون قد خلف من الجند أقل منهم لحماية البلاد . فتلك أربعة ملايين . فاذا كانوا عشر السكان وجب أن يكون السكان أربعين مليونا وهو عدد لا يمكن أن تسكن فلسطين ولبنان وسوريا بنصفه أو بربعه .

ويكون البساط فى مساحة أكبر من مائة كيلو متر مربع ومحال أن نجد فى فلسطين مكانا مستويا يستقر عليه هذا البساط فضلا عن البلاد التى ينتقل اليها على غير استعداد . وهذه مدينة بيت المقدس ليس فيها مكان مقداره عشرة أمتار فى خمسين يوجد مستويا أصلا . فاين كان سليمان يبسط بساطه ؟

على أن سليمان كانت أسفاره مع جنوده على الأرض لا على متن الريح كما يقولون . وهذا القرآن الكريم يقص علينا قول النملة حين مر بجنده على وادى النمل إذ قالت يأيها النمل ادخلوا مسا كنكم

لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وما كان سليمان وجنوده ليحطموا النمل وهم على بساط الريح الذى يزعمون .

إن مملكة سليمان وداود لم تمتد الى أكثر من خليج أيلة وفلسطين وشرق الأردن ولبنان وسوريا الى شط الفرات فقط .

وهذا المقدار لا يحتاج فى السفر الى الشهور بل يحتاج الى أيام فما كان فى حاجة الى بساط تحمله الريح ولم يكن له من الجند مايتلاءم مع مقدار البساط - فهذا ابن خلدون يقول ان مبلغ خيله لم يزد على اثنى عشر ألف فرس ومثل ذلك فى كتب الأنبياء .

وعلى كل فهذا البساط بهذا المقدار انما هو أسطورة تكفل برواجها تبرع الناس بحمل كل ما للانبياء صلوات الله عليهم على الغرابة وعدم السير على السنن الطبيعى وحبهم للتزيد على ما منحهم الله إياه من غرائب المعجزات ونحن نقر بالمعجزات والعجائب التى منحها الله لأنبيائه مما جاء به نص قطعى الثبوت والدلالة ، ولكننا لا نبذر فيها ولا نسرف - واعلموا أن إثبات معجزة لنبى لم تكن . كذب عليه يساوى أثمه إنكار معجزة ثابتة .

الرابع : سليمان والصافنات الجياد

ذكر هذا الموقف فى سورة ص فى قوله تعالى . (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب . إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد . فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق) ويقول بعض المفسرين فى تفسير هذه الآية . إن سليمان عرض عليه خيل جياد فى وقت العصر فألهاه ذلك عن صلاة العصر فغضب لذلك وطلب من الله أن يرد عليه الشمس بعد غروبها ليصلى العصر حاضرا فردت ثم غضب على الخيل التى كانت سببا فى فوت الصلاة فقطع أعناقها وسوقها وان الضمير فى قوله حتى توارت وفى قوله تعالى ردوها للشمس المفهومة من قوله بالعشى ومعنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربى) انه أحب هذه الخيل معرضا عن ذكر ربه وهو الصلاة . وهذا التأويل وما تضمنه أراه بعيدا بل أراه بعيدا بعد المشرقين

وإنى أترك الفخر الرازى يرد عليه فى تفسيره قال . إن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقيب قوله تعالى . (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) وان الكفار لما بلغوا من السفاهة الى هذا الحد قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم . (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود .) وذكر قصة داود ثم ذكر عقبها قصة سليمان وهذا الكلام لايكون لائقا إلا بقولنا ان سليمان عليه السلام أتى فى هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله وأعرض عن الشهوات

واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام فى هذه المواضع أنه أقدم على الكبائر العظيمة والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر القصة لائقا بهذا الموضع فثبت أن كتاب الله تعالى ينادى على هذه الأقوال بالرد والافساد والابطال . بل التفسير المطابق للحق ولالفاظ القرآن والصواب ان نقول أن رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما أنه مندوب اليه فى دين محمد صلى الله عليه وسلم . فاحتاج الى الغزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنه لايحبها لأمر الدنيا ونصيب النفس وانما يحبها لأمر الله تعالى وطلب تقوية دينه . وهو المراد من قوله عن ذكر ربى . ثم انه عليه السلام امر باعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب . اى غابت عن بصره . ثم امر الرائضين ان يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها ـ والغرض من ذلك المسح امور

(الأول) تشريفا لها وإبانة لعزتها لكونها من اعظم الأعوان لدفع العدو

(الثانى) اراد ان يظهر انه فى ضبط السياسة والملك متضع الى حيث يباشر اكثر الأمور بنفسه

(الثالث) انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها ، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض ، فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق انطباقا مطابقا موافقا ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات المحظورات الى سليمان عليه السلام

ثم قال الرازى : وانا شديد التعجب من الناس ! كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع ان النقل والعقل يرد انهما وليس لهم فيها شبهة فضلا عن حجة . وقد اطال الفخر الرازى فى الرد على من يقول خلاف هذا . وهذا الموقف ليس فيه عند اهل الكتاب كلام اصلا

الخامس ـ فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه (١)

جاء فى القرآن الكريم فى سورة ص « ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب » قال

---

(١) نقد اللجنـــة

« الموضوع الحادى عشر »

(فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه)

بعد أن ذكر فى هذه الفتنة ما يقوله أهل الحشو وضعفه ورد عليه كما رد عليه المفسرون قبله وذكر أن الفخر الرازى فى تفسيره ابدى لتفسير الآية الواردة فى هذه الفتنة وجوها وذكر أحسن الوجوه قال ما نصه صفحة ٣٢٥ سطر ٤ .

أقول وعندى وجه لم يذكره أحد من العلماء وهو أن كرسى داود انما هو كرسى سليمان لأن =

رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك انت الوهاب » يقول اهل الحشو ومن لا يبالون بان يأتو فى تفسير كتاب الله تعالى بكل ما يتخيلون من الحكايات المصطنعة ان سليمان بلغه خبر مدينة (١) اسمها صيدون بجزيرة فى البحر فخرج اليها بجنوده تحمله الرياح فدخلها وقتل ملكها وأخذ بنتا له اسمها جراده من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت

= داود كان يرشح سليمان للملك والجلوس على كرسيه - وقد قام ابشالوم ابن داود وثار على والده وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسى الذى هو فى الواقع كرسى سليمان ، وهرب منه داود الى شرق الأردن ، وسرح الجيوش لمقاتلته وباشر أبشالوم الحرب بنفسه فقتل ابشالوم ، اذ مر به بغله تحت بطمة فتعلق فى أغصانها من شعره ، فأتى رئيس الجند يوآب وقتله وعاد سليمان الى كرسيه بعد أن تزعزع بفعل أخيه ابشالوم وتضرع الى الله وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده

لا شك فى أن سليمان فى تلك البرهة كان يعتقد اعتقادا جازما لا شك فيه أن الكرسى الملكى أفلت من يده ولاراد له سوى الله تعالى فاستغفره تعالى لما قد أسلف من هو اجس نفسية لا يخلو منها من كان مثله فى سن الصبا من زهو بذلك الكرسى الذى ينتظره ، والملك العريض الذى سيكون بيده صولجانه . فامتحنه الله تعالى بمن اغتصب ذلك الكرسى وتسرب الى نفسه دبيب اليأس فاستغفر سليمان ربه لتلك الهواجس التى تعد على المقربين ذنوبا وهى غير ذنوب وأناب اليه ضارعا أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فآتاه الله ذلك الملك بعد وفاة أبيه داود الذى كان قد بلغ من الكبر عتيا - الى أن قال : وأما ما روى أنه عزم على الطواف على سبعمائة أو سبعين من نسائه فى ليلة واحدة ، فتاتى كل واحدة منهن بولد يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فعاقبه الله بانهن لم يحملن كلهن الا امرأة واحدة جاءت بشق إنسان فجيء اليه به وهو على كرسيه ووضع فى حجره فبعيد إذ قدرة الانسان تعجز عن الطواف بسبعمائة امرأة أو سبعين فى ليلة واحدة والليلة لا تسع ذلك اصلا مهما قدرت حظا صغيرا لكل امرأة من الزمن ولم يجعل الله تعالى معجزة الأنبياء فى السفاد وغشيان النساء ومسابقة الحيوان فى هذا الضرب ، ولا يوجد متحد بمثل هذا حتى تتم المعجزة فالمعول عليه ما أوردنا فيما سبق :

أما قولهم ان السبب فى عدم إتيان النساء بالاولاد عدم قوله ان شاء الله فعجيب لأن هذه اللفظة =

---

(١) يقول المفسرون عن المدينة انها صيدون . وصيدون هى مدينة صيداء وليست جزيرة وانما هى بين بيروت وعكا وهو لا يحتاج فى حربها الى عناء وقصاراه أن يرسل اليها بعض جنده فينال مأربه منها .

تبكى على ابيها ابدا فامر سليمان فمثل لها صورة ابيها فكستها بمثل كسوته وكانت تذهب الى هذه الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدون لها فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى خلاء وفرش الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعالى ، وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها ، وكان ملك سليمان فى خاتمه فوضعه

= لا يقصد بها الا التعبد لا انجاح المطالب فقد قال موسى للعبد الصالح ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك أمرا ولم يصبر . ا هـ كلامه .

« رأى اللجنة »

والذى نراه انه فى هذه الفتنة أبدى وجها لم يذكره أحد من العلماء كما قال وهو باطل أو بعيد . وأنكر حديثا صحيحا واستبعد حصول مضمونه .

أما الوجه الذى أبداه فيتوقف أولا على صحة قصة ابن داود بالكيفية التى ساقها فى كتابه ، وثانيا على ان داود اصدر مرسوما ملكيا بولاية العهد لابنه سليمان عليهما السلام ، وان سليمان زها بذلك واخذه العجب وان التعدى الذى حصل من اخيه ابشالوم على ابيه داود حتى نحاه عن كرسى مملكته وجلس عليه انما هو انتقام منه اى من سليمان على هذا الزهو والعجب ، ودون إثبات هذه الأمور خرط القتاد . بل نستطيع القول بأن الواقع عدمها اما قصة ولد داود بهذا السياق الذى ذكره فى كتابه فلم نعثر له فيها على سلف ، وقد ظننا أن مرجعه فيها التوراة لكثرة اعتماده عليها فى أمثال هذه الآراء فراجعناها فوجدنا سياقها فى هذه القصة مخالفا لما ذكره ، وانا نذكر عبارة ابن الأثير فى تاريخه ثم خلاصة ما فى التوراة .

قال ابن الأثير فى الجزء الأول ما نصه : ووثب عليه ابن له يقال له إيشا وأمه ابنة طالوت فدعا الى نفسه فكثر أتباعه من أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس فحارب ابنه حتى هزمه ، ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف لعله يأسره ولا يقتله وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر لذلك القائد ا هـ .

وخلاصته أن ابنه خرج عن طاعته ودعا الى نفسه فوافقه بعض أهل الزيغ فحاربهم داود وهزمهم وقتل ابنه فى تلك الحرب وليس فيه ان داود أخلى كرسى المملكة وهرب فجلس عليه ابنه :

وخلاصة ما ذكر فى التوراة فى الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر من سفر صموئيل الثانى ان شخصا اسمه اخيتوفيل أشار على ابشالوم بن داود بالهجوم على أبيه باثنى عشر ألف رجل فاستشار ابشالوم شخصا آخر اسمه حوشاى فقبح له مشورة اخيتوفيل وخوفه من بأس والده : وبعد أن ثبط =

عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وقال يا أمينة خاتمى فتختم به وجلس على كرسى سليمان فأتى عليه الطير والانس والجن وتغيرت هيئة سليمان فأتى أمينة يطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم أخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين

= حوشاى عزيمة ابشالوم أخبر داود بهذه المؤامرة بواسطة شخصين فقام داود وجمع الشعب وعبروا نهر الأردن فتبعهم ابشالوم ومن معه فتقابل الجيشان واقتتلا وهزم جيش ابشالوم وقتل الخ . اه .

فليس فيها ان ابشالوم ثار على والده وان داود هرب وجلس ابشالوم على كرسى المملكة وأما الأمر الثانى بجميع أنواعه فواضح البطلان خصوصا وان سليمان كانت سنه حين وفاة والده ثلاث عشرة سنة على ما ذكره المفسرون والمؤرخون . ويجوز أن تكون حادثة أخيه مع أبيه قبل وفاة أبيه بمدة وحينئذ يكون صغيرا لم يصل الى حد التكليف فلا معول على زهوه ، وعجبه ، على فرض حصوله على أن مثل هذه الخواطر النفسانية ليس من شأنها أن يترتب عليها مثل هذا الأمر العظيم .

وبعد ذلك يحتاج على هذا الرأى الى التجوز فى إضافة الكرسى اليه وفى التعبير عن أخيه بالجسد وليس فى الكلام قرينة عن هذا التجوز بل التركيب ينبو عن إفادة مثل هذه المعانى ولا يجوز مخالفة جميع أئمة التفسير لمثل هذه التكلفات بل التعسفات التى ليس لها أساس :

هذا وقد أبدى المفسرون فى هذه الفتنة احتمالات بعد ان أبطلوا ما يقوله أهل الحشو اختار منها العلامة أبو السعود وتبعه الألوسى ما ورد فى الحديث الصحيح الذى أنكره وكذلك اختاره صاحب المواقف وعبارة أبى السعود فى تفسيره (ولقد فتنا سليمان) أظهر ما قيل فى فتنته عليه الصلاة والسلام ما روى مرفوعا انه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون اه .

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين رواه البخارى سبع مرات رواه مسندا ست مرات ومرة واحدة معلقا ورواه مسلم فى كتاب الايمان بطرق متعددة ثم ان الروايات التى ورد بها هذا الحديث فى البخارى ومسلم وغيرهما مختلفة فى بيان عدد النساء ومحصلها (ستون . وسبعون . وتسعون . وتسع وتسعون . ومائة) والجمع بين هذه الروايات على ما ذكره الحافظ بن حجر أن الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سرارى أو بالعكس وأما السبعون فللمبالغة وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين فمن قال تسعون ألغى الكسر ومن قال مائة جبره =

فمكث على هذه الحال أربعين يوما عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن مايدع إمرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل قد نفذ حكمه فى كل شىء الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت فى

= وأما رواية سبعمائة التى ذكرها مؤلف هذا الكتاب فلم نقف لها على أصل وحيث صح الحديث فلا وجه لاستبعاد ما جاء به من طواف سليمان على هذا العدد من نسائه فى ليلة واحدة على أنه فى ذاته ليس ببعيد من مثل سليمان عليه السلام الذى اعترف مؤلف هذا الكتاب بأن له الف امرأة ثم أن للرسل عليهم الصلاة والسلام خصائص فى مختلف الأحوال وكلها عند التحقيق ترجع الى الطاعات والقرب ما يعود على رسالتهم من المصالح فما ينبغى أن يصور طواف سليمان بمثل ماصور المؤلف فانه يشبه كلام المستشرقين فى حق النبى ﷺ بالنظر لتعدد زوجاته وطوافه عليهن فى ليلة واحدة !

وأما رده آخر الحديث الشريف بقوله (وأما قولهم ان السبب فى عدم إتيانه باولاد عدم قوله ان شاء الله فعجيب الخ) فلا ندرى كيف استباح لنفسه مثل هذا الكلام فقد صح أن هذا القائل هو رسول الله ﷺ ولفظه (وأيم الذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون)

فكان ينبغى له أن يقف موقف المذعن المتفهم لا المتعجب المستشكل . ثم لا يلزم من اخباره ﷺ بذلك فى حق سليمان فى هذه القصة أن يقع ذلك فى حق كل من استثنى فى أمنيته بل فى الاستثناء رجو الوقوع وفى تركه خشية عدم الوقوع . وبهذا يجاب عن قول موسى للخضر ستجدنى ان شاء الله صابرا مع قول الخضر له آخرا ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا . والله أعلم

رد المؤلف على نقد اللجنة

الموضوع الحادى عشر

(فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه)

نصصت فى كتابى جميع ما نقله أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة ولم ازل مصرا عليه وقد أبدى حضراتهم رأيهم فقالوا (والذى نراه انه فى هذه الفتنة أبدى وجها لم يذكره أحد من العلماء كما قال) وهو باطل أو بعيد

اقول قولهم (وهو باطل) باطل وقولهم (أو بعيد) بعيد =

السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه وأخذ ذلك الشيطان وأدخله فى صخرة والقاه فى البحر - ولهم رواية ثانية وهى أن تلك المرأة لما اقدمت على عبادة تلك الصورة افتتن سليمان وكان الخاتم يسقط من يده ولا يتماسك فيها فقال

= قالوا (وأنكر حديثا صحيحا واستبعد حصول مضمونه) - أقول - انى لم أنكر الحديث كما يقولون ولكنى وجدته يتعلق بامر اعتقادى وحديث الآحاد كما قدمنا ليس أداة صالحة لاثبات أمر اعتقادى لأن الاعتقاد إنما يبنى على اليقين

قال حضراتهم أما الوجه الذى أبداه فيتوقف

أولا — على صحة قصة ابن داود بالكيفية التى ساقها فى كتابه

ثانيا -- على أن داود أصدر مرسوما ملكيا بولاية العهد لابنه سليمان عليهما السلام

ثالثا — ان سليمان زُهِيَ بذلك وأخذه العجب

رابعا — ان التعدى الذى حصل من اخيه ابشالوم على ابيه داود حتى نحاه عن كرسى مملكته وجلس عليه إنما هو انتقام منه أى من سليمان على هذا الزهو والعجب ثم قالوا بعد ذلك ودون إثبات هذه الأمور خرط القتاد بل نستطيع أن نقول بان الواقع عدمها

أقول - أولا — أننى أوردت هذا الوجه الذى ذكرته وهو موجود فى كتب أهل الكتاب كما سيأتى وهو من الأقوال التى لا يجب تصديقها كما لا يجب تكذيبها وهو وجه محتمل وماذكروه فى إبطاله باطل كما سيأتى

ثانيا — أطلب من حضراتهم أولا أن يثبتوا لى إثباتا قاطعا ان ترشيح أحد الملوك فى ذلك الزمن أحد أولاده للملك لا يكون الا اذا أصدر الملك بذلك مرسوما ملكيا وان يأتونى فى ذلك بصورة صحيحة لأحد المراسيم خالية من شبهة التصنع والتزوير فاذا أبرزوا لى ذلك فانى أبرز لهم صورة صحيحة من المرسوم الذى أصدره داود بولاية العهد لسليمان

غير انى لا أنتظر ان يفعلوا ماطلبته بل آخذ بايديهم الى قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين

فالآية الكريمة شاهدة بان داود عليه السلام كان يحضر ابنه سليمان مجلسه ويشركه فى نظر الدعاوى والفصل فى الخصومات أو الحوادث التى تعرض عليه وان سليمان كان يبدى رأيه فى الحكم وانه فى هذه الحادثة كان ابرع رأيا من أبيه داود مع شدة التفاوت فى السن بينهما وان الله =

له آصف إنك لمفتون بذنبك فتب الى الله ـ ولهم رواية ثالثة : وهى أن سليمان قال لبعض الشياطين كيف تفتنون الناس فقال أرنى خاتمك أخبرك فاعطاه إياه فنبذه فى البحر فذهب ملكه وقعد هذا الشيطان على كرسيه . ثم يسوقون الحكاية بتمامها كما فى الرواية الأولى ففتنة سليمان ابتلاؤه ـ والقاء

= فهمه الوجه الأصوب فرجع داود الى الحكم الذى أبداه سليمان

فاذا لم يكن ما نصه القرآن ترشيحا للملك فليس فى العالم شىء يعتبر ترشيحا ـ وكيف لا ولم يذكر القرآن ان داود كان يحضر أحداً من أولاده وهم أكبر من سليمان سنا فى مجلس الحكم ويشاركونه فى الأحكام ؟

ثالثا ـ أما كون سليمان تحدثه نفسه بذلك الملك العريض الذى ينتظره ، والكرسى الذى يعد له فأمر طبيعى لا يخلو منه أحد من أولياء العهود ولا تعوزنا الشواهد على ذلك فى بنى أمية وبنى العباس وغيرهم فأنا لم ألجأ فى هـــذا الأمر الا الى الطبيعة البشرية التى لا تكذب ولا توارى ولا تمارى

رابعا ـ من نظر الى كلامى الذى قدمته ونقله حضرات أصحاب الفضيلة وقارنه بما قالوا فى الوجه الرابع رأى كلمتين غريبتين عزوهما الى احداهما لفظة (عجب) والثانية لفظة (انتقام) فانى لم أكتبهما ولم يكونا فيما نقلوه عنى فقد حشروهما فى أقوالى حشرا ـ وإنما قلت (فامتحنه الله بمن اغتصب ذلك الكرسى وتسرب الى نفسه دبيب اليأس فاستغفر سليمان ربه لتلك الهواجس التى تعد على المقربين ذنوبا وهى غير ذنوب)

وقولى فامتحنه الله تعالى الى آخره · مرده قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الخ وهذا الوجه مرتب على ما قبله من مسايرة الطبيعة البشرية فى أولياء العهود ـ وبذلك انهار قول حضراتهم ودون ذلك خرط القتاد ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون

أخذ حضرات الأفاضل بعد ذلك يتكلمون عن قصة ولد داود ويعجبـــنى قول حضراتهم (أما قصة ولد داود بهذا السياق الذى ذكره فى كتابه فلم نعثر له فيها على سلف) كأنهم لم يقفوا على قولى من قبل « وعندى وجه لم يذكره أحد من العلماء » ولم يعلموا انه لو كان لى فيه سلف لم أقل هذا القول ؟

عطفوا على ما ذكره ابن الأثير ولم يروا فيه ما يقنعهم غير أنى أقول انهم رأوا فيه عناصر الثورة التى قلت عنها ـ فلينظر القارىء الى قول ابن الأثير (ووثب عليه ابن له) أليس هذا يدل على الثورة وقوله (فدعا الى نفسه فكثر أتباعه من أهل الزيغ من بنى اسرائيل) وقوله (فحارب =

الجسد على كرسيه هو جلوس الشيطان عليه ونفاذ أمره فى الرعية والملك - ولهم قول رابع وهو أن سليمان احتجب ثلاثة أيام عن الناس فسلب الملك وجاس الشيطان على كرسيه عقوبة له .

هذه أقوال لم يرد بها قرآن ولا نقل صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنطبق على

= ابنه حتى هزمه) فأى شيء أدل على الثورة من ذلك ؟ - عمد حضراتهم الى الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر من سفر صمويل الثانى فلخصوهما ثم قالوا انهم لم يروا فيهما ما قلته

أقول كنت أود من أصحاب الفضيلة ان يكونوا حاصلين على قسط أوفى من الشجاعة الأدبية فيلخصوا الاصحاحين المذكورين تلخيصا تكتنفه الأمانة فى النقل يأتى على عناصر الموضوع ولو كان ضد ما قدروا - وهذا هو اللائق باقدار علماء الاسلام وهداة الأنام - ولكنهم لخصوا الاصحاحين تلخيصا مخدجا وأبرزوا للناظرين مسيخا من القول لا يحلى ولا يمر . ومع ذلك لم تزل فى ذلك التلخيص آثار تدل على صحة ما قلت ومثال ذلك قولهم (فقام داود وجمع الشعب وعبروا نهر الأردن فتبعهم ابشالوم) وهذا عين قولى (وقد قام ابشالوم بن داود وثار على والده وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسى الذى هو كرسى سليمان وهرب منه داود الى شرق الأردن)

فهل مع اعتراف حضراتهم بان داود جمع الشعب وعبر الأردن وتبعهم ابشالوم) يقال انه لا ثورة ولا انتزاع ملك وان ملك داود كان مع كل ذلك فى أمان واطمئنان ؟

وها أنا ألخص القصة من أولها تلخيصا صحيحا من أول ص ١٥ : صمويل الثانى

كان ابشالوم بن داود يقف بجانب طريق الباب وكل صاحب دعوى آت الى الملك يدعوه ويقول له « ليس من يسمع لك من قبل الملك » ويتمنى من يجعله قاضيا على كل الأرض لينصف المظلومين وكل من أراد ان يسجد له يمسكه ويقبله فاسترق قلوب رجال بنى اسرائيل وفى نهاية أربعين سنة استاذن ابشالوم أباه ليذهب الى حبرون ليوفى بنذر نذره وأرسل جواسيس فى جميع أسباط بنى اسرائيل قائلا اذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك ابشالوم فى حبرون وكانت الفتنة شديدة والشعب يتزايد مع ابشالوم وأخبروا داود ان قلوب رجال اسرائيل سارت وراء ابشالوم فقال داود لجميع عبيده الذين كانوا معه فى أورشليم قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من وجه ابشالوم فعبر الملك ورجاله وأهل بيته والذين لحقوا به وكانت جميع الأرض تبكى بصوت عظيم وأخرج اللاويون التابوت فقال الملك لصادوق (ارجع تابوت الله الى المدينة فان وجدت نعمة فى عينى الرب فانه يرجعنى ويرينى إياه ومسكنه) وصعد داود فى مصعد جبل الزيتون حافيا باكيا مغطى الرأس وكذلك الذين معه ، وفى الطريق جاءه حوشاي الأركى باكيا فامره داود بأن يكون =

عقل ولا على حكمة فهى حرية بالرد وقد رد عليها العلماء بوجوه .

الأول ـ ان الشيطان لو قدر على التشبه فى الصورة والخلقة بالأنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شىء من الشرائع فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس فى صورة محمد وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام

= مع ابشالوم ويتودد اليه ويظهر له الاخلاص ويشير عليه بما يبطل مشورة اخيتوفل وأمره بالاتحاد مع أناس من خلصاء داود ورتب من يرسلونهم لاخباره بكل جليل ودقيق . وكان بعض أعداء داود يظهرون الشماتة به ويسبونه وأراد بعض أتباعه ان يقتل الرجل البنيامينى الذى يسبه فصرفه عنه بلطف وقال له ان الله أمره ان يسبنى واذا كان ابنى يطلب نفسى فكم بالحرى بنيامينى ورجا أن ينظر الله اليه نظر رحمة ويرثى لذله ويكافئه عوضا من مسبته .

وأما ابشالوم وجميع الشعب فأتوا الى اورشليم ومعهم اختيوفل مستشاره وجاء حوشاى الأركى وصار يرفأ ابشالوم بطيب القول ويعده الاخلاص لأن الشعب قد اختاره والرب اختاره كذلك حتى وثق به .

وهنا اترك عملا شائنا ذكر ان ابشالوم عمله فلا أذكره .

ثم أشار اختيوفل على ابشالوم ان يعطيه اثنى عشر ألف جندى ليبيت بهم داود والذين معه ويضرب داود وحده منتهزا فرصة اعياء داود والذين معه فابطل حوشاى هذه المشورة وأشار عليه بجمع الجموع الكثيرة ويحيطوا بداود حيث كان وأرسل سرا رسولين الى داود ألا يبيت فى البرية فذهب الرسولان بعد خطوب الى داود وأعلماه وأشارا عليه بعبور الأردن فعبره وكتب ابشالوم الكتائب وسار فى اثر والده وعبر الأردن أيضا ونزل ابشالوم واسرائيل فى ارض جلعاد وأرسل داود قواده وأوصاهم ان يحقنوا دم ولده ابشالوم وأراد الخروج معهم فلم يرضوا ـ والتقوا فى وعر افرايم وكانت مقتلة عظيمة وهزم شعب اسرائيل أمام عبيد داود وكان ابشالوم راكبا بغلا فدخل به البغل تحت شجرة بطمة ملتفة فتعلق باغصانها من شعره ومر البغل من تحته وبقى هو معلقا بين السماء والأرض فجاء يؤاب رئيس الجيش ورمى ابشالوم بالسهام وأمر غلمانه بقتله وانتهت هذه الفتنة

فالقارىء الكريم يرى حضرات أصحاب الفضيلة قد أنكروا أنهم رأوا فى سفر صمويل الثانى اثرا للحادثة على النمط الذى وصفت ولخصوها تلخيصا مشوها

فهل كانوا يظنون ان داود عبر الأردن وتبعه ابشالوم ـ ان داود ذهب الى مدينته اورشليم حيث مقر الملك وكرسى الملك ؟ ان بين اورشليم وبين الأردن مسافة اذا لم تبلغ مائة كيلو مترا فهى لا تقل عن ثمانين وقد قطعتها بالسيارة فى مسافة تزيد عن ساعتين فى طريق ملتوية ذات اليمين =

ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم فى الصورة لأجل إغواء الناس واضلالهم . ولما كان ذلك باطلا لأنه يؤدى الى إبطال الدين بالكلية كان ما أدى اليه باطلا بالكلية

الثانى — . لو قدر على سليمان يعامله هذه المعاملة لقدر على مثلها من العلماء والزهاد فيقتلهم ويمزق

= وذات الشمال صاعدة هابطة والأردن والبحر الميت يكون منخفضا عن سطح البحر الملح بما لا يقل عن اربعمائة متر وانى لآسف كل الأسف لظهورهم فى هذا التقرير بهذا المظهر الذى لا يتمناه أحد لنفسه

قال حضرات أصحاب الفضيلة — وبعد ذلك يحتاج على هذا الرأى الى التجوز فى إضافة الكرسى اليه أقول نعم ومجاز الأول لم يبطل من علم البيان وقديما قال صاحب يوسف فى السجن إنى أرانى أعصر خمرا اى عنبا يؤول امره الى ان يكون خمرا . فهذه كتلك ولا حرج فى هذا الاستعمال — اما القرينة على ذلك فان اخاه ابشالوم الذى صار جسدا هامدا قد ألقى على الكرسى الذى يؤول الى سليمان وداود حى يرزق وسليمان لم يصر مالكا له

قالوا (ولا يجوز مخالفة جميع أئمة التفسير) أقول قد ذهب على حضراتهم انى قررت وجهاتى به العلامة الفخر الرازى . فلم أخالف الجميع الا فى هذا الوجه ثم أقول أى نص قطعى يلزمنى بانى لا أفكر ولا أفهم القرآن الا بفكر المفسرين اللهم الا الطريقة الكهنوتية التى عليها أنشئت محكمة التفتيش البابوية فليتق الله حضرات اعضاء اللجنة فى الاسلام فما جاء لمثل هذه الأغلال وما أنزل الله تعالى القرآن ومعه الكبول التى تكبل بها العقول بل جاء محاربا للحجر على العقول وأمر باطلاقها من كل اسر وقيد

قال حضراتهم ويجوز أن تكون حادثة أخيه مع أبيه قبل وفاة أبيه بمدة وحينئذ يكون صغيرا لم يصل الى حد التكليف الخ أقول . ان عبارة صموئيل الثانى ان ذلك كان فى السنة الأربعين . أى فى آخر ملك داود وبذلك سقط ما فرضوه

واما قول حضراتهم (لمثل هذه التكلفات بل التعسفات التى ليس لها اساس) فامر قد وجدته عم حتى هان وخشن حتى لان وألفته النفس حتى لو غاب لطلبته وقد استقر فى الاعتقاد ان هذا الضرب من التحيات المباركة خير بضاعة تحويها العياب ويضمها الوطاب

نص اصحاب الفضيلة الحديث الذى ذكر فيه ان سليمان قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة الخ — وهذا الحديث لا أنكر انه موجود — وهو يقرر امرا خارقا للعادة يريد حضرات اعضاء اللجنة ان أقول به وأعتقده وهو ان سليمان عليه السلام طاف على سبعين او مائة من نسائه فى ليلة واحدة والخبر الذى يكون رواية آحاد لا يقبل فى أمر اعتقادى ولا فى إثبات معجزة لنبى لذلك لم أتعرض له لأن خوارق العادات إنما تثبت عند الانسان بالمشاهدة أو بنص قطعى الثبوت والدلالة ولم يوجد ولا يوجد نص يلزمنى بأن أعتبر هذا الوجه وقد أورد المفسرون كثيرا من =

كتبهم ويمحوها ويثبت فيها شيئا آخر ولما كان المشاهدخلاف ذلك وأنه لم يقدر من أحد منهم على هذا : فوجب أن يكون سليمان ممن لا يقدر عليهم بالأولى .

= الآراء والاحتمالات سوى هـذا واختاروا غيره فلم نر أحدا فى زمن من الأزمان فى الثلاثة عشر قرنا الماضية قد جمع لجنة لتحاكم آراءهم أو تبطل ما عداه من الآراء والأقوال فماذا على اذا اخترت غير هذا الرأى او أبديت فيه رأيا لى فهمته وملت اليه ؟

أما قولهم بأنهم لم يقفوا على القول بأنه قال لأطوفن على سبعمائة » فلهم الحق فى ذلك. لأنى أردت انه قال لأطوفن على ألف امرأة فخان القلم فى ثلاثمائة امرأة وجعلها سبعمائة ذلك إنى عنيت مارواه الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية ص ٢٩ ج ٢ ونصه

قال اسحق بن بشر أنبأنا مقاتل عن أبى الزناد وابن أبى الزناد عن أبيـه عن عبد الرحمن عن أبى هريرة ان سليمان بن داود كان له اربعمائة امرأة وستمائة سرية فقال يوما لأطوفن الليـلة على ألف امرأة فتحمل كل واحدة منهن بفارس يجاهـد فى سبيل الله ولم يستثن فطاف عليهن فلم تحمل واحدة منهن الا امرأة واحدة منهن جاءت بشق إنسان الى آخر الحديث فأنا أعترف لحضراتهم بهذا الخطأ .

جاء بعد ذلك فى أقوال حضراتهم فى هـــذا الباب عبارات هى مماحكات لفظية لا طائل تحتها ولا فائدة منها

وقصارى القول ان الوجه الذى جاءوا به واختاره أبو السعود وتبعه الألوسى وجعلوا مستندهم فيه الحديث يشتمل على خارق للعادة ولم يرد به نص قطعى الثبوت والدلالة وأحاديث الآحاد لا تصلح حجة عليه وأنا لم أزل أقول باستبعاده ولو أيقنت انه من قول رسول الله ﷺ ما كان لى ان أماحل فيه ولـكنه رواية ظنية لا يثبت بها امر يحتاج فيه الى اليقين

وعلى ذلك

فاعتراضهم على مافى كتابى ساقط لايعول عليه الا فى نقطة واحدة وهى لفظ سبعمائة فالواجب ان يحل محله لفظ ألف

وقبل ان ألقى القلم من يدى أنقل لحضراتهم ما نصـه الحافظ ابن كثير فى صفحة ٢٩ ج ٢ من تاريخه الموسوم بالبداية والنهاية عند كلامه على فتنة سليمان وهو « ذكر ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارا كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها او كلها متلقاة من الاسرائيليات وفى كثير منها نكارة شديدة وقد نبهنا على ذلك فى كتابنا التفسير واقتصرنا هنا على مجرد التلاوة »

الثالث ـ لو قلنا أن المرأة عبدت صورة أبيها ـ فلا يخلو الأمر . إما أن يكون ذلك بأمر سليمان وحينئذ يكون كافرا وهو محال وإما أن يكون بدون أمره وعلمه وحينئذ لا جريرة صدرت منه ولا عقاب عليه .

الرابع ـ يقولون ان الشيطان لما جلس على كرسي سليمان اجتمعت عليه الطير والانس والجن وقائل هذا في غفلة عما جاء في الكتاب الكريم من أن تسخير الجن لسليمان انما كان بعد الفتنة لا قبلها بدليل قوله تعالى . (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى انك أنت الوهاب . فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب . والشياطين كل بناء وغواص)

وقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره وجوها لتفسير هذه الآية : أحسنها ان سليمان ابتلى بمرض شديد ضنى منه حتى صار اشدة المرض كأنه جسد او جسم بلا روح ثم أناب أى رجـع الى حالة الصحة

أقول . وعندى وجه لم يذكره أحد من العلماء . وهو أن كرسى داود انما هو كرسى سليمان . لأن داود كان يرشح سليمان للملك والجلوس على كرسيه . وقد قام ابشالوم بن داود وثار على والده وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسى الذى هو فى الواقع كرسى سليمان وهرب منه داود الى شرق الأردن . وسرح الجيوش لمقاتلته وباشر ابشالوم الحرب بنفسه فقتل ابشالوم إذ مر به بغله تحت بطمة فتعلق فى أغصانها من شعره فاتى رئيس الجند يواب وقتله وعاد سليمان الى كرسيه بعد ان تزعزع بفعل أخيه ابشالوم . وتضرع الى الله وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده

لا شك فى ان سليمان فى تلك البرهة كان يعتقد اعتقادا جازما لا شك فيه ان الكرسى الملكى أفلت من يده ولا راد له سوى الله تعالى فاستغفره تعالى لما قد أسلف من هواجس نفسية لا يخلو منها من كان مثله فى سن الصبا من زهو بذلك الكرسى الذى ينتظره . والملك العريض الذى سيكون بيده صولجانه فامتحنه الله تعالى بمن اغتصب ذلك الكرسى وتسرب الى نفسه دبيب اليأس فاستغفر سليمان ربه لتلك الهواجس التى تعد على المقربين ذنوبا وهى غير ذنوب وأناب اليه ضارعا أن يهب له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فاتاه الله ذلك الملك بعد وفاة أبيه داود الذى كان قد بلغ من الكبر عتيا وسخر لسليمان ما سخر من الجن والانس والطير والرياح التى تجرى بامره وكل ما يدعى خلاف ذلك فلا يخلو من أن يكون هاجس نفس أو جموح خيال وقد علمتم رأيى فى الوجه الذى أتى به الفخر الرازى

وأما ما روى انه عزم على الطواف على سبعمائة أو سبعين من نسائه فى ليلة واحدة . فتأتى كل واحدة منهن بولد يجاهد فى سبيل الله . ولم يقل إن شاء الله . فعاقبه الله بأنهن لم يحملن كلهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق إنسان فجىء اليه به وهو على كرسيه ووضع فى حجره . فبعيد إذ قدرة الانسان تعجز عن الطواف بسبعمائة امرأة أو سبعين فى ليلة واحدة والليلة لا تسع ذلك اصلا مهما قدرت حظا صغيرا لكل امرأة من الزمن . ولم يجعل الله تعالى معجزة الأنبياء فى السفاد وغشيان النساء ومسابقة الحيوان فى هذا الضرب . ولا يوجد متحد بمثل هذا حتى تتم المعجزة . فالمعول عليه ما أوردنا فيما سبق

أما قولهم ان السبب فى عدم إتيان النساء بأولاد عدم قوله ان شاء الله فعجيب لأن هذه اللفظة لا يقصد بها الا التعبد لا إنجاح المطالب فقد قال موسى للعبد الصالح . ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك امرا . ولم يصبر

السادس — إسالة عين القطر لسليمان عليه السلام

ذكر الله تعالى فى كتابه الكريم انه أسال عين القطر لسليمان وذلك فى معرض تعداد النعم التى أنعم الله بها عليه — والقطر هوا النحاس المذاب — ونحن نعلم ان سليمان كان رجل عمارة وبناء للمصانع العظيمة ويكفيه فخرا انه بنى الهيكل وما حوله من المبانى العظيمة الضخمة بالحجارة العظيمة التى لا يفوقها سوى حجارة قليلة فى البناء المعروف اليوم بقلعة بعلبك وبعض المبانى المصرية . فهو يحتاج الى القطر فى معالجة توثيق المبانى فأسال الله تعالى له عين نحاس تقذفه مذابا وسبب ذوبانه ان الأرض التى فتحت فيها العين مصطهرة بالنار فالنحاس المختلط بصخور تلك الأرض يصهر ويقذف من فوهة تلك العين سائلا . فيأتى عمال سليمان ويأخذونه للانتفاع به فى الصناعات ونحوها مما يحتاج اليه سليمان

قد يقول بعض الناس ان سليمان كان أول من صهر النحاس وأساله وان الله لم يسل له عينا من الأرض

والذى أقوله انى أسلم بذلك متى علم علما صحيحا ان القطر لم يوجد قبل سليمان — وعلى كل فقد من الله تعالى عليه وهداه الى ما لم يهتد اليه أحد قبله — والتوراة خالية من هذا

السابع ـ تسخير الجن لسليمان

أخبر الله تعالى فى كتابه الكريم بأنه سخر الجن لسليمان إذ قال . (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات) وقال بعد ان ذكر تسخير الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب (والشياطين كل بناء وغواص) وقال أيضا — (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون)

فهذا كله دل على أن الله تعالى سخر لسليمان الجن تطيعه وتنفذ أمره فيهم ويعملون له ما يشاء من ضخم المبانى والعمائر والتماثيل (وكانت التماثيل يجوز صنعها عندهم) والقدور الراسيات والجفان التى كأنها الحياض لسعتها

وقد ذكر فى سفر الملوك الأول ص ٩ العمائر التى قام بعملها سليمان وهى (١) بيت الرب (وهذا البيت وتوابعه كان يقع على مساحة تقدر بما يقرب من ستين فدانا كما شاهدت رقعته بنفسى) (٢) وبيت الملك (٣) وسور اورشليم (٤) وحاصور (٥) ومجدو (٦) وجازر (٧) وبيت حورون السفلى (٨) وبعلة (٩) وتدمر فى البريه — كل ذلك عدا المخازن . ومدن المركبات ومدن الفرسان وما بناه فى لبنان وغيرها من سائر مملكته وسخر فى ذلك بقايا الشعوب الذين كانوا فى فلسطين ولم يبدهم الاسرائيليون . ولم يكن من الشعب الاسرائيلى مسخر وكان رؤساء المسخرين خمسمائة وخمسين رئيسا

ومن نظر الى هذه الأعمال وفخامتها وضخامة أحجارها لم يستبعد ان يكون للجن عمل عظيم فى ذلك وبخاصة تدمر وبعض آثارها الضخمة ماثل اليوم

وقد ذكر النابغة الذبيانى تسخير الجن لسليمان فى شعره الذى يعتذر به الى النعمان إذ يقول

ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه   ولا أحاشى من الأقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الاله له   قم فى البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن انى قد أذنت لهم   يبنون تدمر بالصفاح والعمد

هذا — والكتابات التى على مبانى تدمر الماثلة اليوم تدل على أنها هياكل لعبادة الكواكب . والكتابة رومانية — غير انه لا مانع من أن تكون المدينة بنيت فى عهد سليمان. فلما جاء الرومان حولوا بعض مبانيها الى هياكل وكتبوا عليها ما كتبوا — وليس من شأنى أن أقطع فى شىء من ذلك فان علماء الآثار أملى بذلك

قال البيضاوى : روى انهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد ان يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما ويصنعون له القدور الراسيات على أثافيها لا تحرك لعظمها وثقلها والجفان كالجوابى أى الحياض الكبيرة وقد كان بناء الهيكل وما معه فى سبع سنوات فقط وهو زمن يسير بالنسبة لعظمه

الثامن ـ سليمان وملكة سبأ

دلت الآيات فى القرآن الكريم على أن سليمان كان يفهم ما تريده الطير باصواتها اذا صوتت ويفهمها ما فى نفسه ويحاورها . وكانت مسخرة بامره يامرها فتاتمر ويستعملها فى بعض مهماته ـ فمن ذلك انه تفقد الطير يوما فلم يجد الهدهد . فعد ذلك جريمة اقترفها وتهدده بالذبح أو التعذيب إلا إذا أتاه بعذر بين أوجب هذا التخلف — فلما جاء الهدهد سأله عن غيبته فاخبره انه كان فى سبا من بلاد اليمن — وأخبره بملك عظيم وملكة تملك على تلك الأمة . وانهم صابئة وثنيون يعبدون الشمس من دون الله . وان لملكتهم عرشا عظيما فيه أنواع الزينة والجواهر

أراد سليمان أن يختبر الهدهد . أصادق فى خبره أم كاذب ؟ فاعطاه كتابا ليوصله الى الملكة ـ فذهب الهدهد بالكتاب وألقاه على سريرها — فاخذته فاذا به (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلو على وأتونى مسلمين)

لم ترد الملكة ان تستبد بالاجابة فجمعت رجال دولتها وأهل مشورتها من الأقيال وغيرهم وأعلمتهم علم الكتاب . فاخذتهم العزة وثارت فيهم الحماسة وقالوا لها (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تامرين)

كانت الملكة عاقلة فنظرت فى الأمر بعين الفطنة . ولم تغتر بما أبداه رجالها من الحماسة ـ وقالت لهم ان دخول الملوك الى المدن ليس من الهنات الهينات وأثره ليس بالسهل على أهلها . فانهم ـ اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ـ وعرضت عليهم رأيا آخر وجدته أقرب الى حل هذه الأزمة التى أتتها من حيث لا تحتسب ـ ذلك أن ترسل الى سليمان بهدية تصانعه بها وتستنزل مودته بسببها ثم تنظر ماذا يرجع به رسلها الى سليمان

ظاهر انها كانت تريد من إرسال الهدية أن يقف رسلها على أحوال هذا الملك الذى أرسل يتهددها على غير جريرة ويطلب حضورها اليه خاضعة بلا ترة . ثم يعودون اليها بالتقرير الوافى عن حقيقته . وقوته فى ملكه ومبلغ ما يمكن أن يقدر عليه من المكيدة اذا لم تخضع لأمره

لتكون على بينة مما تاتى وتدع وتكون على رأس أمرها - حتى اذا فعلت أمرا فعلته بعد تقدير عواقبه - فلما جاءت رسلها الى سليمان بالهدية لم يقبلها وأظهر انه ليس فى حاجة الى أموالهم وانه فى حال حسنة وانفساح ثروة أكثر مما فيه الملكة وقومها وتوعدهم وملكتهم بان يرسل الى بلادهم بجنود لا قبل لهم بها . وان عاقبة ذلك إخراجهم من بلادهم أذلة صغرة

جاء الخبر مع الرسل الى الملكة وعلمت عظمة سليمان وقوة ملكه وأشفقت على قومها . فاجمعت الذهاب اليه فى رجال دولتها وجاءت الى أورشليم بهدية عظيمة

لما علم سليمان باعتزام ملكة سبأ على زيارته فى عاصمة ملكه . شيد لها صرحا عظيما . ومرد أرضه بالزجاج . وهذا شىء لا عهد لأهل اليمن بمثله

ولما قربت من ديار سليمان أراد أن يظهر لها من دلائل عظمته ونعم الله تعالى عليه ما يبهرها. وأن ترى بعينها مالم ترها الأحلام بفعل عجيبة ظاهرة وهى أن يأتيها بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه فى ذلك الصرح — فسأل جنوده عن قوى يأتيه بذلك العرش . فانتدب له عفريت من الجن وقال له — أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك هذا وإنى عليه لقوى أمين على ما فيه من الجوهر والحلى — وقال شخص من الانس أو الجن عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك . وكان الأمر كما قال . فجاء به ووضع فى الصرح الذى هيىء لاستقبالها ونكر لها . ولا أدرى بأية كيفية نكر

فلما جاءت ورأت العرش . قيل لها أهكذا عرشك ؟ فقالت كانه هو . ولما أرادت دخول الصرح والوصول الى العرش ظنت الزجاج ماء فكشفت عن ساقيها لئلا تبتل ثيابها بالماء . وأخبرت بان ما ظنته ماء انما هو زجاج فقالت (رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)

أما الطريقة التى أتى بها العرش على يد الذى عنده علم من الكتاب . فشىء لم يكشف عنه العلم وهو نص صريح قاطع الثبوت والدلالة ومن التعسف تاويله بانه خريطة بلادها كما يقول بعض من كتبوا فى التفسير — وما دام الأمر معجزة خارقة للعادة فلا معنى للمكابرة . إذ خالق النواميس له ان يخرقها بقدرته التى أوجدها بها - ولعل لمثل هذه الأعمال نواميس أخرى لم يكشفها العلم أطلع الله عليها بعض عباده معجزة لهم فى وقت يجهل كل الناس تلك النواميس والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار

وأهل القصص وأهل التفسير يذكرون ان سليمان تزوج منها وأتى منها بولد . ويزعم بعض ملوك الحبشة انهم أبناء سليمان من الولد الذى أتي به منها

اقرءوا هذه الآيات

سورة النمل - وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ٢٠ لأعذبنه عذابا
شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين ٢١ فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به
وجئتك من سبأ بنبأ يقين ٢٢ اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ٢٣
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم
لا يهتدون ٢٤ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما
تعلنون ٢٥ الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ٢٦ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ٢٧
اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ٢٨ قالت يا أيها الملأ اني ألقي الي
كتاب كريم ٢٩ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ٣٠ ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ٣١
قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ٣٢ قالوا نحن أولو قوة وأولو
بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين ٣٣ قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا
أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ٣٤ وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ٣٥ فلما
جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ٣٦ إرجع اليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ٣٧ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني
بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ٣٨ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك
واني عليه لقوي أمين ٣٩ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك.
فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ٤٠ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا
يَهْتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ٤٢
وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ٤٣ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ . فَلَمَّا
رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٤٤

وقد قدمت ان التوراة وأهلها لا يعرفون قصة ملكة سبا بهذا الوصف وإنما يذكرون انها سمعت بحكمة سليمان فاتت اليه وشاهدت بنفسها تلك الحكمة العظيمة

ولعل اتصال ملكة سبا بسليمان كان سببا فى وجود الديانة الموسوية فى بلاد اليمن . وان ذلك هو الأساس الذى بنى عليه ذو نواس الحميرى دخوله فى اليهودية نكاية بالدولة الرومانية الشرقية التى أرسلت الى اليمن القسوس مقدمة لاستعمار اليمن . فلم ير أنكى لهم من الدخول فى اليهودية وتعصب لها حتى قتل أهل نجران وخد لهم الأخدود وحرقهم بالنار كما هو بعض الآراء فى فهم الآية فكان ذلك سبب غزو الحبشان لليمن كما هو معروف فى التاريخ — ولم يزل بصنعاء عشرة آلاف يهودى الى اليوم

أما مايدعيه أهل الحبشة من أن الأسرة المالكة فيهم يرجعون فى نسبهم الى سليمان فليس عندى مايؤيد هذه الرواية أو ينفيها والناس مأمونون على انسابهم — وقد تراخى الزمن وتطاول ولا يعلم الغيب إلا الله

النملة وسليمان

جاء فى القرآن الكريم (وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون . حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين)

فأين مكان وادى النمل هذا

قالوا هو واد تسكنه الجن ومراكبهم النمل ـ ولكن أين هو ؟ لا جواب ـ وقالوا وادى النمل فيما وراء الهند ـ وانه فى بلاد التبت ـ ويقولون انه فى بلاد اليمن ـ والذى فى بلاد اليمن وادى نمل بفتحتين فى أوله وقالوا فى الطائف وكل ذلك لا ينبغى التعويل عليه والذى فى ياقوت (قيل انه

بين بيت جبرين وعسقلان) وقال ابن بطوطة الرحالة الشهير (ان بظاهر عسقلان وادى النمل ويقولون انه المذكور فى الكتاب العزيز) وهذا الذى ذكراه هو اللائق المعول عليه

وللمرحوم أحمد زكى باشا مقالتان كتبت ثانيتهما فى اهرام ٦ أغسطس سنة ١٩٣٣ ماقدمته خلاصة لها لزكى باشا رأى انفرد به . وهو ان المراد بوادى النمل الوادى الكثير الناس كأنهم النمل فى الكثرة وليس ما قاله بشىء لأنه ينافيه قولها « وهم لايشعرون » إذ كيف لايشعر جند سليمان بالناس وبخاصة اذا كانوا كثيرين كالنمل ؟

موت سليمان عليه الصلاة والسلام

جاء فى سورة سبأ بشأن موت سليمان قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين)

والمفسرون يذكرون فى موته عجائب ويستدلون لذلك بالآية الكريمة ويؤولونها على الوجه الذى يدعو الى الغرابة وكل ماجاء فى هذا الباب أحاديث منكرة ويظن ابن كثير أنها مما يقوله

(نقد اللجنة)

« الموضوع الثانى عشر »

(موت سليمان عليه السلام)

ذكر أن المفسرون يذكرون فى موته عجائب ويستدلون بالآية الكريمة (فلما قضينا عليه الموت الآية) ويؤولونها على الوجه الذى يدعو الى الغرابة و كل ماجاء فى هذا الباب أحاديث منكرة . ويظن ابن كثير أنها مما يقوله أهل الكتاب واليكم نفس ما قاله فى تفسيره ثم ساق عبارة ابن كثير وهى طويلة - ثم قال بعد ذلك صفحة ٣٣٦ سطر ١٨

ونحن اذا نظرنا الى متن الحديث وجدناه مضطربا ومخالفا لسنة الأنبياء وخصوصا فى عهد بنى اسرائيل اذ شريعتهم تقضى على كل اسرائيلى أن يأتى فى العيد ويقرب القرابين ويقوم بالطقوس الدينية وسليمان شريعته التى يتبعها هى التوراة التى جاء بها موسى وليس له شريعة سواها . وغير معقول أن يكون سليمان النبى الكريم هو الذى يخالف الشريعة ويمكث فى محرابه دون أن يقوم بالمراسيم التى أوجبتها التوراة على كل اسرائيلى فيغيب عنها فى وقت يقوم بها الرؤساء والسوقة واذا فعل يكون قد سن لبنى اسرائيل سنة سيئة تجرىء سواه على مخالفة الشريعة التى أمر الله بنى اسرائيل بحفظها وعدم الاخلال بها : ومعلوم أن اليهود فى عيد الفصح يجب عليهم أن يأكلوا الفطير سبعة =

أهل الكتاب . واليكم نص ماقاله فى تفسير هذه الآية بعد أن ذكرها قال

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له فى الاعمال الشاقة فانه مكث متوكئا على عصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد

= أيام وأن لا يرى الخمير فى جميع تخومهم فاذا كان سليمان قد مكث ميتا سنة افما كان له زوجة تسأل عنه وتبعث له بالفطير الواجب فى الفصح فتعلم أنه ميت وعنده الف امرأة :

فى اصحاح ١٦ تثنيه ف ١٦ ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب الهك فى المكان الذى يختاره فى عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال ولا يحضروا أمام الرب فارغين ١٧ كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب الهك الذى أعطاك ـ فمن الذى يقوم بتلك المراسيم عن سليمان والله لم يسن لهم البدل . ثم أن سليمان بمقتضى مركز الملك الذى يشغله عليه مسؤلية إقامة العدل بين الناس كما كان يفعل داود ـ وقد رأينا داود فى فصل خصومة الحرث ـ الى أن قال وهو أيضا بمقتضى منصبه الملكى تأتيه الوفود من الملوك ويطالعه العرفاء والرؤساء بمشكلات نواحيهم فليس من المعقول أن يكون قد مات وبقى سنة كاملة لا يعلم بموته أحد ويهمل اهمالا لا يهمله أحد من السوقة والمسألة تحمل على أحد وجهين .

الأول ـ أن يكون قد مات كما يموت سائر الناس وبقى موته معمى على الجن دون سواهم من الانس . ودفن وانتهى أمره . وقام فى الملك ابنه والجن فى أمكنة نائية كتدمر لا يفترون عن العمل دائبين عليه خشية أن يعاقبهم سليمان ، وبعد مدة لم يحددها القران علم أحد الجن بموته إذ رأى عصاه ملقاة على الأرض فرفعها فاذا الأرضة قد أكلتها . فاستدل من أكل الأرضة اياها على أن سليمان قد تركها ملقاة على الأرض مدة طويلة . وما كان ليتركها الا لحدث من موت أو مرض فتقصى الأمر فاذا هو قد مات. فاعلم الجن بالأمر وكانوا لا يعلمونه كما كانوا يوهمون الناس انهم يعلمون الغيب وأيقنوا أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين .

وعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى (فلما خر) أى مات لا خر بمعنى وقع على الأرض لعجز العصا عن حفظ توازنه : قال فى القاموس الخر السقوط كالخرور من علو الى أسفل يخر ويخر والشق والهجوم من مكان لا يعرف والموت . وفى لسان العرب ج ٥ ص ٣١٧ وخر أيضا مات وذلك ان الرجل اذا مات خر ومن ذلك قول حكيم بن حزام بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الا أخر الا قائما . معناه أن لا أموت .لأنه اذا مات فقد خر وسقط .

الوجه الثانى انه عليه السلام وجد فى محرابه فادركه الموت وهو جالس متكىء على عصاه فجاءت الأرضة واشتغلت باكل طرف العصا فأكلت بعضه فانهار الجزء الذى أكلته فاختل توازنه فخر فدل ذلك أهله على موته وأكل جزء من العصا يكون انهياره سببا فى اختلال التوازن لا يحتاج الى =

والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحوا من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهى الارضة ضعفت وسقط الى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة وتبينت الجن والانس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع غريب وفى صحته نظر .

= زمن طويل . ومن راى فعل الأرضة فى دنقلة العجوز لا يستبعد ذلك. فقد أخبرنى المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك انه أهمل وضع ارجل مكتبه فى اناء فيه ماء وهو بدنقلة فلم تمض أيام حتى وجد الأرضة قد أثرت فى جزء من تلك الأرجل. وترك جبته بجـــانب الحائط بضعة أيام ثم جاء اليها فاذا بها بهيئة الجبة فلما مد يده اليها فاذا هى هباء ا ه المقصود نقله .

ثم رجح الوجه الأول فى اخر عبارته .

(رأى اللجنـة)

استبعد موت سليمان عليه السلام على النحو الذى يذكره المفسرون وفسر قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) باحتمالين ما أنزل الله بهما من سلطـان فانهما كما سيتبين ان لم يكونا فاسدين فهما بعيدان كل البعد عما تدل عليه الآية الكريمة .

وقد استند فى استبعاده الى ما يتلخص فى امرين :

الأول ان شريعة سليمان التى هى شريعة موسى عليهما السلام فيها طقوس دينية واعياد تقرب فيها القرابين كعيد الفصح المعلوم عند اليهود اليوم . والذى يأكلون فيه الفطير دون الخمير وعيد المظال وعيد الأسابيع . فغير معقول ان يمكث سليمان مدة طويلة تمر فيها الأعياد كعيد الفصح ولا يقوم بالطقوس الدينية ولا تقدم له امرأة الفطير ليأكله فى عيد الفصح .

الثانى ـ ان سليمان كان ملكا فعليه مسؤلية إقامة العدل بين الناس كما انه بمقتضى مركزه الملكى تأتيه الوفود من الملوك ويطالعه العرفاء والرؤساء فى مشكلاتهم ، فغير معقول ان يمكث هذه المدة الطويلة ميتا ولا يعلم به احد ، هذا ملخص كلامه فى الأمرين الذين استند اليهما فى استبعاد ما ذكره المفسرون وما كان اغنانا عن ابطال هذين الأمرين بعد ان لخصناهما وصورناهما بماسبق اولا ان بعض الناس يجوز ان يغتر بتنميق عبارته فى بسطها لذلك راينا ان نشير الى ابطالهما فنقول

اما الوجه الأول فانه متوقف على ان من شريعة موسى التى كـان يتعبد بها سليمان الطقوس الدينية والأعياد التى نراها اليوم عند اليهود كعيد الفصح وتحريم الفطير دون الخمير وان التوراة =

قال ابن جرير حدثنا احمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا ابراهيم ابن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عبـــاس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال (كان نبى الله سليمان عليه السلام اذا صلى رأى شجرة بين يديه فيقول لها ما اسمك ؟

= الموجودة الآن المبين فيها تلك الطقوس والاعياد هى التوراة التى انزلها الله على موسى عليه السلام ودون إثبات ذلك خرط القتاد .

وعلى تسليم أن الأمر كذلك فما المانع من أن تمر الأعيـــاد والطقوس الدينية وتاتى سليمان زوجته لتقدم اليه فى عيد الفصح فتراه واقفا على عصاه بهيئة المصلى فترجع ولم لايجوز أن تكون عادة سليمان أن يتعبد وحده عبادة خاصة به وفى حال قيامه بها لايستطيع أحد من الانس والجن أن يقرب من مكانه .

وأما الأمر الثانى فيتوقف على أن المركز الملكى الذى نراه للملوك فى هـذه الأزمنة هو بعينه كان لمثل سليمان عليه السلام فى زمنه ، تاتيه وفود الملوك وتجرى لهم احتفـالات وزيارات رسمية ومواعيد محدودة فى المقابلات وشىء من ذلك لم يقم عليه دليل .

وعلى تسليم ذلك فما المانع من أن يكون له عرفاء ورؤساء ينوبون عنه فى مقابلة الوفود وفى اداء هذه المهمات وأن يكون له قضاة من قبله يفصلون فى الخصومات كما هو الحاصل اليوم .

وبعد فلنشرع فى تزييف الاحتمالين الذين ابداهما فى تفسير الآية .

أما الاحتمال الأول فلان معنى الآية عليه هكذا فلمـا خر أى مات تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين . وذلك باطل فى الواقع ، وعلى ماقرره فى هـذا الاحتمال لأنه قال ان الجن لم تعلم بموته الا بعد مدة لم يحددها القران لأنها كانت تشتغل فى مكان بعيد كتدمر.

فان قال يقدر فى نظم الآية بان يقال فلما مات أى علم الجن بموته (قلنا فاى دليل على هذا التقدير وهل يجوز أن يفاد هذا المعنى بمثل هذا التركيب لدى المبتدئين فى فن الكتابة) .

ثم يقال لصاحب هذا الاحتمال هل الأرض التى وجدت العصا ملقاة عليها هى التى يشتغل فيها الجن أو هى التى مات فيها سليمان عليه السلام فان كان الأول فمن الذى أوصل العصا إلى تلك الأرض وان كان الثانى فمن الذى مكن أحد افراد الجن من أن يترك عمله وياتى بلد سليمان عليه السلام حتى رأى العصا ملقاة على أرضها . فان قال أنه لم يكن ممن يشتغل فى الأمكنة البعيدة بل هو من المقيمين فى بلد سليمان قلنا فهل يعقل أن يكون موجودا فى البلد ولايعلم بموت سليمان.

نحن إذا طبقنا هذه الحادثة على النواميس الطبيعية وعلى المعتاد فى أمثالها نقول انه لايعقل أن يموت موتا عاديا مثل سليمان ذلك الملك العظيم الذى كان ملكا على الانس والجن والطير وغيرها=

فتقول كذا : فيقول لأى شيء أنت؟ فان كانت تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك؟ قالت الخروب - قال لأى شيء أنت؟ قالت لخراب هذا البيت ، فقال سليمان عليه السلام : اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون

= ولا يعلم بموته معظم افراد رعيته .

ثم يقال هل تلك العصا كانت ممتازة معروفة حتى عرفها الجنى وتقصى بواسطتها اولا فان كان الأول فكيف ترمى على الأرض رمى القمامة ؟ وان كان الثانى فكيف عرفها ذلك الجنى ؟ وعلى تسليم انه عرفها على أى حال فمن أى وجه استدل بواسطة اكل الأرضة منها على حدوث حدث حتى تقصى الأمر فعرف انصاحبها سليمان قد مات ؟ هل فى رميها واستبدالها بما هو أحسن منها مايدل على حدوث أمر غريب عجيب يحمل الجنى على التقصى والبحث ؟ .

واما الاحتمال الثانى فواضح البطلان لأن ذلك يتنافى مع عجز الآية وهو قوله تعالى « مالبثوا فى العذاب المهين . فان ذلك يستدعى بقاءهم مدة طويلة يشتغلون فيها وهو ميت ولا يعلمون موته .

وما ذكره عن فعل الأرضة فى دنقلة وما أخبره به المرحوم الشيخ الخضرى فلا يفيده فى دعواه بشيء ما - فان احدا لم يدع أن كل ارضة فى جميع الأزمان وبالنسبة لجميع أنواع الخشب تأكل مع التأنى فى مدة طويلة كما أنه لا يستطيع أن يدعى ان كل ارضة فى جميع الأزمان وبالنسبة لجميع انواع الخشب وغيره تأكل بسرعة مثل الأرضة التى أكلت مكتب الشيخ الخضرى وجبته على أنه يجوز ان تكون دابة الأرض المذكورة فى القران دابة اخرى غير ماهو معروف لنا والله اعلم .

رد المؤلف على نقـــد اللجنة

الموضوع الثانى عشر

(وفاة سليمان عليه السلام)

كتبت فى قصة وفاة سليمان مانقله حضرات اعضاء اللجنة وهو كلام مضيء واضح لاغبار عليه ولكن حضرات الاعضاء عز عليهم مخالفتى لتلك الاسرائيليات فمضوا يدافعون عنها مدافعتهم عن الحق الواضح — وانى لارثى لهم وهم يعصرون القرائح فى الرد على والتكلف باد على هذا الرد يكاد يلمس باليد

قالوا — (أما الوجه الأول فانه متوقف على أن شريعة موسى التى كان يتعبد بها سليمان والطقوس الدينية والاعياد التى نراها اليوم عند اليهود كعيد الفصح وتحريم الفطير دون الخمير وان التوراة الموجودة الآن المبين فيها تلك الطقوس والأعياد هى التوراة التى انزل الله على رسوله موسى عليه السلام ودون ذلك خرط القتاد » والجواب على ذلك =

الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فأكلتها الأرضة فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولا فى العذاب المهين

قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بالماء وهكذا رواه

= أولا - ان العبارة التى أتوا بها مضطربة مفككة ومعاذ الله ان اقول لحضراتهم ان هذه الجمل الركيكة المتخاذلة يستحى صبيان الكتاتيب أن يكتبوها أو تنسب اليهم ولكننى احيل الأمر على خطأ الناسخ ولا اكافئهم بعملهم أو قولهم الذى يوجهون به الى ولا يتعففون عن مواجهتى به

ثانيا - لم أقل ان التوراة تحرم الفطير دون الخمير كما قالوا - وانما قلت « ومعلوم أن اليهود فى عيد الفصح يجب عليهم أن يأكلوا الفطير سبعة ايام وان لا يرى الخمير فى جميع تخومهم » ولعل ذلك من غلط الناسخ أيضا

ثالثا - لو لم تحرثوا على عجلتى لماعرفتم احجيتى - فان مستندكم هو مانصصته فى أول كتابى من أن التوراة لا يوجد بها سند متصل ولكن اعلموا علمكم الله الخير أن اليهود اذا كانوا قدمنوا كتابهم بالتحريف فليس معناه انهم قد غيروا جميع المعالم وهدموا البيت من الاساس. بل هم على اثارة منه وان حرفوه، بدليل ان الله تعالى قال لهم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فلولا أن الله تعالى يعلم ان منها ماهو باق لم يتحول. لم يستدل بها عليهم ويقيمها حجة على زيغهم عنها. وليست مسائل العبادات والأعياد مما يقصد بالتغيير والتصرف. وانما هى الأمور التى تعود عليهم بالفائدة كحل الربا مع الأجنبى اذا كان اليهودى هو رب رأس المال. ومثل تأثيم الأنبياء ليخففوا عن انفسهم ملامة الوقوع فى الاثم. وتغيير وصف رسول الله

وعلى الجملة فان الاعياد والعبادات لم تكن مقصودة بالتغيير

وأيضا فالكتاب قد وجد والأصل عدم تغييره حتى يثبت فيه فقط - وقالوا « وعلى تسليم أن الأمر كذلك فما المانع من أن تمر الأعياد والطقوس وتأتى سليمان زوجته لتقدم اليه الفطير فى عيد الفصح فتراه واقفا على عصاه بهيئة المصلى فترجع ؟ ولم لا يجوز أن تكون عادة سليمان ان يتعبد وحده عبادة خاصة به وفى حالة قيامه بها لا يستطيع احد من الانس والجن ان يقرب مكانه »

اقول أن سليمان نبى كريم وملك عظيم له الخدم والحشم والعبيد يحرصون عليه ويخدمونه ولا يفترون عن ذلك ولا يقصرون، ولا يمكن أن يهملوه ويسقطوه من حسابهم بلا أكل ولا شرب ولا تغيير ملابس ولا نظر فى شىء من مصالحه ومصالح ملكه والفروض التى ذكرتموها لا تقوى على أن تمر من الامتحان سالمة

ان الملك من الملوك اذا تأخر عن الظهور للناس يوما واحدا أو تغير وقت خروجه الى عمله =

ابن ابى حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفى رفعه غرابة ونكارة. والأقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى له غرابات وفى بعض حديثه نكارة. وقال السدى فى حديثه نكارة وقال السدى فى حديث ذكره عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة الهمدانى

= اضطربت الافكار وملكت الناس الهواجس ورموا بالظنون كل مرمى وما كان سليمان بدعا منهم وهل يظن حضراتهم ان زوجة سليمان اوقيم طعامه اذا جاء بالطعام فى عيد أو غيره ووجده بهيئة المصلى يكون ذلك مسوغا لاهماله واطراحه سنة كاملة .

ياقوم ان أحـــدكم تضل دجاجته او لا تعود الى قنها او عنزه فلا تأتى من الحقل فلا يهدأ له نوم ولا يقر له قرار حتى يأتى بالمنادى ينادى عليهاويصرح بالجعل لمن يردها فكيف تنام أمة سنة كاملة عن نبيها الكريم وملكها العظيم ؟ انى أقول ان هذا مستحيل فى مجرى العادة وكل كلام يخالف ذلك لا يقام له وزن ولا يساعد عليه منطق ولا عرف ملوك ولا سوقة ـ وكله مماحلة لاجدوى منها

قالوا (واما الأمر الثانى فيتوقف الخ) فهم يقدرون ان سليمان يجوز أن يكون مهملا فى مملكته وفى بيته وفى نظر جيرانه من الملوك فلا يأتيه رسول ولا يطالعه احد بتمام عمارة قلعة ولا بالشروع فى عمل حصن ولا بقدوم سفن ولا باقلاع اسطول ولا بشىء مما يجرى فى هذا العالم ويمكث مهملا سنة تامة لايأتيه خطاب ولا يقدم عليه رسول فى عيد ولاموسم ـ هذا منطق يحتاج الى أمة لم تخلق وعقول ليست من هذا العالم

ألم يقرأوا قول الله تعالى حكاية عن ملكة سبأ (وانى مرسلة اليهم بهدية ، فناظرة بم يرجع المرسلون . وقول سليمان لرسلها . اتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) وان ملكة سبأ جاءت الى سليمان واحتفى بها ايما احتفاء وبنى لها صرحا ومرده بالقوارير وبالغ فى الزينة لها واتاها بعرشها الخ فهذه حجة من القران الكريم على أن سليمان كان يقصد بالوفود من اقاصى الممالك فما بالكم بجيرانه الأدنين فهذه حجة قرآنية اظن انهم لا يردونها

قالوا « وعلى تسليم ذلك فما المانع من أن يكون له عرفاء ورؤساء ينوبون عنه فى مقابلة الوفود واداء هذه المهمات وان يكون له قضاة من قبله يفصلون فى الخصومات كما هو الحاصل الآن »

أقول أن العرفاء والرؤساء الذين ينوبون عن الملك لايستغنون عن مطالعته فى أمر القادمين وما ينبغى أن يكافئوهم به أوما يعدونه لهم من النزل والقادمون لابد أن يؤدوا الى ملوكهم عن الملك جوابا عن رسالاتهم وما كان النواب ليستقلوا بذلك دون الملك ودون مطالعته فى تلك الشؤون

قالوا « وبعد فلنشرع فى تزييف الاحتمالين إلى أن قالوا (فان قال يقدر فى نظم الآية بان يقال فلما مات أى علم الجن بموته قلنا فاى دليل على هذا التقدير ؟ وهل يجوز أن يفاد هذا المعنى بمثل =

عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم قال (كان سليمان عليه السلام يتحرر فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه . فأدخله فى المرة التى توفى فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يصبح فيه

= هذا التركيب لدى المبتدئين فى فن الكتابة »

أقول أن قليلا من الفكر يهدى حضرات أصحاب الفضيلة الى أن هذا التقدير سائغ ليس فيه غرابة وانه لا اعتراض عليه . وان قليلا من التدبر يهدى حضراتهم إلى أن هذا التقدير بنفسه لازم جدا للوجه الذى اختاروه وهو ان سليمان مكث سنة ميتا وانه خر أى سقط حين أكلت الأرضة عصاه فان مجرد سقوطه لا تتبين منه الجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين بل لابد من تقدير علمهم بالموت والمكث سنة وأكل الأرضة لمنسأته ثم سقوطه بعد ذلك وما أطول ما يقدر على الوجه الذى اختاروه !

وبعد هذا فانى اسائلك ايها القارىء الكريم - اليس مما يضحك الثكلى ويبكى العروس أن يأتى أصحاب الفضيلة (مع حفظ الالقاب كما يقولون) محمد البديوى وعيسى منون ومحمد على العزبى ومحمود أبو دقيقه وابراهيم الجبالى ويقولون لعبد الوهاب النجار معرضين به فى فن الكتابة « وهل يجوز أن يفاد هذا المعنى بمثل هذا التركيب لدى المبتدئين فى فن الكتابة »

لقد وجدت عندى لسانا قائلا . ولكنى لم أجد مجال القول ذا سعة (لقد ضاق شبر عن مسير) والسكوت فى هذا المقام اجدى وحبس القلم احجى

هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزة من اعراضنا ما استحلت

ورحم الله المعرى إذ يقول: (لك يامنازل فى القلوب منازل) والقارىء يستوفى القصيدة اذا شاء

أتى بعد ذلك أصحاب الفضيلة على سبيل الاستفهام باسئلة كثيرة متداركة وتشقيقات متعاقبة - وها انا اذكر ذلك واعقب كل سؤال بجوابه تاركا الاجابة عما يعلم جوابه من جواب سواه

(١) - هل الأرض التى وجدت العصا ملقاة عليها هى التى يشتغل فيها الجن . أو هى التى مات فيها سليمان عليه السلام ؟ فان كان الأول فمن الذى أوصل العصا إلى تلك الأرض ؟

والجواب . ان الأول ممنوع والمفهوم ان سليمان لما مات وضعت عصاه فى مكان خصص لاحراز امتعته فيه من كسى وغيرها

(٢) - وان كان الثانى فمن الذى مكن أحد افراد الجن من أن يترك عمله ويأتى الى بلد سليمان حتى رأى العصا ملقاة على ارضها

اقول أن الجن ارواح لانعرف حقيقتهم وكنههم فلعلهم يقدرون على الوصول الى الامكنة =

الا ينبت الله ببيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها فيقول ما اسمك؟ فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وإن كانت تنبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك؟ قالت أنا الخروبة. قال ولأى شيء نبت قالت نبت؟ لخراب هذا المسجد

= البعيدة لا يحجبهم حاجب ولا تمنعهم ابواب ولا جدران واغلاق، ولنا فى حادثة العفريت الذى من الجن الذى قال لسليمان عن عرش بلقيس (انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين) أكبر عبرة

(٣) - فان قال - انه لم يكن ممن يشتغل فى الأمكنة البعيدة بل هو من المقيمين فى بلد سليمان قلنا . فهل يعقل أن يكون موجودا فى البلد ولا يعلم بموت سليمان ؟

ج - لا تلازم بين عدم الاشتغال فى أمكنة بعيدة والاقامة فى بلد سليمان فقد يكون من المقيمين فى مصر ولا يشتغل بعمل لسليمان فيموت سليمان وهو فى بلد بعيد غير بلد سليمان ولا هو مكلف بعمل له ولا يعلم بموته ويقدم بعد مدة على بلد سليمان ثم يرى ما يرى ويستدل ويعلم

(٤) - نحن اذا طبقنا هذه الحادثة على النواميس الطبيعية وعلى المعتاد فى أمثالها نقول - انه لا يعقل ان يموت موتا عاديا مثل سليمان ذلك الملك العظيم الذى كان ملكا على الانس والجن والطير وغيرها ولا يعلم بموته معظم أفراد رعيته

ج - ارجو حضرات أصحاب الفضيلة أن يكفوا عن ذكر النواميس الطبيعية فانها مالومة منهم . لأنها تعلم أنهم هم الذين يحكمون بشلها وتعطيلها عن عمل خلقت له لغير داع يدعو الى ذلك وبلا برهان اتاهم - ومن الخطر على حضراتهم أن يجعلوا العادة حاكما يقبل حكمه وهم الذين يجانبونها ويجانبون كل ناموس طبيعى فى أمر سليمان وفى موته فهل يريدون أن يحلوا الالتجاء إلى النواميس والعادة عاما ويحرمونه عاما بلا سلطان ولا برهان بل بمجرد التشهى

وقد سبق ان قلت فى كتابى مستندا إلى النواميس الطبيعية والى ماجرت به العادة أنه ليس بما يسوغ فى العقول أن يموت سليمان وهو الملك والنبى الكريم ويبقى سنة واقفا متكئا على عصاه ولا يعلم به أحد من جنوده ونسائه وأولاده وخدمه وينسى كل هؤلاء انه يحتاج الى طعام وشراب واغتسال ودفء وملابس تصلح لأيام الصيف اذا اظل واخرى لأيام الشتاء ويهملونه من حسابهم فى مصالحه وسائر مصالح الملوك التى لا تشبه مصالح الأفراد ولا يطالع بشىء من شؤون ملكه فدفع حضرات السادة الأفاضل فى صدر النواميس الطبيعية وفى صدر العادة لمنا كثير من الأحاديث واسرائليات بما لفقه مسلمة أهل الكتاب. فمن فعل ذلك يجب عليه أن يغض طرفه حين تذكر العادة أو النواميس الطبيعية وان يغطى رأسه حياء =

قال سليمان عليه السلام ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول

= (٥) - ثم يقال هل تلك العصا كانت ممتازة معروفة حتى عرفها الجنى وتقصى بواسطتها أولا — فان كان الأول فكيف ترمى على الأرض رمى القمامة. وان كان الثانى فكيف عرفها الجنى؟

ج - يعلم الانس والجن ان عصا الملك أى صولجان الملك تعرف وتمتاز عن عصا المارشال وعن عصا البابا وعصى سائر أرباب الرتب الكهنوتية من مطران واسقف وقسس وعن عصا الظرفاء واهل الكياسة والترف وعن عصا الحلوانى الجبار رحمه الله وكان ثمنها يزيد على ثمانمائة جنيه وكان بها من الجواهر والحجارة الكريمة شىء كثير يحملها وهو يرقص على نغم الموسيقى البلدية فى شوارع القاهرة وعن عصا الدكتور عبد الحميد سعيد التى لا يجهلها أحد ممن رآها وعن عصا رجال البوليس وعن عصا رجال المناسر وقطاع الطريق وعن عصا الضباط والعساكر - ومن الجائز أنها كانت فى مكانها غير مطروحة ولكنها وقعت على الأرض بسبب اصطدام حيوان بها كفأرة وبنت عرس ، فاخذت الارضة فى أكلها وابتدأت الأرض الكثيرة فى أكلها وهى مسندة إلى الحائط وهذا أمر جائز واقع كثيرا

(٦) - وعلى تسليم أنه عرفها على أى حال فمن أى وجهة استدل بواسطة أكل الأرضة منها على حدوث حدث حتى تقصى الأمر فعرف أن صاحبها سليمان قد مات ؟

ج - وجه معرفته ذلك ان سليمان كانت العصا التى هى شارة ملكه لا تفارقه كما أن مشايخ الطرق لا تفارقهم عصيهم فاذا رآها قد أكلتها الأرضة عرف أن صاحبها لم يفارقها مدة تمكن الأرضة من أكلها الا لحدث حدث له فتقصى فعلم

(٧) - هل فى رميها واستبدالها بما هو أحسن منها ما يدل على حدوث أمر غريب عجيب يحمل الجنى على التقصى والبحث ؟

ج - الصواب فى نظم الكلام أن يقال (واستبدال ماهو خير منها بها) لتدخل الباء على المتروك - وبعد ذلك أقول - ان سليمان ما اختـــار عصاه الا بعد ان استجاد نوعها فكان أجود ماعرف . وتركها على كل حال أمر يحمل على البحث كما اذا رأى انسان سيفا لقائد قد ركبه الصدأ . فان ذلك يدعوه إلى الوقوف على سبب اهماله وتركه حتى صدىء

يأخذ حضرات أعضاء اللجنة والمفسرون من عبارة (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا =

ألست جلدا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر. ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام فى المحراب إلا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا

= فى العذاب المهين) ان المدة التى ندموا على مرورها عليهم فى العمل لا بد ان تكون عظيمة وبذلك يسوغون انها سنة

أقول ـ ان الذى تحتقر ساعة تمضى عل صاحبها وهو فى العذاب المهين لو ثيق عقدة الرجاء فى أن يصبر على العذاب ـ والحق انه لا يستهين بالعذاب إلا من سفه نفسه ـ وان الجن من حقهم ان يأسفوا على تعمية موت سليمان عنهم يوما أو ساعة قضوها فى الأعمال الشاقة والعذاب المهين ـ وعلى ذلك فليس من الضرورى ان تكون المدة سنة بل اليوم الواحد كاف فى تسويغهم هذا الندم

قالوا ـ على أنه يجوز ان تكون دابة الأرض المذكورة فى القرآن دابة أخرى غير ما هو معروف لنا

والجواب انى قدمت مثل هذا القول وقلت ان دابة الأرض قد تكون حيوانا من الحيوان القراض الذى يقرض الخشب وحينئذ لا يمكث السنة التى يقولونها

جاء بعد ذلك حضرات الافاضل بكلام فى شأن الأرضة اذا قرأه الانسان قابله بالابتسام

اذ حضرات الذين صاغوا هذه الاسرائيليات فى أمر سليمان والمفسرون الذين تلقوها أبانوا عن عدم علم بحياة هذا الحيوان وطبيعته — فهم يقولون ان الجن شكرت للأرضه فعلها وأتتها بالطين فى الخشب وبالماء أيضا كان الارضة قبل ذلك لا يكون عندها طين ولا ماء بل حدث بعد ذلك

ولو علموا ان الارضة تهضم طعامها من الخشب فيصير ماتبرزه طينا — وماتبرزه غير مهضوم تأكله مرة أخرى ليتم هضمه حتى يصير طينا لخجلوا ان يقولوا ما قالوا بلا علم ولا بينة

وأما الماء فان الارضة تعمل فى مأرضها بئرا تستقى منه الماء وقد يبلغ عمقها الى تسعين قدما، تراجع مقالة الدكتور مامون عبد السلام المنشورة فى اهرام ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٥

أما قوة الأرضة على أكل الأشياء بسرعة فمثال ذلك ما ذكره المقريزى فى خططه من أن الارضة قد سطت على بيوت الحسينية وأكلت كل ما فيها من خشب ومن جدران حتى اضطر أهل الحسينية من ناحية باب الفتوح ان يهدموا بيوتهم لينتفعوا ببيع أخشابها وأنقاضها قبل ان تاكلها الارضة

ومن مقالة الدكتور مامون عبد السلام المذكورة قوله =

عليه فاخرجوه. ووجدوا منسأته وهى العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهى فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا فايقن

= والارضة موجودة بكل القارة الأفريقية فمنها أحد عشر نوعا فى السودان تفتك فتكا ذريعا بالمحاصيل والأخشاب فقد رآها السر صموئيل بيكر فى مناطق المستنقعات ببحر الزراف. وكانت تزحف بجيوش لا نهاية لها فجردت القمح والشعير الذى زرعه الجنود المصريون تحت قيادته فى منطقة جوند وكرو من جميع حبوبه وكانت كل واحدة تحمل القمح والشعير فى فمها وتنقله الى بيتها حبة حبة وقد وجدت فى هـــذه الجحور أكوام مكدسة من الحبوب .... والارضة أفتك الآفات وأشدها ضررا بالانسان فقد ذكروا انها هاجمت مدينة جيمز تاون باستراليا فتهدم نصف هذه المدينة بسببها فاعادوا بناءها

وهذه الحشرة واسعة الحيلة لا يعتورها قنوط. تارض كل شيء حتى الحديد على صلابته فانها تبصق عليه من لعابها فيصدأ فيسهل عليها نخره. وهى تتلف أشجار البرتقال فى ولاية فلوريده بامريكا بان تحز ساقها تحت الأرض وتقتلها اه

وعلى العموم فان المقالة متعة يجدر بكل ذى علم أن يقرأها

بلدة تلتهمها حشرة

جاء فى جريدة الجهاد أول يوليو سنة ١٩٣٦

أنشئت مساكن بلدة برسيق التابعة لمركز أبى حمص بحيرة على كوم قديم به مقابر عتيقة. ومنذ زمن ليس ببعيد تفشت فى مساكنها حشرة أو دويبة صغيرة يقال لها (الارضة) أو النمل الأبيض وتكاثرت بدرجة مخيفة وجعلت تلتهم كل شيء فى هذه المساكن ولم تبق حتى على جدرانها ونوافذها وسقوفها الى ما تلتهمه من المحصولات وآلات الزراعة والثياب ولم تبق على شيء

ولا يمكن مكافحتها لأنها تعيش فى انفاق وسراديب تحت جدران البيوت ولها قرى فى أغوار الأرض تحت المساكن ولها ملكات تبيض الواحدة منها بيضة كل ثانية فهى لذلك لا يمكن محاربتها أو التخفيف من ضررها. والعلاج الوحيد هو النزوح بعيدا عنها وترك القرية المصابة

لذلك قدم سكان هذه القرية التعيسة شكوى لصاحب الدولة الرئيس الجليل يلتمسون نقل قريتهم هذه الى جهة بعيدة عن موقعها الحالى وبناءها على طراز القرى النموذجية

وبعد هذه السياحة الطويلة والأخذ والرد اقول لحضراتهم ان ابن كثير بعد ان ذكر موت =

الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله عز وجل (مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منساته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم . ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك باطيب الطعام . ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب

ولكنا سننقل اليك الماء والطين قال فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال ألم تر إلى الطين الذى يكون فى جوف الخشب فهو ماتأتيها الشياطين به شكرا لها وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلق من علماء أهل الكتاب وهى وقف لا يصدق منه إلا ماوافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقى لايصدق ولا يكذب

وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تبارك وتعالى (مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته) قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بى فاعلمنى، فاتاه فقال ياسليمان قد امرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت . قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حى قال فبعث الله عز وجل دابة الأرض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح ، فدخلت فيها وأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا ـ فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا ، قال فذلك قوله تعالى (مادلهم على موته الا دابة الأرض تاكل منسأته) قال أصبغ : بلغنى عن غيره أنها قامت سنة تاكل منها قبل أن يخر وذكر غير واحد من السلف نحوا من هذا والله أعلم

هذا ما أورده الحافظ بن كثير فى تفسيره . ونحن اذا نظرنا الى متن الحديث وجدناه مضطربا

= سليمان ومافيه من الأقوال التى قالها حضراتهم وأوردوها قال «وهذا فيه الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب » فما الذى جنيته اذا عدلت عنها إلى تقرير أمر معقول وايراد احتمالات ليس فيها ما ينقص من قدر سليمان ولا يضر بمقامه عليه السلام ؟

مما تقدم

نجد انتقاد حضرات الأفاضل ليس فيه حجة تدحض ما قلت وان كلامى وجيه ليس من الأدلة مايرده أو يمنعه بل هو المعقول والجدير بالقبول :

ومخالفا لسنة الأنبياء وخصوصا فى عهد بنى اسرائيل . اذ شريعتهم تقضى على كل اسرائيلى أن يأتى فى العيد ويقرب القرابين ويقوم بالطقوس الدينية وسليمان شريعته التى يتبعها هى التوراة التى جاء بها موسى ، وليس له شريعة سواها ، وغير معقول أن يكون سليمان النبى الكريم هو الذى يخالف الشريعة ويمكث فى محرابه دون أن يقوم بالمراسم التى أوجبتها التوراة على كل اسرائيلى فيغيب عنها فى وقت يقوم بها فيه الرؤساء والسوقة . واذا فعل يكون قد سن لبنى اسرائيل سنة سيئة تجرىء سواه على مخالفة الشريعة التى أمر الله بنى اسرائيل بحفظها وعدم الاخلال بها ورفع فوقهم الطور للعمل بها

ومعلوم أن اليهود فى عيد الفصح يجب عليهم أن يأكلوا الفطير سبعة أيام وأن لايرى الخمير فى جميع تخومهم . فاذا كان سليمان قد مكث سنة ميتا أفما كان له زوجة تسأل عنه وتبعث له بالفطير الواجب فى الفصح فتعلم أنه ميت وعنده الف امرأة

فى ص ١٦ تثنية ف ١٦ ثلاث مرات فى السنة يحضر جميع ذكورك أمام الرب الهك فى المكان الذى يختاره فى عيد الفطير . وعيد الأسابيع . وعيد المظال ولايحضروا أمام الرب فارغين ١٧ كل واحد حسبما تعطى يده كبركة الرب إلهك الذى أعطاك ـ فمن الذى يقوم بتلك المراسم عن سليمان والله لم يسن لهم البدل

ثم ان سليمان بمقتضى مركز الملك الذى يشغله عليه مسئولية إقامة العدل بين الناس كما كان يفعل داود وقد رأينا داود فى فصل خصومة الحرث الذى نفشت الغنم فيه . وفى سماعه الخصومة فى نعجة . فما كان سليمان بالذى يغيب عن خصومات قومه ونوازلهم ويكل فض الخصومات لقوم هم أقل منه فهما وعلما

وهو أيضا بمقتضى منصبه الملكى تأتيه الوفود من الملوك . ويطالعه العرفاء والرؤساء بمشكلات نواحيهم . فليس من المعقول أن يكون قد مات وبقى سنة كاملة لا يعلم بموته أحد ويهمل اهمالا لايهمله أحد من السوقة

والمسألة تحمل على أحد وجهين

الأول — أن يكون قد مات كما يموت سائر الناس وبقى موته معمى على الجن دون سواهم من الانس ودفن وانتهى أمره ، وقام فى الملك ابنه والجن فى أمكنة نائية كتدمر لايفترون عن العمل دائبين عليه خشية ان يعاقبهم سليمان . وبعد مدة لم يحددها القرآن علم أحد الجن بموته إذ رأى عصاه ملقاة على الأرض فرفعها فاذا الارضة قد أكلتها . فاستدل من أكل الأرضة إياها أن سليمان قد

تركها ملقاة على الأرض مدة طويلة ، وما كان ليتركها إلا لحدث من موت أو مرض [1] فتقصى الأمر فاذا هو قد مات فاعلم الجن بالامر وكانوا لايعلمونه كما كانوا يوهمون الناس ويتوهم الناس لهم أنهم يعلمون الغيب . وايقنوا انهم لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين .

وعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى . فلما خر أى مات.لاخر بمعنى وقع على الأرض لعجز العصا عن حفظ توازنه

قال فى القاموس . والخر السقوط كالخرور من علو الى أسفل يخر ويخر والشق والهجوم من مكان لايعرف والموت

وفى لسان العرب ج ٥ ص٣١٧ وخر أيضا مات وذلك أن الرجل إذا مات خر ومن ذلك قول حكيم بن حزام بايعت رسول الله ﷺ أن لا أخر الا قائما معناه أن لا أموت ، لأنه اذا مات فقد خر وسقط

الوجه الثانى — أنه عليه السلام وجد فى محرابه فادركه الموت وهو جالس متكىء على عصاه فجاءت الأرضة واشتغلت بأكل طرف العصا فاكلت بعضه فانهار الجزء الذى أكلته فاختل توازنه فخر فدل ذلك أهله على موته . وأكل جزء من العصا يكون انهياره سببا فى اختلال التوازن لايحتاج الى زمن طويل — ومن رأى فعل الأرضه فى دنقلة العجوز لايستبعد ذلك . فقد اخبرنى المرحوم الشيخ محمد بك الخضرى أنه أهمل وضع ارجل مكتبه فى اناء فيه ماء وهو بدنقلة فلم تمض أيام حتى وجد الأرضة قد أثرت فى جزء مهم من تلك الأرجل وترك جبته بجانب الحائط بضعة أيام ثم جاء اليها فاذا بها بهيئة الجبة ، فلما مد يده اليها فاذا هى هباء

ثم ان مرجع الضمير فى قوله مادلهم يحتمل أنه الجن ويحتمل أنه ال داود الذين هم السليمان أيضا وهم المذكورون فى قوله اخر الآية قبلها اعملوا ال داود شكرا

وأيضا فانهم يقولون أنهم أرادوا بعد موت سليمان أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا الى اخره . فماهذه الأرضة التى تمتد اليها الأيدى فتقر طائعة على العصا وتاخذ فى أكلها حتى تعلمهم مقدار ما أكلت ؟ — ان هذه الدابة وأمثالها اذا أخذت باليد ووضعت فى مكان لاتستقر

---

(١) حمل العصا كان من شارات الرياسة والرئيس وبخاصة من كان ملكا كسليمان لا يترك عصاه ما دام صحيحا معافي

بل تمعن فى الهرب . وأى دليـل عندهم على أن أرضة واحدة فقط هى التى تولت أكل المنسأة حتى يعلموا أنها أكلتها فى سنة ؟ وهل هناك برهان على أنها لم تكن مئين أو الافا وهم انما أتوا بفرد أرضة دون آرض كثيرة - وهل يوافق علماء الحيوان على أن الأرضة تبقى سنة حية ولا تلد ؟ وهل هى من الحيوان الذى يعيش منفردا عن ابناء جنسه ؟

وأيضا شكر الجن للارضة واتيانها بالطين والمـاء وهى فى جوف الخشب شيء حصل بين الجن وبينها . فمن الذى أعلم الناس ذلك وهذا السر بين الأرضة والجن ؟ وأما اتيانها بالطين مكافأة لها على ذلك فلا يدريه الا من وقف على أحوال الأرضة قبل موت سليمان . ثم رأى أن تلك الأحوال تغيرت بعده .

وعندى أن ذلك كله من التخرص الذى لا تقوم عليه بينة ولا يهدى اليه دليل - وبعد هذا كله . فما المانع من أن تكون دابة الأرض التى أكلت عصا سليمان هى بعض من الحيوان القراض كالفار ونحوه من الحيوان الذى يقرض الخشب - أجل أن الألوسى رد هذا الوجه وانى اخالفه واقول انه احتمال وجيه فان الفار من دواب الأرض يتخذ مسكنه فيها

وعلى كل حال فمكث سليمان سنة أو نحوها أمر زائد عما تدل عليه الآية الكريمة ولا يوجد نص صريح فى تلك المدة - وأحد الرأيين اللذين قدمتهما كاف فى الخروج من كل اشكال أو اعتراض وأولها أولاهما .

أيوب عليه السلام

من الانبياء الذين قص الله علينا قصصهم فى القران « أيوب عليه السلام »

وقد ذكر اسمه فى القران الكريم اربع مرات فى الآية ١٨٦ من سورة النساء، وفى الآية ٨٤ من سورة الانعام وفى الآية ٨٣ من سورة الانبياء وفى الآية ٤١ من سورة ص

وقد ورد ذكر ايوب فى كتب أهل الكتاب وله سفر خاص به من الاسفار القانونية فى العهد القديم

قال البستانى فى دائرة المعارف صفحة ٨٠٤ من المجلد الرابع : أنه رجل مشهور بالاستقامة والتقوى والصبر ولذلك لقب بالصديق وضرب به المثل بالصبر - ويقال أنه عوص بكر ناحور أخى ابراهيم وقيل هو يوباب حفيد عيسو بن اسحق .

كان موطنه أرض عوص ويظن أنها جزء من جبل سعير أو بلاد أدوم قيل أنه كان قبل موسى وقيل قبل ابراهيم بأكثر من مائة سنة وهو أرجح . ومن أراد الوقوف على تفاصيل قصته فليطلبها من السفر المنسوب اليه من العهد القديم .

وسفر أيوب هو احد أسفار العهد القديم القانونية وهو يحتوى على ٤٢ أصحاحا جمعها خمسة فصول كبيرة .

الأول : يذكر تقوى أيوب وأملاكه وأقاربه وصفاته .

الثانى : يتضمن ما جرى بينه وبين أصحابه الثلاثة من الجدال .

الثالث : أقوال الحكمة التى نطق بها إلياهو أصغر أصحاب أيوب (١)

الرابع : يذكر مخاطبة الله أياه من العاصفة

الخامس : يتضمن خضوعه لله وشفاءه وتعويض ما فقده من المال والأهل

وجاء فى صفحة ١٨٤ ، ١٨٥ من الجزء الأول من إظهار الحق معقبا على ما نقله من اقوال بيلى ، فانظر ايها اللبيب ان كلام محققهم مطابق لكلامى ام لا ؟ وما قال ان بين العلماء المسيحية نزاعا فى حقيقة ايوب بل فى وجوده قديما فاشار الى الاختلاف القوى لأن (رب ممانى ديز) الذى هو عالم مشهور من علماء اليهود وكذا ميكايلس . وسملر واستان وغيرهم قالوا ان ايوب اسم فرضى وما

---

(١) أصحاب أيوب الذين ذكروا فى سفره هم اليفاز التيمانى وصوفر النعمانى وبلدد الشوحى والياهو

كان مسماه فى وقت من الأوقات - وكتابه حكاية باطلة وقصة كاذبة - وكانت . وانتل . وغيرهما قالوا انه كان فى نفس الأمر .

ثم القائلون بوجوده اختلفوا فى زمانه على سبعة اقوال .

١ - انه كان معاصرا لموسى عليه السلام .

٢ - انه كان معاصرا للقضاة .

٣ - انه كان معاصرا لهاسى روس او اردشير سلطان ايران .

٤ - انه كان معاصرا ليعقوب عليه السلام .

٥ - انه كان معاصرا لسليمان عليه السلام .

٦ - انه كان معاصرا لبختنصر .

٧ - انه كان قبل الزمان الذى جاء فيه ابراهيم عليه السلام إلى كنعان .

وقال هورن من محقق فرقة بروتستانت (أن خفة هذه الخيالات دليل كاف على ضعفها)

وكذا اختلفوا فى غوط بلده الذى جاء ذكره فى الآية الأولى من الباب الأول من كتابه بأنه كان فى أى إقليم على ثلاثة أقوال .

١ - فقال بوجارت وأسباهم وكامت وغيرهم انه فى اقليم العرب .

٢ - وقال ميكايلس والجن أنه فى شعب دمشق .

٣ - وقال لود وماجى وهيلز وكود وبعض المتأخرين أن غوط اسم أدومية

وكذا اختلفوا فى مصنف هذا الكتاب بانه اليهود أو أيوب أو سليمان أو اشعيا أو رجل مجهول الاسم معاصر للسلطان منسا أو حزقيال أو عزرا او رجل من آل اليهود او موسى عليه السلام الخ اه

اما نحن فنقول انه عبد صالح من عباد الله امتحنه الله فى ماله واهله وبدنه فصبر صبرا جميلا فوهبه الله تعالى العافية واعطاه اكثر مما فقد من اهل ومال واثنى عليه ثناء جميلا فى قرآنه الكريم وجعله نبيا

ملاحظتان

الأولى - ان الناس يروون فى بلاء ايوب اقوالا يوردونها تدل على انه مرض مرضا مشوها ومنفرا للناس من قربانه والدنو منه .

وهذا يتنافى مع منصب النبوة وقد قرر علماء التوحيد ان الأنبياء منزهون على الأمراض المنفرة .

فكيف يتفق ذلك مع منصب النبوة ؟

والجواب على ذلك من وجهين .

الأول - ان الابتلاء على الوجه الذى يقولون كان قبل النبوة وان منحة النبوة انما كانت لما بدا منه من الصبر والرضا بما اصابه من مكروه وملازمته جانب الرضا عن الله تعالى .

الثانى - ان المبالغين فى ضر ايوب انما اعتمدوا فيما يقولون على ما جاء عند اهل الكتاب فى السفر المسمى سفر ايوب . واذا ثبت ان هذا السفر حقيقى فعبارته مؤولة .

ففى هذا السفر ما نصه (فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب ايوب بقرح ردىء من باطن قدمه الى هامته . فاخذ لنفسه شقفة ليحتك بها وهو جالس فى وسط الرماد ص ٢ ايوب .

لأنه مثل خبزى يأتينى أنينى ومثل المياه تنسكب زفرتى ص ٣ آية ٢٤

١ - قد كرهت نفسى حياتى . أسبب شكواى . أتكلم فى مرارة نفسى ص ١٠ ٢٨ ص ١٣ وأنا كمسوس يبلى كثوب أكله العث)

قرءوا ذلك فحسبوا هذا القول على وجه الوصف الحقيقى - ولو تدبروا لعلموا أن سفر أيوب يشبه قصائد شعرية قيلت فى وصف ضره وصبره ، والشعر فى كل لغة ميدان المبالغة .

انظروا الى قول عمر بن الفارض رضى الله عنه

فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى ... وايقاد نيران الخليل كلوعتى
فلولا زفيرى أغرقتنى مدامعى ... ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى

وهذا المتنبى يقول .

كفى بجسمى نحولا أننى رجل ... لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

ويقول : ولو أن ما بى من جوى وصبابة ... على جمل لم يدخل النار كافر

أى أن الجمل يلج حينئذ فى سم الخياط ويحصل المعاق عليه فى قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط)

وآخر يقول :

ولو قلم القيت فى شق رأسه ... من السقم ماغيرت من خط كاتب

وآخر يقول :

نحلت فلو علقت فى رجل ذرة ... لطارت ولم تشعر بأنى تعلقت
ولو نمت فى جفن الذباب معرضا ... من السقم لم تشعر بأنى قد نمت

الملاحظة الثانية — أن القرآن الكريم ذكر أن الله أمر أيوب أن يأخذ بيده ضغثا فيضرب به وبذلك لا يكون حانثاً فما هذه الحادثة ؟ والجواب .

عن البيضاوى - روى أن زوجته ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف أن برىء ليضربنها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود .

وعن الالوسى - أن امرأته رحمة بنت افرايم أو منسا بن يوسف أو ليا بنت يعقوب أو ماخير بنت منسا بن يوسف على اختلاف الروايات ذهبت لحاجة فابطأت أو بلغت أيوب عن الشيطان أن يقول كلمة محظورة فيبرأ وأشارت عليه بذلك فقالت له الى متى هذا البلاء كلمة واحدة ثم استغفر ربك فيغفر لك أو جاءته بزيادة على ما كانت تأتى به من الخبز فظن أنها ارتكبت فى ذلك محرما فحلف ليضربنها ان برىء مائة ضربة فأمر الله بأخذ الضغث (وهو الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو قضبان) ولقد شرع الله تعالى ذلك رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهى رخصة باقية فى الحدود فى شريعتنا وفى غيرها أيضا لكن غير الحدود يعلم منها بالطريق الاولى

بقى أن أقول . ان يعقوب ليس له بنت تسمى ليا بل ابنته تسمى (دينا) وهذا على علاته إنما يتمشى على قول من يقول أن أيوب بكر عيسو أخى يعقوب

وعلى كل حال . فلم يردعند أهل الكتاب أنه كان موجودا فى زمن افرايم أومنسا ولدى يوسف أما ما جاء فى القرآن الكريم عن قصته فاقرءوه فى هذه الآيات .

سورة الأنبياء - وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٨٣ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ٨٤

سورة ص - وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ٤١ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ٤٢ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِى الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٤٤

يونس عليه السلام (١)

ذكر يونس عليه السلام باسمه فى القرآن الكريم أربع مرات سورة النساء آية ١٦٣ . الأنعام آية ٨٦ يونس اية ٩٨ الصافات اية ١٣٩ وذكر بوصفه فى سورة الأنبياء فى قوله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا الخ) وذكر بوصفه ايضا فى سورة القلم فى قوله تعالى لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) ولم يعلم من نسبه فى كتب التفسير والحديث الا انه (يونس بن متى) ويقول أهل الكتاب انه يونان بن امتاى .

نقد اللجنة (١)

الموضوع الخامس

(قصة يونس عليه السلام)

فى صفحة ٣٤٥ سطر ١١ ما نصه

وتلخص (أى قصة يونس) فى أن الله أمره بأن يذهب الى أهل مدينة لهدايتهم وإرشادهم الى الله تعالى فخشى انهم لا يسمعون لقوله ولما كان امر الله محتما أراد ان يبتعد عن ذلك البلد فنزل فى سفينة الخ القصة .

ثم قال فى صفحة ٣٤٦ سطر ٩ وقال آخرون انه كان أحد الملوك غزا بنى اسرائيل وأسر منهم تسعة أسباط ونصف سبط وذلك فى مدة الملك حزقيل فاوحى الله الى شعياء النبى أن اذهب الى حزقيل الملك وقل له يوجه خمسة من الأنبياء لقتال هذا الملك وأمره ان يخرج فقال يونس هل أمرك الله باخراجي؟ فقال لا: قال هل سمانى لك؟ قال لا فقال يونس فها هنا أنبياء غيرى فألحوا عليه فخرج مغاضبا فأتى بحر الروم الخ القصة .

ثم قال وقد ذكر الألوسى وجوها كثيرة فى تفسيره واللائق بالحق ان يقتصر فى فهم القصة على ما قصه الله فى الكتاب الكريم ثم ذكر الآيات الواردة فى هـــذه القصة وبعد ذكر أسئلة وأجوبة قال فى صفحة ٣٤٨ سطر ٢١ ما نصه .

وفى اعتقادى ان يونس كلف بالذهاب الى اولئك القوم عقيب نبوته ولم يكن قد مرن على النبوة وواجباتها وآداب أهلها لأن العلم بذلك يستدعى مدة وتكرر الوحى والازدياد من معرفة الله والارتياض على تلقى الوحى وتلقينه فحداثته فى النبوة هى التى خيلت اليه ما قلنا من انه خيل اليه انه بابتعاده =

والظاهر من امره انه من اليهود . ويوجد بلدا اسمه (حلحول) قرب مدينة الخليل بفلسطين قبر يقال انه قبر يونس . وبمكان غير بعيد عنه قبر اخر يقال انه قبر متى .

وقد ذكرت قصة يونس فى سورتى الأنبياء والصافات وقد ذكر المفسرون لقصته حكايات

= وتغربه فى البلاد ربما استتبع إعفاءه من تلك المأمورية . أضيفوا الى ذلك انه كان حديث السن فقد أورد الآلوسى فى تفسيره ان سنه كانت ثمانيا وعشرين سنة ـ ومن كان حديث العهد بالنبوة ، وفى مثل سن يونس يغفر الله لهم بعض ما عملوه عن غير تمرد وقصد جازم الى المعصية اه كلامه بالحرف .

(رأى اللجنة)

إن جاز للمؤرخ ان يعلل حادثة تاريخية حدثت من آحاد الناس بمثل هذا التعليل ، كأن يقول السبب فى انهزام الجيش الفلانى ان قائده لم يكن قد مرن على قيادة الجيوش ، أو السبب فى اختلال نظام الدولة الفلانية فى عهد ملكها فلان ان ذلك الملك كان حديث السن لم يكن قد مرن على ارادة المملكة : فلا يجوز قطعا مثل هذا التعليل فى حق الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين اذا ورد عن واحد منهم ما يوهم تقصيرا ، بل يجب ان يفهم ذلك على وجه لا يتنافى مع ما قام عليه البرهان القطعى من وجوب عصمتهم ، خصوصا فى مقام تبليغ رسالة ربهم الى الأمم التى أرسلوا اليها .

ومن الواضح الذى لا يختلف فيه اثنان من المسلمين ، ان الأنبياء والرسل ليسوا كآحاد الناس بل هم أفضل منهم جميعا . لأنهم أنبياء الله ورسله اصطفاهم لهداية خلقه واختارهم لأداء رسالته ، وهو سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته .

فكيف يصح ان يقال بل كيف يصح ان يخطر على البال أو يمر على الخيال ان يونس عليه الصلاة والسلام لحداثته فى النبوة وعدم مرونه عليها وعلى واجباتها وآدابها خيل اليه انه بابتعاده وتغربه فى البلاد ربما استتبع (اعفاءه من تلك المأمورية) .

ومعنى ذلك ان الله أرسله لقوم فترك تبليغهم الرسالة وفر هاربا فى البلاد وظن لحداثته فى النبوة وعدم مرونه على واجباتها انه بهروبه (كذا) قد يعفى من الرسالة نستغفرك اللهم ونتوب اليك سبحانك هذا بهتان عظيم .

لا يصح ان يقال فى حق أى شخص له شرف كاف باى مأمورية من أى رئيس الا فى مقام الذم والاستهجان الذى يجب ان تنزه عنه ساحة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

لو جاز مثل هذا التعليل فى حق يونس عليه الصلاة والسلام الذى ورد فى شأنه عن النبى ﷺ =

ووجوها كلها من الاسرائيليات وبعضها يخالف ظاهر القران الكريم وقد اطالوا ما شاءت لهم الاطالة وتفننوا ما امتد بهم التفنن والذى يهمه ان يقف على اقوالهم يمكنه ان يراجعها فى امكنتها

= لاتفضلونى على يونس بن متى، أخرجه البخارى ومثله فى مسلم بمعناه، لجاز ان يقع نظيره من كل رسول ، فان كل واحد منهم فى مبدأ رسالته يصح على هذا الرأى ان يقال انه لم يكن قد مرن على الرسالة فيجوز ان يترك تبليغ الأمة المرسل اليها بمجرد توهم لحوق (كذا) الأذى منهم أو لحوقه (كذا) منهم بالفعل ولا نعتقد ان أحدا من المسلمين يجوز مثل هذا على أحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام »

هذا ولا ندرى السر فى العدول عما قرره أئمة التفسير فقد ذكروا فى مغاضبة يونس عليه السلام التى حكاها الله تعالى بقوله (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) الآية قولين الأول ان مغاضبته لقومه الذين أرسل اليهم وانما غضب عليهم لعنادهم وتمادى إصرارهم مع طول دعوته إياهم فهجرهم بعد ان بلغهم الرسالة ويئس من إجابتهم لدعوته لأنه لم يكن مامورا بالبقاء معهم ، لكن لما كان الأولى الصبر وعدم الخروج من عندهم حتى يؤذن له بذلك . حصل له ماحصل مما ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز ولكون ما وقع منه ليس ذنبا فى الواقع بل تركا للاولى من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، كان ما حصل له محفوفا بالطاف الهية ومقرونا بمعجزة باهرة .

القول الثانى ان مغاضبته هذه كانت قبل الرسالة وكانت للملك حزقيل كما قصه المؤلف فى كتابه ولما كان الأولى له الامتثال لتأدية هذا العمل الخيرى وان لم يكن مأمورا من قبل الله تعالى حصل ما حصل كما سبق :

وأما ما نقل عن بعض أئمة التفسير كالحسن وابن جبير من أن المعنى مغاضبا لله تعالى فانه يتعين تأويله على أن تكون اللام للتعليل فيرجع الى المعنى الأول والله أعلم .

هذا ما حققه أئمة التفسير ومنه أن يونس عليه السلام لم يترك تبليغ رسالة ربه قبل الشروع فى تنفيذها خشية عدم السماع له .

وعبارة المؤلف فى تلخيص القصة تكاد تكون نصا فى هذا الرأى المخالف لما حققه أئمة التفسير وهو الذى يناسبه تعليله السابق الذى أبطلناه وهو رأى منقول عن اليهود وقد أبطله أئمة التفسير فكان الواجب عليه التحرز عن متابعة اليهود خصوصا فى مثل هذه الآراء التى لا تتناسب مع مقام الأنبياء .

قال العلامة الألوسى زعم اليهود ان الله أمر يونس أن يذهب الى أهل نينوى وينذر أهلها فهرب الى ترشيش من ذلك وانحدر الى يافا ونزل فى السفينة فعظمت الأمواج وأشرفت السفينة على الغرق فاقترع أهلها فوقعت القرعة عليه فرمى بنفسه الى البحر فالتقمه الحوت ثم ألقاه وذهب =

اقرءوا هذه الآيات : —

سورة يونس — فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ٩٨ .

= الى نينوى فكان ما كان

ولا يخفى ان مثل هذا الهرب مما يجل عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واليهود قوم بهت اه الألوسى والله أعلم .

(رد المؤلف عليها)

الموضوع الخامس

قصة يونس عليه الصلاة والسلام

يحتاج الرد على ما كتبته اللجنة فى قصة يونس عليه السلام الى مقدمة نبين فيها عصمة الانبياء ببيان مايجب لهم ومايستحيل عليهم من حيث أتيانهم بالمعاصى أو خلاف الأولى فأقول

اختلف أهل الاسلام فى عصمة الانبياء عليهم السلام — وضبط القول فيه أن يقال — الاختلاف فى هذا الباب يرجع الى اقسام اربعة :

(احدها) ما يقع فى باب الاعتقاد (ثانيها) مايقع فى باب التبليغ (ثالثها) مايقع فى باب الأحكام والفتيا (رابعها) مايقع فى افعالهم وسيرتهم

القسم الأول — اما اعتقادهم الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عند أكثر الأمة وقالت الفضيلة من الخوارج . انهم وقعت منهم الذنوب والذنب عندهم كفر فلاجرم قالوا بوقوع الكفر منهم — واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقيه — ولا ارتضى قول الفضلية ولا الامامية .

القسم الثانى — هو مايتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ وان ذلك لايجوز وقوعه منهم عمدا ولاسهوا — وهو الحق — ومن الناس من جوز ذلك سهوا محتجين بأنه غير ممكن الاحتراز عنه وليس بشىء

القسم الثالث — وهو مايتعلق بالفتيا فقد اجمعت الأمة على أنه لايجوز خطؤهم فيه واما على سبيل السهو فجوزه بعضهم وأباه آخرون — والذى أقوله أن النبي قد يجتهد فى الحكم فيصيب اجتهاده الحكم الذى رضيه الله للامة وقد لا يصيبه . وحينئذ فهو لا يقر عليه بل ينزل الله بيان الحكم الذى رضيه كما فى شأن المرأة التى كانت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زوجها وتشتكى الى الله .

القسم الرابع — وهو الذى يقع فى افعالهم — قد اختلفت الأمة فى هذا القسم على خمسة اقوال =

فهذه الآية تفيد بصريح العبارة ان الأمم الغابرة كانوا يعاندون ويصرون على ما هم عليه من الكفر والاباء عن الايمان ولم ينج من هذا الا القوم الذين ارسل اليهم يونس فانهم اجابوه الى الايمان فكشف الله عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعهم الله الى حين .

= (١) ـ قول من جوز عليهم الكبائر على جهة العمد وهو قول الحشوية

(٢) ـ قول من لايجوز عليهم الكبائر لكنه يجوز عليهم الصغائر على جهة العمد الا ماينفر كالكذب والتطفيف وهذا قول أكثر المعتزلة

(٣) ـ انهم لايجوز أن يأتوا بصغيرة ولا بكبيرة على جهة العمد البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائى

(٤) أنه لايقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطأ ولكنهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة وان كان ذلك موضوعا عن امتهم وذلك لأن معرفتهم أقوى ودلائلهم أكثر وأنهم يقدرون من التحفظ على مالا يقدر عليه غيرهم .

(٥) ـ انه لايقع منهم الذنب لا الكبيرة ولا الصغيرة لاعلى سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على التأويل والخطأ وهو مذهب الرافضة

أما وقت العصمة فقد اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال

(١) ذهب قوم إلى أن الأنبياء معصومون من وقت مولدهم وهو قول الرافضة

(٢) ـ ذهب قوم إلى أنهم معصومون من وقت بلوغهم ولم يجوزوا عليهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو قول كثير من المعتزلة

(٣) ـ ذهب قوم آخرون الى أنه لايجوز منهم ارتكاب شىء من ذلك وقت النبوة أما قبل النبوة فجائز قال الرازى وهو قول أكثر اصحابنا وقول ابى الهذيل وابى على من المعتزلة ـ ومن احب زيادة البيان فليرجع إلى صفحة ٣٩٧ وما بعدها من الجزء الأول من تفسير الفخر الرازى ـ وفى صفحة ٢٦٣ وما بعدها من كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي مانصه : واختلف العلماء فى هذا الباب هل وقع من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها أم لا ؟ بعد اتفاقهم على انهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص اجماعا . عند القاضى ابى بكر وعند الاستاذ ابى بكر ان ذلك مقتضى دليل المعجزة ، وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على اصولهم

فقال الطبرى وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين : تقع الصغائر منهم خلافا للرافضة حيث قالوا : أنهم معصومون من جميع ذلك واحتجوا بما وقع من ذلك فى التنزيل وثبت من تنصلهم من =

اقرءوا هذه الآيات

سورة الأنبياء - وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٨٧ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ٨٨

= ذلك فى الحديث وهذا ظاهر لا خفاء فيه

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وابى حنيفة والشافعى : انهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر . لانا امرنا باتباعهم فى افعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا مطلقا من غير التزام قرينة . فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم . اذ ليس كل فعل من افعالهم يتميز مقصده من القربة والاباحة أو الحظر والمعصية : ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لاسيما عند من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الأصوليين .

قال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرائينى : واختلفوا فى الصغائر . والذى عليه الأكثر ان ذلك غير جائز عليهم . وصار بعضهم إلى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة .

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب الى القول الأول : الذى ينبغى أن يقال : انه تعالى قد اخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها واشفقوا منها وتابوا وكل ذلك وارد فى مواضع كثيرة لا يقبل التأويل جملتها وان قبل ذلك آحادها وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم وانما تلك الأمور التى وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ أو النسيان أو التأويل وما إلى ذلك فهى بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفى حقهم سيئات بالنسبة الى مناصبهم وعلو اقدارهم ، اذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس . فاشفقوا من ذلك فى موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة قال : وهذا هو الحق ولقد احسن الجنيد حيث قال : حسنات الابرار سيئات المقربين ، فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانت قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم ، فلم يخل ذلك بمناصبهم ، ولا قدح فى رتبهم . بل قد تلافاهم واجتباهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه اه .

تلخص لنا مما تقدم ان انبياء الله عليهم الصلاة والسلام معصومون من تعمد اتيان الذنب فى حال النبوة وان الكبيرة لا يمكن أن ياتوا بها فى هذه الحال وانما تقع منهم الذنوب الصغيرة متأولين أو ناسين وهذه تعتبر ذنوبا فى حقهم وان كانت غير ذنوب على امهم نظرا لما لهم من التميز من القرب من الله وزيادة معرفتهم به =

فلمن كان يونس مغاضبا ؟ وكيف يظن ان لن يقدر الله عليه ؟ وهو نبي كريم لا يمكن أن يسيء الظن بالله فيجول في نفسه ان قدرة الله تعجز عن تناوله ؟

يقول بعض المفسرين انه كان مغاضبا لربه ولذلك استوجب ادحاضه والتقام الحوت له . وهذا

= لما وصلت من الكتاب إلى قصة يونس عليه الصلاة والسلام وجدت الله تعالى يقول « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » سورة يونس الأنبياء

ويقول « وان يونس لمن المرسلين ، اذ ابق إلى الفلك المشحون ، فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ، فنبذناه بالعراء وهو سقيم ، وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه إلى مائة الف أو يزيدون ، فآمنوا فمتعناهم الى حين » سورة الصافات

نظرت الى ماقاله المفسرون . فوجدتهم يذكرون أن يونس ارسله الله الى مدينة فدعا أهلها إلى الله وطال عليه الأمد فخرج من بينهم بدون اذن من الله فكان له ما كان ويزيد آخرون أنه أوعدهم العذاب يحل بهم بعد اربعين يوما ومضت فلم يحل بهم فضاق بذلك الأمر ثم كان ما كان مما قصه الله فى القرآن ورأيت الله تعالى يقول . « وارسلناه إلى مائة الف أو يزيدون فآمنوا » فجعل ايمانهم عقب ارساله اليهم كما هى قضية الفاء التى للترتيب والتعقيب

وعلى ذلك فلم يكن منهم صد أو اعراض عنه وانما كان ذلك الارسال بعد التقام الحوت ونظرت الى وجه آخر مما قاله المفسرون وهو قولهم انه كان مغاضبا للملك حزقيل الخ وقد علم أهل التاريخ أنه لم يكن فى بنى اسرائيل ملك اسمه حزقيل .

وقالوا ان ملكا سبى من بنى اسرائيل تسعة اسباط ونصف الى آخره وبنو اسرائيل لم يسبوا الا فى زمن بختنصر وكان السبى ليس خاصا بسبط دون سبط بل كان السبى منهم جميعا ولم يرسل يونس لبختنصر ولم يؤمن هو ولا قومه .

لذلك كله عدلت عن هذه الأقوال التى لا حجة صحيحة المفسرين فيها وقلت . « واللائق بالحق أن يقتصر فى فهم القصة على مانصه الكتاب الكريم فقط »

لما كان القرآن ينبيء عن ايمانهم عقب الرسالة كان حصول ذهابه الى الفلك والتقام الحوت اياه حاصلا قبل وصوله اليهم . فهذا هو الذى املى على أنه ذهب إلى الفلك عقب امره بالذهاب اليهم

لاشك فى أن ذهابه عنهم عقب امره بالذهاب اليهم يكون جريمة منه ومعصية لا يمكن أن يأتيها =

القول ينـــافى العصمة . ويوجب جهله بالله وقدرته جهلا لا يعذر فيه أحد السوقة فضلا عن نبى كريم - والذى أقوله انه لم يكن مغاضبا لله حقيقة ولكنه ذهب بهيئة المغاضب والا فيونس اجل من ذلك - وقال آخرون من المفسرين انه كان مغاضبا لقومه الذين أرسل اليهم لابطائهم عن تلبية دعوته والدخول فيما دعاهم اليه من الايمان .

= مثل هذا النبى الكريم الا متأولا . اذ يحتمل أنه فهم أن الأمر غير جازم بل هو أمر ارشاد ومخالفة أمر الارشاد لا تستوجب ذنبا يستحق المخالف العقاب كما تأول الفقهاء كتابة الدين المأمور بها فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) ففهم الأمر على هذا الوجه .

وقد رأيت الله تعالى نسب الى يونس عليه السلام أمورا ثلاثة

(١) — انه أبق الى الفلك المشحون

(٢) — انه ذهب مغاضبا

(٣) — انه ظن ان لن يقدر الله عليه

وكل هذه أمور اذا لم تصرف عن ظاهرها كانت ذنوبا اذا صدرت من الآحاد فكيف بنبى كريم

لذلك يجب تاويل قوله تعالى إذ أبق الى الفلك المشحون انه ذهب اليها ذهاب الآبق ولم يكن آبقا يرجو أن يختفى عن عين سيده حتى يتعذر عليه رجعه الى قبضته . حاشا وكلا أن يكون هذا أولا — ثانيا يجب تاويل قوله تعالى (إذ ذهب مغاضبا) بانه لم يكن مغاضبا لله ولكنه أشفق من القوم الذين أمر بالذهاب اليهم وهم ليسوا له باهل ولا عشيرة وقد خشى ان يفرطوا عليه أو يطغوا او ينالوه بالأذى فذهب على وجهه يريد الابتعاد عن الجهة التى هم فيها عالما ان الله تعالى لن يعجزه أن يرسل اليهم نبيا آخر يكون أقدر على التلطف بهم واقناعهم وفى ذلك راحته من عنتهم وأمنه على نفسه منهم وهو فى ذلك يظن انه لا يغضب الله تعالى وان كان ذهابه على هيئة الغاضب. وغرضى من ذلك صرف لفظ مغاضبا عن معناه لأن مغاضبة الله لا يليق صدورها من نبى . فاولت ذلك الى أن ذهابه على هيئة الغاضب وهو غير مغاضب

وقد فسرت قوله تعالى « أن لن نقدر عليه » تفسيرا يتفق مع موقف الأنبياء من ربهم فصرفته عن المعنى المتبادر منه وهو انه ظن أن يعجز الله ويفلت من قبضة قدرته الى تفسير يتفق مع عقيدة الأنبياء فى الله تعالى وهو انه تعالى لن يعجزه شىء من الممكنات وصرفت ظاهر اللفظ الى معنى التضييق كما فى قوله تعالى « وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن » أى ضيق عليه رزقه وبينت ان هذا المعنى تساعد عليه رواية « نقدر عليه » بتشديد الدال المكسورة =

لكن . كيف يترتب على هذه المغاضبة . ان الله تعالى يمتحنه بالالقاء فى اليم والتقام الحوت . حين ان مغاضبته لقومه انما كانت لله وفى الله ؟

قد يقولون ان معاقبته انما كانت بسبب انه لم ينتظر امر الله بمفارقتهم . وجوابى على ذلك ان الله

= وقد جاء ذلك فى تفسير البيضاوى الذى نقلته . ومن ذلك يجد القارىء الكريم انى لم أقل فى يونس رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كل خير ولم أنسب اليه امرا لا يليق .

وإنما عدلت عن الأقوال التى قالها المفسرون لأن بعضها ليس له حقيقة وبعضها لا يتفق مع ظاهر القرآن الكريم كما قدمت

يوجد فرق كبير فى الرأى بينى وبين حضرات اصحاب الفضيلة فى شان انبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين . قد لاحظته فى اثناء قراءتى لنقدهم كتابى

ذلك ان حضراتهم يرون ان الأنبياء يفرغ الله عليهم كل كمال بمجرد النبوة فلا يصدر عنهم اى عمل يوجه اليهم بسببه اى عتاب او لوم وانهم من حين النبوة وبمجرد جعل الله تعالى لهم من أهلها صاروا بطبيعتهم مستغنين عن إرشاد الله وتعليمه اياهم وتبصيره لهم أمورا لا يعلمونها وتسديده إياهم الى الصواب . فهم ينزهونهم عن كل شىء مما هو من هذا بسبيل

اما هذا الضعيف فيعتقد ان الأنبياء فى حال النبوة معصومون عن كبائر الذنوب وعن تعمد اتيان الصغائر منها . واذا صدر عنهم ذنب من الصغائر فانما يكون عن تاول لأمر الله تعالى او عن خطأ او نسيان مما حط الذنب فيه عن أممهم ولكنهم يؤاخذون به صلوات الله عليهم لكمال معرفتهم بالله تعالى وقربهم منه قربا معنويا فالتحفظ من الذنب لهم الزم فعدت عليهم تلك الأشياء ذنوبا وهى غير ذنوب كما يقول القرطبى (قد يؤاخذ الوزير على ما يثاب عليه السائس) واعتقادى ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معرفته بالله ووقوفه عند محابه تعالى وعدم تخطيها فى أخريات ايامه أكمل وأعلى من معرفته به تعالى فى اول نبوته — فقد جاء فى الأخبار انه كان يحاول التردى من الجبال وكان لا يسكنه عن ذلك إلا ان يرى جبريل عليه السلام بين السماء والأرض يقول له يامحمد انت رسول الله وأنا جبريل فهذا ضرب من تعليم الله له وصده عما كان بصدد ان يأتيه .

كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره بما تقول قريش «لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك» فكان لذلك يثقل عليه أن يبلغهم ما يوحى الله به اليه مما يكرهون — ولذلك قال الله تعالى له « فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك =

لم ينص على بقائه معهم آمنوا أو اصروا على كفرهم حتى يكون انصرافه عنهم موجبا لابتلائه وليس فى القرآن نص على ذلك ولا إشارة نص .

وايضا فان الله تعالى يقول - بعد أن قص قصته بانه ابق الى الفلك المشحون وساهم فكان من

= ويشبه ذلك ايضا مسألة أخرى - وهى أنه صلى الله عليه وسلم لما أعلمه الله وأمره ان يتزوج من زينب بنت جحش متى طلقها زيد وانقضت عدتها منه . وجاء زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه انه يريد طلاق زينب قائلا « يارسول الله قد اشتد على لسانها وأريد ان أطلقها » فقال له رسول الله أمسك عليك زوجك واتق الله .

قال ابن حجر فى فتح البارى جزء ٨ ص ٣٧١ - والحاصل ان الذى كان يخفيه النبى صلى الله عليه وسلم هو إخبار الله إياه بأنها ستصير زوجته . والذى كان يحمله على إخفائه ذلك خشيه قول الناس تزوج امرأة ابنه - وأراد الله إبطال ماكان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى بأمر لا أبلغ فى الابطال منه . وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنا ووقوع ذلك منه أمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم .

وقد أخرج الترمذى عن عائشة قالت « لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحى لكتم هذه الآية (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه الخ)

وماكان احد ليظن ان محمدا خالف عن امر ربه وانما اجتهد صلى الله عليه وسلم ورأى ان كثيرا من المرجفين حوله يتلمسون له ما يعوقون به عن دعوته وبلغ بهم اللجاج أن عابوا عليه (أن جعل الآلهة الها واحدا) وهو أمر لا تختلف فيه العقول السليمة وقول بعضهم عند ما قسم الغنائم « ما أراد وجه الله بهذا القسم »

وانظر تأويلهم حفر الخندق بانه علامة الضعف وكيف شنعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما قال لأصحابه ستفتح لكم بلاد كذا وبلاد كذا فقال بعضهم « ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا » فرأى صلى الله عليه وسلم ان زواجه من زينب سيفتح عليه بابا من أبواب شغب الكفار والمنافقين ، وان زواجه من زينب سيفتح عليه بابا للتقول عليه وخشى ان يتزلزل اعتقاد بعض المؤمنين . فاخر التنفيذ راجيا من الله ان يعفيه هو من هذا الأمر وان ينفذه فى غيره فعاتبه الله على هذا الاجتهاد وأمره بالتنفيذ فى نفسه رغم تأففه كما أرغم الله تعالى يونس على الذهاب الى القوم الذين أرسل اليهم رغم تخوفه منهم .

وقد قال ابن عباس ان إرسال يونس ونبوته انما كان بعد نبذ الحوت له وهو يؤيد ما ذهبت اليه فى الجملة قال القاضى عياض فى الشفاء ص ٩٧ ج ٢ =

المدحضين والتقمه الحوت وهو مليم ـ ولولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون وان الله نبذه بالعراء وهو سقيم وأنبت عليه شجرة من يقطين بعد هذا كله ذكر تعالى انه أرسله الى مائة الف أو يزيدون فآمنوا ـ فهذه الآيات تدل على ان الارسال كان بعد ذهابه مغاضبا وانه

= » وقد روى ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته إنما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف . ويستدل أيضا بقوله . ولا تكن كصاحب الحوت الخ)

ذكر القصة ثم قال . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين . فتكون هذه القصة إذا قبل نبوته

وعلى الجملة فان شان يونس الذى شرحته بقولى صفحة ٣٤٨ (ولكنه كان يظن ان الله تعالى لا يحتم عليه الرجوع اليهم . معناه انه تاول الأمر على أنه امر ارشاد لا إثم فى مخالفته وان التقام الحوت له كان قبل ذهابه اليهم وماز لت أقوله ولن أزال أقوله غير خاش إثما ولا لوما ولا محتقب معصية ولا حوبا .

وليعلم حضرات الأفاضل أعضاء اللجنة ان انبياء الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ليسوا ملكا لأحد وما جعل الله لأحد احتكار الدفاع عنهم بل هم عباد مكرمون على كل مؤمن ان يجل مقامهم باجلال الله تعالى وان حضرات اعضاء اللجنة ليسوا هم الذين يجلونهم دون سائر الناس . وانى بما أشرح من شؤونهم من أحرص الناس على ما لهؤلاء الأنبياء من مقام رفيع وانى لست دون حضرات اعضاء اللجنة إجلالا لهم واكبارا واعزازا وانى لم أقل ولن أقول فى احد منهم الا خيرا يرضاه الله ويرضى به عنى أولائكم الأنبياء

ان ما ذكرته فى كتابى عن يونس لم يعد أن يكون كقول موسى لربه حين أمره بالذهاب الى فرعون لدعوته الى الله وإرسال بنى اسرائيل (انى أخاف ان يكذبون . ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون) فهذا من موسى نقص من الرسالة فى أول موقف له مع الله ـ ولو كان موسى قد مضى عليه وقت فى النبوة وعرف أحوالها وشئون الأنبياء مع الله لما قال ذلك . ولعلم ان هذا الشرف لا ينبغى ان يقابل بما قاله ـ وكذلك حين ألقى العصا فرآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب . فقال الله تعالى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون ـ فهذه المقالة تعليم من الله له ما لا يعلمه من شأن رسل الله تعالى

ومن هذا القبيل ما أورده الطبرى بسنده فى تاريخه من ان رسول الله لما هب من نومه حافظا لقوله تعالى اقرأ باسم ربك الأعلى الى آخره ـ فكر فى نفسه وقال (الأبعد شاعر أو مجنون) وكان أكره شيء الى نفسه ان يرى شاعرا او مجنونا وخشي ان تتحدث قريش عنه بأنه شاعر او =

أبق الى الفلك ثم كان من المدحضين والتقمه الحوت ثم دعا الله فجعل الحوت يلفظه وأنبت عليه اليقطينة ثم أرسله الى أهل القرية التى أمره الله بالذهاب اليها فآمنوا ولم يكن بين دعوتهم الى الايمان وبين تلبيتهم دعوته فرجة يذهب فيها مغاضبا بعد أن تقدمت المغاضبة ولقى جزاءه عليها فاصحاب هذا الفرض يناقضون الكتاب ويخالفون ما يدل عليه ظاهره بدون داع لذلك .

وأما ما يدل عليه ظاهر قوله تعالى فظن ان لن نقدرعليه) فتأويله . فظن ان لن نضيق عليه أى ظن اننا نوسع عليه فى الذهاب عن القوم الذين أرسل اليهم ولا نلجئه الى تبليغ رسالة الله تعالى اليهم . بدليل قراءة التشديد (نقدّر) وبذلك يندفع الاعتراض .

اقرءوا هذه الآيات

سورة الصافات ـ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ١٤١ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ١٤٢ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٤٤ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ١٤٥ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ١٤٦ وَأَرْسَلْنَاهُ

= مجنون فخطر له ان يذهب فيتردى من حالق من الجبل ـ فلما ذهب لتنفيذ ما عزم عليه نظر فى السماء فاذا شخص صاف قدميه يناديه ـ يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل ـ فكلما حول وجهه فى ناحية من السماء وجده يناديه ويقول له ذلك فصرفه ذلك عن تنفيذ ما اعتزم عليه فرجع الى خديجة وقال لها لقد خشيت على نفسى

فكيف حدثته نفسه بالتردى بعد ما جاءه الوحى ؟ أليس ذلك يعد هربا من الرسالة وهل كان يحدث منه ذلك بعد أن تتابع الوحى ومضى عليه زمن يؤدى فيه رسالة الله ؟

جعل البخارى هذه الحادثة بعد أن فتر الوحى وان رسول الله قد هم مرارا بالتردى من الجبل وما كان يصده عن تنفيذ ذلك الا تبدى جبريل له وقوله له فى كل مرة (يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل) ولو كان رسول الله قد علم أحوال النبوة وكل شىء من أحوال الأنبياء بالنسبة الى الله لما كان فى احتياج الى ان يعرفه ورقة بن نوفل ان الذى رآه انما هو الناموس الأكبر الذى كان ينزل على موسى بما تقدم

يعلم القارىء الكريم انى لم أقارف اثما فى جنب نبى الله يونس بن متى وان كلامى له وجه صحيح لا غبار عليه . وكلام اللجنة تأثيم لى بغير سلطان أتاهم وبغير بينة ولا هدي ولا كتاب منير .

الَى مِائَةِ الْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَآمَنُوا فَمَتَّعنَاهُمْ الَى حِينٍ ١٤٨ ومعنى اللبث فى بطنه انه لايخرج منه حياً - لا انه يبقى حيا الى يوم البعث ثم يخرج لذلكَ .

والذى تلخص لى من امر يونس على ضوء ما جاء فى الكتاب الكريم أن يونس عليه السلام أمره الله بالذهاب الى قوم ليسوا من عشيرته ولا من بلده ويقول بعض المفسرين أنهم أهل (نينوى) فخشى أن ينالوه بالاذى لأنه ليس بذى عصبية بينهم تقوم بنصره ومنعه وتاول الأمر على انه امر إرشاد كما ناول الفقهاء عندنا الأمر بكتابة الدين انه امر ارشاد . وظن ان الله تعالى لن يضيق عليه ولن يلزمه بالذهاب اليهم وانه تعالى ليس بمسبوق على ان يرسل اليهم من هو أشد منه قوة وانفذ قولا بينهم فذهب ليبتعد عن ناحيتهم فاوى الى الفلك المشحون فكان ما كان من اضطراب الفلك حتى اضطر أهله الى أن يساهموا على من يلقى فى البحر من الركاب فخرج سهمه الى ان كان من المدحضين . وقيض الله حوتا لعله قيطس لالتهامه فمكث فى بطنه ما شاء الله أن يمكث مما لا أتعرض لتحديده فاقول لفظه كما ابتلعه أومكث فى بطنه ثلاثا أو سبعا أو أكثر أوأقل . فنبذه بالعراء وهو سقيم . وان الله أنبت عليه شجرة من يقطين فلما فرح بها وارتفق بفيئها سلط الله عليها حيوانا قارضا فاكل اصلها ولفحتها ريح السموم فذوت وشق ذلك على نفسه . فافهمه الله انه قد ناله الأسف على يقطينة ليس لها شان وقد اهتم بها . أفلا يهتم الله تعالى ويوجه عنايته الى قرية فيها أكثر من مائة الف يريد انقاذهم من ضلالهم ويقيهم نزول الغضب بهم ثم أرسله اليهم فآمنوا .

وفى اعتقادى ان يونس كلف بالذهاب الى اولئك القوم عقيب نبوته ولم يكن قد مرن على النبوة وواجباتها وآداب اهلها . لأن العلم بذلك يستدعى مدة وتكرر الوحى والازدياد من معرفة الله تعالى والارتياض على الوحى وتلقيه فحداثته فى النبوة هى التى خيلت اليه ماقلنا من أنه خيل اليه أنه بابتعاده وتغربه فى البلاد ربما استتبع اعفاءه من تلك المأمورية . أضف إلى ذلك أنه كان حدث السن فقد أورد الألوسى فى تفسيره أن سنه كانت ثمانيا وعشرين سنة ومن كان حديث العهد بالنبوة وفى مثل سن يونس يغتفر الله تعالى لهم بعض ماعملوه عن غير تمرد وقصد جازم الى المعصية

يونس عليه السلام عند أهل الكتاب

يسمى يونس عليه السلام عند أهل الكتاب يونان بن أمتاى . وله كتاب فى ضمن الكتب القانونية التى قبلتها الكنيسة . وكتابه يقع فى أربعة اصحاحات (فصول)

ومضمونه أن الله أمر يونان أن يذهب إلى نينوى لأن شرهم قد كثر . فقام يونان ليهرب إلى (ترشيش) من وجه الرب فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فنزل بعد أن دفع الأجر. فارسل الله ريحا شديدة فحصل نوء عظيم حتى كادت السفينة تغرق ويهلك من فيها . وكان كل واحد ينادى إلهه ويونان نائم فى قاع السفينة فايقظوه . وعملوا قرعة لمعرفة من كان سببا فى غضب الله فخرجت القرعة عليه وحدثهم بقصته وأرادوا الرجوع الى الساحل فلم يقدروا فاشار عليهم بان يلقوه فى اليم ليسكن عنهم غضب الله فالقوه فالتقمه حوت عظيم وسكن هيجان البحر عن القوم - فدعا يونان إلهه من جوف الحوت وتضرع واستغاث وظل على ذلك ثلاثة أيام وثلاث ليالى . ثم لفظه الحوت بالساحل ثم أمره الله أن يذهب الى نينوى . فذهب وأوحى اليه أن ينادى بان نينوى ستهلك بان تنقلب على أهلها بعد أربعين يوما . فآمن أهل نينوى بالله وصلوا وصاموا وتضرعوا إلى الله وأنابوا . وبلغ الأمر ملك نينوى ففعل مثل أهل مملكته وأمر بفصل صغار البهائم عن امهاتها والحيلولة بين الدواب والعلف والماء

ولما مضت الاربعون لم يحصل لأهل نينوى شىء مما أنذروا به . اغتم يونان لأن وعيده لم يتحقق فخرج من المدينة واتخذ لنفسه كنا يكون فيه . فانبت الله عليه يقطينة فأسرعت فى النمو وأظلت كنه بأوراقها ففرح بها وفى اليوم الثانى سلط الله عليها دودة فأكلت أصلها وهبت عليها ريح حارة فجففتها . فاغتاظ يونان وقال موتى خير من حياتى . فأوحى الله اليه . هل اغتظت من أجل اليقطينة ؟ فقال (اغتظت بالصواب حتى الموت) فقال الله له : اشفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها التى بنت ليلة نبتت وبنت ليلة هلكت أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى يوجد فيها أكثر من اثنتى عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم وبهائم كثيرة ؟ هذا مجمل لما جاء فى كتاب يونان — والحق ما جاء فى القرآن الكريم

آيات عامة

بما نزل على الأمم الخالية من العذاب لما كذبوا رسلهم

سورة الأعراف — وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩٥ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٩٦ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ
نَائِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ٩٨ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ٩٩ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ١٠٠ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ١٠١
وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ١٠٢

سورة التوبة — أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٧٠

سورة هود — وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ
قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ٨٩

سورة ابراهيم — وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٤ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ٩

ومنها أيضا (سورة هود) — ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ١٠٠ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ١٠١ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ١٠٢

سورة الاسراء — وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ١٦ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ١٧

سورة الحج — وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ٤٣ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ٤٥

سورة الفرقان — وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٧ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ٣٨ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ٣٩ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا

لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ٤٠

سورة الشعراء ـ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ٢٠٨ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ٢٠٩

سورة العنكبوت ـ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ٣٨ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠

سورة فاطر ـ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ٤

ومنها أيضا ـ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ٢٥ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦

سورة غافر ـ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ٣٠ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ٣١

سورة فصلت ـ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ

سورة ق ـ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤

سورة الحاقة ـ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ١٠

سورة الفجر ـ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ١٤

آيات عامة

ذكر فيها أسماء بعض الأنبياء والمرسلين إجمالا

سورة البقرة ـ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ١٣٦

سورة آل عمران ـ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤

ومنها أيضا ـ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ٨٤

سورة النساء ـ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ

وَاسْمَاعِيلَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ١٦٤ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥

سورة الأنعام ـ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا ابْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ انَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَالْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٥ وَاسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٦ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَاخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ الَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٧

سورة الأنبياء ـ وَاسْمَاعِيلَ وَادْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ٨٥ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا انَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦

سورة الأحزاب ـ وَاذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَابْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٧

سورة ص ـ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا ابْرَاهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ٤٥ انَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ٤٦ وَانَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ٤٧ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا اسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٤٨

زكريا عليه السلام

ذكر زكريا فى القرآن الكريم ثمان مرات — فى الآية ٣٧ و٣٨ من آل عمران وفى آية ٨٥ من الأنعام وفى ٢ ، ٧ من مريم وفى ٨٩ من الأنبياء

وذكر يحيى فى ٣٩ آل عمران وفى ٨٥ الأنعام وفى ٧ و١٢ مريم وفى ٩٠ الأنبياء

لم يذكر نسب زكريا فى القرآن ولا فى كتب الأنبياء عند أهل الكتاب

ويوجد زكريا آخر ليس له قصة فى القرآن أصلا — وهذا له كتاب من الكتب القانونية عند النصارى

وهو زكريا بن برخيا وكان فى زمن داريوس اى قبل زمن المسيح بما يقرب من ثلاثة قرون وهو الذى تكلم فى كتابه فى الفصل التاسع عن ولاية عمر بن الخطاب وغلبه على أورشليم ودخوله اليها منصورا وادعا راكبا على حمار . والنصارى يؤولونه بالمسيح واليهود يؤولونه بمسيحهم المنتظر وهو المسيح الدجال

اما زكريا ابو يحيى فيظهر انه كان ممن لهم شركة فى خدمة الهيكل وعلى ذلك فهو لاوى

وسيأتى ان امرأة عمران والدة مريم لما نذرتها لخدمة الهيكل جاءت بها الى خدام الهيكل فكل واحد منهم أراد ان يكفلها وألقوا قرعة على ذلك فكانت مريم نصيب زكريا فقام بامرها كما قال تعالى (وكفلها زكريا) وقد أشار القرآن الكريم الى القرعة فى شأنها فى قوله تعالى . (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون)

كان زكريا زوجا لخالة مريم والتعبير بابنى الخالة فى حديث المعراج فيه تجوز على ذلك

لما رأى زكريا آيات الله الباهرات واكرامه تعالى لمريم ورزقها من حيث لا تحتسب كان يسألها . يامريم أنى لك هذا ؟ فتقول هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب

كان زكريا قد بلغ من الكبر عتيا واشتعل رأسه شيبا وامرأته عاقرا لا تلد وبلغ درجة اليأس من أن يكون له ولد — وكان يخشى على بنى اسرائيل ان يتولوا بمواليه الذين يلون الرياسة فيهم بعده لما يعلم من حالهم وعدم استمساكهم بالشريعة . فحفزه ما يراه من اكرام الله تعالى لمريم على

أن يطرق باب الدعاء لله ليرزقه ذرية طيبة ليذهب من الدنيا مطمئنا وكان يناجى ربه بما فى نفسه - فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصـــدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا (لا يأتى النساء) ونبيا من الصالحين - فراجع زكريا قائلا أنى يكون لى ولد وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر؟ - فقيل له الله يخلق ما يشاء - فسأل الله آية على ان ذلك سيكون . وأعلمه الله ان اية ذلك أن يعجز عن الكلام مع الناس ثلاثة أيام لا يكلمهم إلا رمزا وكان ذلك . وحملت زوجه بيحيى - ولعل والد زكريا كان اسمه برخيا أيضا . لأنه جاء فى انجيل برنابا ان المسيح قال لليهود - ستأتى عليكم دماء الأنبياء الذين قتلتموهم الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح - ويذكر المفسرون ان زكريا والد يحيى قتل فى الحادث الذى قتل فيه ابنه .

يحى عليه السلام

اليصابات

كان حمل زوجة زكريا ويقول أهل الكتاب ان اسمها (حنة) فى الزمن الذى كانت مريم حاملا فيه بعيسى — وولد يحي وليس لدينا ولا لدى أهل الكتاب شأن عن طفولته غير انهم يقولون انه كان ياوى الى البرية ويأكل جرادا وعسلا بريا

كان يحي بارعا فى الشريعة الموسوية ومرجعا مهما لكل من يستفتى فى أحكامها ـ وكان أحد حكام فلسطين يقال له هيرودس وكانت له بنت أخ يقال لها هيروديا بارعة الجمال . أراد عمها ان يتزوج منها وكانت البنت وأمها تريدان ذلك غير ان يحي لم يرض عن هـذا الزواج لأنه محرم وعرف عنه انه معارض فى ذلك ـ فانتهزت أم الفتاة اخراج فتاتها الى عمها فى زينتها ـ ورقصت أمامه فسر منها وطلب اليها ان تقول ما تتمناه ليعمله لها . وكانت أمها لقنتها انها اذا قال لها عمها ذلك تطلب منه رأس يحي بن زكريا فى هـذا الطبق ففعلت ووفى لها عمها الحاكم بذلك وقتل يحي

واليهود يختلفون فى مسألة التزوج ببنت الأخ وبنت الأخت فيجيزها القراءون ويمنعها الربانيون وحجة الأولين ان بنت الأخت وبنت الأخ لم تذكر حرمتهما فى التوراة

وقد كان يحي على أكمل أوصاف الصلاح والتقوى منذ صباه وقد قال الله تعالى فيه واتيناه الحكم صبيا والظاهر ان الله تعالى رزقه الاقبال على معرفة الشريعة حتى صار عالما بها فى صباه ـ وقد نبىء قبل ان يبلغ الثلاثين ـ وكان يدعو الناس الى التوبة من الذنوب وكان يعمدهم أى يغسلهم فى نهر الأردن للتوبة من الخطايا وقد اعتمد منه المسيح وهم يسمونه يوحنا المعمدان وقد سئل من اليهود هل هو المسيح فاجاب أن لا ـ فسئل هل هو النبى فاجاب ان لا . فقالوا له لما ذا تعمد اذا لم تكن المسيح ولا النبى ؟ فقال أنا صوت صارخ فى البرية هيئوا طريق الرب وافعلوا سبله مستقيمة وبذلك انتهى شأن يحيى عليه السلام

ولما بلغ المسيح ان يحي قد قتل جهر بدعوته وقام فى الناس واعظا

اقرءوا الآيات الآتية

سورة ال عمران - إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ انِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى انَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ انِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ انَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً انَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ٣٨ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّٰهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِى آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِىِّ وَالابْكَارِ ٤١

سورة مريم — ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَانِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ الِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ يَازَكَرِيَّا انَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِى آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى الَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ

صَبِيًّا ١٢ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ١٣ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ

يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١٥

سورة الأنبياء — وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٨٩ فَاسْتَجَبْنَا

لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ٩٠

عيسى عليه السلام

جدول أرقام الآيات التى ذكر فيها عيسى عليه السلام - نسب المسيح عند النصارى نسب المسيح فى انجيل متى - نسب المسيح فى انجيل لوقا - مريم بنت عمران - تبشير مريم بعيسى - حملها بالمسيح وولادتها إياه - أنباء الملاك جبريل يوسف بحبل العذراء مريم - مريم تفكر فى أمرها - ختان المسيح - المجوس ويسوع - ذهاب يوسف ومريم بالمسيح إلى مصر - المسيح أيام صباه - يسوع يحاج العلماء - كيف ابتدأت نبوة المسيح - يسوع وهو ابن الثلاثين يتلقى على جبل الزيتون الانجيل من الملاك جبريل - نبوة المسيح على رأس ثلاثين سنة - معنى كلمة الانجيل - المهمة التى جاء لها المسيح - الاناجيل الموجودة الآن - انجيل برنابا - الحواريون - تنبيه معجزات عيسى عليه السلام - خاتمة أمر المسيح - دقيقة ينبغى التنبه لها - الشبه والاشتباه - اليهود وصلب المسيح - خاتمة شأن المسيح عند النصارى - عقيدة الصلب والفداء وثنية - الأناجيل وصلب المسيح - بعد القبض على يسوع - قيام المسيح من القبر - المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله - حجة المسيحيين فى الهية المسيح - الثالوث - ابن - روح - موقف للمسيح لم يذكر فى القرآن - موقف المسيح فى اليوم الآخر

هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . وهو آخر أنبياء الله ورسله من بنى اسرائيل كما ان آخر الأنبياء والرسل من بنى الانسان جميعا محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ذكر اسمه فى القرآن بلفظ المسيح تارة وهو لقب له وبلفظ عيسى وهو اسمه العلمى وهو بالعبرية (يشوع) أى المخلص إشارة الى أنه سبب لتخليص كثيرين من آثامهم وضلالهم . وبكنيته (ابن مريم) تارة أخرى

ومن الجدول الآتى تتبين انه ذكر فى ثلاث عشرة سورة فى القرآن الكريم فى ثلاث وثلاثين آية منه وسيأتى ذلك وها كم الجدول بذلك

جدول أرقام الآيات التى ذكر فيها سيدنا عيسى عليه السلام

اسم السورة	رقم السورة	عدد الآيات	ارقام الآيات	المسيح	عيسى	ابن مريم
البقرة	٢	٣	٨٧		—	—
			١٣٦		—	
			٢٥٣		—	—
آل عمران	٣	٥	٤٥	—	—	—
			٥٢		—	
			٥٥		—	
			٥٩		—	
			٨٤		—	
النساء	٤	٤	١٥٧	—	—	—
			١٦٣		—	
			١٧١	—	—	—
			١٧٢	—		
المائدة	٥	٩	١٧	٢		٢
			٤٦		—	—
			٧٢	٢		—
			٧٥	—		—
			٧٨		—	—
			١١٠		—	—
			١١٢		—	—
			١١٤		—	—
			١١٦		—	—

ملاحظة : الآية المؤشر عليها برقم ٢ هكذا ٢ تدل على أن الاسم ذكر فيها مرتين

تابع جدول أرقام الآيات التي ذكر فيها سيدنا عيسى عليه السلام

اسم السورة	رقم السورة	عدد الآيات	ارقام الآيات	المسيح	عيسى	ابن مريم
الانعام	٦	١	٨٥		—	
التوبة	٩	٢	٣٠	—		
			٣١	—		—
مريم	١٩	١	٣٤		—	—
المؤمنون	٢٣	١	٥٠			—
الاحزاب	٣٣	١	٧		—	—
الشورى	٤٢	١	١٣		—	
الزخرف	٤٣	٢	٥٧			—
			٦٣		—	
الحديد	٥٧	١	٢٧		—	—
الصف	٦١	٢	٦		—	—
			١٤		—	—
		٣٣		١١	٢٥	٢٣

نسب المسيح عند النصارى

ان النصارى اذا ذكروا نسب المسيح فانما يذكرون نسب يوسف النجار بناء على أن المسيح كان يدعى يسوع بن يوسف النجار .

أما يوسف النجار فهو شاب صالح من شبان اليهود من قوم مريم ويقول لوقا فى الاصحاح الأول فى الفقرة ٢٧ من انجيله انه من بيت داود — وكانت مريم مخطوبة ليوسف قبل أن تحمل بالمسيح . ولما وجدت حاملا أسر فى نفسه أن يتركها ولا يشهر بها لأنه كان بارا فامر فى منامه بامساكها لأنها بريئة من الدنس متى ص ١ - ٢٠

ونشأ يسوع (عيسى) وهو مشهور بانه ابن يوسف النجار . ويقول برنابا ان مريم اتخذت يوسف النجار عشيرا لها من حين أحست بالحمل

أقول . وهذه العادة — عادة اتخاذ العشير موجودة فى اليهود الى اليوم . يأتى الشاب الى أهل الفتاة ويخطبها . وحينئذ يتعاشران بدون اتصال زوجى ويقيمان على ذلك مدة كافية حتى اذا رضيت أخلاقه ورضيها أتما الزواج ودخل بها وعاشرها معاشرة الأزواج . واذا لم يرض أحدهما أخلاق الآخر فسخت الخطبة وذهب كل منهما لسبيله . كل ذلك ولا يكون بينهما اتصال زوجى أصلا الى أن يتم الزواج

وقد اختلف المسيحيون فى نسب المسيح الذى هو نسب يوسف النجار اختلافا ظاهرا لا مفر للمطلع عليه من الحكم بتناقض كل من متى ولوقا فى ذلك النسب وهما المنفردان بذكره من بين سائر من كتبوا الأناجيل .

نسب المسيح فى انجيل متى

يسوع بن يوسف النجار بن يعقوب بن متان بن اليعازر بن اليهود بن اخيم بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن ابيهود ابن زربابل بن شلتائيل بن يكنيا بن يوشيا بن أمون بن منسا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عزيا بن يورام بن يهوشافط بن آسيا بن أبيا بن رحبعام بن سليمان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون ابن نحشون بن عميناداب بن آرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم .

نسب المسيح فى انجيل لوقا

يسوع بن يوسف النجار بن هالى بن متثان ابن لاوى بن ملكى بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحوم بن حسلى بن نجاى بن ماث بن متاثيا بن شمعى بن يوسف بن يهوذا بن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شلتائيل بن نيرى بن ملكى بن ادى . بن قصم . بن المودام بن عير بن يوسى . بن اليعازر بن يوريم بن متثان بن لاوى بن شمعون بن يهوذا بن يوسف بن يونان بن الياقيم بن مليان بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود بن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم

اذا قارنا بين النسبين وجدنا (١) متى يقول . ان يوسف بن يعقوب - ولوقا يقول - يوسف بن هالى (٢) متى يقول ان المسيح من أولاد سليمان بن داود ولوقا يقول . انه من أولاد ناثان بن داود (٣) متى يقول ان آباء المسيح من داود الى جلاء بابل سلاطين مشهورون . ولوقا يخالفه ويذكر أنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان (٤) ذكر متى أن شلتائيل بن يكنيا ولوقا يقول انه ابن نيرى (٥) يقول متى ان ابن زربابل أبيهود ويقول لوقا أن اسمه ريسا مع أن اسماء بنى زربابل مكتوبة فى الاصحاح الثالث عشر من السفر الأول من أخبار الأيام وليس فى أسمائهم أبيهود ولا ريسا (٦) يقول متى ان بين داود والمسيح ستة عشر جيلا ويقول لوقا أن بينهما واحدا وأربعين جيــلا . وهو تخالف لا مبرر له سوى انهم يكتبون بلا تحقيق وكل محاولة للجمع بينهما فاشلة

أما مريم عليها السلام فقد ذكرت فى القرآن الكريم إحدى عشرة مرة فى سورة آل عمران فى الآيات ٣٦ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ .

وفى سورة مريم فى اية ١٦ و ٢٧ وفى سورة المؤمنون اية خمسين وفى سورة الزخرف اية ٥٧ وفى سورة التحريم اية ١٢ وفى سورة النساء اية ١٥٦

وقد ذكرت بدون اسمها العلمى فى قوله تعالى والتى أحصنت فرجها .

وقد ذكرت قصة المسيح فى القرآن متعددة منها ما حصل فى هذا العالم ومنها ما هو مزمع أن يقع يوم الدين وسيأتى ذلك كله .

ولما كانت مريم أم عيسى متقدمة عليه فى الوجود كان وجودها وأحوالها ارهاصا بوجوده وما ينتظر أن يكون منه أحببنا تقديم قصصها ومواقفها قبل الكلام على مواقف ابنها عيسى عليه السلام

مريم بنت عمران

كان عمران أبو مريم رجلا عظيما بين العلماء فى بنى اسرائيل وقد حملت زوجه فنذرت ان تجعل ما فى بطنها من الحمل محررا لخدمة الهيكل ، فلما وضعت تبينت أن الجنين الذى انفصل منها انثى . وكانت ترجو أن يكون ذكرا ليخدم فى بيت الله ، فتوجهت الى الله تعالى كالمعتذرة أو الآسفة قائلة (رب إنى وضعتهـا أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ولكن الله تعالى تقبل تلك المولودة بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا

والظاهر أن عمران قد توفى وابنته صغيرة تحتاج الى من يكفلها ويقوم بشأنها فلما قدمتها أمها الى رعاة الهيكل اختلفوا فيمن يقوم بكفالتها وألقوا على ذلك قرعة . فكان الكافل لها زكرياء والد يحيى عليه السلام . كما قدمنا

كان زكريا زوجا لخالة مريم . وفى أثناء رعايته لمريم كان يجد عندها رزقا من رزق الله لم ياتها به ولا وجود له عند الناس فى ذلك الوقت ، فيسائلها قائلا (يامريم أنى لك هذا) فتجيبه قائلة . (هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)

وكانت ملائكة الله تعالى تاتى الى مريم وتخبرها باصطفاء الله تعالى واجتبائه اياها وتطهيرها من الأرجاس والادناس وتحثها على الاجتهاد فى العبادة والقنوت لله .

هكذا نشأت مريم على الطهارة والبعد عن كل دنس ودامت على ذلك .

اقرأوا هذه الآيات : —

سورة ال عمران . انَّ اللّٰهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ ابْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا
مِنْ بَعْضٍ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ اذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ
مِنِّى انَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا
رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا
رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ انَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧

ومنها أيضا ـ وَإذْ قَالَت ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ ٤٢ يَا مَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ ٤٣ ذٰلِكَ مِنْ أنْبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذْ يُلْقُونَ أقْلَامَهُمْ أيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ٤ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ ٤٤

وليس عند أهل الكتاب كلام فى ولادة مريم وكفالة زكريا إياها ولا نذرها .

تبشير مريم بعيسى

نشأت مريم نشأة طهر وعفاف وبعد عن الاسفاف الى رذيلة مكلوءة بعناية الله محروسة بحراسته فلما بلغت مبلغ النساء وُجِدت وقتا فى خلوة وحدها فلم ترع الا بالملك جبريل الذى أرسله الله اليها جاءها على صورة فتى فأخذها الرعب وظنته يريد بها سوءا فاستعاذت منه ووصفته بعدم التقوى قائلة (إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) ـ والذى أميل اليه ان (إن) نافية ـ فاعلمها أنه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاما زكيا ـ فاخذها العجب من ذلك . إذ كيف يكون لها ولد وهى لم يمسها أحد من الناس . فهون عليها الأمر وأحال على قدرة الله تعالى وهو الاله الذى لا يعجزه شىء ونفخ فى جيب درعها فاذا هى حامل .

وفى بعض الآيات عبر الله عن الروح الذى جاءها بالملائكة بلفظ الجمع والجمع ليس مقصودا ولكن المقصود ان الذى كلمها كان من ذلك الصنف من خلق الله بدليل قوله بعد ذلك (قال كذلك) بالأفراد .

وكان فيما أخبرها الملك به ان ابنها يسمى المسيح عيسى بن مريم وانه يكون وجيها فى الدنيا والآخرة وأنه يكون من المقربين . وأنه يكلم الناس فى المهد وكهلا للاشارة الى أنه يكلمهم فى المهد بكلام انما يصدر مثله ممن كان كهلا وأن الله تعالى سيعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ويعطيه الانجيل أى البشارة وأنه سيكون آية للناس على قدرة الله تعالى ورحمة منه لعباده إذ نصب لهم به سبيل الخلاص مما هم فيه من أحوال يتركسون فيها إذ كان اليهود قد صاروا الى المادية وتجاوزوا حدود الله ولم يراعوا كتابه فأحلوا حرامه وحرموا حلاله فجاء لهدايتهم وردهم عن ضلالهم

والمسيح فى العبرية يطلق بالاشتراك على النبى والملك ـ وليس المراد أنه سيصير ملكا على

بنى اسرائيل بل هو اسم كما تسمى ولدك سلطانا أو أميرا - وقد يكون المراد أنه يأتيهم بمملكة الأخلاق والفضائل والرحمة وأنه يكون فى هذه الفضائل رأسا . وقد يكون المراد بكونه مسيحا أنه يكون نبيا

اقرأوا هذه الآيات : —

سورة آل عمران : إذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ انَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٦
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ . قَالَ كَذَٰلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ اذَا قَضَى أَمْراً فَانَّمَا يَقُولُ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٤٧ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْانْجِيلَ ٤٨ .

سورة مريم : وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ اذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً ١٦ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ
حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا الَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِياً ١٧ قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِياً ١٨
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِياً ١٩ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِى غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِياً ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِياً ٢١

أما كتاب الأناجيل فلم يتكلم أحد منهم على تبشير مريم بولادة عيسى سوى لوقا .

فقد جاء فى ص ١ آية ٢٦ وفى الشهر السادس (أى من حمل اليصابات زوج زكريا) أرسل جبريل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ٢٧ الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم ٢٨ فدخل المـــلاك وقال سلام أيتها المنعم عليها . الرب معك مباركة انت فى النساء ٢٩ فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ٣٠ فقال لها الملاك لاتخافى يامريم لانك قد وجدت نعمه عند الله ٣١ وها انت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ٣٢ هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود ابيه ٣٣ ويملك على بيت يعقوب ولايكون لملكه نهاية

٣٤ فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ٣٥ فاجاب الملاك وقال لها.

الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله ٣٦ وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضا حبـــلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ٣٧ لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله ٣٨ فقالت مريم هوذا . أنا أمة الرب ليكن لى كقولك فمضى من عندها الملاك

وفى انجيل برنابا فى الفصل الأول مانصه

١ — لقد بعث الله فى هذه الأيام الأخيرة بالملاك جبريل إلى عذراء تدعى مريم من نسل داود من سبط يهوذا ٢ بينما كانت هذه العذراء العـائشة بكل طهر بدون ادنى ذنب المنزهة عن اللوم . المثابرة على الصلاة مع الصوم يوما ما وحدها وإذا بالملاك جبريل قد دخل مخدعها وسلم عليها قائلا « ليكن الله معك يامريم »

٢ — فارتاعت العذراء من ظهور الملاك ٤ ولكن الملاك سكن روعها قائلا لاتخافى يامريم لانك قد نلت نعمة من لدن الله الذى اختارك لتكونى ام نبى يبعثه الى شعب اسرائيل ليسلكوا فى شرائعه باخلاص ٥ فاجابت العذراء وكيف الدبنين وأنا لا اعرف رجلا ؟ ٦ فاجاب الملاك . يامريم ان الله الذى صنع الانسان من غير انسان لقادر أن يخلق فيك إنسانا من غير إنسان لأنه لامحال عنده ٧ فأجابت مريم انى لعالمة أن الله قدير فلتكن مشيئته ٨ فقال الملاك كونى حاملا بالنبى الذى ستدعينه يسوع ٩ فامنعية الخمر والمسكر وكل لحم نجس لأن الطفل قدوس الله ١٠ فانحنت مريم بضعة قائلة ها أنا ذا أمة الله فليكن بحسب كلمتك ـ أقول .

أما قول لوقا (وابن العلى يدعى) وكذا قوله (المولود منك يدعى ابن الله) وقوله (ويعطيه الاله كرسى داود أبيه) فان هذه العبارات تفرد بها لوقا ولم يذكرها أحد من كتاب الاناجيل سواه ونحن لانقول بان الالهام قصر معهم ـ وفيهم أصحاب المسيح المشاهدون لاحواله العالمون بشأنه وأفاض على لوقا الذى ليس تلميذا ولا من الاثنى عشر بل رجل دخل فى الدين متأخرا وصار تلميذا لبولس الذى لم ير المسيح ولم يعاشره . فهذه العبارة مما جاء به ليزين أمر المسيح ويدخل على الناس تعظيمه والمسيح ليس فى حاجة إلى ذلك وقد أورد صاحب (الفارق بين المخلوق والخالق) وجهين وجيهين فى الطعن على هذه الجمله وهى (ويعطيه الآله كرسى داود أبيه)

الأول ـ أن عيسى عليه السلام من أولاد يواقيم لايصلح أن يجلس على كرسى داود لأنه لما احرقت الصحيفة التي كتبها بارخ من فم النبى أرمياء عليه السلام نزل الوحي إلى أرمياء فقال كما

فى ف ٣٠ من ص ٣٦ من كتاب أرمياء هكذا يقول الرب ضد يواقيم ملك يهوذا لا يكون منه جالس على كرسى داود

الثانى – أن المسيح مع كونه لم يجلس على كرسى داود . فهذا بيلاطس أمر بضربه واهانته وسلمه لليهود كما يزعم النصارى ففعلوا به مافعلوا ثم صلبوه .

على أنه يعلم من انجيل يوحنا فى ص ٦ أنه كان هاربا من قومه عند ما أرادوا أن يجعلوه ملكا . ولا يتصور أنه يهرب من أمر بعثه الله لأجله على مابشر جبريل أمه العذراء قبل ولادته . ومعلوم أنه لم يملك بيت يعقوب ساعة فضلا عن الابد

وأما قوله وابن العلى يدعى . فهذه الجملة منتزعة من قول زكريا عليه السلام فى ابنه يوحنا (يحيى) (وأنت أيها الصبى نبى العلى) فحرفت فى حق عيسى عليه السلام إلى قول لوقا على لسان الملك (وابن العلى يدعى) ليوهموا الناس أن المسيح اله بن اله

حمل مريم بالمسيح وولادتها إياه

حملت مريم عليها السلام بالمسيح بمجرد نفخ الملك فى جيبها وطبيعى أنها قد مرت بجميع أدوار الحمل الى أن ولدته

والقرآن الكريم لم يذكر عن تلك الأدوار شيئا ويقول البيضاوى وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة . كما حملته نبذته اه

والذى أميل اليه أن كل هذا تكلف من أصحاب هذه الأقوال . لأن أمره فى الحمل لما كان عجيبا أرادوا أن يجعلوه فى مدة الحمل أيضا عجيبا . ونحن ليس فى ايدينا ما يثبت العجيبة فى مدة الحمل فالأليق أن يحمل على الأمر الطبيعى الذى جرت العادة بمثله

ولما حان انفصال جنين مريم ألجأها المخاض الى جذع نخلة هناك فى الموضع الذى فيه مدينة بيت لحم وهى على بضعة من الكيلومترات من بيت المقدس ويقول البيضاوى ان الزمن كان زمن شتاء والنخلة يابسة وانما كان مجيئها اليها لتستتر بها أو لتعتمد عليها

هنا حسبت مريم ألف حساب وحساب لما هى قادمة عليه من لوم اللائمين من قومها وماسيرمونها به من الفاحشة فقالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا (بالكسر والفتح) منسيا وهو اللبن المشوب بالماء يترك وينسى لحقارته فناداها مناد من تحتها أن لاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا

وهذا المنادى قيل هو جبريل كان فى مكان أسفل من مكانها وقيل المنادى هو عيسى عليه السلام

والسرى هو النهر وقيل الوجيه من النـاس ويؤيد كونه نهرا قوله بعد ذلك . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا . وقد أراد الله تعالى بهذا أن يسكن روعها ولتعلم أن من أوجد لها الرطب من النخلة اليابسة فى الشتاء ، وأوجد لها الماء الجارى فى تلك الهضبة التى كانت عليها من الجبل قادر أن يرد عنها عيب العائبين وقذف القـاذفين ـ فكلى واشربى وقرى عينا ، ولا يحزنك مايقولون فاذا رأيت من البشر أحدا فقولى أنى نذرت للرحمن صوما عن الـكلام فلن أكـلم اليوم أنسيا ، وفى ذلك الحين يتولى الله تعالى البرهنة على براءتها

بقى أن يقال

١ ـ كيف يتولد عيسى عليه السلام من نفخة الملك فى جيب قميص مريم ونحن لم نر انسانا أتى من غير مباشرة الرجل للمرأة

والجواب على ذلك أن أمر الحمل جاء عجيبا دالا على قدرة الله تعالى اذ جعل المرأة تأتى بانسان من دون مباشرة رجل اياها وهذا ليس بأعجب من خلق السموات والأرض ومافيها من عجائب ، بل ليس أعجب من خلق الانسان من رجل وامرأة مع المباشرة ، ولا من خلق الحيوان وتقلبه فى الأدوار الجنينية واحواله فى كل دور . كل ذلك ناطق بأنه صنع حكيم عليم قادر قدرة فائقة الوصف

والله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الـكريم (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) فاذا كان المعترض ممن يقول بآيات الله ويقر بان الله تعالى صنع العجائب لأنبيـائه وغيرهم فالخطب سهل . وان كان ممن لايقرون بالآيات مع الاقرار بوجود الاله القادر الحـكيم . قلنا وما تنـكر من صنع الله وهو الذى أوجد آدم من غير أب ولا أم ؟ فالذى صنع آدم سهل عليه أن يصنع عيسى دون أب ـ وهذا صنع الله فى كل حين يصدر على خلاف مامضت به السنة . فقد تضع المرأة قردا وهو من غير جنسها وقد تضع بعيرا أو شيئا آخر وهذا أمر يأتى فى كل حين وتطالعنا به الجرائد ـ فمن الجائز أن يأتى مولود كعيسى على خـلاف مامضت به عادة غير أمه من النساء فيـكون من أم بلا أب كما جاء آدم بلا أب ولا أم وقد قال الله تعالى . ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيـكون ـ وهى على كل حال أمر عجيب غريب اذ لم تجـر عادة النسـاء بهذا ؟ ان قدرة الله تعالى صغير فى جنبها ايجاد هـــذه العجائب ـ أيـكون خلق انسان بدون مباشرة رجل أعجب من خلق هذا العالم العلوى وايجاد الـكواكب السيارة والثابتة وتحرك كل فى مداره حركة منتظمة خاصة به على قانون متسق ولكل منها من الفوائد والتأثير فى هذا العالم الأرضى ماليس فى الآخر؟ ولا يعارض أحدها الآخر ولا تبطل دورته ولا عمله عمل الآخر ولا دورته —

وبعض هذه النجوم لا يصل الينا ضوؤه الا فى ملايين السنين الضوئيه وما كشف العلم من عجائب هذا الكون القريب والبعيد الا قليلا

ان أقرب عجائب المخلوقات التى تطالعنا بها الصحف ما جاء الى الاهرام ونشر بعدد يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٢٣ وهو الشهر الذى نحن فيه من فاقوس ، أن أحد الأهالى ولدت شاة عنده مولودا على هيئة القرد ، أى أنه أشبه بالقرد منه بولد الضأن . وفى كتاب حضرة الفاضل الياس الغضبان (تاريخ الانسان الطبيعى) من الهول والمخلوقات الشاذة التى لم تجر على السنن الطبيعى الغالب فى جنسها شىء كثير جدا يقضى بالعجب . فليكن حمل مريم على الوصف الذى أوردنا واحدا من هذه الحوادث التى جاءت على غير المعهود فى نوعها فتبارك الله أحسن الخالقين

٢ ـ مامبلغ سن مريم حين أتت بالمسيح عيسى ؟

الجواب ـ يقول البيضاوى فى تفسيره ان سنها كانت ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وانها حاضت قبل الحمل حيضتين فقط والذى اقوله انها كانت بلغت مبلغ النساء وكفى وأدع علم ما بقى من ذلك الى الله تعالى

٣ ـ ما الحكمة فى أمرها بهز جذع النخلة لتساقط عليها الرطب ولم كان رزقها رطبا ؟

والجواب أن مريم لم يكن لهــا فى ذلك الحين من يهتم بامرها . ولا تقدر وهى نفساء أن تجهز لنفسها الطعام ومايلزم لمثلها ممن هى فى حال النفاس ، وأيضا فان الرطب طعام وحلوى ولا يحتاج الى علاج ومعاناة صنع فكان ذلك رفقا بها ـ ويقول البيضاوى عن الرطب : أنه خرسة [1] النفساء الموافقة لها أى أنه أوفق طعام للوالدة

وقال البيضاوى أيضا أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله لها رأسا وفيها خوص وثمر . وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها

وانى لا أستبعد ذلك من قدرة الله تعالى والمعجزات ثابتة ولكن لا ينبغى لنا الاسراف فيها بدون برهان وهذا المقدار الذى بينه زائد عما ورد فى القرآن وفى غيره من الكتب التى تعرضت لهذا الموضوع فلا بد من التحفظ فى قبول مثل هذه الأشياء ونقول أنها كانت نخلة مثمرة

وأقول أيضا أن وجود النخل ببيت لحم وهى البلدة التى كانت بها مريم يوم ولادة المسيح نادر . وقد رأيت بكنيسة بيت لحم المبنية على موضع ولادة المسيح مكانا قد قور البلاط فيه . يقولون أن

---

(١) خرسة بفتحتين طعام النفساء كما فى القاموس

فى موضع هذا التقوير كانت النخلة التى وَلدَتْ عندها مريم

وهناك مذود الماشية التى وضعت طفلها فيه عقب ولادته لأنه لم يكن لها بيت يأويها فى ذلك البلد فأوت الى مكان الرعاة الذين كانوا غائبين بماشيتهم فى الرعى وولدت فيه ، وهناك واد عميق بجانب المدينة يقال له وادى الرعاة

وسبب وجودها ببيت لحم ان الحاكم فى ذلك الزمان أمر بعد الناس واثباتهم فى الدفاتر فجاءت مريم ومعها خطيبها يوسف النجار من ابناء عمومتها إلى بيت لحم ليثبت نفسه ومريم فى التعداد فكانت الولادة هناك ـ وأما السرى الذى هو النهر فلا وجود له فى ذلك المكان ولعله كان عينا فاضت زمنا ثم غاضت

اقرءوا هذه الآيات :

سورة آل عمران ـ انَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥٩

سورة مريم ـ فحملتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ٢٣ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا الَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤ وَهُزِّى الَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقَطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ٢٥ فَكُلِى وَاشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَامَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِى انِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ انْسِيًّا ٢٦

سورة الانبياء ـ وَالَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ٩١

سورة التحريم ـ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ١٢

لم يتكلم من أصحاب الاناجيل عن الحمل بالمسيح سوى متى ولوقا وعبارة متى مختصرة فقد جاء فى الآية ١٨ ص ١ ومابعدها . أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا ـ لما كانت مريم امة مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمع بها وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها ، أراد تخليتها سرا . ولكن فيماهو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم

قائلا يا يوسف بن داود ، لاتخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبـــل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم

وعبارة لوقا ص ١ - ٢٦ . وفى الشهر السادس (أى من حمل اليصابات زوج زكريا) أرسل جبريل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ٢٧ إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم ٢٨ فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت فى النساء ٢٩ فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت . ماعسى أن تكون هذه التحية ٣٠ فقال لها الملاك لاتخافى يامريم . لأنك وجدت نعمة عند الله ٣١ وها أنت ستحبلين وتلدين ولدا اسمه يسوع ٣٢ هذا يكون عظيما واستمر يقص قصتها بما يوافق ما جاء فى القرآن ولايخالفه وقد تقدم هذا

وجاء فى الفصل الثانى من برنابا

انباء الملاك جبريل يوسف بحبل العذراء مريم

أما مريم فاذا كانت عالمة مشيئة الله وموجسة خيفة أن يغضب الشعب عليها لأنها حبلى فيرجمها كأنها إرتكبت الزنا . اتخذت لها عشيرا من عشيرتها قويم السيرة يدعى يوسف لانه كان بارا متقيا الله يتقرب اليه بالصيام والصلاة ويرتزق بعمل يديه لأنه كان نجارا . هذا هو الرجل الذى كانت تعرفه العذراء واتخذته عشيرا . وكاشفته بالالهام الالهى ولما كان يوسف بارا عزم إذ رأى مريم حبلى على إبعادها لأنه كان يتقى الله وبينا هو نائم اذا بملاك الله يوبخه قائلا لماذا عزمت على ابعاد امرأتك . فاعلم أن ما كون فيها إنما كون بمشيئة الله فستلد العذراء ابنا وستدعونه يسوع تمنع عنه الخمر والمسكر وكل لحم نجس . لأنه قدوس الله من رحم أمه فانه نبى من الله أرسل الى شعب إسرائيل ليحول يهوذا الى قلبه ويسلك اسرائيل فى شريعة الرب كما هو مكتوب فى ناموس موسى وسيجىء بقوة عظيمة يمنحها له الله وسيأتى بآيات عظيمة تفضى الى خلاص كثيرين . فلما استيقظ يوسف من النوم شكر الله وأقام مع مريم كل حياته خادما لله بكل إخلاص .

هذا هو ما جاء فى الأناجيل وهو لا يخالف ما فى القرآن . غاية ما فى الأمر انها تزيد حكاية يوسف النجار وهى أمر مسكوت عنه . فلا نصدقها ولا نكذبها ويصح ايرادها

وقد ذكرت فيما مضى أن اليهود اليوم يختار الرجل لابنته منهم عشيرا يعاشرها فى بيت أبيها مدة من الزمن فاذا رضيته وضيها تم الأمر بالزواج ولكل منهما فى أثناء المعاشرة قبل الزواج أن يتخلى

عن الآخر .

مريم تفكر فى امرها

لم يكن علم مريم ببراءة ساحتها من الدنس بالشيء الذى يطمئن نفسها ، بل أخذت الهواجس تنتابها وتحسب لما سيقول الناس عنها الف حساب . ولقد زادت وساوسها حين أخذها المخاض ورأت ما سيحسبه الناس جريمة لها ماثلا أمام عينها ، فقالت ما قصه الله تعالى عنها فى قوله جل من قائل . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها أن لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا .

ولكنها كانت تريد الجواب الذى تجيب به لوامها والزارين عليها والمعيرين لها . فقال لها معلما ومرشدا . فاما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم أنسيا ، وكان الصوم عن الكلام ضربا من العبادة كما يفعل غاندى اليوم من الصوم عن الكلام يوما فى كل أسبوع

فلما أتت قومها وعلى يدها عيسى تحمله . ارتاعوا لهذا الحدث النازل والخطب العظيم ، وزاد فى ارتياعهم ما كانوا يعلمونه فيها من طهارة المنبت وطيب البيئة ونشاة التقوى التى نشاتها ، فاخرجهم ذلك الى الزراية عليها وتعنيفها على ما أتت به من أثم فى زعمهم ، وما قارفت من خطيئة ، وقالوا لها فيما قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا اى بديعا منكرا من الأثم يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا .

وهنا اختلف المفسرون فى قوله تعالى يا أخت هارون تلك الكلمة التى نطق بها قومها ، فقال بعضهم انها كانت من ذرية هارون عليه السلام فقالوا يا أخت هارون كما يقال للتميمى يا أخا تميم وللأزدى يا أخا الأزد وهذا يقتضى أن مريم وابنها من ذرية لاوى بن يعقوب وليس بشيء لأن شهرة انها من بيت داود لا تحتاج الى بيان ، وقد كان المسيح يعبر بقوله : قال أبونا داود وان أبانا داود كما تكرر ذلك فى انجيل برنابا ، وقد جاء فى الاناجيل قول بعض المرضى للمسيح يا ابن داود ارحمنى وداود من سبط يهوذا

وقال آخرون ان معنى يا أخت هارون تشبيه لها برجل فاسق كان فى زمانها يعيرونها بانها تشبهه ، كما تقول للرجل تريد وصفه بشدة البطش والقتل ظلما يا أخا أبى حريشة (وهو رجل كان

بالغربية زعيما للصوص وقد عمل أعمالا فظيعة وشنق فى طنطا سنة ١٣٠٢ وأهل الغربية يشبهون به كل فتاك الى اليوم) .

وقال آخرون ان هارون كان رجلا صالحا فى زمانها ، قالوا لها ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم بها لسوء جرمها فى نظرهم ، وهذا أقرب من سابقيه .

سمعت مريم هذا القول وهى قد نذرت الصمت فاشارت الى ابنها وهو فى المهد طالبة اليهم أن يوجهوا اليه كلامهم . فعدوا ذلك غريبا وقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . فلم يمهلهم عيسى أن أجابهم الجواب الشافى الدال على براءة أمه ، والمؤذن بانه سيكون من أهل العلم الذين آتاهم الله الكتاب ، وأنه سيجعله نبيا ويبارك فيه أينما توجه ، وان الله أوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته ، وأنه سيكون برا بوالدته وسيكون عبدا متواضعا لا جبارا شقيا ـ اقرأ هذه الآيات :

سورة مريم : فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ٢٧ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣

أما ما جاء فى كتب العهد الجديد متعلقا بولادته فها هو .

لم يذكر متى شيئا من مولده سوى أنه ولد فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك ١ ص ٢ متى وأما لوقا فذكر مولده باستفاضة .

ص ٢ لوقا ـ ١ وفى تلك الايام صدر أمر من أوغسطس قيصر بان يكتتب كل المسكونة . . . . فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته ٤ فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ٥ ليكتتب مع مريم المخطوبة وهى حبلى ٦ وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ٧ فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود إذ لم يكن لها موضع فى المنزل .

وقال برنابا فى الفصل الثالث .

١ كان هيرودس فى ذلك الوقت ملكا على اليهودية بأمر قيصر أوغسطس ٢ وكان بيلاطس

حاكما فى زمن الرياسة الكهنوتية لحنان وقيافا ٣ فعملا بأمر قيصر أكتتب جميع العالم ٤ فذهب إذ ذاك كل الى وطنه وقدموا أنفسهم بحسب أسباطهم ليكتتبوا ٥ فسافر يوسف من الناصرة الى إحدى مدن الجليل مع امرأته وهى حبلى ذاهبا الى بيت لحم (لأنها كانت مدينته وهو من عشيرة داود) ليكتتب عملا بامر قيصر ٦ ولما بلغ بيت لحم لم يجد فيها مأوى إذ كانت المدينة صغيرة وحشد جماهير الغرباء كثيرا ٧ فنزل خارج المدينة فى نزل جعل مأوى للرعاة ٨ وبينما كان يوسف هناك تمت أيام مريم لتلد ٩ فاحاط بالعذراء نور شديد التالق ١٠ وولدت ابنها بدون ألم ١١ وأخذته على ذراعيها ١٢ وبعد أن ربطته بالقمطة وضعته فى المذود ١٣ إذ لم يوجد موضع فى النزل ١٤ فجاء جوق غفير من الملائكة الى النزل بطرب يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفى الله ١٥ وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع وقاما على تربيته باعظم سرور .

فالقارىء يرى أن تلك الكتب لم تذكر أمر النخلة ولا السرى بمعنى النهر كما هو أحد التأويلين ولا نذرها الصوم ولا تأنيب قومها لها ولا كلامه فى المهد وانما ذكر كل ذلك القرآن المهيمن على كتب أهل الكتاب . ولا غرابة فى سكوت كتب أهل الكتاب عن ذلك واثبات القرآن له ، فقد قال الله تعالى فى أهل الكتاب (فنسوا حظا مما ذكروا به)

انا لا يمكننى أن أفهم أن حادث حمل مريم يمر بين اليهود دون أخذ ورد وطلب محاكمة ولا يعقل أنهم صدقوها فى دعواها أن ذلك حصل بفعل الله دون أن يكون لانسان دخل فيه بمجرد قولها . وقد سكتت الاناجيل عن ذلك وانما ذكره القرآن فقط كما قدمنا . والظاهر من عبارة القران انهم رموها بالزنا كما فى قوله تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما)

ختان المسيح

فى شريعة اليهود أن الطفل يختن بعد ثمانية أيام من ولادته كما أمر الله ابراهيم بذلك وقد ختن المسيح لما تم له ثمانية أيام وختانه لم يذكر فى القران الكريم وانما ذكر فى انجيل لوقا فى اية ٢١ من الاصحاح الثانى ونصها . ولما تمت ثمانية أيام ليختنو الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به فى البطن وفى انجيل برنابا فى الفصل الخامس

١ ـ فلما تمت الأيام الثمانية حسب شريعة الرب كما هو مكتوب فى كتاب موسى أخذا الطفل واحتملاه إلى الهيكل ليختناه ، ٢ فختنا الطفل وسمياه يسوع كما تسمي من الملاك قبل أن حبل به فى الرحم

المجوس ويسوع

حكاية المجوس ويسوع انفرد بها متى من بين الأربعة وذكرها برنابا فى انجيله

وهى تلخص فى أن ثلاثة من المجوس من المشرق كانوا يرقبون نجوم السماء فبدا لهم نجم شديد التألق فجاءوا الى اليهودية يهديهم النجم ولما وصلوا فى طريقهم إلى أورشليم سألوا أين ولد ملك اليهود؟ وسمع هيرودس ذلك فارتاع فجمع الكهنة والكتبة وسألهم أين يولد المسيح فقالوا فى بيت لحم فاحضر هيرودس المجوس وسألهم عن مجيئهم ، فقالوا انهم رأوا نجما فى المشرق هدنهم الى هناك فجاءوا بهدايا أحبوا أن يقدموها لملك اليهود الذى ولد . فأمرهم أن يذهبوا الى بيت لحم ويبحثوا عن الطفل وأن يعلموه به ، فذهبوا إلى بيت لحم وسجدوا للطفل يهديهم النجم وقدموا الهدايا وخافوا على الطفل من هيرودس فلم يرجعوا اليه بل ذهبوا الى بلادهم

ولما لم يعودوا علم هيرودس أنهم قد سخروا منه ، فأمر بقتل كل طفل ولد فى بيت لحم - ويظهر لى انها حكاية مصنوعة - فماشأن المجوس بالمسيح ؟وكيف يسير النجم أمامهم يهديهم ؟ ولم جاءهم إلى اورشليم ولم يذهب بهم الى بيت لحم وهذه الحكاية لها نظائر فى كتب أهل الأوثان

وهذا لوقا الذى تتبع الأمر بتدقيق لم يذكر ذلك ولم يشر اليه ولم يذكر ذهاب المسيح الى مصر بل ذكر انهما اقاما به فى الناصرة

ذهاب يوسف ومريم بالمسيح إلى مصر

وهذه المسألة انفرد بها أيضا متى وذكرها برنابا

وتلخص فى أن هيرودس لما أمر بقتل كل طفل فى بيت لحم أمر يوسف النجار فى منامه بان يذهب بالطفل وامه الى مصر لأن الملك أمر بقتل كل طفل ولد فى بيت لحم . فقام من فوره وأخذ الطفل وامه وذهب بهما الى مصر واقاموا بها الى أن هلك هيرودس . ولما هلك أمر يوسف فى نومه بان ياخذ الطفل وامه إلى بلادهما ، لأن الذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا فرجع

ومن أحب فضل بيان فليرجع الى انجيل برنابا من أول الفصل السادس إلى اخر الفصل الثامن

وبعض مفسرى القران الكريم يذكرون أن مصر هى المعنية فى القران الكريم بقوله تعالى فى عيسى وأمه (وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) ويزعم المسيحيون فى مصر أنهما استقرا ببلدة عين شمس ويقولون أنهما استظلا بشجرة هناك قد بقى اصلها محتفظا به الى امد غير بعيد منا وكانوا يسمونها شجرة العذراء ويعني الناس بالذهاب الي زيارتها بضاحية المطرية

وفى كتاب الفاروق بين المخلوق والخالق تزييف لهذه الحكاية فليراجع فى ص٢٩ ج ١

يسوع يحاج العلماء

بعد رجوعه إلى اليهودية وبلوغه اثنى عشر عاما من العمر

١ ولما مات هيرودس ظهر ملاك الرب فى حلم ليوسف قائلا ٢ عد الى اليهودية لانه قد مات الذين كانوا يريدون موت الصبى ٣ فاخذ يوسف الطفل ومريم (وكان الطفل بالغا سبع سنين من العمر) وجاء إلى اليهودية حيث سمع أن أرخيلاوس بن هيرودس كان حاكما فى اليهودية ٤ فذهب إلى الجليل لأنه خاف أن يبقى فى اليهودية ٥ فذهبوا ليسكنوا فى الناصرة ٦ فنما الصبى فى النعمة والحكمة أمام الله والناس ٧ ولما بلغ يسوع اثنتى عشرة سنه من العمر صعد مع مريم ويوسف الى اورشليم ليسجد هناك حسب شريعة الرب المكتوبة فى كتاب موسى ٨ ولما تمت صلواته انصرفوا بعد أن فقدوا يسوع لأنهم ظنوا أنه عاد الى الوطن مع اقربائهم ٩ ولذلك عادت مريم مع يوسف الى أورشليم ينشدان يسوع بين الأقرباء والجيران ١٠ وفى اليوم الثالث وجدوا الصبى فى الهيكل وسط العلماء يحاجهم فى أمر الناموس ١١ وأعجب كل أحد باسئلته وأجوبته قائلا (كيف أوتى مثل هذا العلم وهو حدث ولم يتعلم القراءة) ١٢ فعنفته مريم قائلة يابنى ماذا فعلت بنا فقد نشدتك وأبوك ثلاثة أيام ونحن حزينان ١٣ فاجاب يسوع الا تعلمين أن خدمة الله يجب أن تقدم على الأب والأم ١٤ ثم نزل يسوع مع أمه ويوسف الى الناصرة ١٥ وكان مطيعا لهما بتواضع واحترام

من مجموع ذلك نفهم أن المسيح عليه السلام نشأ نشأة محمودة لاغبار عليها وأنه كان غيورا على الدين منذ صغره حريصا على تفهم حكمه واسراره وأنه كان يختلس من وقته مايقوى به معارفه ويثبت به علمه ويجالس العلماء ويناقشهم ويسائلهم ويجيبهم فالبيئة التى تمرس بها فى صباه وشبابه بيئة علم وحكمة ودين

سكتت الاناجيل عن المسيح من عهدان كانت سنه اثنتى عشرة سنة الى أن بلغ تسعا وعشرين فاين كان يسوع فى هذه المدة وهى سبع عشرة سنة ؟

اما الاناجيل فساكتة عن ذلك وان كان فى بعضها ما يشير الى ان اباه وامه سكنا فى الناصرة ولكن كيف يبقى ساكنا ولا يحاج العلماء والكتبة فى الكتاب وتفسيره فى الاعياد كما هي

عادته ولم يذكر أنه رجع الى الهيكل او عمل عملا ما يتعلق بالدين ؟

اما الاوربيون والباحثون منهم فيقولون انه ذهب الى الهند وتلق تعاليم بوذا وآداب البوذية ولما عاد الى وطنه واخذ فى التعليم والوعظ كانت تعاليمه محاذية لتعليم بوذا فى الحث على تكميل النفس وتهذيبها - غير انهم يقولون ان مقارنة تعليم المسيح بتعليم بوذا تبين أن تعليم بوذا كان سلبيا بالحث على تجريد النفس من الشرور واما تعليم المسيح فكان ايجابيا بحث النفس على البذل وفعل الخير للاعداد والأوداء الى اخره اما الذى أعول عليه فى هـذا فهو تفويض علم شأنه فى السبعة عشر عاما الى الله تعالى

كيف ابتدات نبوة المسيح

لم يذكر القرآن الكريم متى كان ابتداء نبوة المسيح ولا كيف كان ذلك واصحاب الاناجيل الأربعة قد ذكروا فى ذلك أن يوحنا المعمدان وهو يحيى بن زكريا وجد فى البرية زمنا وكان يقتات من الجراد والعسل البرى وثيابه من اوبار الابل وعلى حقويه منطقة جلد ، ثم ظهر فى ناحية الاردن ينذر الناس بالتوبة ، فخرج اليه أهل أورشليم والكور القريبة من الاردن ، فكان يعمدهم فى النهر وينذرهم باقتراب ملكوت السموات

وقد أرسل اليه الكهنة يسألون ، هل هو ايليا ؟ فاجاب لا - هل هو المسيح ؟ فاجاب لا - هل هو النبى ؟ فاجاب لا . فقالوا له . فلم تعمد اذا لم تكن ايليا ولا المسيح ولا النبى ؟ طلبوا أن يقول لهم من هو . قال أنا صوت صارخ فى البرية اعدوا طريق الرب واصنعوا سبله مستقيمة لأنه قد اقترب ملكوت السموات

وهذه الجملة مقتبسة من الآية ٣ ص ٤٠ اشعيا

وأن المسيح قد جاء إلى يوحنا واعتمد منه فى الاردن وان الروح القدس نزل عليه مثل حمامة ثم أن المسيح بعد ذلك صام فى البرية أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب ثم جرب من الشيطان على أثر صومه اذ أحس بالجوع فاتاه الشيطان وقال له ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا فقال له . مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . فاوقفه على جناح الهيكل وقال له ان كنت بن الله فاطرح نفسك الى اسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك ، فقال له مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك . فاخذه ابليس على جبل عال وأراه ممالك الأرض ومجدها . وقال له أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى . فقال له المسيح اذهب ياشيطان لانه مكتوب للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد

فذهب عنه الشيطان وجاءته الملائكة وعلم المسيح عقب ذلك أن يوحنا أسلم أى دلك فجاء الى الجليل وترك الناصرة وسكن كفر ناحوم وكان يكرز ببشارة ملكوت الله وكانت سن المسيح ٣٠ سنة يراجع ص ٣ و٤ متى وص ١ مرقس وص ٣ و ٤ لوقا وص ١ يوحنا . وهناك رواية برنابا أوردها بنصها من الفصل العاشر دون تلخيص وهى

يسوع وهو ابن ثلاثين يتلقى على جبل الزيتون

الانجيل من الملاك جبريل

١ ولما بلغ يسوع ثلاثين سنة من العمر كما اخبرنى بذلك نفسه صعد الى جبل الزيتون مع أمه ليجنى زيتونا ٢ وبينما كان يصلى فى الظهيرة وبلغ هذه الكلمات (يارب برحمة ...) واذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لايحصى من الملائكة كانوا يقولون (ليتمجد الله) ٣ فقدم له الملاك جبريل كتابا كأنه مرآة براقة ٤ فنزل الى قلب يسوع الذى عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله حتى أن كل شىء كان عريانا ومكشوفا له ٥ ولقد قال لى (صدق يابرنابا أنى أعرف كل نبى وكل نبوة . وكل ما أقوله انما قد جاء فى ذلك الكتاب ٦ ولما تجلت هذه الرؤيا ليسوع وعلم أنه نبى مرسل الى بيت اسرائيل كاشف مريم أمه بكل ذلك قائلا لها : انه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله وانه لايقدر فيما بعد أن يقيم معها ويخدمها ٧ فلما سمعت مريم هذا أجابت (يابنى انى نبئت بكل ذلك قبل أن تولد فليتمجد اسم الله القدوس) ٨ ومن ذلك اليوم انصرف يسوع عن أمه ليمارس وظيفته النبوية

والذى افهمه من أكل ذلك الكتاب الخ أن العلم الذى قذف الله به فى روعه أول ما بدأه الوحى على يد جبريل مثل له كتابا ومثل له أن يأكله فاستضاءت به بصيرته كما مثل لرسول الله محمد ﷺ ان جبريل جاء بنمط من ديباج فيه كتاب فقال له اقرأ باسم ربك الذى خلق

نبوة المسيح على راس ثلاثين سنة

دلت عبارات بعض الاناجيل على أن المسيح نبىء على رأس ثلاثين سنة من عمره وجرى على ذلك المؤرخون ومفسروا القرآن الكريم . فكيف هذا مع أن علماء التوحيد يقولون أن النبوة انما تكون بعد الاربعين ؟

والجواب ـ أن كون النبوة بعد الاربعين أمر غالبي فقط فقد ينبأ الشخص قبل هذه السن ، وهذا يحيي بن زكريا عليهما السلام يقول الله فيه وآتيناه الحكم صبيا

وبيان ذلك ـ أن بعض الناس قد يبكر فيهم النمو فتنمى أجسادهم وعقولهم بسرعة يفوتون بها أمثالهم . وفى العام المنصرم ذكرت الجرائد السيارة أن طفلا فى تركيا بكر عليه الكبر فبلغ مبلغ الرجال وهو ابن خمس سنوات وطلب التزوج فاحيل على الاطباء فقرروا أنه رجل تام الرجولة وان كان فى سن الاطفال . ولكنه لم يلبث طويلا حتى جاءت الأخبار بأن هذا الشخص قد قضى نحبه ـ فكما بكر بالرجولة بكر عليه الفناء فلا مانع من تبكير الرجولة على شخص فيتم نضجه بدنا وعقلا فيؤتيه الله النبوة قبل أن يبلغ زمن الشيخوخة كما حصل للمسيح ويحيى عليهما السلام

معنى كلمة الانجيل

معنى الانجيل البشارة(١) والشواهد متضافرة على ان الله تعالى أعطى المسيح الانجيل وانه كتاب تضمن الهدى والنور وقد أهاب ببنى اسرائيل ان يرجعوا الى الله ويعبدوه وأنبأهم باحداث مستقبلة وبشرهم باقتراب زمن النبى الذى وعد بنو اسرائيل بأن يبعثه الله وعلى يديه يكون بعث شريعة جديدة وانه يكون كموسى صاحب شريعة مستقلة وفيه وصفه ووصف أتباعه

اقرءوا هذه الآيات

سورة ال عمران ـ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالانْجِيلَ ٣ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الفُرْقَانَ ٤

ومنها ايضا ـ ويعلمه الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالانْجِيلَ ٤٨

ومنها ايضا ـ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى ابْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالانْجِيلُ الا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٥

---

(١) جاء فى مقدمة انجيل تولستوى لحضرة الفاضل سليم افندى قبعين « ان لفظة انجيل باللغة اليونانية مركبة من كلمتين ـ ايف ومعناها جيد ـ حسن ـ صلاح ـ خير ـ صدق . وانجليون ـ ومعناها الاخبار بخبر عن الأخبار ـ ويكون تعريب اللفظين معاً . الاخبار بالخير أو الخبر الحسن

سورة المائدة — وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ٤٦ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٤٧

ومنها ايضا — وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ٦٦

ومنها ايضا — قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ٦٨

ومنها ايضا — وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ١١٠

سورة الأعراف — الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ١٥٧

سورة التوبة — إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ١١١

سورة الفتح — وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ٢٩

سورة الحديد — ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ٢٧

فاين يوجد اليوم انجيل المسيح الذى ذكره القران الكريم ؟ ان الانجيل الذى أتى به المسيح وسلمه الى تلاميذه وأمرهم ان يبشروا به لا يوجد الآن وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير

التلاميذ لم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف

ودليلى على أن المسيح أتاهم بانجيل وان الأناجيل كانت أكثر من هذه الأربعة ما ترون من الشواهد التى أنقلها من رسائل بولس من الكتب القانونية التى تسلم بها الكنيسة فاقرأوا ما يأتى

بولس رومية ص ١ : ٩ ـ فان الله الذى أعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم ـ المراد بقوله ابنه (يسوع) ـ فهذه الجملة تدل على أن المسيح له انجيل

كورنثيوس ص ٢ : ٣ ولكن ان كان انجيلنا مكتوما فانما هو مكتوم فى الهالكين

كورنثيوس ص ٨ : ٨ وأرسلنا معه الأخ الذى مدحه فى الانجيل فى جميع الكنائس

غلاطية ص ١ : ٦ انى أتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ٧ ليس هو اخر غير انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحولوه أى يغيروه

غلاطية ص ٢ : ١٤ ولكن لما رأيت انهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل الخ

فلبى ص ١ : ١٢ ثم أريد ان تعلموا أيها الاخوة ان أمورى قد الت أكثر الى تقدم الانجيل...

١٧ وأولئك عن محبة عالمين انى موضوع لحماية الانجيل

فهذه الجملة تدل على أنه كان هناك انجيل وان بولس وضع لحمايته وبالطبع ذلك الانجيل الذى يتحدث عنه ليس واحدا من هذه الأربعة . وايضا فان الانجيل كان مهددا وفى حاجة الى حمايته وقد أوصاهم بعد ذلك قائلا ٢٧ فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح

١ تسالونيكى ص ٢ : ٨ إذ كنا حانين اليكم كنا نرضى ان نعطيكم لا انجيل الله فقط بل أنفسنا أيضا

ص ٣ : ٢ فارسلنا تيموثاوس وخادم الله والعامل معنا فى انجيل المسيح

٢ تسالونيكى ص ١ فى نار لهب معطيا نقمة للذين لا يعرفون الله ولا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح

١ تيموثاوس ص ١ : ١١ حسب انجيل مجد الله المبارك الذى أؤتمنت عليه

٢ تيموثاوس ص ٢ : ٨ واذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود حسب انجيلى

تبين من ذلك كله ان المسيح عيسى ابن مريم جاء الى أصحابه بكتاب هو الانجيل ولكن الناس على مر الزمان تركوا ذلك الانجيل . وترتب على ذلك ضياعه واستمسا كهم بكتب ألف بعضها تلاميذ المسيح وبعضها ألفها تلاميذ تلاميذه أو من بعدهم وقد كثرت الأناجيل كثرة فاحشة حتى أربت على المائة . وفيما تقدم عن بولس تجدون ما يؤذن بأن المغيرين أخذوا يحولون الانجيل

عن مجراه : ومعلوم ان الكنيسة رفضت ما يخالف رغبتها وأقرت الأناجيل الأربعة المعروفة اليوم على ما هى عليه من انقطاع السند وعدم العلم التام بالمؤلف الحقيقى أو المترجم ومبلغ أمانته على الدين وحرصه على الصدق وعلى ما بينها من الاختلاف الحقيقى المفضى الى ان أحد الأقوال صادق وما عداه كاذب

المهمة التي جاء لها المسيح

جاء المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لمهمة سامية

١ ـ ذلك ان بنى اسرائيل قد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وحرفوا شريعة الله التى جاءهم بها موسى عليه الصلاة والسلام وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقامهم عليه الأنبياء من السبيل السوى وخرجوا الى الافراط والتفريط . فمن إفراطهم فى مراعاة التوراة وإخراجها عن روحها المراد لله تعالى انهم كانوا يتحرجون من عمل الخير فى السبت باعتباره يوم عطلة لا يجوز العمل فيه ، ففوتوا طاعات كثيره توجب الزلفى الى الله بتلك الحجة ، والله إنما يريد الكف عن الأعمال الدنيوية . واما فعل الخير فانه لا حرج فيه وليس من الأفعال المنهى عنها ـ لذلك جاء المسيح ليرد اليهود عن ذلك التنطع المفضى الى تعطيل الخير فى ذلك اليوم

أنظروا الاصحاح الثانى عشر من متى فانكم تجدون

١ فى ذلك اليوم ذهب يسوع فى السبت بين الزرع فجاء تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون ٢ فالفريسيون لما نظروا قالوا هو ذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت ٣ فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ٤ كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل اكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ٩ ثم انصرف من هناك وجاء الى مجمعهم ١٠ واذا انسان يده يابسة . فسألوه قائلين هل يحل الابراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه ١١ فقال لهم أى انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا فى السبت فى حفرة أما يمسكه ويقيمه ١٢ فالانسان كم هو أفضل من الخروف ؟ اذا يحل فعل الخير فى السبوت ١٣ ثم قال للانسان مد يدك فمدها فعادت صحيحة كالأخرى

ومن تفريطهم تهالكهم على المادة واستغراق حب المال تفكيرهم ، فكانوا يحرضون الفقراء والمحتاجين على النذر للهيكل ليحتووا على ذلك المال . والناذرون والباذلون فى أشد الحاجة الى بعض ما يبذلون يصرفونه على انفسهم وعيالهم وآبائهم ، وأمهاتهم فأراد المسيح ان يخفف من

هذه الأنانية فى الكهنة ورجال الدين

فمن ذلك ما قاله برنابا فى الفصل الثانى والثلاثين .

١ ودعا أحد المتضلعين من الشريعة يسوع للعشاء ليجربه ٢ فجاء يسوع الى هناك مع تلاميذه ٣ وكثيرون من الكتبة انتظروه فى البيت ليجربوه ٤ فجلس التلاميذ الى المائدة دون ان يغسلوا أيديهم ٥ فدعا الكتبة يسوع قائلين (لماذا لا يحفظ تلاميذك تقاليد شيوخنا بعدم غسل أيديهم قبل ان يأكلوا خبزا ؟)

٦ أجاب يسوع : وأنا أسألكم لأى سبب أبطلتم شريعة الله لتحفظوا تقاليدكم ؟ ٧ تقولون لأولاد الآباء الفقراء « قدموا واندروا نذورا للهيكل » ٨ وهم إنما يجعلون نذورا من النزر الذى يجب ان يعولوا به آباءهم ٩ واذا أحب آباؤهم ان يأخذوا نقودا يصرخ الأبناء « ان هذه النقود نذر لله » ١٠ فيصيب الآباء بذلك ضيق ١١ أيها الكتبة الكذابون المراءون أيستعمل الله هذه النقود ؟ كلا ثم كلا ١٣ لأن الله لا يأكل كما يقول بواسطة عبده داود النبى «هل آكل لحم الثيران وأشرب دم الغنم ؟ ١٤ اعطنى ذبيحة الحمد وقدم لى نذورك ١٥ لأنى ان جعت لا أطلب منك شيئا لأن كل الأشياء فى يدى وعندى وفرة الجنة » ١٦ أيها المراءون انكم إنما تفعلون ذلك لتملئوا كيسكم ولذلك تعشرون السذاب والنعنع ١٧ ما أشقاكم لأنكم تظهرون للاخرين أشهر الطرق وضوحا ولا تسيرون فيها

١٨ أيها الكتبة والفقهاء انكم تضعون على عواتق الآخرين أحمالا لا يطاق حملها ١٩ ولكنكم أنفسكم لا تحركونها باحدى أصابعكم

٢٩ وقد ندب الله هذا بواسطة اشعيا قائلا «حقا ان هذا الشعب يعبدنى باطلا ٣٠ لأنهم أبطلوا شريعتى التى أعطاهم إياها عبدى موسى ويتبعون تقاليد شيوخهم » ٣١ « الحق أقول لكم ان أكل الخبز بأيد غير نظيفة لا ينجس انسانا لأن ما يدخل الانسان لا ينجس الانسان بل الذى يخرج من الانسان ينجس الانسان »

٣٢ فقال حينئذ أحد الكتبة . ان أكلت لحم الخنزير او لحوما أخرى نجسه أفلا تنجس هذه ضميرى ؟

٣٣ أجاب يسوع « ان العصيان لا يدخل الانسان بل يخرجه الانسان من قلبه ٣٤ ولذلك يكون نجسا متى أكل طعاما محرما » ٣٥ حينئذ قال أحد الفقهاء (يا معلم لقد تكلمت كثيرا فى عباد الأصنام كأن عند شعب اسرائيل أصناما ٣٦ وعليه فقد أسأت الينا) ٣٧ أجاب يسوع « اعلم

جيدا انه لا يوجد اليوم تماثيل من خشب فى اسرائيل ولكن توجد تماثيل من جسد» ٣٨ فاجاب حينئذ جميع الكتبة بحنق « أنحن اذن عبدة الأصنام ؟ » ٣٩ أجاب يسوع « الحق أقول لكم لا تقول الشريعة : اعبد . بل أحب الرب الهك بكل نفسك وبكل قلبك وبكل عقلك ٤ ثم قال يسوع « أصحيح هذا ؟ » ٤١ فأجاب كل واحد (انه لصحيح)

وقال برنابا أيضا فى الفصل الثالث والثلاثين :

١ ثم قال يسوع حقا ان كل ما يحبه الانسان ويترك لأجله كل شىء سواه فهو الهه ٢ وهكذا فان صنم الزانى هو الزانية وصنم النهم والسكير جسده ٣ وصنم الطماع الفضة والذهب ٤ وقس عليه كل خاطىء آخر .

٢ ـ كان فى اليهود فريق الصدوقيين الذين يقولون لا توجد قيامة ولا نشر ولا حساب ولا عقاب وان جزاء الأعمال الصالحة أن يبارك الله لصاحبها فى الدنيا وجزاء الأعمال الرديئة أن يعاقبه الله فى الدنيا ، فكان من مهمة المسيح أن يرد هؤلاء الى عقيدة اليوم الآخر وهو يوم الجزاء ، وإن يثبت الايمان بها فى قلوبهم ويحذر الناس من إتباعهم والزيغ عن سبيل الله الى سبيلهم .

٣ ـ كان بين اليهود أيضا قوم يقال لهم الفريسيون [١] وحقيقة هذا الاسم أنهم قوم تجردوا لطاعة الله تعالى وملك عليهم حبه مشاعرهم فتفردوا للعبادة وانقطعوا عن العباد ، وزهدوا فى حطام الدنيا الفانية وأقبلوا بكليتهم على الآخرة . ولكنهم من قبل زمن المسيح عليه الصلاة والسلام قد انحرفوا عن سنن سلفهم وألهتهم الحياة الدنيا بزبرجها وزخرفها ، وأقبلوا على الشهوات يستترون بها وهم فى عملهم يراءون الناس استدراجا لهم ليوقعوهم فى مخالبهم ويبتزوا أموالهم . فكان ظهورهم بمظهر الزهد فخا نصبوه لصيد الدرهم والدينار .

٤ ـ وكان هناك الكتبة ومن وظائفهم الوعظ وكتابة الشريعة لمن يطلبها وكانوا فى شؤونهم يشبهون الفريسيين فى تصيد أموال الناس .

٥ ـ كان هناك الكهنة وخدمة الهيكل وكانوا قد صاروا الى حال رديئة ويحرفون كلام الله ويتهالكون على الحطام الفانى .

كل أولئك كانت أحوالهم تستدعى إصلاحا قويما ومصلحا مخلصا فجاء المسيح لتخليصهم جميعا من الأوحال التى إرتطموا فى حمأتها . فكان يوبخهم ويبكتهم جهده . وأنى أقتصر فى هذا المقام

---

(١) يفسر الفاضل سليم قبعين (الفريسيين) بمستقيمى الرأى .

على ما جاء فى انجيل متى فى هذه الشؤون .

جاء فى إنجيل متى ص ٢٢

١٥ حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بـــكلمة ١٦ فأرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسين قائلين يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لانك لا تنظر الى وجوه الناس ١٧ فقل لنا ماذا تظن أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ١٨ فعلم يسوع خبثهم (وقال) لماذا تجربوننى يامراءون ١٩ أرونى معاملة الجزية . فقدموا له دينارا ٢٠ فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة ٢١ قالوا له لقيصر فقال لهم اعطوا اذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ٢٢ فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا ٢٣ فى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيام فسالوه ٢٤ قائلين يا معلم ، قال موسى ان مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلا لأخيه ٢٥ فكان عندنا سبعة إخوة وتزوج الأول ومات واذ لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه ٢٦ وكان الثانى والثالث الى السبعة ٢٧ وآخر الكل ماتت المرأة أيضا ٢٨ فى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فانها كانت للجميع ٢٩ فاجاب يسوع وقال لهم تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ٣٠ لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء ٣١ وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل ٣٢ أنا إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب ليس الله إله أموات بل إله أحياء ٣٣ فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه ٣٤ أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معا ٣٥ وسأله واحد منهم وهو ناموسى ليجربه قائلا ٣٦ يا معلم أية وصية هى العظمى فى الناموس ٣٧ فقال له يسوع تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ٣٨ هذه هى الوصية الأولى العظمى ٣٩ والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك ٤٠ فبهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء ٤١ وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع ٤٢ قائلا ماذا تظنون فى المسيح [1] ابن من هو قالوا له ابن داود ٤٣ قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا ٤٤ قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع اعداءك موطئا لقدميك [2] ٤٥ فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ٤٦ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله . اه وقد أكمل بقية هذه القصه برنابا فليرجع اليه .

---

(١) تقدم أن المسيح يطلق بالاشتراك على النبى والملك فى العبرية وفى بعض الاناجيل لفظ «مَسِّيا» بدل المسيح حقيقتها .

(٢) قال الرب لسيدي . ونصها فى العبرية فى المزمور . ١١٠ « نئيم يهوفالا دونى شب ليمينى » ولفظ أدونى معناها سيدى . لا ربى

متى ص ٢٣

١ حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه ٢ قائلا على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ٣
فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون
ولا يفعلون ٤ فانهم يحزمون أعمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على اكتاف الناس وهم لا يريدون
أن يحركوها باصبعهم ٥ وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون
أهداب ثيابهم ٦ ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع ٧ والتحيات فى
الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى ٨ وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح
وأنتم جميعا إخوة ٩ ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ١٠ ولا
تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح ١١ وأكبركم يكون خادما لكم ١٢ فمن يرفع نفسه يتضع ومن
يضع نفسه يرتفع ١٣ لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراءون لأنكم تغلقون ملكوت
السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ١٤ ويل لكم أيها الكتبة
والفريسيون المراءون لأنكم تدخلون بيوت الأرامل . ولعلة تطيلون صلاتكم . لذلك تاخذون
دينونة أعظم ١٥ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا
دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا ١٦ ويل لكم أيها القادة العميان
القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم ١٧ أيها الجهال
والعميان أيما اعظم الذهب ام الهيكل الذى يقدس الذهب ١٨ ومن حلف بالمذبح فليس بشىء
ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم ١٩ ايها الجهال والعميان ايما اعظم القربان ام المذبح
الذى يقدس القربان ٢٠ فان من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ٢١ ومن حلف بالهيكل
فقد حلف به وبالساكن فيه ٢٢ ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه ٢٣ ويل
لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الناموس
الحق والرحمة والايمان . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ٢٤ أيها القادة العميان الذين
يصفون [١] عن البعوضه ويبلغون الجمل ٢٥ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تنقون
خارج الكاس والصحفة وهما من داخل مملوء. ان اختطافا ودعارة ٢٦ أيها الفريسى الأعمى نق أولا

---

(١) هكذا فى ترجمة العبرية بالصادر ولو انصف المترجم لجعلها تعفون من العفه بالعين ولعل ذلك فيها
من خطأ الكاتب

داخل الكاس والصحفة لكى يكون خارجهما أيضا نقيا ٢٧ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ٢٨ هكذا أنتم ايضا من خارج تظهرون للناس ابرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما ٢٩ ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ٣٠ وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء ٣١ فانتم تشهدون على انفسكم إنكم ابناء قتلة الأنبياء ٣٢ فاملؤا انتم مكيال ابائكم ٣٣ ايها الحيات اولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ٣٤ لذلك ها انا ارسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة ٣٥ لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ٣٦ الحق اقول لكم ان هذا كله يأتى على هذا الجيل (١) .

كما قدمنا كان هناك الفريسيون وهم الدراويش او الزهاد الذين قطعوا صلتهم بالعالم الا لضرورة وكانوا قد فسدوا وهو يريد ان يردهم الى الحق ويبين فساد ما هم عليه من الطمع والتهالك على الدنيا

ومن اراد ان يقف على حوار المسيح للفريسيين المرائين ويعرف حقيقتهم وما كانوا عليه قبل زمن المسيح وفى عهده فليقرا من الفصل الرابع والأربعين بعد المائة من برنابا فانه يقرا المطرب المعجب والعظات والنصائح الصادرة باخلاص من قلب مفعم بالتقوى .

٦ ـ من الأغراض السامية التى جاء المسيح لتقريرها وإذاعتها بين اليهود وغيرهم البشارة باقتراب ملكوت السموات والمراد بذلك الشريعة الالهية التى يرسل الله تعالى بها النبى الأمى المذكور فى اية ١٥ او ما بعدها من الاصحاح ١٨ سفر التثنية (٢) الذى وعد الله بنى إسرائيل على لسان موسى ان

---

(١) لقد أتى عليهم ذلك فى سنة ٧١ على يد طيطوس الرومانى الذى شتتهم وخرب هيكلهم

(٢) يحمل المسيحيون هذه البشارة على المسيح والحقيقة أن بشارة موسى فى التثنية لا تنطبق على عيسى لان المفروض المماثلة الحقيقية وهى لا تنطبق على عيسى لان المبشر به نبى وعيسى عندهم اله وانه يكون صاحب شريعة تامة كاملة مستقلة وعيسى لم تكن شريعته كذلك . وموسى كان متزوجا وله أولاد بخلاف المسيح . وموسى حارب أعداءه ولا كذلك المسيح واذا كان المسيح قد وجد ثم انتهى امره فما معنى أن يبشر تابعوه بأن ملكوت السموات قد اقترب مع أنه جاء وانتهى كما يقولون ومن أراد فضل بيان فعليه الاطلاع على كتاب المرحوم رحمة الله افندى الهندى فى الكلام على البشارات التى جاءت عن رسول الله فى العهدين

يرسله من بين إخوتهم ويجعل كلامه فى فمه ويخبرهم بكل الذى يوصيه الله به . وقد مر الكلام على هذه النبوة فى موسى . وقد بشر اليهود به ايضا انبياء كثيرون . منهم داود فى المزمور الخامس والأربعين والمزمور التاسع والأربعين بعد المائة والعاشر بعد المائة وأشعيا فى الاصحاحات ٨ و ٩ و ٢٦ و ٣٥ و ٤٢ و ٤٣ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٤ و ٥٥ و ٦٠ و ٦٥ ودانيال فى ص ٢ و ٧ وحبقوق ص ٣ وحجى فى ص ٢ وزكريا فى ص ٣ وملاخى فى ص ٣ وهذا قليل من كثير مما فى تلك الكتب مع ما اعتورها من التحريف القصدى وغير القصدى .

جاء المسيح عليه السلام ليبشر بهذا النبى الكريم . ولا غرو فان المسيح آخر الأنبياء فى بنى إسرائيل ولا أدل على ذلك من أنه قد مضى على القوم ١٩٣٣ سنة (١٩٣٦ الآن) لم يقم فيهم نبى سواه ويحيى بن زكرياء فلم قاطعهم الله هذه المقاطعة وهجرهم هجرا غير جميل ؟

كان المسيح يعبر عن المبشر به بلفظ النبى و بلفظ مسيا و بلفظ فارقليط وهو تعريب لفظ « بيريكلتوس » اليونانية ومعناها الذى له حمد كثير [(١)] كما عبر عنه بعض الكتب بلفظ « إيلياء » واليهود يظنون

---

(١) كنت فى سنة ١٨٩٣ . سنة ١٨٩٤ ميلادية طالبا بدار العلوم فى السنة الأولى . وكان يجلس بجانبى فى درس اللغة العربية العلامة الكبير الدكتور كارلو نلينو المستشرق التليانى وكان يحضر درس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الايتالية فانعقدت أواصر الصحبة المتينة بينى وبينه . وكان المرحوم أحمد بك نجيب يعطى محاضرات فى الانفتياترو العمومى وكنا نحضرها ونعطى ملازم من كتابه الاثر الجليل فى قدماء وادى النيل ففى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنه ١٣١١ خرجنا بعد المحاضرة وسرنا فى درب الجماميز فقال لى الدكتور نلينو هذه الليلة ليلة المعراج . قلت نعم . فقال وبعد ثلاث أيام عيد السيدة زينب فقلت نعم . ثم قلت له ما رأيك يا دكتور فى المعراج . فقال هو ذهاب النبى عليه الصلاة والسلام من مكة الى بيت المقدس ليلا وصعوده إلى السماء وعوده الى مكة فى ليلة واحدة . فقلت أنا أعلم أنك تفهم هذا ولكن الذى أريد أن أعرفه هو رأيك فى هذا القول . هل هو صحيح أو كاذب ؟ (والرجل مؤدب جدا) فقال هذا شىء عجيب ! فقلت يوجد ما هو أعجب منه . قال ما هو ؟ قلت أن المسيح يصلب ويقتل ويدفن ثم يقوم من الأموات ويصعد الى السماء ويجلس على يمين الله . قال وهذا أيضا شىء عجيب ثم قلت له (وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة) ما معنى بيريكلتوس فاجابنى بقوله أن القسس يقولون أن هذه الكلمة معناها « المعزى » فقلت انى أسأل الدكتور « كارلو نلينو » الحاصل على الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسيسا فقال أن معناها (الذى له حمد كثير) فقلت هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال نعم فقلت ان رسول الله ﷺ من أسمائه (أحمد) فقال يا أخى أنت تحفظ كثيرا ثم افترقنا وقد ازددت بذلك تثبتا فى معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد)

أن إيلياء يأتي اليهم ولكن اذا عرفوا أن إيلياء جملها ٥٣ كجمل لفظ أحمد زال الاشكال وتبين المراد . وكان يعبر عن الشريعة الآتية بلفظ ملكوت السموات ولفظه قريب من التعبير الذى عبر به دنيال ص ٢ فى تعبير رؤيا الملك بختنصر إذ يقول .

وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت الى الابد لانك رأيت أنه قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب ـ والمسيحيون يحملون البشارة على الدين المسيحى الذى جاء به المسيح عليه الصلاة والسلام واذا نظرنا الى ما جاء به المسيح لم نجده سوى عظات ونصائح وحكم وامثال يريد بذلك توجيه نظر الجماهير من اليهود الى إخلاص العبادة لله تعالى والتخفيف من مادياتهم التى غرقوا فيها الى آذانهم وترك الرياء والنفاق وأن يلتبسوا بروح الدين الذى ورثوه عن موسى كما جاءهم وأن يطلقهم من اسار الكهنة الذين يعوجون الشريعة ويتخذونها مستغلا لاشباع جشعهم ويحرفونها عن مواضعها إرضاء لشهواتهم النازية . ويبشرهم باقتراب ملكوت السموات أى الشريعة الالهية الدائمة وبمجيء محمد صلى الله عليه وسلم .

ولم يلم الانجيل بشيء من الأحكام الا فى القليل النادر كوجوب الاقتصار على زوجة واحدة وعدم تزوج من طلق إمرأة بامرأة سواها وعدم تزوج المطلقة باخر وعدم جواز الطلاق الا بعلة الزنا . وأمر بالعفة وبالغ فى ذلك حتى قال إن من نظر الى امرأة يشتهيها يكون زانيا بها فى قلبه ونهى عن الأخلاق الرديئة كالمكر والخداع وأكل الأموال بغير حق والرياء والنفاق وشدد النكير على المتصفين بالأخلاق الرديئة من اليهود والكتبة وأفاض فى ذلك إفاضة عظيمة . ولو أن انجيل المسيح وصل الى الناس كما كتبه (وهو صلى الله عليه وسلم لا يكتب الا ما نزل اليه) لكان ذلك الكتاب من أهم الكنوز وأغلاها قيمة .

الأناجيل الموجودة الآن

يطلق اسم انجيل عرفا على تلك القصص التى وجدت بعد زمان المسيح تقص أحواله وأعماله وأقواله التى وعظ بها ومعجزاته وخوارق العادات التى أجراها الله على يده .

والكنيسة تعترف بأربعة منها هى :

انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا

والقدر الذى وصل الى العالم فى تلك الأناجيل من الجمل والأمثال والنصائح المقتطفة مما نطق به

المسيح من العظات والحكم يتضمن حث الناس على توحيد الله تعالى واختصاصه بالعبادة والاخلاص فى طاعته والعمل بأوامره واجتناب نواهيه وحسن المعاملة بين الانسان واخيه والتواضع والبعد عن الكبرياء والصلف والظلم والتعدى وتأمر بالبذل فى سبيل الخير وان الواجب أن لا يتهالك الناس على الدنيا وزخارفها ويمثل الناس كل واحد بالمسافر . والمسافر لا يتخذ القصور ولا يتأثل العقار . وان الواجب على المرء الذى وقف نفسه على طاعة الله أن يتوكل على الله حق التوكل فلا يكون أمر طعامه وكسوته أكبر همه لأن الرازق هو الله وهو كفيل بكل ذلك للمتوكلين عليه . وهكذا من الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمـــة .

لم يكتب شيء من هذه الأناجيل فى زمانه ولكن بعد انتهاء أمر المسيح بالخاتمة التى انتهى بها — قام بعض التلاميذ وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وكتبوا قصصا كثيرة . وكل واحد يسمى ما كتبه انجيلا حتى لقد قيل أن الأناجيل بلغت نيفا ومائة انجيل .

بعد أن أفاق المسيحيون من الاضطهادات التى كانت تتوالى عليهم نظروا فى تلك القصص واختارت الكنيسة من بينها القصص التى لا تتعارض مع نزعتها وسلمت بها وجعلتها قانونية ولم تكترث لما بين مضامينها من التخالف والتناقص ما دام ذلك لا يخالف المنزع العام الذى قصدته الكنيسة . والأناجيل جميعها منقطعة السند ولا توجد نسخة انجيل بخط تلميذ من تلاميذ ذلك المؤلف ولا ما يضمن شبهة صحة فيها .

وهاكم بعض ما كتبه الفاضل المرحوم رحمة الله الهندى وغيره عن الأناجيل الأربعة — جاء فى صفحة ١٦١ ج أول وما بعدها من كتاب إظهار الحق ما يأتى :

١ — الانجيل الذى ينسب الى متى الآن «وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم» ليس من تصنيفه يقينا . بل ضيعوه بعد ما حرفوه لأن القدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين على أن انجيل متى كان باللسان العبرانى وهو ضاع وفقد بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية . والانجيل الموجود الآن ترجمته ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة حتى لا يعلم اسم المترجم أيضا باليقين الى هذا الحين كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم فضلا عن علم أحوال المترجم وقد أفاض فى البيان والشرح والاستشهاد .

وجاء فى كتاب الفارق بين المخلوق والخالق فى صفحة ٢٠ ج ١ نقل أيضا العالم جرجس زوين الفتوحى اللبنانى فى كتابه المطبوع سنة ١٨٧٣ (فى الأصل ١٣٧٨) فى بيروت المترجم من اللغة الافرنسية الي العربية أن متي قد كتب بشارته أي انجيله فِي أورشليم سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب اليه القديس

ايرونيموس — والسبب فى ذلك على ما ذهب اليه القديس ايفانوس أنه إما إجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح أو اجابة لأمر الرسل . ولم يكتب انجيله باليونانية بل بالعبرية على زعم أوسيبيوس فى تاريخه . وقد وافق أوسيبيوس القديس ايرونيموس أن بانتيوس إذ كان قد ذهب ليكرز بالايمان المسيحى فى الهند وجد انجيلا لمتى الرسول مكتوبا بالعبرانية فجاء الى الأسكندرية وبقى محفوظا فى مكتبة قيصر الى أيامه . لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت وبعد فقدها ظهرت ترجمتها فى اليونانية فلم يعرف الذى كان ترجمها . انتهى .

٢ — انجيل مرقس .

قال بطرس قرماج فى كتابه (مروج الأخبار فى تراجم الابرار المطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٠ ما ملخصه . أن مرقس هذا كان يهوديا لاويا وهو تلميذ لبطرس ولد باقليم الخمس مدن وصنف انجيله بطلب أهل رومية وكان ينكر الهية المسيح ولم يذكر فى انجيله مدح المسيح لبطرس ومات مقتولا فى سجن الاسكندرية سنة ٦٨ ميلادية . قتله الوثنيون . انتهى .

وقد اختلفت النصرانية فى تاريخ تأليف إنجيله . قال صاحب كتاب مرشد الطالبين ولفظه فى صفحة (١٧٠) أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ لنفع الامم الذين كان تنصرهم بخدمته انتهى راجع ٣١٦ من الجزء الاول من كتاب الفارق .

٣ — انجيل لوقا

لا يقل اختلاف النصارى فى انجيل لوقا عن اختلافهم فى انجيل متى . وقد كان لوقا طبيبا من أهل أنطاكية ولم ير المسيح أصلا وقد لقن النصرانية عن بولس . وبولس هذا كان يهوديا متعصبا على المسيحية ولم ير المسيح فى حياته وكان يسىء الى النصارى إساءات متصلة . ولما رأى أن اضطهاده للنصرانية لا يجدى عمد من طريق الحيلة الى الدخول فيها وأظهر الاعتقاد بالمسيح وأدعى أنه صرع وفى حال صرعه لمسه المسيح وزجره عن الاساءة الى متبعيه ومن ذلك الوقت آمن وأرسله المسيح ليبشر بانجيله وانطلت حيلته على الكنيسة وهو الذى جعل النصارى يمرقون من واجبات الناموس الذى ما جاء المسيح لابطال أحكامه ولكن جاء لتأييدها فأباح لهم أكل الميتة وشرب الخمر وعلم بأن الايمان وحده كاف فى النجاه بدون عمل .... الخ

وكان تاليف لوقا انجيله بعد ما كتب مرقس انجيله وذلك بعد موت بطرس وبولس . وفى مبتدأ هذا الانجيل ينص على أنه يراسل به ثاوفيلس ليؤكد له صحة الكلام الذى علم به وعبارته هى ص ١ — ١ إذ كان كثيرون قد أخذوا بتاليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ٢ كما سلمها الينا

الذين كانوا من البدء معاينين وخداما للكلمة ٣ رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بكل تدقيق أن أكتب اليك على التوالى أيها العزيز ثاوفليس ٤ لتعرف صحة الكلام الذى سمعت به . اهـ .

قال فى كتاب الفارق (فتبين أن انجيله ليس الهاميا كما زعموا) وساق على ذلك أدلة خمسة من أقوال العلماء المسيحيين ، تلخص فى أن مستر كدل فى رسالة الالهام نص على أن انجيل لوقا ليس الهاميا استنادا الى المقدمة التى نقلناها - وتصريح جيروم بان بعض القدماء كانوا يشكون فى البابين الأولين من هذا الانجيل وأنهما ما كانا فى نسخة فرقة مارسيونى وجزم اكهارن فى صفحة ٩٥ من كتابه أن من ف ٤٣ الى ٤٧ من الباب ٢٢ من انجيل لوقا الحاقية وأن اكهارن يقول فى صفحة ٦١ من كتابه (قد اختلط الكذب الروائى ببيان المعجزات التى نقلها لوقا والكاتب ضمه على طريق المبالغة الشاعرية لكن تمييز الصدق عن الكذب فى هذا الزمان عسير . وقول كلى مى شيس إن متى ومرقس يتخالفان فى التحرير واذا اتفقا ترجح قولهما على قول لوقا .

وليعلم القارىء أن لوقا أتى فى انجيله بزيادات عما ذكره متى تبلغ نيفا وعشرين محلا بعضها معجزات وبعضها حكايات أخرى وأما زيادته عن مرقس فكثيرة جدا

٤ - انجيل يوحنا يذهب كثير من المسيحين الى أن يوحنا الانجيلى هو يوحنا أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر وأبوه زبدى الصياد . ولد فى بيت صيدا من الجليل وانه هو الذى كان يحبه عيسى جدا

قال جرجس زوين الفتوحى اللبنانى . أن شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بان المسيح ليس الا انسانا وأنه لم يكن قبل امه مريم فلذلك فى سنة ٩٦ - اجتمعوا - (أى) عموم أساقفة أسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بانجيل بما لم يكتبه الانجيليون الآخرون وأن يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح فلم يسعه أن ينكر اجابة طلبهم

وقد اضطربت كلمة المسيحيين فى السنة التى الف فيها انجيل يوحنا فمن قائل سنة ٦٥ ومن قائل سنة ٩٦ ومن قائل سنة ٩٨

وكثير من علماء النصرانية أنكروا أن يكون هذا الأنجيل من تأليف يوحنا التلميذ - فمن ذلك ما كتبه استادلن ونقله عنه صاحب كاتلك هرالد فى صفحة (٢٠٥) من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ ونصه (انَّ كافة انجيل يوحنـــا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية)

وقال برطشنيدر أن هذا الانجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثاني ونسبه الى يوحنا ليعتربه الناس وقال كروتيس كان هذا الانجيل عشرين بابا فالحقت كنيسة أفاس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا اه راجع ٣٤١ و٣٤٢ من كتاب الفارق ج ١

ومن ذلك نعلم أن الكتاب المذكور كتب لغرض خاص هو اثبات الهية المسيح والقضاء على التعاليم التي كانت تؤكد أنه انسان

ولاختلاف مصنفي الاناجيل اختلفت مصنفاتهم فبعضهم يذكر في انجيله حالات أو عجائب لايذكرها البعض الآخر أو يروى الخبر الواحد في انجيل بعبارة تناقض بالزيادة أو النقص ماذكر في الانجيل الآخر

واليكم قليلا من التناقض بين الأناجيل

(١) متى ص ٩ - ٢ واذا مفلوج يقدمونه اليه مطروحا على فراش

مرقس ص ٢:٢ وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسمع ولا ماحول الباب فكان يخاطبهم بالكلمة ٣ وجاءوا اليه مقدمين مفلوجا يحمله أربعة ٤ واذ لم يقدروا أن يقتربوا اليه من أجل الجمع كشفوا السقف حيث كان و بعد مانقبوه دلوا السرير الذي كان المفلوج مضطجعا عليه

فعبارة متى تفيد أنهم قوموه اليه تقديما عاديا وعبارة مرقس تفيد انهم نقبوا السقف ودلوه

(٢) يقول متى أن المسيح لقيه مجنونان من القبور في قرية الجرجسيين وقد صرخا قائلين مالنا ولك يايسوع وأنه أمر الروحين اللذين بهما ان يذهبا الى قطيع الخنـــازير (متى ص ٨ - ٢٨ ومابعدها) . وفي مرقس انه كان إنسانا واحدا به شياطين كثيرة (ص٥)

(٢) وفي متى ان رئيسا سجد له وقال له ابنتي ماتت تعال وضع يدك عليها فتحيا ففعل وحييت بعد موتها (١٨ ومابعدها ص٩ متى)

وفي مرقس انه قال له أنها مريضة على آخر نسمة ليتك تأتي وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا فمضى معه (مرقس ص ٥ : ٢٢) ومابعدها - وفرق بين من ماتت ومن هي مريضة

(٤) ذكر مرقس أن المسيح جاء إلى بيت صيدا فقدموا اليه اعمى وطلبوا اليه أن يلمسه فاخرجه خارج القرية وتفل في عينيه ووضع يده عليهما وسأله هل يبصر فاخبره أنه يرى الناس كأشجار يمشون فوضع يده على عينيه ثانيا وسأله فأبصر جيدا (ص ٨ آية ٢٢) وهذه لم يذكرها متى ولا غيره

ولا اريد أن اذهب الوقت فى عد امثال هذه الأشياء فمن شاء فليرجع إلى كتاب اظهار الحق لرحمة الله الهندى وكتاب الفارق بين المخلوق والخالق للباجه جى زاده والاجوبة الفاخرة للقرافى وكتاب هداية الحيارى لابن القيم

انجيل برنابا

كان برنابا من اتباع المسيح المواظبين على نشر دعوته والتبشير باقتراب ملكوت السموات وقد جاء عنه فى كتاب الأعمال ص٢ : ٣٦ ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ وهو لاوى قبرسى الجنس اه وكان هذا الرجل موثوقا به فى الكنيسة ثقة تامة ويندب لوعظ الناس المدعوين للدخول فى الدين

أعمال ص ١١ - ٢٢ فسمع الخبر عنهم فى اذان الكنيسة التى فى أورشليم فارسلوا برنابا لكى يجتاز إلى انطاكية ٢٣ الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب ٢٤ لأنه كان رجلا صالحا وممتلئا من الروح القدس والايمان فانضم الى الرب جمع غفير

أعمال ص ١١ - ٢٩ فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئا خدمة الى الأخوة الساكنين فى اليهودية ٣٠ ففعلوا ذلك مرسلين الى المشايخ بيد برنابا وشاول

اعمال ص ١٢ - ٢٥ ورجع برنابا وشاول من اورشليم بعد ما كملا الخدمه واخذا معهما يوحنا الملقب مرقس

اعمال ص ١٣ - ٢ وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه

اعمال ص ١٥ - ١١ لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضا ١٢ فسكت الجمهور كله وكانوا يسمعون برنابا وبولس يتحدثان بجميع ماصنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم

اعمال ص ١٣ - ٣٤ أنه اقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضا إلى فساد فهكذا قال انى سأعطيكم مراحم داود الصادقة ٣٥ ولذلك قال أيضا فى مزمور اخر لن تدع قدوسك يرى فسادا ٣٦ لأن داود بعد ماخدم جيـــله بمشورة الله وقد انضم الى آبائه ورأى فساده ٣٧ وأما الذى أقامه الله فلم ير فسادا

اعمال ص١٥ - ١ وانحدر قوم من اليهود وجعلوا يعلمون الأخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة

موسى لايمكنكم أن تخلصوا ، فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة المعنى رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا واناس اخرون منهم الى الرسل والمشايخ الى اورشليم من أجل هذه المسألة

اعمال ص ١٥ - ٢٩ أن تمتنعوا عما ذبح للاصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى ان حفظتم انفسكم منها فنعما تفعلون . كونوا معافين

اعمال ص١٥ - ٣٥ أما بولس وبرنابا فاقاما فى انطاكية يعلمان ويبشران مع اخرين كثيرين أيضا بكلمة الرب

هذا الرجل الذى قصصت عليكم شأنه قد وجد له انجيل مدون وهو عبارة عن قصة للمسيح كانجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا منقطع السند كما هى منقطعة السند . وهذا الانجيل يقول فيه مترجمه الدكتور خليل سعاده : تضاربت فيه اراء الباحثين وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين وخبطوا فيه بين ضلالة وهدى وتلمسوا حقيقته بين رشاد وهوى واستنطقوا الآثار والاسفار واستفسروا الأعصار والامصار فما ظفروا بعد كل ذلك بما يشفى منهم عليلا أو يبرد لهم غليلا

وهذا الانجيل كانت نسخته بمكتبة البابا (سكتس) بروما واختلسها أسقف يقــال له (فرامرينو) حين عثر عليها مصادفة فقرأها واعتنق الاسلام وذلك فى أواخر القرن السادس عشر

ويقول حضرة المترجم فى مقدمته أنه يرى أن كاتب انجيل برنابا يهودى اندلسى متمكن من الديانة اليهودية والاطلاع عليها قد تنصر واطلع اطلاعا عظيما على النصرانية ثم أسلم واطلع على الديانة الاسلامية ويرى أن هذا الحل أقرب إلى الصواب ثم قال وبعد كل ماتقدم فان هذا الانجيل قد أتى على ايات باهرة من الحكمة وطراز راق من الفلسفة الأدبية وأساليب تسحر الألباب ببلاغتها السامية على مافيها من البساطة فى التعبير وهو يرمى الى ترقية العواطف البشرية الى افق سام وتنزيهها عن الشهوات البهيمية آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حاثا على الفضائل مقبحا للرذائل داعيا الانسان الى تضحية نفسه فى سبيل الاحسان الى النـاس حتى يزول منه كل أثر للانانية ويحيا لنفع اخوانه

وقال ناشره السيد محمد رشيد رضا فى مقدمته

« لم نقف على ذكر لانجيل برنابا فى أسفار التــاريخ أقدم من المنشور الذى أصدره البـابا جلاسيوس الأول فى بيـان الكتب التى تحرم قراءتها فقد جاء فى ضمنها انجيل برنابا وقد تولى جلاسيوس البابوية فى أواخر القرن الخامس للميلاد أى قبل بعثة نبينـا محمد ﷺ - على أن بعض علمـاء أوربا يرتابون اليوم فى ذلك المنشور كما ذكر الدكتور سعادة فى مقدمته والمثبت مقدم على النـافى

وما كان من الأمر . فانجيل برنابا واحد من الاناجيل التى الفت فى قصة المسيح وان كان يمتاز عن سائرها بالبلاغة . ودقة التعبير ويصرح بامور لعلها هى التى زهدت الكنيسة فيه حتى حرمه البابا جلاسيوس . ومن ذلك التصريح باسم محمد فى كثير من المواضع وانى أنقل عن انجيل برنابا لا لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بل لأن روايته للحوادث أبين واستقصاءه للاخبار أتم وان كان فى نظرى لاتخلو بعض الموضوعات فيه من المبالغات الشعرية .

على أن الدكتور سعاده مترجم انجيل برنابا قال فى مقدمته بعد أن أفاض فى الاحتمالات والآراء فى انجيل برنابا « بيد أن هناك انجيلا يسمى بالانجيل الاغنطسى طمست رسومه وعفت آثاره يبتدىء بمقدمة تندد بالقديس بولس وينتهى بخاتمة فيها مثل ذلك من انجيل برنابا فمن المحتمل أيضا أن كاتب الانجيل الاغنطسى أبا لانجيل برنابا - وأقول : ومن المحتمل أيضـا أن كاتب الانجيل الاغنطسى ألم بما كتبه برنابا فى انجيله واقتبس منه ما أثبته فى انجيله وأن انجيل برنابا يصح أن يكون ابا للانجيل الاغنطسى . ولو أن اخواننا المسيحيين أبقوا جميع الاناجيل ولم تحرم الكنيسة قراءتها لوصلت الينـا ولو على نوع من التحريف وكانت معرضا جميلا . ولكن ذلك التحريم اعدم تلك الاناجيل وربما كان فيها الكثير الطيب والا فاين الانجيل الاغنطسى والاناجيل المذكورة فى الاناجيل وانها وجدت والاناجيل التى كان الداعون الى المسيحية كبولس يحذرون الناس من اتباعها والتى كانوا يقولون أن اصحابها يحولون انجيل المسيح ؟

الحواريون

هم أصحاب المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وخاصته الذين اختارهم ليكونوا تلاميذه وبادروا الى الايمان به وتتلمذوا له وتعلموا منه وكانوا اثنى عشر رجلا - وهذا اللفظ لم اعرفه عبرانيا . وأما عربيـا فقد قال صاحب القاموس : وقد جاء اطلاق حوارى رسول الله على الزبير بن العوام - ويظهر أن لفظ الانصار فى جانب رسول الله بمنزلة الحواريين فى جانب المسيح عليه السلام والاناجيل تعبر عنهم بلفظ « التلاميذ » واذا جاز لى تخريج هذا اللفظ فانى أقول إن معناه الاخوان فى طلب العلم من لفظ « حبور » العبرى وهو التلميذ وجمعه « حبوريم » نطق به فى العربية حوارى وحواريين

ذكرت أسماء الحواريين فى متى فى الاصحاح العاشر من انجيله

وقد ذكر برنابا أسماء التلاميذ فى الفصل الرابع عشر من انجيله

وهذه اسماء التلاميذ الاثنى عشر عند متى	وهذه أسماء التلاميذ الاثنى عشر عند برنابا
١ سمعان الذى يقال له بطرس	١ اندراوس
٢ أندراوس أخو سمعان بطرس	٢ بطرس الصياد (سمعان)
٣ يعقوب بن زبدى	٣ برنابا
٤ يوحنا اخو يعقوب	٤ متى العشار
٥ فيلبس	٥ يوحنا ⎫ ابنا زبدى
٦ برثو لماوس	٦ يعقوب ⎭
٧ توما	٧ تداوس
٨ متى العشار	٨ يهوذا
٩ يعقوب بن حلفى	٩ برثو لماوس
١٠ لباوس الملقب تداوس	١٠ فيلبس
١١ سمعان القانوى	١١ يعقوب بن حلفى
١٢ يهوذا الأسخريوطى	١٢ يهوذا الأسخريوطى

ومن ذلك نرى ان برنابا نقص من الحواريين عند متى اثنين وهما توما وسمعان الغيور المعروف بالقانوى ووضع مكانهما اسمه واسم تداوس . فهل الصواب معه ؟ ولكن الكنيسة لما رأت انجيله يخالف ما تهوى حذفت اسمه واسم سمعان من بين التلاميذ لأنهما كانا متطابقين فى الرأى ؟ — قد يكون ذلك وانهم اكتفوا فى عقابه بهذا مع بقاء اسمه بين الرسل الذين حملوا قسطا عظيما فى نشر الدعوة والتبشير باقتراب ملكوت السموات — وما كان من الأمر فقد عرفنا اسماء الحواريين على اختلاف رأيى متى وبرنابا

هؤلاء الحواريون الذين استجابوا للمسيح عليه السلام وهم الذين بثهم فى القرى اليهودية ليدعوا الكفار بدعوة المسيح ومن غلا فى شأنه او كذبه ورد دعوته

لم تكن استجابة هؤلاء للمسيح دفعة واحدة ولا فى يوم واحد . بل جاءوا متفرقين . وقد بين ذلك مرقس فى انجيله ص ١ : ١٦ الى ٢٠ وفى ص ٢ : ١٢ وقد قص الله تعالى شأن الحواريين فى سورة آل عمران والمائدة والصف

اقرءوا هذه الآيات :

سورة آل عمران ـ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي الَى ٱللّٰهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ

نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ٥٣

سورة المائدة ـ وَإِذْ أَوْحَيْتُ الَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ١١١

سورة الصف ـ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي الَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي اسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ١٤

تنبيه

قال الشيخ شهاب الدين احمد بن ادريس المالكى المعروف بالقرافى فى كتابه المشهور بالأجوبة الفاخرة

إن الأناجيل خمسة يعرف النصارى منها أربعة مشهورة والخامس لا يعرفه الا القليل منهم ـ والأربعة هى انجيل متى وهو من الحوريين الاثنى عشر وبشر بانجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين بعد صعود المسيح عليه السلام بثمان سنين ـ وعدة اصحاحاته ثمانية وستون اصحاحا .

وانجيل مرقس وهو من السبعين وبشر بانجيله باللغة الفرنجية بمدينة رومية بعد صعود المسيح عليه السلام باثنتى عشرة سنة وعدة اصحاحاته ثمانية وأربعون اصحاحا

وانجيل لوقا وهو من السبعين وبشر بانجيله بالاسكندرية باللغة اليونانية وعدة اصحاحاته ثلاثة وثمانون اصحاحا

وانجيل يوحنا وهو من الاثنى عشر وبشر بانجيله بمدينة افسس . من بلاد رومية بعد صعود المسيح بثلاثين سنة وعدة اصحاحاته فى النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون اصحاحا

الخامس يسمى انجيل الصبوة ذكر فيه الأشياء التى صدرت من المسيح فى حال طفوليته ينسب لبطرس عن مريم عليها السلام . وفيه زيادة ونقصان وقد ترك فيه كثير من معجزاته ويذكر

فيه قدوم المسيح عليه السلام وامه رضى الله عنها ويوسف النجار الى صعيد مصر اثناء عودته الى ناصرة قرية عند المقدس واليها ينسب النصارى

أقول : قد غلط القرافى رحمه الله فى قوله عن متى انه بشر بانجيله باللغة السريانية فى ارض فلسطين. فان النصارى يجهلون بأية لغة كتب متى انجيله . وانما يغلب على ظنهم انه كتبه باللغة العبرانية . كما انه غلط ايضا فى قوله عن لوقا انه من السبعين . فانه لم يكن منهم ولم ير المسيح . وانما سمع عن المسيح من القوم الذين شاهدوه . وأول انجيله شاهد بذلك إذ يقول فيه : (اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة . رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس)

وأما انجيل يوحنا الذى ذكره . فليس مقطوعا بأنه يوحنا أحد الاثنى عشر . لأن الغرض من عمل هذا الانجيل ، إنما هو أثبات لاهوتية المسيح . وذلك آخر القرن الأول كما تقدم . فلا بد ان يكون يوحنا آخر سوى الحوارى

وقوله عن يوحنا انه بشر بانجيله فى افسس من بلاد رومية . فانه يريد (من بلاد الروم) وهى بلاد الأناضول لأن أفسس ليست من بلاد ايطاليا كما توهم العبارة بل هى قبالة زاوية خليج الاسكندرونة. وتوجد افسس أخرى قرب ازمير

أما انجيل الصبوة . ويقال له انجيل طفولية المسيح فلم يتح لى الاطلاع عليه

اما عدد اصحاحات كل انجيل الآن فهى

متى ٢٧ مرقس ١٦ لوقا ٢٤ يوحنا ٢١

معجزات عيسى عليه السلام[1]

المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى يجريه الله تعالى على يد أحد الأنبياء مع انتفاء المعارض .

---

(١) نقـــد اللجنة

(معجزات عيسى عليه السلام)

قال فى صفحة ٤١٤ ما نصه

المعجزة أمر خارق للعادة يجريه تعالى على يد الأنبياء من عباده تصديقا لهم كانه بخرق العادة =

كأنه بخرق العادة يقول لعباده المرسل اليهم صدق عبدى فيما يبلغ عنى

ولقد شاهد كثير من الناس خوارق صدرت عن بعض الناس ممن لم يكونوا أنبياء كما يصدر نحو ذلك عن براهمة الهند وفقرائها الذين ربوا ارادتهم وتغلبت أرواحهم على أجسادهم — فما بالك برسل اختارهم الله لتبليغ عباده أوامره ونواهيه ليخرجوهم من الظلمات الى النور ويرشدوهم الى طريق الرشاد ويجنبوهم سبل الغواية ؟ — وليعلم القراء ان البراهمة ليس عندهم نبوات ولا يدعى أحد منهم النبوة أصلا ولو فرض وادعاها أحد منهم لم يجر الله على يده ذلك الخارق لأن إجراءه تصديق له والله لا يصدق الكاذب واذا صدر الخارق على يد صالح فهو كرامة واذا صدر عن غير صالح فاستدراج

= يقول لعباده المرسل اليهم صدق عبدى فيما يبلغ عنى ولقد شاهد كثير من الناس خوارق صدرت عن بعض الناس ممن لم يكونوا أنبياء كما يصدر نحو ذلك عن براهمة الهند وفقرائها الذين ربوا ارادتهم وتغلبت أرواحهم على أجسادهم فما بالك برسل اختارهم الله لتبليغ عباده أوامره ونواهيه ليخرجوهم من الظلمات الى النور ويرشدوهم الى طريق الرشاد ويجنبوهم سبل الغواية : اه كلامه بالحرف .

(رأى اللجنة)

إنما قصد بقوله ولقد شاهد كثير من الناس خوارق الخ تقريب حصول المعجزة من العقول والدلالة على عدم استبعاد وقوعها على أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وانا نلاحظ عليه ان تقريب المعجزة بما يصدر من الخوارق عن براهمة الهند على فرض صحة ذلك من غير توضيح الفرق بينهما يوجب اشتباها للقارىء وتشككا فى رسالة الرسل ثم ان سلوكه فى تعليل ظهور الخارق بتربية الارادة وتغلب الأرواح على الأجساد يشعر بأن المعجزة مكتسبة وهو قريب من مسلك الفلاسفة وغير ما عليه المتكلمون كما يعلم من علم الكلام .

فكان الواجب فى مثل هذا المقام أن يوضح معنى المعجزة توضيحا تاما ويميزها عن باقى الخوارق بأن يقول ان المعجزة مقرونة بالتحدى وسالمة من المعارض ثم يبين باقى الخوارق ككرامات الأولياء ثم اذا أراد التعرض الى أن الخارق قد يظهر على يد الكافر كبراهمة الهند ان كانت الخوارق تظهر منهم يجب ان يوضح ان مثل هذا يسمى استدراجا والله أعلم .

رد المؤلف على نقد اللجنة

الموضوع الخامس عشر

(معجزات عيسى عليه السلام)

لما شرعت فى الكتابة فى هذا الموضوع لم يكن من همى أن آتى على تحديد المعجزة تحديداً جامعا مانعا ولكن عنايتى كانت موجهة الى رسمها وإعطاء المطالع فكرة عامة عنها إذ الحد الجامع المانع =

من ذلك ان عيسى عليه السلام لما ابتدأ بارشاد الناس ووعظهم وردهم الى طاعة الله والاخلاص فى عبادته كان يذكر لهم انه مؤيد من الله بالمعجزات التى لا يقدر عليها غيره — من ذلك انه يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله . ومن ذلك انه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى باذن الله ، وانه ينبئهم بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم ويبين لهم ان هذه الآيات كافية فى صدقه وحملهم على الايمان له

وبين لهم انه مصدق للتوراة مؤمن بما فيها حاث على اتباعها ، وانه يحل لهم بعض ما حرم عليهم .

= إنما يكون فى الكتب الخاصة بالعلم فاما الكتاب الذى يكون معرضا لأن يقرأه المتعلم ونصف المتعلم فالتدقيق فيه يرفعه عن مستوى أذهان كثير من القراء — على أن من الأساليب الذى جرى عليها التعبير فى القرآن ان ما كان معلوما قد يسكت عنه كما فى قوله تعالى — ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، أى أتيتهم به ما آمنوا . فالأمر الذى يكون معلوما من المقام يصح حذفه وهكذا فعلت ولا لوم على

وقد لاحظت حين كتبت انه يوجد أقوام يجحدون خرق العادة للأنبياء فأردت ان أدفع فى صدور أقوالهم بأننا رأينا ورأى غيرنا من بعض الناس أمورا خارقة للعادة جرت على أيدى البراهمة والفقراء من الهنود وهم منحطون عن الأنبياء فكيف بالرسل الذين اختارهم الله تعالى لهداية عباده أى انهم أولى باعانة من أرسلهم واصطفاهم لهداية عباده وليس من حق من رأى خرق العادة للمفضول ان ينكر ذلك على الفاضل وليس ذلك من باب تصغير شأن المعجزة وقول حضرات أعضاء اللجنة (ان ذلك يوجب اشتباها للقارىء وتشككا فى رسالة الرسل) مردود بأن الكتاب قد قرأه آلاف من الناس فلم يشك أحد منهم فى رسالة الرسل ولم يقفوا فى معناه بحال فأين هو مقتضى الوجوب ؟

وأما قول حضراتهم (ثم ان سلوكه فى تعليل ظهور الخارق بتربية الارادة وتغلب الأرواح على الأجساد يشعر بأن المعجزة مكتسبة) مردود بانى لم أضف ذلك الى المعجزة وإنما أتيت بتلك العلة فى جانب الأقوام الآخرين الذين لا يصلون الى ذلك الا بالمعالجة الطويلة المستمرة . وأما الأنبياء فلم أقل فى جانبهم شيئا من ذلك لأنهم إنما يتوجهون الى الله تعالى الذى يجيبهم إلى ما طلبوه اذا شاء وكانت الحكمة فى إجراء ما طلبوه على أيديهم .

وأما قول حضراتهم (فكان الواجب فى مثل هذا المقام الخ) فانى أجيبهم بان واضع الكتاب أدرى بمن يقرءون كتابه وبما يصلح ان يشرح له شرحا وافيا وبما يصلح فيه الاجمال أو التفصيل . وهذه مسألة تختلف فيها الأنظار وذوق أي انسانٍ لا ينقض بذوقِ آخر ولكلٍ وجهة هو موليها ولكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

فانقسم الناس فى امره بين مصدق ومكذب ومقبل عليه ونافر منه

اقرءوا هذه الآيات :

سورة آل عمران — وَرَسُولًا الى بَنِى اسْرَائيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فيه فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فى بُيُوتِكُمْ انَّ فى ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ انْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ٤٩ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠ انَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١

سورة المائدة — اذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ اذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالانْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِاذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِاذْنِى وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِاذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِاذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِى اسْرَائيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ انْ هٰذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ ١١٠

سورة الزخرف — وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فيه فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ انَّ اللهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٤

بقى ان يقال . ان ادعاء المسيح عليه السلام انه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا الخ . لا يستلزم ان تلك الخوارق حصلت منه بالفعل وليس فى آيات القرآن ما يدل على أنه فعل تلك العجائب . وغاية ما تدل عليه الآيات انه كان عنده استعداد وفيه قوة على عمل ذلك . هكذا قال أبو مسلم الذى ينقل عنه الفخر الرازى كثيرا ومع تسليمنا بما يقول فان النفس مطمئنة الى أنه عمل هذه العجائب أمام أعين بنى اسرائيل وذلك

ظاهر من قوله تعالى (وإذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين)

وأما الأناجيل فقد ذكرت من العجائب والخوارق شيئا كثيرا نذكر لكم منه

(١) متى ص ٨ - ٢ واذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا ياسيد ان أردت تقدر ان تطهرنى فمد يسوع يده ولمسه قائلا أريد فاطهر وللوقت طهر برصه

وقد روى هذه الحادثة لوقا أيضا فى ص ٥ - ١٢

(٢) شفاء عبد قائد المائة - متى ص ٨ - ٥ ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء اليه قائد مائة يطلب اليه ٦ ويقول ياسيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجا متعذبا جدا ٧ فقال يسوع أنا أتى وأشفيه ٨ فأجاب قائد المائة وقال ياسيد لست مستحقا ان تدخل تحت سقفى لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى

١٣ ثم قال يسوع لقائد المائة اذهب وكما آمنت ليكن لك فبرأ غلامه فى تلك الساعة

وهذه الحادثة قد ذكرها لوقا مع اختلاف إذ جعل شيوخ بنى اسرائيل هم الذين سألوا يسوع أن يشفى الغلام

وذكر هذه الحادثة يوحنا على أن المريض ابن خادم للملك

(٣) متى ص ٨ - ٢٣ ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ٢٤ واذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائما ٢٥ فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين يا سيد نجنا فانا نهلك ٢٦ فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الايمان ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم

(٤) جاء فى متى ص ٨ - ٢٨ ولما جاء الى العبر الى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدا حتى لم يكن أحد يقدر ان يجتاز من تلك الطريق واذا هما قد صرخا قائلين . ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا - وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى فالشياطين طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فاذن لنا ان نذهب الى قطيع الخنازير كله فقال لهم امضوا فخرجوا ومضوا الى قطيع الخنازير واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات فى المياه . أما الرعاة فهربوا ومضوا الى المدينة وأخبروا عن كل شىء وعن أمر المجنونين فاذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ولما أبصروه طلبوا ان ينصرف عن تخومهم

وقد ذكر هذه الحادثة كل من مرقس ولوقا بجعل لفظ الجرجسيين بدله الجدريين وجعل مجنون بدل مجنونين

(٥) فى متى ص ٩ - ١ فدخل السفينة واجتاز وجاء الى مدينة واذا مفلوج يقدمونه اليه مطروحا على فراش فلما رأى يسوع ايمانهم قال ثق يابنى مغفورة لك خطاياك . واذا قوم من الكتبة قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف فعلم يسوع أفكارهم فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم ؟ أيما أيسر ان يقال مغفورة لك خطاياك أم ان يقال قم وامش ؟ ولكن لكى تعلموا ان لابن الانسان سلطانا على الأرض . ان يغفر الخطايا حينئذ قال للمفلوج قم واحمل فراشك واذهب الى بيتك فقام ومضى الى بيته . فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا

وقد ذكر هذه الحادثة كل من مرقس ولوقا بتغيير فقد نص مرقس على ان المدينة كفر ناحوم وأغفل ذكرها كل من متى ولوقا ومتى ذكر انه قدم له مطروحا على فراش وقال لوقا دلى اليه على سرير وقال مرقص انهم نقبوا السقف ودلوه اليه

(٦) متى فى الاصحاح التاسع — ١٨ الى ٢٦ حادثة مضمونها ان أحد الرؤساء جاء الى المسيح وسجد له طالبا منه إحياء ابنته التى قد ماتت وفيما هو ذاهب لمست امرأة ثوبه وكان بها نزيف مزمن فشفيت ولما وصلت الى بيت الرئيس نحى المجتمعين على البنت قائلا ان الصبية لم تمت ولكنها نائمة فضحكوا عليه فاخرجهم وأمسك بيدها فقامت

وقد حكى مرقس هذه القصة بتغيير فلم يذكر ان الصبية قد ماتت ولكن قال انها على آخر نسمة والخبر جاء بموتها والمسيح فى المجمع ولوقا حذا حذو مرقس

(٧) أورد متى فى الاصحاح المذكور ف ٢٨ أن المسيح فيما هو مجتاز من هناك تبعه أعميان من هناك يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود

وبعد لاى قال لهما أتؤمنان انى أقدر أن أفعل هذا فقالا نعم فلمس أعينهما فأبصرا وأكد عليهما ان يكتما الخبر فاذاعاه فى كل الأرض

وقص هذه القصة مرقس وقال ان ذلك كان عند خروجه من اريحا وإن الاعمى كان واحدا لا اثنين وان اسمه باتيماوس ووافق لوقا مرقس فى هذه القصة بعض الموافقة (١٠ ص ف ٤٦)

وأوردها لوقا ص ١٨ — ف ٣٥ موافقا مرقس فى أنه أعمى أبصر وذكر ان المسيح تفل على الأرض وصنع من التفلة طينا وطلى به عين الاعمى وقال له اغتسل فى بركة سلوان فمضى واغتسل وأتى بصيرا

(٨) فى الاصحاح ١٤ من متى ف ١٥ ولما صار المساء تقدم اليه التلاميذ قائلين الموضع خلاء، والوقت قد مضى . اصرف الجموع لكى يمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاما . فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا أعطوهم أنتم ليأكلوا . فقالوا له ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان فقال ائتونى بها إلى هنا فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء و بارك و كسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ؟ للجموع فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا مافضل من الكسر اثنى عشرة قفة مملوءة والآكلون نحو خمسة آلاف ماعدا النساء والأولاد اه وقد ذكر باقى أصحاب الاناجيل هذه الحكاية مع بعض التخالف

وهنا أقول أن هذه المساله هى مسالة المائد السماوية [1] ومعنى كونها سماويه أن الله تعالى بارك فى

---

[1] نقد اللجنة

الموضوع الرابع

(مسألة المائدة التى أنزلت على عيسى عليه السلام)

قال فى صفحة ٤١٩ ما نصه: —

فى الاصحاح ١٤ من متى ف ١٥

ولما صار المساء تقدم اليه التلاميذ قائلين الموضع خلاء والوقت قد مضى اصرف الجموع لكى يمضوا الى القرى ويبتاعوا لهم طعاما فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا أعطوهم انتم ليأكلوا فقالوا له ليس عندنا ههنا الا خمسة أرغفة وسمكتان فقال ائتونى بها الى هنا فامر الجموع ان يتكئوا على العشب ثم أخـــذ الارغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وبارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع فاكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنى عشر قفة مملوءة والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف ما عدا النساء والأولاد اه .

وقد ذكر باقى أصحاب الأناجيل هذه الحكاية مع بعض التخالف :

وهنا أقول ان هذه المسئلة هى مسئلة المائدة السماوية ومعنى كونها سماوية ان الله تعالى يبارك فى الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة ـ وبعد ان ذكر الآيات القرآنية الواردة فيها وحكى عن المفسرين الخلاف فى نزولها وعدم نزولها قال :

وأنا أكرر القول ان مسالة المائدة هى مسالة الأرغفة الخمسة والسمكتين والمراد بانزالها عليهم ان يرزقهم الله تعالى الطعام الكثير من حيث لايحتسبون ومن أراد المطرب المعجب من روايات=

الطعام بطريقة غير معروفة ولامألوفة . وقد حكيت فى القرآن الكريم بقوله تعالى فى سورة المائدة (إذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا واخرنا

=القائلين بنزولها وعن مدة نزولها وكيفية نزولها وما كان عليها من طعام وبقول وغير ذلك فليرجع الى روح المعانى للالوسى ص ٤١٠ ج ٣ . اه كلامه .

(رأى اللجنة)

نحن والحق يقال فى حيرة شديدة من تصرف الأستاذ مؤلف هذا الكتاب ولم نهتد الى جواب عن تصرفه هذا تطيب اليه النفس :

ذلك انه اعتبر انجيل متى كتابا ثابتا صحيحا معتمدا يجوز صرف القرآن الكريم عن ظاهره وتاويله على مقتضى ماورد فى هذا الانجيل مع الاعراض عن المأثور فى تفسير القرآن وعما أجمع عليه أئمة التفسير .

يقول فضيلته ويكرر القول ان مساله المائدة السماوية التى جاء بها القرآن الكريم هى مسالة الأرغفه الخمسة والسمكتين المحكية فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى .

ونحن نقول له على فرض صحة القصة التى حكيت فى انجيل متى، كيف يحمل عليها قوله تعالى (اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ، قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) صدق الله العظيم

ان ما قص فى الانجيل يتضمن ان التلاميذ طلبوا من عيسى ان يصرف الجموع الى القرى ليبتاعوا طعاما لعدم وجود ما يكفى هذه الجموع عندهم فمنعهم عيسى وطلب ما عندهم من الطعام وهو خمسة أرغفة وسمكتان فدعا الله فبارك فيه وأكل الجميع منه الخ ما ذكر فى الانجيل :

فاين سؤال الحواريين لعيسى بان ينزل عليهم مائدة من السماء فيما قص فى الانجيل وأين مجادلة عيسى لهم ونهيهم عن مثل هذه المطالب فى المعنى ثم اعتذارهم بماقالوه وحكاه الله تعالى عنهم وأين طلب عيسى من الله تعالى بان ينزل مائدة من السماء تكون عيدا لأولهم وآخرهم وأين إجابة الله له بقوله (انى منزلها عليكم) مع الوعيد الشديد لمن يكفر بعد انزالها .

وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين)

وهنا اختلف المفسرون . فقال بعضهم انها نزلت وان الذين كفروا بعيسى بعد الأكل من المائدة مسخوا خنازير تحقيقا لقوله تعالى (أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين)

= ثم يقال له هل يطلق على الطعام الذى بورك فيه انه مائدة أنزلت من السماء وكانت عيدا لأولهم وآخرهم ووقع التوعد بان من يكفر منهم بعد إنزالها يعذبه الله عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين اللهم انا نبرأ اليك من مثل هذه الآراء، نعم تكثير الطعام والماء يعتبر من المعجزات ووقع نظيره لسيد الخلق كما ثبت فى الصحيحين، ولكنه غير مايفهم من آيات المائدة، ثم أى داع الى مخالفة المأثور والجمهور من المفسرين الى ما ذكر فى انجيل متى .

لقد ذكر المفسرون ان ابن المنذر وابن جرير وابن أبى حاتم رووا باسانيدهم عن عمار بن ياسر موقوفا ومرفوعا والوقف أصح قال أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخونوا الخ الحديث .

هذا وانا نعتب على الأستاذ فى قوله (ومن أراد المطرب المعجب الخ فانه لا يقصد بها بعد بيان رأيه فى المائدة الى التهكم بأئمة التفسير انتصارا لانجيل متى (سامحه الله) والله أعلم .

رد المؤلف عليها

الموضوع الرابع

(مسألة المائدة)

أود أن أقدم بين يدى القارىء الكريم مقدمة يستبين بها معنى نزول المائدة وهل يتعين أن يكون الانزال من السماء؟ أوله معان أخرى يمكن حمل ما ورد فى القران عليها (قال الراغب : النزول فى الأصل هو انحطاط من علو - وأنزل الله نعمه أو نقمه على الخلق أعطاهم اياها . وذلك أما بانزال الشىء نفسه كانزال القران . وأما بانزال أسبابه والهداية اليه كالحديد واللباس ا هـ)

استعمالات الانزال وتنزيل الشىء فى القران

(١) وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج . الزمر ٦ - الانزال مجاز عن القضاء والقسمة .

(٢) وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس .

الحديد ٢٢ - قال الحسن اى خلقناه - وقال قطرب هيأناه لكم وانعمنا به عليكم من نزل الضيف

(٣) هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين الفتح ٤ - المراد خلقها وايجادها وفى التعبير عن ذلك بالانزال ايما الى علو شأنها .

وقال آخرون ان المائدة لم تنزل اذ لم ينص القرآن على نزولها بالفعل وان الطالبين للمائدة لم يطلبوها بعد أن اشترط الله تعذيب من كفر بعد نزولها تعذيبا شديدا فخشوا أن يحيق بهم العذاب

وأنا أكرر القول أن مسألة المائدة هي مسألة الأرغفة الخمسة والسمكتين والمراد بانزالها عليهم أن يرزقهم الله الطعام الكثير من حيث لايحتسبون ومن أراد المطرب المعجب من روايات

= وقيل المعنى حط السكينة فى قلوبهم فكأن قلوبهم منزل لها ومأوى .

(٤) ثم أنزل عليكم من بعدالغم امنة آل عمران ١٥٤ - والمعنى ثم وهب لكم أيها المؤمنون .

(٥) ان يقولوا لولا أنزل عليه كنز.

هود ١٢ - وعبروا بالانزال دون الاعطاء لأن مرادهم التعجيز يكون ذلك على خلاف العادة لأن الكنوز إنما تكون فى الأرض ولا تنزل من السماء ويحتمل أنهم أرادوا بالانزال الاعطاء من دون سبب عادى كما يشير اليه سبب النزول أى لولا أعطى ذلك ليتحقق عندنا صدقه .

(٦) ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه .

الرعد ٧ - كالآيات التى أنزلت على موسى وعيسى عليهما السلام .

(٧) فقال رب إنى لما أنزلت الى من خير فقير القصص ٢٤ - أى لأى شىء تنزله من خزائن كرمك الى .

(٨) أم أنزلنا عليهم سلطانا .

الروم ٣٥ - الانزال مجاز عن التعليم أو الاعلام .

(٩) يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا

الاعراف ٢٦ - أى خلقنا لكم ذلك بأسباب نازلة من السماء كالمطر الذى ينبت به القطن الذى يجعل لباسا . قاله الحسن . وعن أبى مسلم ان المعنى أعطيناكم ذلك ووهبناه لكم وكل ما أعطاه الله تعالى لعبده قد أنزل عليه من غير أن يكون هناك علوا وسفل بل هو جار مجرى التعظيم كما تقول رفعت حاجتى الى فلان وقصتى الى الأمير وليس هناك نقل من سفل الى علو .

وقيل المراد قضينا لكم ذلك وقسمناه وقضايا الله تعالى وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح المحفوظ وعلى كل فالكلام لا يخلو من مجاز .

(١٠) وأنزلنا عليكم المن والسلوى .

البقرة ٥٧ - قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السمانى ، (بيضاوى) .

(١١) فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء .

القائلين بنزولها وعن مدة نزولها وكيفية نزولها وما كان عليها من طعام وبقول وغير ذلك فليرجع الى روح المعانى للالوسى ص ٤١٠ ج ٢

(٩) وفى الاصحاح ١٤ متى ف٢٢ وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه الى العبر حتى يصرف الجموع وبعد ماصرف الجموع صعد الى الجبل منفردا ليصلى ولما صار المساء

= البقرة ٥٩ ـ الرجز الطاعون ، (بيضاوى) ،

(١٢) ولو أن أهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض .

الاعراف ٩٦ ـ وقيل المراد بالبركات السماوية المطر وبالبركات الأرضية النبات .

والذى تلخص لنا أن الانزال فى القرآن ورد بمعنى :

(١) القضاء وان قضايا الله تعالى وقسمه توصف بالنزول من السماء .

(٢) القسمة

(٣) الخلق

(٤) التهيئة

(٥) الأنعام

(٦) الايجاد

(٧) الهبة

(٨) الاعطاء بدون سبب عادى

(٩) اجراء الآيات على يد النبى

(١٠) الاصابة

(١١) تيسير الشىء

اذا علمنا هذا علمنا أنه يمكن حمل إنزال المائدة من السماء على تيسير الطعام لهم بدون الأسباب العادية التى يعرفونها .

وقد جرى العرف على تسمية الأشياء التى يعجز الناس عن تعليلها بانها سماوية وذكر ذلك فى كتب الفقهاء كثيرا

وتكثير الطعام القليل الى أن يعم الآلاف من الناس أمر يعجز البشر بمقتضى بشريتهم عن أن يأتوا بمثله .

اذا تقرر هذا عندك أيها القارىء الكريم فارجو أن تحتفظ بهذه المعانى للنزول وإنى اشرع فى الكلام على ما جاء بنقد أصحاب الفضيلة لكتابى في هذا الموضوع فاقول :

كان هناك وحده وأما السفينة فكانت قد صارت فى وسط البحر معذبة من الأمواج لأن الريح مضادة . وفى الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشيا على البحر فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلين انه خيال ومن الخوف صرخوا فللوقت كلمهم يسوع قائلا تشجعوا أنا هو لا تخافوا . فاجابه بطرس وقال ياسيد ان كنت أنت فمرنى أن آتى اليك على الماء وذهب ليأتى الى

= ابتدأ حضرات أصحاب الفضيلة قولهم فى شأن هذا الموضوع بابداء الحيرة والاندهاش الشديدين وربما رأوا فى هذا القول تسهيلا لمهمتهم التى كلفوا بادائها ليكون برهانا على أنهم بازاء رجل فاتته كل مميزات أهل الاخلاص وليكون ذلك تزكية لأنفسهم ودليلا على غيرتهم على الدين فى مقابلة رجل لا غيرة لديه على ذلك الدين .

ومن جهة أخرى ليحملونى منة يطوقون بها عنق وهى أنهم بحثوا عن طريق يرون فيها لى الخلاص وبذلوا فى ذلك غاية ما يستطيعون فلم يظفروا لأن عملى كان فيه من مجافاة الدين ما قام حائلا دون ما يتمنون فلهم منى الشكر الاوفى الاوفر

قالوا « نحن والحق يقال فى حيرة شديدة من تصرف الأستاذ مؤلف هذا الكتاب ولم نهتد الى جواب عن تصرفه هذا تطمئن اليه النفس .

« ذلك انه اعتبر انجيل متى كتابا ثابتا صحيحا معتمدا يجوز صرف القرآن الكريم عن ظاهره وتأويله على مقتضى ما ورد فى هذا الانجيل مع الاعراض عن المأثور فى تفسير القران وعما أجمع عليه أئمة التفسير »

وانا أتحدى حضراتهم جميعا واسمح لهم أن يستعينوا من شاءوا على إيجاد جملة فى قولى قلت فيها « ان انجيل متى صحيح ثابت معتمد يجوز صرف القران الكريم عن ظاهره وتأويله على مقتضى ماورد فى هذا الانجيل »

فان لم يفعلوا « ولن يفعلوا » فعليهم أن يتقوا الله فى عباده وعقائدهم فى الدين ويجب عليهم وهم يكتبون فى مثل هذا الموضوع الدقيق الحساس أن يمسكوا بايديهم أقلاما يخطون بها لا مباضع يجرحون بها عباد الله بغير جرم ولا ترة ولا بينة من الله ولا هدى ولا كتاب منير .

رأيى فى انجيل متى وسائر الأناجيل واضح معلوم مبسوط بصفحة ٤٠١ من كتابى وما بعدها والواجب على حضراتهم أنهم لا يجعلون كتابى عضين . إذ ليس من الميسور لى ولا لغيرى كلما ذكر اسم انجيل من الأناجيل اعادة كل ما كتب عنه فى هذا الكتاب

وقد قلت عن انجيل متى فى صفحة ٤٠١ نقلا عن كتاب اظهار الحق ما نصه :

يسوع ولكن لما رأى الريح شديدة خاف وإذا ابتدأ يغرق صرخ قائلا يارب نجنى ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له . ياقليل الايمان لماذا شككت . ولما دخلا فى السفينه سكنت الريح والذين فى السفينه جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقه أنت ابن الله ـ انتهى

وقد ذكر هذه الحكاية كل من مرقس ويوحنا مع اختلاف مع متى فى بعض تفاصيلها وأهملها لوقا

= الانجيل الذى ينسب الى متى الآن

(وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم) ليس من تصنيفه يقينا بل صنعوه بعد لما حرفوه لأن القدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتاخرين على أن انجيل متى كان باللسان العبرى وهو ضاع وفقد لسبب تحريف بعض الفرق المسيحية .

والانجيل الموجود الآن ترجمته ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة حتى لم يعلم اسم المترجم باليقين الى هذا الحين كما اعترف به جيروم من أفاضل قدمائهم فضلا عن علم احوال المترجم)

ولما تكلمت عن معجزات المسيح فى ص ٤١٤ تكلمت عن المعجزات التى جاء بهـا القرآن وأتيت بالآيات الدالة عليها . وقد ذكرت تلك المعجزات فى القرآن مجملة ومعجزة المائدة ليس بها نص قطعى الثبوت والدلالة والمفسرون مختلفون فى شانها ـ هل وجدت أو لا ؟ ولكل من الرأيين مكانة

وفى صفحة ٤١٦ شرعت أكتب فى معجزات المسيح حسب ما بين بالأناجيل ولما كان انجيل متى أولها وأقدمها عندهم اعتبرته أصــلا أقيس عليه ما كتب غيره من الأناجيل فكتبت فى معجزات المسيح تفصيلا طبقا لما نصته كتب المسيحيين ومناقشا لها بسبب اختلافهم فيها ومبينا تضارب أناجيلهم فيها وتكذيب بعضها بالبعض الآخر الى أن وصلت الى مساله إطعام نحو خمسة آلاف ما عدا النساء والأولاد من خمسة أرغفة وسمكتين التى ذكرها متى كما ذكرها سائر أصحاب الأناجيل بتخالف قليل

وقد نظرت فى هذه المسالة الى ناحية القران الكريم . فوجدتها قد ذكرت على ضرب اخر وهو طلب الحواريين الى المسيح ان يدعو الله ان ينزل عليهم مائدة من السماء وان الله وعده إنزالها متوعدا من كفر بعد انزالها ان يعذبه عذابا لا يعذبه أحدا من العــالمين ولم ينص الله تعالى فى الكتاب الكريم انه أنزلها عليهم وانهم أكلوا منها ثم آمنوا أو كفروا ، ونظرت من كتب التفسير الى ما قاله ابن جرير الطبرى والنيسابورى والحــافظ وابن كثير والبغوى والألوسى فوجدتهم يحكون اختلاف العلماء فى نزول المائدة من السماء ووجدت ان مجاهدا يقول ان ذلك مثل ضربه الله تعالى لخلقه نهاهم به عن مسالة نبى الله الآيات . والحسن يقول لما قيل لهم (فمن يكفر=

وقد أشار إلى هذه الحكاية المعرى فى بعض قصائده إذ يقول لخيال المحبوبة

سريت إلينا والركاب سفائن — كعادك فينا والركائب أجمال
أعمت الينا أم فعال ابن مريم — فعلت وهل يعطى النبوة مكسال

فقوله – أم فعال ابن مريم أى مشيت على الماء كما مشى عيسى بن مريم

= بعد منكم) الى اخر الآية قالوا لا حاجة لنا فيها فلم تنزل ص٨١ ج ٧ الطبرى . قال النيسابورى وأكدوا هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا لأولهم واخرهم فلو نزلت لبقى العيد الى يوم القيامة هامش ٦٤ ج ٧ طبرى وهامش ٢٧٤ ج ٣ وفى ابن كثير ، ٢٧٩ ج ٣ بشأن نزول المائدة (لا يعرفه النصارى وليس هو فى كتابهم ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعى على نقله وكان يكون موجودا فى كتابهم متواترا ولا أقل من الآحاد والله أعلم)

أما أنا فقد وجدت الاشارة اليها فى كتبهم وهى ان عيسى قد أطعم من طعام قليل الافا فترجح عندى انها المائدة التى ذكرت فى الكتاب الكريم فقلت ما نصه :

ان هذه المسالة هى مسالة المائدة السماوية ومعنى كونها سماوية ان الله تعالى بارك فى الطعام بطريقة غير معروفة ولا مالوفة وقد حكيت فى القران الكريم فى سورة المائدة الخ .

وبما قدمت يعلم ان نزول المائدة أمر غير مقطوع به عندنا وحينئذ فللرأى مجال فيها ولذلك اختلاف العلماء فى امرها على النحو الذى بينا ولا حرج على فى ان أفهمها على النحو الذى فهمته .

ويذهب عقلى مغضبا ان تركته — سدى واتبعت الشافعى ومالكا

وقد غضب على حضرات الأفاضل غضبة الجلاد على من لم يجن عليه ذنبا – على ان حضراتهم فى غضبتهم علىّ انما يريدون نقلى عن مسألة اسرائيلية مفهومة الى مسألة اسرائيلية لم أفهمها فبأى كتاب أم باية سنة يقولون لى لا تفهم ماقاله متى وهو لا يعدو انه من الاسرائيليات وافهم بدون تعقل ماذهب اليه المفسرون من الاسرائيليات ؟ ولقد شرق القائلون بنزولها وغربوا ، واتهموا وأنجدوا ثم لم يكن كلام أكثرهم الا أنها من سمك وخبز وحلاها بعضهم بان الخبز كان من الرز وزاد بعضهم بقولا على الأرغفة وزاد آخرون زيتونا وتمرا وملحا وسمنا ورمانا وقديدا . ولكنهم جعلوا قاعدة الطعام الأصلية الخبز والسمك كما قلت .

وأما اشتدادهم فى مسألة المحاورة التى تقدمت دعاء عيسى بنزول المائدة وانها فى القران تخالف ما جاء فى الانجيل فقد علم حضراتهم انى قلت فى صفحة ٤ من كتابى ان ما فى القرآن هو الحق الذى لا مرية فيه وان ما خالفه من كتب أهل الكتاب لا يعول عليه – فلا بد ان المحاورة =

(١٠) جاء فى متى ص ١١ ف ٢٣ حينئذ أحضر اليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه حتى ان الأعمى الأخرس تكلم وأبصر . وقد أهمـــل مرقس ويوحنا هـذه الواقعة . وقد ذكرها لوقا بقوله ص ١١ف ١٤ وكان يخرج شيطانا وكان ذلك أخرس ولم يذكر أنه أعمى وجعل الاخرس الشيطان لا المجنون

= كانت طبق ما جاء فى القران لا طبق ما جاء فى الانجيل .

وكان يجدر بحضرات الأفاضـل (وقد فحصوا كتابى كله) ان يتذكروا ما كتبتـه فى صفحة ٤٠٣ بشأن انجيل متى إذ جاء فيها — لـكن هذه النسخة العبرانية « نسخة انجيل متى » قد فقدت . وبعد فقدها ظهرت ترجمتها فى اليونانية فلم يعرف الذى ترجمها

وأما صلب القصة فانه لا يخالف ما فى القران بعد الاعتبـارات التى أبديتها فهو على الأقل أمر غير مقطوع بكذبه .

أما عتاب حضراتهم لى على التهكم بمن سموهم أئمة التفسير فلحضراتهم العتبى حتى يرضوا .

ولـكنى أوجه نظرهم الى ان الأقوال التى قلت فيهـا « ومن أراد المطرب المعجب الخ » ليست الا اسرائيليات ذكرها المفسرون فى كتبهم ويكفى حضراتهم ليعلموا انى لم أقل الا حقا ان يقرءوا ما ياتى :

الألوسى ص ٤١٠ ج ٢٠ فى تفسير آية المائدة

وأخرج ابن جرير وغيره عن الحسن ومجاهد ان القوم لما قيل لهم فمن يكفر الخ قالوا لا حاجة لنا بها فلم تنزل والجمهور على الأول وعليه المعول.فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عمار بن ياسر موقوفا ومرفوعا والوقف أصح قال:أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا ألا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنـازير وكان الخبز من ارز على ما روى عن عكرمة — وروى ان عيسى عليه الصلاة والسـلام لما ساله قومه ذلك فدعا أنزل الله تعالى عليهم سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها فى الهواء منقضـة من السماء تهوى اليهم وعيسى عليه السـلام يبكى خوفا من الشرط الذى اتخذ عليهم فيهـا فما زال يدعو حتى استقرت السـفرة بين يديه والحواريون حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا رائحة مثلها قط وخر عيسى عليه الصلاة والسلام والحواريون سجدا شكرا لله تعالى وأقبل اليهود ينظرون اليهم فرأوا ما يغمهم ثم انصرفوا فاقبل عيسى عليه الصلاة والسلام ومن معه ينظرونها فاذا هى مغطاة بمنديل فقال عليه الصلاة والسـلام من أجرؤنا على كشفه وأوثقنا بنفسـه وأحسننا بلاء عند ربه حتى نراها ونحمد ربنا سبحانه وتعالى ونا كل من رزقه الذى رزقنا ؟ فقالوا ياروح الله وكلمته أنت =

جاء فى ص ١٢ ف ٩ متى ثم انصرف من هناك وجاء الى مجمعهم ١٠ واذا انسان يده يابسة فسألوه قائلين هل يحل الابراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه ١١ فقال لهم أى انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط فى السبت فى حفرة أفما يمسكه ويقيمه ؟ ١٢ فالانسان

—

=أولى بذلك . فقام واستانف وضوءا جديدا ثم دخل مصلاة نصلى ركعات ثم بكى طويلا ودعا الله تعالى ان ياذن له فى الكشف عنها ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقا .

ثم انصرف وجلس حول السفرة وتناول المنديل وقال باسم الله خير الرازقين وكشف عنها فاذا عليها سمكة ، ضخمة مشوية ليس عليها بواسير وليس فى جوفها شوك يسيل السمن منها قد نضد حولها بقولها من كل صنف غير الكراث . وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر خمس رمانات . وفى رواية على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فساله شمعون عنها وأجابه بما تقدمت روايته ثم قالوا له عليه الصلاة والسلام إنما نحب ان ترينا اية فى هذه الآية فقال عليه الصلاة والسلام سبحان الله تعالى أما اكتفيتم ثم قال يا سمكة عودى باذن الله تعالى حية كما كنت فاحياها الله تعالى بقدرته فاضطربت ، وعادت حية طرية تلمظ كما يتلمظ الأسد تدور عيناها لها بصيص وعادت عليها بواسير. ففزع القوم منها وانحاشوا فقال عليه الصلاة والسلام ما لكم تسالون الآية فاذا أراكموها ربكم كرهتموها . ما أخوفنى عليكم بما تصفون ياسمكة عودى باذن الله تعالى كما كنت مشوية ثم دعاهم الى الأكل . فقالوا يا روح الله أنت الذى تبدأ بذلك فقال معاذ الله تعالى . يبدأ من طلبها فلما رأوا امتناع نبيهم عليه الصلاة والسلام خافوا أن يكون نزولها سخطة وفى أكلها مثلة فتحاموها فدعا عليه الصلاة والسلام لها الفقراء والزمنى وقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله تعالى الذى أنزلها لكم ليكون مهنئوها لكم وعقوبتها على غيركم وافتتحوا كلكم باسم الله واختتموا بحمد الله ففعلوا فاكل منها ألف وثلثمائة انسان بين رجل وامرأة وصدروا منها وكل واحد منهم شبعان يتجشى . ونظر عيسى عليه السلام والحواريون ما عليها كهيئته إذ نزلت من السماء لم ينتقص منه شىء ثم انها رفعت الى السماء وهم ينظرون فاستغنى كل فقير أكل منها وبرىء كل زمن منهم أكل منها فلم يزالوا أغنياء صحاحا حتى خرجوا من الدنيا . وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا ان يأكلوا منها ندامة سالت منها أشفارهم وبقيت حسرتها فى قلوبهم . وكانت المائدة اذا نزلت بعد ذلك أقبلت بنو اسرائيل اليها من كل مكان يسعون . فزاحم بعضهم بعضا الأغنياء والفقراء والنساء والصغار والكبار والأصحاء والمرضى يركب بعضهم بعضا . فلما رأى عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك جعلها نوبا =

كم هو أفضل من الخروف . إذا يحل فعل الخير فى السبوت ١٣ ثم قال للانسان مد يدك فمدها فعادت صحيحة كالأخرى

(١١) فى متى اصحاح ١٥ ف ٢١ ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحى صور وصيداء ٢٢ واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمنى ياسيد يا ابن داود بنتى

= بينهم . فكانت تنزل يوما ولا تنزل يوما فلبثوا فى ذلك أربعين يوما تنزل عليهم غبا عند ارتفاع الضحى فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى اذا قالوا ارتفعت عنهم ، فأذن الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام أن اجعل رزقى لليتامى والمساكين والزمنى دون الأغنياء من الناس . فلما فعل الله تعالى ذلك ارتاب بها الأغنياء وغمصوا ذلك حتى شكوا فيها فى أنفسهم وشككوا فيها الناس ، وأذاعوا فى أمرها القبيح والمنكر ، وأدرك الشيطان منهم حاجته وقذف وسواسه فى قلوب المرتابين . فلما علم عيسى عليه السلام ذلك منهم قال :

هلكتم واله المسيح سألتم نبيكم ان يطلب المائدة لكم الى ربكم فلما فعل وأنزلها عليكم رحمة ورزقا وأراكم فيها الآيات والعبر كذبتم بها وشككتم فيها . فأبشروا بالعذاب فانه نازل بكم الا ان يرحمكم الله تعالى ، وأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام انى آخذ المكذبين بشرطى وأنا معذب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . فلما أمسى المرتابون وأخذوا مضاجعهم فى أحسن صورة مع نسائهم آمنين . وكان آخر الليل سخطهم الى خنازير وأصبحوا يتبعون الأقذار فى الكناسات

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال لبنى اسرائيل هل لكم أن تصوموا ثلاثين يوما ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم فان أجر العامل على من عمل له ففعلوا - ثم قالوا يامعلم الخير - قلت لنا ان أجر العامل على من عمل له وأمرتنا ان نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما الا أطعمنا فهل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء الى قوله تعالى أحدا من العالمين .

فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها اخر الناس كما أكل أولهم .

وجاء عنه ان المائدة كانت تنزل عليهم حيث نزلوا

وعن وهب ابن منبه ان المائدة كان يقعد عليها أربعة الاف فاذا أكلوا شيئا أبدل الله تعالى مكانه فلبثوا بذلك ما شاء الله

فاذا كان حضرات أصحاب الفضيلة أعضاء اللجنة لايرون فيما نقلته عن الألوسى شيئا من =

مجنونة جدا ٢٣ فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه قائلين أصرفها فانها تصيح وراءنا ٢٤ فأجاب وقال لم ارسل إلا الى خراف بيت اسرائيل الضالة ٢٥ فأتت وسجدت له قائلة ياسيد أعنى ٢٦ فأجاب وقال ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ٢٧ فقالت نعم ياسيد والكلاب أيضا تاكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها ٢٨ حينئذ أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم ايمانك ليكن لك كما تريدين فشفيت ابنتها من تلك الساعة .

(١٢) فى متى ص ١٧ ف ١٤ ولما جاءوا الى الجمع تقدم اليه رجل جاثيا له ١٥ ياسيد ارحم ابنى فانه يصرع ويتألم شديدا ويقع كثيرا فى النار وكثيرا فى الماء ١٦ وأحضرته الى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه ١٧ فاجاب يسوع وقال أيها الجيل الملتوى غير المؤمن الى متى أكون معكم . إلى متى احتملكم ؟ قدموه إلى ههنا ١٨ فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى من تلك الساعة.

(١٣) فى متى ص ١٩ ف ١ ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل الى تخوم اليهودية من عبر الاردن ٢ وتبعه جموع كثيرة فشفاهم هناك .

(١٤) متى ص ٢٠ ف ٢٩ وفيما هم خارجون من اريحا تبعه جمع كثير ٣٠ واذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا ياسيد يا ابن داود ٣١ فانتهرهما الجمع

= العجب فان رأيهم هذا من العجب فى نظرى ، ونكون قد أصبحنا فى زمن كله عجب فى عجب، ورحم الله أبا الطيب اذ يقول

ولكن هى الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

وبعد هذه السياحه الطويلة أقول لحضراتهم — هل يزيد ما قلته على أنى أنكر نزول المائدة ؟ وهل يعيبنى عند ربى أن أنخلع من الصف الذى يقف فيه حضراتكم وأنتظم فى صف مجاهد والحسن .

ان شرفا عظيما لى ان أقف فى صف هذين الامامين العظيمين الجليلين

وبما تقدم قد استبان ماقلته فى كتابى ، وانى لم أخالف به نصا قطعى الثبوت والدلالة وان التأويل الذى ذهبت اليه تشهد له استعمالات القرآن الكريم للنزول وانه سائغ لا غبار عليه .

وآخر كلمة أقولها فى هذا الموضوع — ان المائدة لا يشهد بنزولها نص قطعى وان الأقوال فيها ثلاثة (١) انها نزلت (٢) انها لم تنزل (٣) انها مسألة الخمسة الأرغفة والسمكتين — وللقارىء ان يختار ولا أنكر ان القول الأخير لى وعلى تبعته أمام الله أن كانت عليه تبعة

ليسكتا . فكانا يصرخان أكثر قائلين ارحمنا ياسيد يا ابن داود ٣٢ فوقف يسوع وناداهما وقال ماذا تريدان أن أفعل بكما ٣٣ فقالا ياسيد أن تفتح أعيننا ٣٤ فتحنن يسوع ولمس اعينهما فللوقت أبصرت أعينهما وتبعاه . وخالف بطرس فى كونهما أعميين وقال كان أعمى واحدا

(١٥) متى ص ٢١ ف ١٨ وفى الصبح إذ كان راجعا الى المدينة جاع ١٩ فنظر شجرة تين على الطريق وجاء اليها فلم يجد فيها شيئا إلا ورقا فقط . فقال لها لا يكن منك ثمر الى الأبد . فيبست التينة فى الحال

ذكر الأربعة هذه الحادثة مع اختلاف فى التفصيل فليرجع اليه فى صفحة ١٦٠ فى كتاب الفارق بين المخلوق والخالق

(١٦) يوحنا ص ١١ ف ١ وكان انسان مريضا وهو لعازر ببيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها ، وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ٣ فارسلت الاختان اليه قائلتين ياسيد هو ذا الذى تحبه مريض ٤ فلما سمع يسوع هذا الكلام قال هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به ٥ وكان يسوع يحب مرثا واختها ولعازر ٦ فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين ٧ ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب الى اليهودية أيضا ٨ قال له التلاميذ يامعلم كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضا الى هناك ٩ أجاب يسوع اليست ساعات النهار اثنتى عشرة ان كان أحد يمشى فى النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم ١٠ ولكن ان كان أحد يمشى فى الليل يعثر لأن النور ليس فيه ١١ قال هذا وبعد ذلك قال لهم لعازر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لأوقظه ١٢ فقال له تلاميذه ياسيد ان كان قد نام فهو يشفى ١٣ وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم ١٤ فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات ١٥ وانا أفرح لاجلكم أنى لم أكن هناك لتؤمنوا ولكن لنذهب اليه ١٦ فقال توما الذى يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه لنذهب نحن ايضا لكى نموت معه .

١٧ فلما أتى يسوع وجد انه قد صار له اربعة ايام فى القبر ١٨ وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو ١٥ غلوة ١٩ وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما ٢٠ فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته وأما مريم فاستمرت جالسة فى البيت ٢١ فقالت مرثا ليسوع لو كنت ههنا لم يمت أخى ٢٢ لكنى الآن أعلم ان كل ماتطلب من الله يعطيك ٢٣ فقال لها يسوع سيقوم أخوك ٢٤ قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير ٢٥

فقال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا ٢٦ وكل من كان حيا
وآمن بى فلن يموت إلى الأبد أتؤمنين بهذا ؟ ٢٧ قالت نعم ياسيد أنا قد آمنت انت المسيح ابن
الله الآتى الى العالم

٢٨ ولما قالت هذا مضت ودعت مريم اختها سرا قائلة المعلم قد حضر وهو يدعوك ٢٩ أما
تلك فلما سمعت قامت سريعا وأتت اليه ٣٠ ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية بل كان فى المكان
الذى لاقته فيه مرثا ٣١ ثم أن اليهود الذين كانوا معها فى البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلا
وخرجت تبعوها قائلين انها تذهب الى القبر لتبكى هناك ٣٢ فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع
خرت عند رجليه قائلة له ياسيد لو كنت هنا لم يمت أخى ٣٣ فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين
جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب ٣٤ وقال اين وضعتموه قالوا ياسيد تعال وانظر
٣٥ بكى يسوع ٣٦ فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه ٣٧ وقال بعض منهم ألم يقدر هذا الذى
فتح عينى الاعمى أن يجعل هذا أيضا لايموت ٣٨ فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء الى القبر
وكان مغارة وقد وضع عليه حجر ٣٩ قال يسوع ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت ياسيد
قد أنتن لأن له اربعة أيام ٤٠ قال لها يسوع ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله ٤١ فرفعوا الحجر
حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال أيها الأب أشكرك لانك سمعت لى
٤٢ وأنا علمت انك فى كل حين تسمع لى ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك
أرسلتنى ٤٣ ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم . لعازر هلم خارجا فخرج الميت ويداه ورجلاه
مربوطات باقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب

هذه الخوارق رويت عن المسيح عليه السلام فى الاناجيل ولم يرو عنه فيها أنه صور من الطين كهيئة الطير ثم نفخ فيه فكان طيرا . ولا غرابة فى ذلك فقد ذكر القرآن عن أهل الكتاب انهم نسوا حظا مما ذكروا به . ولقد كانت هذه الخوارق سببا لافتتان فريق من الناس به حتى وصفوه بانه ابن الله على معنى البنوة الحقيقية وآخرون قالوا انه الله حتى عبد وتكلف قومه لعبادته ضروبا من المسوغات يرفضها العقل ويمقتها العلم

خاتمة أمر المسيح

أما خاتمة أمر المسيح بحسب قصص القرآن فهى عجيبة وبسيطة لا تعقيد فيها - ذلك أن المسيح قد أحرج الكهنة والفريسيين بتعليمه وتجريحه إياهم فى طريقتهم وفضح ريائهم وخبثهم فاخرجهم ذلك الى الكيد له والتدبير لقتله . فلما اختمر هذا الأمر فى أنفسهم شكوا أمره الى الوالى طبعا وزينوا شكواهم بما يستدعى اهتمام الوالى بان أدعوا عليه انه يقول انه ملك اليهود وانهم لا يقرون بملك سوى قيصر رومية فارسل الوالى جندا للقبض على المسيح عيسى بن مريم فلما أتوا ولم يبق الا القبض عليه - والمسيح قد اهتم لهذا الأمر وخشى أن ينالوه بالأذى - أنقذه الله من أيديهم وطهره منهم والقى شبهه على شخص اخر علم فيما بعد أنه تلميـــذه الخائن وعرفته الاناجيل بانه يهوذا الاسخريوطى كما هو مشهور وصار بحيث أن كل من راه لا يشك فى أنه يسوع . فاخذ وصلب وقتل ونجا المسيح من شرهم وقد أعلم الله تعالى المسيح بما سيتم وشاع فى الناس أن يسوع الناصرى قتل بعد أن صلب وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم .

وقد أورد الحافظ ابن كثير وابن جرير وغيرهما من المفسرين : أن المسيح لما قرب وقت القبض عليه . ندب أصحابه ثلاث مرات طالبا أن يتقدم واحد منهم ليفديه ويقدم نفسه الى اليهود عوضا عنه ويكون جزاؤه الجنة - فلم ينتدب له فى كل مرة الا واحد بعينه . فلما جاء أعداؤه ألقى الله على صاحبه الذى انتدب له شبه المسيح . وصار بحيث لا يشك أحد من أصحابه فى أنه يسوع . فألقى القبض عليه وصلب وقتل . ويقول صديقنا موسى جار الله انه يهوذا الأسخريوطى

هذا الامر محتمل . ولكن الشائع سواه وهو أن الذى ألقى عليه شبهه إنما هو يهوذا الاسخريوطى الذى واطأ الكهنة على الدلالة عليه بأجر - اما ما جاء عن ذلك فى القران الكريم فاقرءوه فـــيما يأتى .

سورة آل عمران - إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٥

سورة النساء - وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ

شُبِّهَ لَهُمْ وَانَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ الاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧
بَلْ رَفَعَهُ اللهُ الَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨

وقد اختلف مفسرو القران فى معنى قوله تعالى (يا عيسى إنى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا على ثمانية أوجه وهى .

١ ـ المعنى رافعك الى ومتوفيك وان الكلام فيه تقديم وتاخير .

٢ ـ المراد انى مستوف أجلك ومميتك حتف انفك لا اسلط عليك من يقتلك فالكلام كناية عن عصمته من الاعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام لانه يلزم من إستيفاء الله اجله موته حتف انفه

٣ ـ المراد قابضك ومستوف شخصك من الارض من توفى المال بمعنى استوفاه وقبضه .

٤ ـ المراد بالوفاة هنا النوم لان النوم والوفاة يطلق كل منهما على الآخر وقد روى عن الربيع ان الله تعالى رفع عيسى عليه السلام الى السماء وهو نائم رفقا به .

٥ ـ اجعلك كالمتوفى لانه بالرفع أشبه .

٦ ـ المراد آخذك وافيا بروحك وبدنك فيكون ورافعك الى كالمفسر لما قبله .

٧ ـ المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن اتصاله بالملكوت .

٨ ـ ان المراد مستقبل عملك ـ قال الألوسى ـ ولا يخلو أكثر هذه الأوجه من بعد ولا سيما الأخير وهناك وجه تاسع

أخرج ابن جرير عن وهب أنه قال توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه اليه ـ وفى رواية للحاكم عنه أنه توفاه سبع ساعات ثم أحياه .

والذى اختاره أن عيسى عليه الصلاة والسلام قد أنجاه الله من اليهود فلم يقبضوا عليه ولم يقتل ولم يصلب . وان الوجه الثانى وهو ـ ان المراد من الآية انى مستوف أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك وان الآية كناية عن عصمته من الأعداء هو الوجه الوجيه الذى يجب ان يصار اليه لأنه المتبادر من المقام والذى يحقق احباط الله لتدبر اعدائه كما قال تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وما عجبت من شىء فان تعرض مثل وهب وغيره من مسلمة اليهود لشأن عيسى اعجب ، وقد كانوا الداعدائه الى ان اسلموا .

وهنا يأتى سؤال هو . إذا كان عيسى قد نجا سالما ووقع من التى عليه شبه المسيح فى هذه الورطة فاين ذهب ؟ .

والجواب — ان جمهور المسلمين على ان الله تعالى قد رفعه بروحه وجسده حيا الى السماء ودليلهم على ذلك قوله تعالى (ورافعك الى)

بقى ان يقال ان الأخبار المأثورة وردت ناطقة بأن المسيح رفع الى السماء بجسده وروحه وانه حى فيها وانه ينزل فى آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال .

والجواب على ذلك أن هذه الاخبار وردت وبعضها مرفوع الى رسول الله وبعضها آراء للمفسرين وبعضها عن مسلمة اليهود ككعب ووهب ومهما كان من شأنها وصراحة عبارتها فهى أحاديث او اراء احاد ولا تبلغ ان تكون لها قوة صريح القران الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولا يمكن أن تكون فى النفس اعتقادا يقينيا جازما تطوع به النفس لصاحبها أن يشهد على الله أنه نقل المسيح حيا الى السموات ويشهد على الله مطمئنا بتلك الشهادة أنه سوف ينزل عيسى من السماء الى الأرض وأنه سوف يتولى قتل رجل ينبز بالمسيح الدجال سيخلقه الله تعالى ولا يدرى متى يكون زمانه إذ كل تلك الأخبار لا يمكن أن تنهض بانشاء عقيدة إذا خالفها إنسان وحاد عن الاعتقاد بها برىء من الاسلام وبرىء الاسلام منه ،

ولولا ما فى تلك الأخبار من الطول لنقلتها ولكنى أتركها لأنها معلومة مشهورة فلتراجع فى كتب الحديث وفى كتب التفسير والطبرى وابن كثير .

وقد جاء فى تفسير المنار عن الأستاذ الامام بعد ان قرر الآية على ظاهرها وأن التوفى على معناه الظاهر المتبادر وهو الاماتة العادية وان الرفع يكون بعده وهو رفع الروح – ولصاحب هذه الطريقة فى حديث الرفع والنزول فى اخر الزمان تخريجان ، أحدهما : أنه حديث احاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب . والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعى لأن المطلوب فيها اليقين وليس فى الباب حديث متواتر .

وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وما غلب فى تعاليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشور ما دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر الفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم الى عالم الأرواح بتحرى كمال الآداب تراجع ص ٢١٧ ج ٣ من تفسير المنار .

ونقل فى تفسير المنار أيضا أن الأستاذ الامام سئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له فقال : ان الدجال رمز للخرفات والدجل والقبائح التى تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ باسرارها وحكمها وان القرآن أعظم هاد الى هذه الحكم والاسرار وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك فلا حاجة للبشر الى اصلاح وراء الرجوع الى ذلك .

أقول إنى كنت ممن يطمئنون إلى هذا التأويل ولكنى الآن أميل كل الميل الى أن المسيح الدجال إنما هو رجل يقوم من اليهود ويدعى أنه المسيح أى الملك الذى وعدوا به وهم ينتظرونه الى اليوم

ذلك إنى نظرت الى اليهود فوجدتهم ينتظرون مسيحا يعيد اليهم الملك والسلطان فى الارض ويعتزون به . فلما جاءهم المسيح عيسى بن مريم يشيد بينهم مملكة الاخلاق والتقوى والسجايا الكريمة لم يكن هو المسيح الذى صوروه لانفسهم فكروا به وارادوا قتله ولو كان جاءهم بملك الثروة لآمنوا به إذ هم قوم يؤلهون الثروة والمال . انظروا اليهم وقد قال لهم صموئيل . إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا . ماذا أجابوه به .

الم يجيبوا بقولهم . أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يوت سعة من المال ؟ ولا ولا غرو ان كان المسيح عيسى مرفوضا منهم وظلوا على حالهم ينتظرون مسيحاً مالياً الى اليوم

وها هم من عشرات السنين جادون فى ايجاد وطن قومى لهم فى فلسطين وظاهرتهم الحكومة الانكليزية وجاملتهم لانهم نفعوها بالاموال أيام الحرب العظمى فهم ساعون فى استعمار بلاد فلسطين عاملون على توطيد أقدامهم فيها وليس بعيدا ذلك اليوم الذى يقوم فيه رجل منهم يدعى انه مسيحهم (اى ملكهم) الذى وعدوا به على لسان بعض انبيائهم ويقيمونه ملكا فى بلاد فلسطين وحينئذ تقع الفتن .

ذلك ان اليهود لهم ماض اسود فى القتال بينهم وبين مخالفيهم فهم لا يتحرجون من الاستئصال والتمثيل باعدائهم تمثيلا تقشعر منه الابدان . وهذا رأيى وما اميل اليه فى مسالة المسيح الدجال — وقد حذر المسيح اصحابه منه فقال : سيقوم بعدى انبياء كذبة ومسحاء كذبة .

دقيقة ينبغي التنبه لها

مما يسهل القاء شبه المسيح عليه السلام على غيره . هذه الحادثة التى ذكرها متى فى الاصحاح ١٧ من انجيله ونصها .

١ وبعد ستة ايام اخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا اخاه وصعدبهم الي جبل عال منفردين ٢

وتغيرت هيئة قدامهم واضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور ٣ واذا موسى وايلياء قد ظهرا لهم يتكلمان معه ٤ فجعل بطرس يقول ليسوع يارب جيد ان نكون هنا . فان شئت ان نصنع هنا ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايلياء واحدة ٥ فيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا ٦ ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا ٧ فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا لا تخافوا ٨ فرفعوا أعينهم ولم يروا أحدا الا يسوع وحده .

وقد ذكر هذه الحادثة أو المعجزة كل من مرقس ولوقا وأغفلها يوحنا ومن العجب انه كان أحد شهودها ـ ومع ما بينهم من التناقض فى عدد الأيام فقد اتفقوا على حصولها فى الجملة راجع . مرقس ص : ٩ وما بعدها ولوقا ص ٩ : ٣ وما بعدها

وما كان من الأمر فقد عهد تغير هيئة المسيح تغيرا كليا فى وجهه وثيابه وهذا التغير الذى يقرون به يفسر لنا باجلى بيان إلقاء شبهه على غيره وتغير هيئته حتى ان الذين أتوا للقبض عليه أخذوا من ألقى عليه شبه المسيح فوقع فى الورطة ونجا عيسى صلوات الله عليه

الشبه والاشتباه

ولا يفوتنى فى هذا المقام ان أذكر لكم أن بعض الناس قد يشبه بعضا آخر . فانى رأيت بالخرطوم أخوين روميين كانا توأمين يشبه احدهما الآخر كما يشبه الغراب الغراب . وكان المعاملون لهما يخاطب الواحد منهم أحدهما يحسبه الآخر

وكان صديقنا المرحوم الشيخ محمد أحمدين خريج دار العلوم يشبهه شخص آخر مشابهة تامة هو أخ لنصر افندى نعمة الضابط بمدرسة الناصرية ، وكان الناس يغلطون يحسبون أحدهما الآخر — وقد قال سيل الانجليزى مترجم القرآن . ان المسيح ويهوذا الأسخريوطى كان كل منهما يشبه الآخر . أى ان يهوذا يشبه المسيح

كان لى صديق من أقاربى رحمه الله وكان له ابن ببعثة فى انجلترا وعاد فى سنة ١٩٢٥ وعين مدرسا للكيمياء والطبيعة بمدرسة الزقازيق الثانوية فذهب الى المدرسة وقدم نفسه الى ناظرها وتعرف الى بعض المدرسين وتعرفوا اليه وعاد الى القاهرة من يومه

وقد صادف أن وجد شخص يشبهه على أهبة السفر بمحطة الزقازيق قد سقط ميتا . وفى ذلك الحين مر أحد مدرسي المدرسة الثانوية فقال انه المدرس الجديد الذى جاءنا اليوم وعرف ان

بلده القرشية فابلغ البوليس الخبر الى أهله فخف أخوه وأبناء عمومته وأصدقاؤهم الى الزقازيق وأقيم الماتم بالقرشية ودخل عليه بمستشفى الزقازيق أخوه وأبناء عمه والأصدقاء ولم يشكوا فى أنه هو بعينه . وأراد أخوه انباء ابيه فلم ير ان يفاجئه بهذا الخبر المزعج فارسل لوالده بمصر تلغرافا يساله عنه فجاء اليه الرد سريعا بانه موجود عنده بمصر فاطمانوا وفرحوا وانقلب ماتم الحزن سرورا وبطل الاستعداد لاستقبال المعزين . وإذا أراد القارىء معرفة اسم ذلك الميت الحى أقول له انه عبد العزيز غباشى أفندى مدرس الكيمياء والطبيعة بالمدارس الملكية الآن

هذا أولا

وثانيا يوجد رأى فى مسالة المسيح جاء به غلام احمد القاديانى . وهو رجل من بلد قاديان فى الهند قال ان المسيح أنجاه الله من كيد اليهود فذهب الى بلاد الهند واستقر فى بلاد قشمير فى شمال الهند بسفح جبال هملايا وأقام هناك الى ان وافاه اجله ودفن فى تلك البلاد قرب بلدة سرنجار وله قبر معروف

هذا الرجل ادعى انه المسيح الموعود بمجيئه . ولكن كيف يكون هو المسيح وهو معروف بانه غلام احمد القاديانى معروف النسب معروف الأسرة ؟ فذهب الى تاويل الأمر على أن المسيح مات ولا يمكن أن ياتى ولما كانت الأحاديث دالة على انه سياتى فى آخر الزمان . قال أنا المسيح بمعنى أننى آت بهديه وتعاليمه من بث السلام والرحمة والتعاطف والمحبة . ثم زاد فى الطنبور نغمة وقال انى رسول ودعواى لا تعارض قوله تعالى (محمد رسول الله وخاتم النبيين) فان معنى خاتم النبيين ان كمال النبوة انتهى به وهذا لا ينافى بقاء النبوة ولا نجاة لأحد الا بالاقرار برسالتى وبانى انا المسيح — وله كلام طويل فى كتبه ومجلته التى كان يصدرها فى حياته . وجماعته ناشطون فى التبشير بمسيحيته الآن فى كل مكان والدولة الانكليزية تؤيدهم لأنهم يقولون ان مسيحهم أبطل الجهاد فى الجملة بوحى جاءه وقد كان مغرما بالانكليز يمدح حكمهم ويراه نعمة على بلاد الهند وغيرها

وفى رأيى أن دعواه بمجىء المسيح الى الهند أمر يحتاج الى بحث واف(١) وتحقيق دقيق ولا يمكن

---

(١) كنت مسافرا فى رحلة الى اسطنبول فى سنة ١٩٣٤ وكان فى السفينة الاستاذ الوقور الشيخ أبو الوفاء الشرقاوى فسألته ؟ هل سمع حين كان فى سرنجار بقشمير عن قبر بقربها يقال له قبر النبى الامير ؟ أى قبر المسيح فقال نعم سمعت بذلك وانه فى الصحراء

تصديقه إلا بظهور الأمر ظهورا بينا وثبوته ثبوتا قاطعا لكل شبهة ولو ثبت ذلك ما أفاده شيئا ـ لأننا إذا تمشينا مع الأحاديث (وهى لا تفيد القطع بمجىء المسيح) وجدنا فيها علامات منها أنه يقتل الدجال ويعاون المهدى المنتظر الذى يذكر فيها ويكسر الصليب الخ وهذا لم يحصل من ذلك الرجل . وقد يكون الرجل حسن النية فى دعواه بريئا من الخبث ولكنه تخيل ثم خال وكبر معه الوهم الذى كثيرا ما يلازم أرباب الخلوة والرياضات ويقطعهم عن الوصول الى مرادهم الأعظم فيستولى عليهم الاشتغال بالخيالات والأوهام عن مقصودهم وهم معذورون لأنهم لم يقولوا ما قالوا عن خبث وسوء طوية . نسأل الله أن لا يجعلنا فتنة للذين آمنوا إنه سميع الدعاء .

ثالثا — يوجد فريق آخر من المسلمين عددهم قليل جدا ـ قد كونوا لهم اعتقادا خاصا انتزعوه من نتف اقتطفوها من الأناجيل تدل على نجاة المسيح من القتل وأن فى نجاته سرا خاصا ـ وذلك :

١ ـ ان بيلاطس الوالى لم ير فيه شرا ولا أمرا موجبا للقتل كما فى متى ص ٢٧ ـ ٢٤ فلما راى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا إنى برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم .

لوقا ـ ص ٢٣ ـ ١٤ فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ١٤ وقال لهم قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشكون عليه ١٥ ولا هيرودس أيضا لأنى أرسلتكم اليه . وها لا شىء يستحق الموت صنع منه .

لوقا ـ ص ٢٣ ـ ٢٢ فقال « بيلاطس » لهم ثالثة فأى شر عمل هذا إنى لم أجد فيه علة الموت

يوحنا ـ ص ١٨ ـ ٣٨ قال له « ليسوع » بيلاطس ما هو الحق . ولما قال هذا خرج أيضا الى اليهود وقال لهم أنا لست أجد فيه علة واحدة .

من هذا كله نجد أن بيلاطس كان يعتقد براءة المسيح من كل ما يرميه به اليهود من الافساد .

٢ ـ ان زوجة بيلاطس كانت عاطفة على يسوع مهتمة بأمره حريصة على أنه لا يمس بسوء وقد أوصت زوجها بذلك .

فى ص ٢٧ متى ـ ١٩ و إذ كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت اليه امرأته قائلة : إياك وذلك البار لأنى تألمت كثيرا فى حلم من أجله ـ وإذا فقد علمنا أن المسيح عليه السلام له شفيع عريان شفاعته غير مردودة عند بيلاطس .

٣ ـ ان يسوع لم يمكث على خشبة الصلب زمنا طويلا بل جاء يوسف وهو رجل غنى من الرامة وكان من تلاميذ المسيح سرا ولم يكن راضيا عن فعل اليهود وكذلك جاء نيقوديموس وطلب يوسف

من بيلاطس أن يسلمه جسد يسوع فتعجب بيلاطس من موته سريعا وسأل رئيس الشرط ولما علم منه بوفاته أمر بتسليمه ليوسف فأخذه وكفنه ولفه فى كتان ووضعه فى قبر له كان هناك .

٤ - ينظر اصحاب هذا الراى الى امر آخر . هو ان المسيح لم تكسر ساقاه وهو على خشبة الصلب ولا بعدها كما كسرت ساقا كل من اللصين اللذين صلبا معه ولا سبب لذلك سوى العناية الخاصة التى كانت تحوطه من ناحية الوالى بيلاطس وزوجه ويوسف ونيقوديموس فاجتماع هذه الاعتبارات جعلهم يقولون ان المسيح تظاهر بالموت اى انه اظهر للناس أنه مات ولم يكن قد مات والذى تولى انزاله رجل من تلاميذه فى الحقيقة وكان ذلك التظاهر بايحاء منه وساعده الوالى على ذلك بأن سلم له فى انزاله عن الخشبة واليهود فى غفلة عما بينه وبين المسيح من العلاقة ولفه ووضعه فى القبر الذى يملكه يوسف وأجاف على الباب حجرا .

ولما هدأ الناس ودخلوا فى السبت جاء يوسف وأعوانه وأزالوا الحجر وأخذوا يسوع وواروه فى بيته أو بيت نيقوديموس الى أن برىء من أثر المسامير ثم ذهب الى بلاد غير البلاد الى أن تولاه الله بالوفاه .

وهؤلاء يؤولون قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه بمعنى أن صلبه لم يؤد الى قتله ولكن شبه لهم أنه قتل على خشبة الصلب ولم يكونوا على يقين من أنه مات حقيقة وذلك معنى وما قتلوه يقينا .

ولا يخفى ما فى هذا التأويل من الضعف والتهافت وهذا الوجه ليس من الوجاهة فى شىء فى نظرى ولعل بعض الباحثين الغربيين قاله فنقلوه عنه وهناك فريق آخر من المسلمين يقولون ان الآيات القرآنية ناطقة بنجاة المسيح عليه السلام من أيدى أعدائه وأن الله تعالى وعده العصمة من كيدهم وتدبيرهم وأنه إنما يموت بالوفاة حتف أنفه وبأن شبهه القى على غيره فاخذوا ذلك الشبيه وفعلوا به ما بدا لهم يحسبون أنه المسيح وهم فى الحقيقة يجاهدون فى غير عدو - ويحملون قوله تعالى وما قتلوه يقينا على أن عدم قتله أمر يقينى أو وما قتلوا ظنهم يقينا . فهذا كل ما تدل عليه الآيات - وأما صعوده الى السماء فلا يوجد فيه نص قاطع الثبوت والدلالة - ولا حجة للجمهور فى القول بأنه رفع الى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بازاء قوله « ورافعك الى » وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم الى مكان لا سلطة لهم فيه وإنما السلطان ظاهرا وباطنا فيه لله تعالى فقوله - الى - لا يدل على السماء نصا . بل هو كقول الله فى لوط وقال إنى مهاجر الى ربى) إذ ليس معناه انى مهاجر الى السماء . بل هو على حد قوله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله)

وأيضا فان من معانى الارتفاع الاصعاد فى البلاد ـ قال الفيروزابادى . رفعه كمنعه ضد وضعه كرفعه وارتفعه فارتفع . والبعير فى سيره بالغ ورفعته انا لازم متعد والقوم أصعدوا فى البلاد ـ ويرد عليهم القائلون بوجوده فى السماء ـ بان حديث المعراج فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عيسى بن مريم فى السماء ـ وهؤلاء يردون عليهم بأنه عليه السلام اخبر أيضا فيه بأنه رأى يحى بن زكريا معه ويحى مات مقتولا ولا فرق بين الرؤيتين ـ ورأى آدم وموسى وهارون وابراهيم وغيرهم من الأنبياء فلوكانت رؤيته لعيسى دليلا على رفعه حيا الى السماء لكانت دليلا أيضا على رفع هؤلاء احياء . ولما كان الثانى باطلا كان الأول مثله .

يقال لهم . اذا فأين ذهب عيسى وما الذى آل اليه أمره ؟ والجواب على ذلك أن الله تعالى أبهم أمره علينا ولم يقصه فنحن نفوض العلم بذلك الى الله تعالى فليكن أنه أماته فى الأرض أو أنامه كما أنام أهل الكهف أو أصعده الى السماء لا نقطع بشىء من هذه الأشياء بعينه بل نبهمه كما أبهمه الله ومن أراد أن يقطع بشىء فعليه دليل ما قطع به . وتفويض العلم الى الله أسلم فى العاقبة وأكثر احتياطا للدين . فليس بهين أن يشهد المرء على الله بأمر لم يشهد الله به على نفسه وليس عنده به سلطان مبين .

اليهود وصلب المسيح

لم يوجد عند اليهود أثارة من علم تدل على أن رجلا جاء باسم المسيح فى زمن كذا وصلب وقتل ولا يوجد فى تاريخهم الدينى شىء من ذلك أصلا وهذا هو الذى حدا ملاحدة أوربا على إنكار وجود المسيح واعتباره إنسانا فرضيا كالاشخاص الذين يفرض وجودهم فى الروايات ولا وجود لهم فى الحقيقة كالحرث بن همام وأبى زيد السروجى عند الحريرى وأبى الفتح الاسكندرى عند بديع الزمان الهمذانى .

هذا يوسف القائد اليهودى الذى يدعى يوسيفوس عند الأوربيين كان هذا الرجل قائد لفرقة من الجند اليهودى فى جهة رفح فى سنة ٧١ بعد الميلاد ولما علم بانكسار اليهود أمام طيطوس ويئس من النجاح سلم ما بيده وجاء الى الأسكندرية وألف تاريخه المشهور عن اليهود وأحوالهم وما صار اليه أمرهم .

ومع قرب زمن هذا الرجل من زمن المسيح ـ ونهاية أمر المسيح ـ لا بد أن تكون قد تمت وهو حى يرزق صغيرا أو كبيرا ـ ومع هذا فلم يشر اليه بكلمة ولم يجر له ذكر فى كتابه أصلا ـ

ولكن المتأخرين من النصارى ألحقوا به كلمة ضئيلة عن مسألة المسيح ترى فى بعض نسخ ذلك الكتاب كأنها الرقعة الجديدة فى الثوب الخلق .

فاذا تكلم اليهود عن المسيح وقتله فليس ذلك لأنه مثبت فى تواريخهم المأثورة عن الآباء والمشايخ ولكن لأنهم يسمعون ما يقوله المسيحيون من أن المسيح جاء وقتله اليهود . والا فكتبهم خالية من ذلك .

ولقد أخبرنى الدكتور اسرائيل ولفنسون ان مسألة قتل المسيح كانت موجودة فى التلمود ولكن اليهود أخرجوها منه حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التى يقيم بينها اليهود فيكون ذلك مصدر قلاقل — وأخبرنى أيضا ان المسيح كان من حزب مضاد للسيطرة الرومانية على فلسطين فاغرى الحكام الرومانيون اليهود ليشتكوا عليه ففعلوا وأمر الحاكم الرومانى بقتله — هكذا يقول اليهود

خاتمة شأن المسيح عند النصارى

أما النصارى فانهم جعلوا خاتمة أمر المسيح عليه الصلاة والسلام خاتمة شنيعة ومأساة مروعة وجعلوا الاعتقاد بحصولها على الوجه الذى صوروه أصلا من أصول دينهم ودعامة من دعائم عقيدتهم لا يقبل من مؤمن ايمانه الا بها ولا ينفعه عمل صالح ولا عبادة ولا بر ولا تقوى ولا اخلاص دون الاعتقاد بصلب المسيح .

وقد تلمسوا لتلك العقيدة أصلا فى العهد القديم جعلوا حمله جملا وحبته قبة، وأسسوا عليه صلب المسيح . فقالوا أن آدم وهو أول كل البشر قد عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة التى نهاه عن الأكل منها . فصار خاطئا وصار جميع ذريته خطاة مستحقين للعقاب فى الآخرة بالهلاك الأبدى . وقد جاء جميع أبناء آدم خطاة مذنبين. فهم يحملون وزر ذنوبهم ووزر ذنب أبيهم الذى هو الأصل لذنوبهم

ولما كان الله تعالى من صفته العدل والرحمة. فمن عدله أنه لا يترك الجريمة دون عقاب والا لم يكن عادلا . والعقاب مناف الرحمة فلا يكون رحيما اذا عاقب ولابد من تحقق العدل والرحمة معا — للخروج من هذا الاشكال شاء الله أن يحل ابنه (تعالى) الذى هو بنفسه الله فى رحم امرأة من ذرية آدم ويتجسد جنينا فى رحمها ويولد منها فيكون ولدها إنسانا كاملا من حيث أنه ابن لتلك المرأة، وإلها كاملا من حيث أنه ابن الله . ويكون معصوما من جميع المعاصى . ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس

ويأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون ويتلذذ ويتألم كما يتلذذون ويتألمون - يأتى أعداء الله وأعداء شريعته ويقتلونه شر قتلة وأفظعها - وهى أن يصلبوه ويسمروا يديه ورجليه فى الخشب ثم يقتلوه بعد أن يلطموه على وجهه ويسخروا منه ويضفروا له اكليلا من الشوك ويبصقوا فى وجهه كل ذلك ليفدى البشر من جريمة لم يقترفها هو ولا هم - راجع تفسير المنار صفحة ٢٥ ج ٦

أقول . ان هذه العملية لم يتحقق بها عدل ولا رحمة . لأنه ليس من العدل فى شىء أن يؤتى ببرىء غير مذنب ويطوق اثم جريمة جناها سواه، كما أن عقاب غير الآثم ليس فيه رحمة . وبخاصة اذا كان المعاقب من شأن الجبلة أن تشمله بالرحمة ولو مع الذنب ،فالابن البار غير الآثم أولى .

والعقاب على هذا الوجه يخالف الكتاب المقدس عندهم . تثنية ص٢٤ : ١٦ لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الاولاد عن الآباء كل إنسان بخطيته يقتل .

ولأن الذى يعلق على خشبة ملعون من الله وكيف يلعن الله من لم يخطىء - تثنية ص ٢١ - ٢٢ واذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة ٢٣ فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله . فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيبا

وعلى قول المسيحيين قد بقى الله تعالى مجردا عن صفتى العدل والرحمة من زمن عصيان آدم الى أن اهتدى الى تلك الحيلة التى ظهرت له قبيل خلق المسيح فى مريم .

وهناك محظور آخر وهو أن عقيدة الصلب لما كانت هى كل الايمان كانت حادية لمعتنقها على نبذ كل الفضائل بل مخذلة عن فعل كل بر وتقوى فيكون صاحبها أباحيا فاتكا ليس للفضيلة فى نفسه نصيب .

عقيدة الصلب والفداء وثنية

بين يدى الآن كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية تأليف محمد طاهر التنير البيروتى افندى وقد جمع فيه الشىء الكثير مما يشترك فيه النصارى مع الوثنيين المختلفى النحل والأمكنة من العقائد . ولو أردت أن أتتبع ما فيه لطال بنا القول وامتد . ولكننى أقتصر على ما نقله السيد رشيد رضا فى تفسير المنار ج ٦ ص ٣٢ . ويكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

قال (دوان) فى كتابه خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الأخرى (ص ١٨١ و ١٨٢) ما ترجمته بالتلخيص .

« إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم » وذكر الشواهد على ذلك .

منها قوله « يعتقد الهنود ان كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الاله فشنوا الذى لا ابتداء له

ولا انتهاء على رأيهم تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه »

وذكر أن (مستر موى) قد صور كرشنا مصلوبا كما هو مصور في كتاب الهنود مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الانسان معلقا. ووجدت له صورة مصلوبا وعلى رأسه إكليل من الذهب. والنصارى تقول أن يسوع صلب وعلى رأسه اكليل من الشوك.

وقال « هوك » في ص ٣٢٦ من المجلد الأول من رحلته (ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة »

وقال « هورينوليمس » في ص٣٦ من كتابه (الهنود) ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية ومما يدل على ذلك ما جاء في مناجاتهم وتوسلاتهم التي يتوسلون بها بعد « الكياترى » وهو (إنى مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة وحملتنى أمى بالأثم فخلصنى ياذا العين الحندقوقية يامخلص الخاطئين من الآثام والذنوب.

وقال القس جورج كوكس في كتابه (الديانات القديمة) في سياق الكلام عن الهنود (ويصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم شخصه ذبيحة)

ونقل هيجين عن (اندرادا الكروزيوس) وهو أول أوربى دخل بلاد النيبال والتبت أنه قال فى الاله (اندرا) الذى يعبدونه أنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير لكى يخلص البشر من ذنوبهم. وأن صورة الصلب موجودة فى كتبهم

وفى كتاب جورجيوس الراهب صورة الاله (اندرا) هذا مصلوبا وهو بشكل صليب أضلاعه متساوية العرض متفاوتة فى الطول فالرأسى أقصرها (وفيه صورة وجهه) والسفلى أطولها، ولولا صورة الوجه لما خطر لمن يرى الصورة أنها تمثل شخصا

هذا — وأما ما يروى عن البوذيين فى (بوذة) فهو أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه حتى أنهم يسمونه المسيح، والمولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون أنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات. بين ذلك كثير من علماء الغرب منهم (بيلى) فى كتابه (تاريخ بوذه) و (هوك) فى رحلته و (مولر) فى كتابه تاريخ الآداب السنسكريتية، وغيرهم

ومن أراد المقابلة بين اله النصارى وآلهة الوثنيين الأولين فى الشرق والغرب فعليه أن يقرأ كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية لمحمد طاهر افندى التنير البيروتى ففيه بلاغ ومقنع

الأناجيل وصلب المسيح

لم تختلف الأناجيل الأربعة فى مسألة من المسائل كاختلافها فى تفصيل مسألة صلب المسيح وقتله فلا تكاد جزئية من الجزئيات فى أحدها تتحد مع الجزئية نفسها فى انجيل آخر . ولما كانت هذه الأناجيل من تأليف قوم يدعى المسيحيون لهم الالهام ويعتقدون خلوها من الخطأ . كان ينبغى أن تكون كتاباتهم فى هذه الحادثة المهمة التى هى مناط النجاة ودعامة الايمان فى نظرهم متطابقة متوافقة بحيث لا يكون فيها اختلاف أصلا إذ النفس لا تطمئن الى الأخذ بروايات إذا اتفقت فى موضع واحد من قصة جاءت فى جميعها فانها تتخالف فى مواضع كثيرة . وإذا لم يكن الراوى أمينا كل الأمانة كانت الثقة بروايته ضعيفة والتصديق بها غير سائغ .

وأنى أريد أن أحاكم روايات هذه الاناجيل ليتبين المطلع بنفسه ما فيها من الخلل بمجرد المقارنة :

متى ص ٢٦ : ٣٦ حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جثسيمانى فقال للتلاميذ اجلسوا ها هنا حتى أمضى وأصلى هناك ٣٨ ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت امكثوا ها هنا واسهروا معى ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلى قائلا يا ابتاه إن امكن فلتعبر عنى هذه الكأس . ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت ٤٠ ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما . فقال لبطرس أهكذا ماقدرتم أن تسهروا ساعة واحدة ٤١ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف ٤٢ فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا يا ابتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك ٤٣ ثم جاء فوجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة ٤٤ فتركهم ومضى أيضا وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه ٤٥ ثم جاء الى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هو ذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم إلى أيدى الخطاة ٤٦ قوموا ننطلق وهو ذا الذى يسلمنى قد اقترب

٤٧ وفيما هو يتكلم إذ يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ٤٨ والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله هو هو أمسكوه ٤٩ فللوقت تقدم الى يسوع وقال : السلام ياسيدى وقبله ٥٠ فقال له يسوع ياصاحب لماذا جئت . حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه ٥١ وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه ٥٢ فقال له يسوع رد سيفك الى مكانه لأن كل الذين ياخذون السيف بالسيف يهلكون ٥٣ أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى

فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة ٥٤ فكيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغى أن يكون

٥٥ فى تلك الساعة قال يسوع للجموع كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى. كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى ٥٦ وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا

ص ٢٧ : ١١ فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود؟ فقال له يسوع أنت تقول ١٢ وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشىء ١٣ فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك ١٤ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جدا

وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجميع أسيرا واحدا من ارادوه ١٦ وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس ٧ ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن اطلق لكم باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح ٨ لأنه علم انهم اسلموه حسدا ١٩ وإذ كان جالسا على كرسى الولاية أرسلت اليه امرأته قائلة اياك وذلك البار. لانى تألمت اليوم كثيرا فى حلم من اجله ٢٠ ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع ٢١ فاجاب الوالى وقال من من الاثنين تريدون ان أطلق لكم فقالوا باراباس ٢٢ قال لهم بيلاطس فماذا افعل بيسوع الذى يدعى المسيح قال له الجميع ليصلب ٢٣ فقال الوالى واى شر عمل. فكانوا يزدادون صراخا قائلين ليصلب ٢٤ فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا انى برىء من دم هذا البار. ابصروا انتم ٢٥ فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى اولادنا ٢٦ حينئذ أطلق لهم باراباس. وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب

فأخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ٢٨ فعروه وألبسوه رداء قرمزيا ٢٩ وضفروا أكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه. وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين. السلام ياملك اليهود

٣٠ وبصقوا عليه واخذوا القصبة وضربوه على رأسه ٣١ وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء والبسوه ثيابه ومضوا به للصلب

٣٢ وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا [1] اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه ٣٣ ولما أتوا

---

(١) صحة هذا اللفظ (قورينى) كما صححه العلامة المرحوم أحمد زكى باشا لان القيروانى نسبة إلى القيروان أى العسكر وهذه المدينة لم تكن موجودة فى ذلك العهد بل أسسها عقبة بن نافع والى أفريقيا من قبل معاوية بن أبى سفيان سنة خمسين هجرية كما فى ابن الاثير

إلى موضع يقال له جلجثه وهو المسمى موضع الجمجمة ٣٤ أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب . ولما ذاق لم يرد أن يشرب

مرقس – ص ١٤ : ٣٢ وجاءوا الى ضيعة اسمها جثسيمانى فقال لتلاميذه اجلسوا ها هنا حتى أصلى ٣٣ ثم اخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب ٣٤ فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت . امكثوا هنا واسهروا . ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن ٣٦ وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك . فاجزعنى هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت . ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس ياسمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة ٣٨ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف ٣٩ ومضى أيضا وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه . ٤٠ ثم رجع ووجدهم أيضا نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا . يكفى قد أتت الساعة هوذا ابن الانسان يسلم إلى أيدى الخطاة ٤١ قوموا لنذهب هوذا الذى يسلمنى قد اقترب

٤٢ وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ٤٤ وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلا . الذى أقبله هو هو . أمسكوه وامضوا به بحرص ٤٥ فجاء للوقت وتقدم اليه قائلا ياسيدى ياسيدى . وقبله ٤٦ فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه ٤٧ فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه

٤٨ فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى ٤٩ كل يوم كنت معكم فى الهيكل ولم تمسكونى . ولكن لكى تكمل الكتب ٥٠ فتركه الجميع وهربوا ٥١ وتبعه شاب لابسا أزارا على عريه فامسكه الشباب . فترك الازار وهرب منهم عريانا

لوقا – ص ٢٢ : ٣٩ وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه . ٤٠ ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكى لاتدخلوا فى تجربة ٤١ وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى ٤٢ قائلا يا ابتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس . ولكن لتكن لا أرادتى بل أرادتك ٤٣ وظهر له ملاك من السماء يقويه ٤٤ وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ٤٥ ثم قام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن فقال لهم لماذا أنتم نيام . قوموا لئلا تدخلوا فى تجربة

٤٧ وبينما هو يتكلم إذا جمع والذى يدعى يهوذا أحد الاثنى عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله ٤٨ فقال يسوع يايهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان ٤٩ فلما رأى الذين حوله مايكون قالوا يارب انضرب بالسيف ٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى ٥١ فاجاب يسوع وقال دعوا لى هذا ولمس أذنه وأبرأها

يوحنا — ص ١٨ . ١ قال يسوع هـذا وخرج مع تلاميذه وعبر وادى قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه ٢ وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع .لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه ٣ فاخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ٤ فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون ٥ أجابوه يسوع الناصرى . قال لهم يسوع أنا هو . وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم ٦ فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ٧ فسألهم أيضا من تطلبون . فقالوا يسوع الناصرى ٨ أجاب يسوع قد قلت لكم انى أنا هو فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ٩ ليتم القول الذى قاله ان الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحدا

١٠ ثم أن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى وكان اسم العبد ملخس ١١ فقال يسوع لبطرس اجعل سيفك فى الغمد الكاس التى اعطانى الآب ألاأشربها؟

١٢ ثم ان الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ١٣ ومضوا به إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة ١٤ وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت انسان واحد عن الشعب

ان ادنى نظر يهدى الى أن عبارات هذه الاناجيل الأربعه متخالفة وشهادتها لاتصلح أن تكون مستندا يثبت به أمر له من الأهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح التى يدعيها المسيحيون ويجعلونها أساس ايمانهم

(١) ان متى يقول أن يسوع جاء مع تلاميذه الى قرية جثسيمانى ووافقه مرقس وخالفهما لوقا وقال — الى جبل الزيتون . وقال يوحنا عبر وادى قدرون حيث كان بستان . وعبارة يوحنا قريبة من عبارة لوقا فى المعنى

(٢) قال متى ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب ووافقه مرقس . وخالف لوقا فى ذلك وذكر انه انفصل عنهم رمية حجر وصار يصلى وكذلك أسقط يوحنا هذه العبارة

(٣) ذكر متى انه قال لمن معه (نفسى حزينة حتى الموت امكثوا هاهنا واسهروا معى وأنه كان يصلى قائلا يا ابتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما اريد انا بل كما تريد انت . ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياما فعاتب بطرس وامرهم بالسهر ثم صلى وعاد اليهم نياما فعاد وصلى ثالثة ثم جاء الى التلاميذ فقال لهم ناموا واستريحوا وانبأهم أن ابن الانسان يسلم إلى ايدى خطاة ثم قال قوموا ننطلق هوذا الذى يسلمنى قد اقترب ـ وعبارة مرقس توافق عبارة متى فى المعنى

واما لوقا . فزاد أمرين — أحدهما — أن ملكا من السماء نزل الى المسيح يقويه وهو يصلى — ثانيهما — انه كان يصلى باشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض . وأسقط مجيئه الى التلاميذ المرة الثالثة واما يوحنا وهو أحد الثلاثة الذين انفرد بهم يسوع عن سائر التلاميذ فقد اسقط ذلك كله ولم يذكر شيئا منه وهو دليل على عدم حصول شيء من ذلك

ولعمرى إذا كان الملك جاء وهم نيام فما الذى أدراهم به ؟ واذا كان عرقه كأنه قطرات دم وهم نيام فى جوف الليل لم يروا شيئا فكيف يثبتون هذا ؟

(٤) قال متى وفيما هو يتكلم إذا يهوذا احد الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الكهنة وشيوخ الشعب والذى سلمه أعطاهم علامة قائلا — الذى أقبله هو هو أمسكوه ـ فللوقت تقدم الى يسوع وقال السلام ياسيدى وقبله فقال يسوع ياصاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الايادى على يسوع وأمسكوه

وافق مرقس متى فى المعنى وقال لوقا أن المسيح قال له — يايهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان ؟ بدل قوله ياصاحب لماذا جئت وزاد لفظ (والكتبة قبل شيوخ الشعب وأسقط يوحنا الكتبة وشيوخ الشعب وزاد « الفريسيين » ولم يذكر أن يهوذا قبـــله أو دل عليه . بل قال انه كان واقفا معهم وزاد أن المسيح خرج اليهم وقال لهم من تطلبون . قالوا يسوع الناصرى فقال لهم أنا هو وأنه لما قال لهم ذلك رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ثم اعاد سؤاله واعادوا الجواب ثم قال فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون

(٥) ذكر متى أنهم قبضوا على يسوع ثم أن بطرس استل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح برد سيفه إلى مكانه . وقال : اتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب الى ابى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة فكيف تكمل الكتب ؟ انه هكذا ينبغى أن يكون . ثم قال : وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الأنبياء حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا

أما مرقس فقد وافقه فى المعنى الا هرب التلاميذ كلهم . وزاد قوله وتبعه شاب لابسا أزارا

على عريه فامسكه الشبان فترك الازار وهرب عريانا ـ وهو يريد بذلك الشاب يوحنا ذلك الغلام الذى كان المسيح يحبه ـ واما لوقا فلم يذكر من ذلك كله سوى أن بطرس ضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه فأمره المسيح بان يغمد سيفه وانفرد عن الجميع بان المسيح لمس أذنه وأبرأها وأما يوحنا فلم يزد شيئا بل نقص جملا وانفرد بذكر اسم العبد الذى قطعت أذنه أن اسمه مالخس

(٦) ان المحاورة التى قصها يوحنا بين المسيح وطالبيه وقوله لهم من تطلبون وقولهم يسوع الناصرى ورجوعهم وسقوطهم بعد قوله لهم أنا هو ـ تدل دلالة واضحة على انهم ما كانوا يعرفونه فلو جاء انسان آخر وقال لهم أنا هو فامسكوا به فانهم لا يشكون فى انهم رجعوا بالمطلوب ـ ومن جهة أخرى تفيد أن يهوذا الاسخريوطى برىء من تهمة تسليمه لأن يوحنا لم يذكر تقبيله اياه ولا تسليمه لهم بل المسيح هو الذى دلهم على نفسه ان كان هو الذى قبض عليه

(٧) يقول يوحنا انهم ذهبوا للقبض عليه وجاء ـ يهوذا ـ إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح » وقد انفرد يوحنا بذلك عن الثلاثة وذلك معقول لأن الوقت كان ليلا وهم لا يعرفون المسيح، ولذلك استأجروا يهوذا الاسخريوطى للدلالة عليه ، وهو لم يدلهم عليه ولم يشر اليه حسب رواية يوحنا . وكل من تعرض صادقا أو كاذبا وقال أنا يسوع فهم مصدقوه وآخذوه ولا سبيل الى التحقق من شخصيته مادام يهوذا ساكتا والليل يساعد على ذلك

(٨) انفرد لوقا بأن رؤساء الكهنة كانوا قد ذهبوا للقبض عليه

بعد القبض على يسوع

يقول متى ـ ص ٢٦ : ٥٧ والذين أمسكوا يسوع مضوا به الى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ ٥٨ وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل الى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية ٥٩ وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه ٦٠ فلم يجدوا .ومع أنه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا . ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور ٦١ وقالا : هذا قال انى أقدر أن انقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه ٦٢ فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشىء . ماذا يشهد به هذان عليك ٦٣ وأما يسوع فكان ساكتا. فاجاب رئيس الكهنة وقال له استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ٦٤ قال له يسوع أنت قلت . وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على

سحاب السماء ٦٥ فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف . ماحاجتنا بعد الى شهود .
هاقد سمعتم تجديفه ٦٦ ماترون فأجابوا وقالوا انه مستوجب الموت ٦٧ حينئذ بصقوا فى وجهه
ولكموه . وآخرون لطموه ٦٨ قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك

٦٩ أما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار . فجاءت اليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع
الجليلى ٧٠ فانكر قدام الجميع قائلا لست أدرى ماتقولين ٧١ ثم إذ خرج الى الدهليز رأته أخرى
فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى ٧٢ فانكر أيضا بقسم انى لست أعرف الرجل
٧٣ وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت ايضا منهم فان لغتك تظهرك ٧٤ فابتدأ حينئذ يلعن
ويحلف انى لا أعرف الرجل . وللوقت صاح الديك ٧٥ فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال
له أنك قبل أن يصيح تنكرنى ثلاث مرات . فخرج الى خارج وبكا بكاء مرا

(٩) يقول متى ان الذين أمسكوا يسوع مضوا به الى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبه والشيوخ ووافق على ذلك مرقس ولوقا وأما يوحنا فقال انهم اوثقوه وذهبوا الى حنان حما قيافا . فخالف الثلاثة فى ذلك

(١٠) ذكر متى أن بطرس تبع يسوع من بعيد الى دار رئيس الكهنة ووافقه مرقس ولوقا وأما يوحنا فخالفهم وذكر ان بطرس تبع يسوع هو والتلميذ الآخر (يعنى يوحنا)

(١١) ذكر متى أن بطرس كان خارج الدار فجاءت اليه جارية وقالت وأنت كنت مع يسوع الجليلى فأنكر قدام الجميع. ثم اذ خرج الى الدهليز رأته أخرى فقالت (وهذا كان مع يسوع الناصرى) فانكر بقسم انى لست أعرف الرجل وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت ايضا منهم . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف انى لا أعرف الرجل وللوقت صاح الديك فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له انك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات فخرج الى خاج وبكى بكاء مرا

واما مرقس فقد ذكر هذه الحادثة ولكنه جعل بطرس داخل الدار يستدفى. فقالت له الجارية ذلك وانكر وانها هى بنفسها التى رأته فى الدهليز وقالت للحاضرين انه منهم وليست جارية اخرى كما زعم متى وان الديك صاح عقب المرة الأولى لا بعد المرات الثلاث وانه فى المرة الثالثة صاح الديك مرة واحدة عند متى بعد انكار بطرس ثلاث مرات وصياحه عند مرقس مرتين

وجعل عبارة المسيح له (أنت تنكرنى ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين) . واما لوقا فجعل سؤال الجارية له مرة واحدة هى الأولى فانكر وان سؤاله فى المرتين الأخيرتين كان من رجلين لا من جارية ورجال وزاد قوله فالتفت الرب ونظر الى بطرس فتذكر كلام الرب

وأما يوحنا فقال ان دخول بطرس كان برجاء الغلام (يوحنا) للبوابة التى قالت لبطرس « الست أنت أيضا من تلاميذ هذا الانسان » قال ذاك لست انا وان الغلام كان معروفا عند رئيس الكهنة ودخل مع يسوع أول الأمر ثم رجا البوابة فى ادخال بطرس وان المصطلين قالوا له أيضا الست انت من تلاميذه فانكر وقال له . واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذى قطع بطرس اذنه « أما رأيتك انا معه فى البستان؟ » فانكر ايضا وللوقت صاح الديك

فانظروا هداكم الله إلى هذه المسألة الصغيرة القصيرة كم فيها من التناقض ؟

(١٢) ذكر متى ان رؤساء الكهنة والشيوخ والجمع كله كانوا يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه فلم يجدوا ومع انه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا

انظروا الى هذا الكلام القلق المتناقض كل التناقض . إذا كانوا طلبوا شهود زور فلم يجدوا . فكيف يقول بعد ذلك « ومع انه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ؟ » اكتب الكاتب هذا الكلام ومعه عقله ؟ ان المرء ليستحى أن يكتب مثل هذا

اما مرقس فكان اكثر حذقا وأوفر لباقة اذ قال . وكان رؤساء الكهنة والجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهادتهم

والعجب العاجب من امر انجيل متى اذ يقول « وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه ! كأنهم إذا وجدوا شهادة حق بادانته لا يقبلونها لأنها شهادة حق وهم لا يطلبون الا شهادة الزور .

(١٣) المفهوم صراحة من عبارة كل من متى ومرقس ان المحاكمة والمناقشة بين الكهنة ورئيسهم من جهة وبين يسوع من الناحية الأخرى كانت ليلا عقب القبض عليه ووصوله الى دار رئيس الكهنة ولكن لوقا ويوحنا جعلا المحاكمة صباحا .

(١٤) ذكر متى ان يسوع مضوا به الى دار رئيس الكهنة قيافا ومرقس وافقه على ذلك الا انه خالفه بعدم ذكره اسم قيافا ولوقا لم يوافقهما على ذلك بل ذكر ان الرؤساء سلموه الى الى الخدام ومكث الليل كله معذبا بايديهم الى الصباح وبعد اجتماع مشيخة الشعب اصعدوه الى مجمعهم

وقال يوحنا انهم اخذوه اولا إلى دار حنان ثم الى دار قيافا رئيس الكهنة موثقا

(١٥) يقول متى « ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور وقالا هذا قال — انى أقدر أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب بشيء ماذا يشهد هذان عليك وأما يسوع فكان ساكتا فاجاب رئيس الكهنة وقال استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل انت المسيح

ابن الله ؟ فقال له يسوع أنك قلت وايضا اقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة وآتيا على سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا قد جدف ماحاجتنا بعد الى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفه . ماذا ترون؟ فاجابوا وقالوا أنه مستوجب الموت ـ حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ أيها المسيح من ضربك ؟

وقد خالف مرقس متى فزاد فى شهادة الشهود عليه قول الشاهدين « انى انقض هذا الهيكل المبنى بالايادى وفى ثلاثة ايام ابنى آخر غير مصنوع بأياد » وقول رئيس الكهنة « أنت المسيح ابن المبارك ؟ » فقال يسوع « أنا هو » الخ فخالف متى فى هذه المواضع الثلاثة وقوله المبارك يريد (داود)

وأما لوقا فقد ضرب صفحا عن طلب شهود زور على المسيح ولم يذكر سوى قول مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة (ان كنت المسيح فقل لنا . فقال ان قلت لكم لاتصدقون وان سالت لاتجيبوننى ولا تطلقوننى منذ الآن تجدون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع أفأنت ابن الله فقال لهم انتم تقولون ذلك) فخالف بذلك كلا من سابقيه ـ ومن المفارقات قول لوقا أنهم قالوا له « أفأنت ابن الله » مع أنه لم يدع ان ابن الله بل عبر بلفظ « ابن الانسان »

وأما يوحنا فقد الغى شهادة الزور وشهوده والغى محاكمة الكهنة والشيوخ والكتبة له ولم يذكر من ذلك شيئا أصلا وهو من اصحاب المسيح وقد شهد مالم يشهده متى لأنه كان معروفا من رئيس الكهنة ودخل داره مع يسوع كما نص على ذلك يوحنا فى انجيله مكذبا مرقس الذى يقول انه فر عريانا وبعد هذا فشهادة من شهدوا بمسألة نقض الهيكل ليست شهادة زور فقد جاء فى يوحنا ص٢٠ : ١٩ (انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة ايام اقيمه) فكيف يصح أن يقال انهم شهدوا زورا؟

وبعد هذا كله فان الكهنة ورئيسهم لم يقولوا ان سبب الموت هو ما ذكر من هدم الهيكل وبنائه بل حين قال لهم أنه المسيح على رأى مرقس وأنه سيكون على يمين قوة الله . ومع هذا فلم يرفعوه الى الوالى بشىء من هذا بل قالوا أنه يفسد الشعب ويقول أنه ملك اليهود

(١٦) قال متى ص ٢٧ : ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فاوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطى الوالى ـ ووافقه مرقس غير أنه لم يذكر صفة بيلاطس ولا جنسيته . واختصر لوقا وقال فى ص ٢٣ : ١٠ فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس وقال يوحنا فى ص ١٨ : ٢٨ ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا دار الولاية لكيلا يتنجسوا فيأكلون الفصح ـ وهذه العبارة انفرد بها يوحنا دون الثلاثة

(١٧) قال متى حينئذ لما رأى يهوذا الذى اسلمه انه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا قد اخطأت اذ سلمت دما بريئا . فقالوا ماذا علينا انت ابصر فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه فاخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لن نلقيها فى الخزانة لانها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم الى هذ اليوم حينئذ تم ما قيل بارمياء النبى القائل واخذوا الثلاثين من الفضة من ثمن المثمن الذى ثمنوه من بنى اسرائيل واعطوها عن حقل الفخارى كما امرنى الرب

هذا التقرير قد اسقطه اصحاب الاناجيل الثلاثة وخالفه مؤلف (الابركسيس) اعمال الرسل ص ١ : ١٨ فان هذا - أى يهوذا - اقتنى حقلا من اجرة الظلم واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلها وصار ذلك معلوما عند سكان اورشليم حتى دعى ذلك الحقل فى لغتهم حقل دما أى حقل دم — فالفرق بين تقرير متى وتقرير سفر الاعمال ظاهر واذا اخذنا باحدهما وجب ان يكون الآخر كاذبا وعبارة سفر الأعمال تفيد ان مؤلفه ليس عبرانيا بدليل قوله (فى لغتهم)

وبعد هذا فقد نسب متى الى رؤساء الكهنة شراء حقل الفخارى بالفضة وحينئذ تم ماقيل بارمياء الى آخره

ونسب القول الى ارمياء غلط فان هذا القول لايوجد فى كتب ارمياء فذكر متى لاسم ارمياء غلط يقينا وانما هذا القول فى سفر زكريا عليـــه السلام ونصه « فقلت لهم ان حسن فى أعينكم فاعطونى أجرتى والا فامتنعوا وزنوا اجرتى ثلاثين من الفضة فقال لى الرب القها الى الفخارى الثمن الذى ثمنونى به . فاخذت الثلاثين من الفضة والقيتها الى الفخارى فى بيت الرب ثم قصفت عصاى الأخرى » وبعد هذا فهذا الكلام الذى فى زكريا لاتعلق له بالمسيح أصلا وليس فى شانه ولكن القوم يتصيدون كل الكلام ويلحقونه بكتبهم المقدسة ليقيموه دليلا على أن الحادثة قد تنبا بها الأنبياء من قبل وهى بعيدة من غرضهم بعد السماء من الأرض

وقد علق صاحب الفارق على هذه العبارة بكلام طويل فى صفحة ٢٤٨ من الجزء الأول ومابعدها فليرجع اليه من اراد المزيد

(١٨) اختلفت الاناجيـــل الأربعة فى بسط السبب الذى بنى عليه الوالى صلب المسيح وكل واحد يخالف الآخر — واذا قلنا الوالى . فلا نعنى بذلك أنه دان المصلوب أو وجده مذنبا فان كل اناجيل القوم مصرحة بانه لم يجد فيه علة تستوجب الموت — قال متى فوقف يسوع أمام

الوالى فسأله الوالى قائلا أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع أنت تقول . وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك . فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة فتعجب الوالى جدا — وقد وافقه مرقس — وأما لوقا فاثبت ما لم يثبته متى ومرقس فقال ص ٢٣ : ٢ وابتدأوا يشتكون عليه قائلين اننا وجدنا هذا يفسد الامة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا انه هو مسيح ملك . فساله بيلاطس أنت ملك اليهود ؟ فاجابه وقال . انت تقول . وبديهى أن هذا ضد ماقاله متى من انه لم يجب بشيء حتى تعجب الوالى

والمطلع على الاناجيل يعلم فساد تلك الدعاوى بما أثبته اصحابه من قوله اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ومن هربه ممن أرادوا المناداة به ملكا فلو أنه المسيح نفسه لتبرأ من مقالتهم واستشهد على نقض دعواهم ولكنه المسكين يهوذا الاسخريوطى الذى دهش للقبض عليه وارتبك عقله واستغرق فى التأمل فيما هو قادم عليه من أهوال الموت فانساه ذلك الجواب — وقد انفرد لوقا باحياء هيرودس الذى أثبت موته من قبل وذكر أن بيلاطس ارسل اليه بيسوع وكان هيرودس «الميت من زمن مديد» يتمنى رؤية المسيح وأراد أن يصنع امامه آية فلم يجبه بشيء . وكيف يجيبه أو يصنع آية وليس هو المسيح صاحب الآيات وانما هو يهوذا ؟

وأما يوحنا فقد خالف الثلاثة فى ص ١٨ : ٢٨ وما بعدها إذ قال انهم لم يدخلوا دار الولاية لئلا يتنجسوا فخرج اليهم بيلاطس وقال أية شكاية تقدمون على هذا الانسان فاجابوا وقالوا لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه اليك فقـــال بيلاطس خذوه انتم واحكموا عليه حسب ناموسكم فقال له اليهود لايجوز لنا أن نقتل أحدا . ليتم قول يسوع الذى قاله مشيرا الى أية ميتة كان مزمعا أن يموت

فعلم أنهم لم يذكروا الأسباب التى بنوا عليها طلب قتله وهو بذلك يخالف لوقا الذى جعل تلك الاسباب (١) الافساد فى الارض (٢) ادعاء الملك (٣) التحريض على عدم اداء الجزية لقيصر وزاد عن الثلاثة قوله ليتم قوله يسوع الى آخره

(١٩) يعلم من متى ص ٢٧ : ١٨ و٢٢ و٢٣ و٢٤ ان بيلاطس كان يعتقد براءة المسيح وأنهم أسلموه حسدا وأنه لاشر فيه وانه غسل يديه قدام الجميع قائلا انى برىء من دم هذا البار . فكيف يصح مع هذا أن يقال أنه جلده وأسلمه ليصلب كما يقول متى ؟

وقد وافقه مرقس فى المعنى مع هذا التناقض — وأما لوقا فخالفهما فى الجلد فلم يذكر ان بيلاطس جلده ولم يذكر أنه غسل يده براءة من دمه

وأما يوحنا فوافق ثلاثتهم على اعتقاد الوالى براءة يسوع وجلده ولم يذكر غسل يده

(٢٠) ثابت من الاناجيل الأربعة أن اليهود طلبوا صاب المسيح واطلاق مجرم لهم اسمه (باراباس) وقد اختلفت صفتهم لباراباس ـ قال متى أنه كان أسيرا عند بيلاطس وقال مرقس ولوقا انه كان فى فتنة حصل فيها قتل وقال يوحنا وكان باراباس لصا

(٢١) قال متى ص ٢٧ أخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة وعروه والبسوه رداءا قرمزيا وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام ياملك اليهود وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه وبعد ما استهزءوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب

وقد وافقه مرقس على ماذكره الا فى شيئين . التعرية ولون اللباس فقد جعله ارجوانيا لاقرمزيا

وأما لوقا فلم يجعل الاستهزاء بالمسيح فى دار الولاية كما فعل متى ومرقس ولم يقل ان العسكر المستهزئون . بل ذكر أن الشعب هو الذى كان يهزأ به عند موضع الصلب ولم يذكر تعرية ولارداء قرمزيا ولاارجوانيا ـ نعم انه جعل (المرحوم) هيرودس هو الذى ألبسه رداء لامعا

ويوحنا جعل ان العسر (أى الفتوات) هم الذين ضفروا له أكليل الشوك والبسوه ارجوانا ولم يذكر تعرية كما قال متى . وزاد يوحنا أن بيلاطس أعاد عليه السؤال فلم يعطه يسوع جوابا وقال له أما تكلمنى ؟ وكان بيلاطس يطلب أن يطلقه لولا تحكم اليهود

(٢٢) يقول متى ص ٢٧ : ٣٢ وفيما هم خارجون وجدوا انساناقيروانيا[1] اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه وزاد مرقس كنيته فقال (ابو الكسندرس وروفس) ووافق لوقا متى وقد ناقض يوحنا الثلاثة وكذب مسألة « سمعان القيروانى » ص ١٩ : ١٧ وذكر أنهم مضوا به وهو حامل صليبه الى الموضع الذى يقال له جمجمة

(٢٣) ذكر متى أنهم لما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ولم يبين من هم الذين اقتسموا ثيابه بطريق القرعة. ومثل ذلك فى مرقس ونسى لوقا مسألة اللباس والقرعة فلم يكتبها بتدقيق وأما يوحنا فقد ذكر أن العسكر هم الذين اقتسموا ثيابه بلا قرعة وأما قميصه فاقترعوا عليه

(٢٤) قال متى ص ٢٧ : ٢٣ ولما اتوا الى موضع يقال له جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ولما ذاقه لم يرد أن يشرب وقد خالفه مرقس فقال ـ اعطوه خمراً ممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل . وأما لوقا فقال عن العسكر الذين استهزءوا به انهم كانوا

---

(١) الصواب قورينيا نسبة إلى قورين كما تقدم فى صفحة ٤٤٥

يقدمون له خلا ولم يقل انه ممزوج بمرارة كما قال متى وأما يوحنا فقد أسقط العبارة من أصلها

(٢٥) انفرد لوقا بقوله (وتبعه جمهور كبير والنساء اللواتى كن يلطمن أيضا وينحن عليه فالتفت اليهن يسوع وقال يابنات ارشليم لاتبكين على . بل ابكين على انفسكن وعلى اولادكن . لأنه هوذا أيام تأتى يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد والثدى لم ترضع . حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطينا لأنهم كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس؟ ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس ولا يوحنا

(٢٦) اتفق الأربعة اصحاب الاناجيل على أن المسيح صلب وصلب معه اثنان آخران قال متى ومرقس انهما لصان وقال لوقا ـ وجاء باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه وقال يوحنا وصلبوا اثنين آخرين معه ولم يذكر وصفهما .

(٢٧) ذكر متى ان المجتازين والكتبة والكهنة والشيوخ كانوا يجدفون عليه ويستهزئون به وان اللصين اللذين سمرا وصلبا معه كانا يعيرانه ووافقه على ذلك مرقس وذكر لوقا ان المعير أحدهما فقط وان الثانى كان ينهاه وانتهره قائلا أو لاتخاف أنت الله اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه .. ثم قال ليسوع اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك فقال يسوع الحق أقول لك انك اليوم تكون معى فى الفردوس وأما مرقس فاسقط استهزاء اللص واللصين به

(٢٨) لم يحدد كل من متى ولوقا ويوحنا وقت الصلب فى اية ساعة ابتدأ ولكن حدده مرقس الساعة الثالثة

(٢٩) اجتمع الثلاثة من أصحاب الاناجيل على أنه عند الساعة السادسة كانت على الأرض ظلمة الى الساعة التاسعة وخالفهم يوحنا فلم يذكر ظلمة على الأرض اصلا

(٣٠) اختلف أيضا اصحاب الاناجيل فى الكلمات الأخيرة للمسيح فقال متى ص ٢٧: ٤٦ ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلى ايلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى[1] فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا انه ينادى إيلياء وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه وأما الباقون فقالوا اترك لنرى هل يأتى إيليا يخاصه فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح

---

(١) فى الأناجيل اليونانية « ايلى ايلى لما سبختنى » فاذا وضعنا شينا موضع السين المهملة ووضعنا كافا موضع الخاف كما تقتضيه طريقة تعريب العبرى كان اللفظ هكذا « الهى الهى لم شبكتنى » اى أوقعتنى فى شبكة ومحال على المسيح ان يقول ذلك لربه . وهذا قرينة على ان المصلوب غيره

وقد خالف مرقس فقال انه قال الوى الوى لما شبقتنى ولم يقل إيلى إيلى كما يقول متى وخالفهما لوقا فقال انه نادى بصوت عظيم وقال يا ابتاه فى يديك استودع روحى ولما قال هذا أسلم الروح وخالفهما فى مسألة سقياه الخل وخالف الثلاثة يوحنا فلم يذكر للمسيح كلاما سوى انه كانت امه والغلام الذى يحبه واقفين مع بعض النساء بقربه فقال لأمه يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا أمك

وخالف يوحنا الثلاثة فذكر ان سقياه الخل بعد ان طلب الشرب وقال أنا عطشان والثلاثة جعلوا ذلك من الساقى ابتداء ولم يذكر شيئا من قوله إيلى أو الوى

(٣١) قال متى ص ٢٧ : ٥٠ فصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح ـ ووافقه مرقس ـ وقال لوقا أنه قال ونادى بصوت عظيم يا أبتاه فى يديك استودع روحى ـ ولما قال هذا اسلم الروح ـ وقال يوحنا « فلما أخذ يسوع الخل قال قد اكمل ونكس رأسه وأسلم الروح »

(٣٢) قال يوحنا ص ١٩. ٢٥ وكانت واقفات عند صليب يسوع امه واخت امه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية فلما رأى يسوع امه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لامه يا امرأة هوذا ابنك ثم قال للتلميذ هوذا امك ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته

وقد انفرد يوحنا بذكر هذه العبارة فلم يذكرها سواه، وقد قال بطرس عن التلاميذ انهم حين القبض على يسوع هربوا وكان منهم غلام « يريد يوحنا » يلبس رداه على عريه فامسكه جندى فترك له الرداء وهرب عريا فكيف طوعت له نفسه أن يعود ليرى يسوع مصلوبا وقد هرب لمجرد القبض عليه ؟ وعبارة يوحنا تفيد ان هؤلاء الواقفات كن قريبات منه وهو مصلوب

وأما لوقا فلم يذكر قرب احد من معارفه اليه ولم يشر اليهم بكلمة بل قال « وكان جميع معارفه ونساء كن قد تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك »

ولم يذكر مرقس احدا من معارفه نظر حادثة الصلب من قريب . بل قال « وكانت أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم ام يعقوب الصغير ويوسى وسالومة اللواتى ايضا تبعنه من الجليل واخر كثيرات اللواتى صعدن معه إلى اورشليم

وعبارة متى توافق عبارة مرقس

فهذه الاناجيل لم تتفق حتى فى هذا الموقف الجلى وعلى كل فلم يكن احد من معارف يسوع على قرب من موضع الصلب

(٣٣) ذكر متى ص ٢٧ :٥١ ان حجاب الهيكل قد انشق إلى نصفين اثنين من فوق الى اسفل حين اسلم المسيح الروح والأرض تزلزت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين

واما مرقس فقد اهمل هذا القول كله ولم يذكر منه شيئا وتواضع لوقا قليلا فقال ص ٤٥.٢٣ واظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه . ولم يذكر زلزلة ولا تشقق الصخور ولا تفتح القبور ولاقيام الأموات ـ وقد ذكر قبل اسلام الروح خلافا لمتى

وأما يوحنا وهو الذى يزعمون انه كان حاضرا صلب المسيح فلم يذكر شيئا من ذلك كله

(٣٤) اتفق متى ومرقس ولوقا على أن الذى تسلم جسد المسيح ولفه فى ثياب كتان ودفنه هو يوسف وصفه متى بانه كان غنيا ومشيرا صالحا وانفرد متى بانه كان تلميذا ليسوع ومنتظرا ملكوت الله وخالفهم يوحنا فأشرك معه نيقوديموس

ارانى قد مللت جدا من ايراد الأقوال المتخـــالفة فى هـذا الشأن من شؤون المسيح بين بعض هذه الأناجيل وبعضها الآخر وأظن أن القارىء قد مل كما مللت وسئم كما سئمت ولو ذهبت فى هذا الشوط أعدد هذا التضاد بين الأناجيل لأضعت وقتا ثمينا

اقول انى اعتمد على فطنة القارىء واحيله على خاتمة هذه الاناجيل ليرى تخالفها أيضا واضحا فى مسألة قيام المسيح من الأموات وصعوده الى السماء فانه ان شاء الله لايجد رجلا واحدا يذكر له انه رآه قد قام من القبر وخرج منه وصعد الى السماء وهو ناظر وإنمـا سيجد مريم المجدلية ومريم الأخرى قد اتتا بحنوط وطيب لتحنطا وتطيبا جسد يسوع فلم تجده . ولا تسل عن تخالف الاناجيل فى هذه النقطة وهكذا

وبعد كل ماقدمنا فهل يظن ظان أن محمداً ﷺ هو الذى ابتدع مسألة نفى صلب المسيح وقتله من تلقاء نفسه ؟ أن محمداً ﷺ لم يكن له غاية يريد ادراكها من نفى صلب المسيح وقتله . بل اثباته لذلك أدخل فى الباب الذى طرقه كثيرا من ان اليهود كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق : فحادثة المسيح أدل على مايدعيه إذا كان قد قتل حقيقة ولكنه ما كان ينفى أو يثبت الشىء من تلقاء نفسه وكما يشتهى (ان هو إلا وحى يوحى)

وإذا نظرنا الى مسألة صلب الميسح وقتله لم نجدها عند المسيحيين مسالة اجماعية ـ بل وجد من طوائف المسيحيين من ينفى الصلب والقتل فمن القائلين بذلك (الساطرينوسيون) و(الكاربوكراتيون) و(المركيونيون) و(البارديسيانيون) و(التاتيانيسون) و(البارسكاليونيون) و(البوليسيون) وهؤلاء

مع كثيرين غيرهم لم يسلموا بوجه من الوجوه أن المسيح سمر فعلا ومات على الصليب - ومذكور هنا مقرر فى تاريخهم (موسيهيم) الذى يدرس فى مدارس اللاهوت الانجليزية - ومن القائلين بان الشخص المصلوب غير عيسى قطعا وانه لم تسلط عليه أيدى مضطهديه بل رفع الى السماء

طوائف (الدوسيتية — والمرسيونية — والفلنطنيائية) - وهنا شهادات من علماء النصرانية تفيد المطلع بصيرة

الأولى — قال المسيو - ارادوارسيوس الشهير أحد أعضاء (الانسيتودى فرانسى) فى باريس المشهور بمعارضة المسلمين فى كتابه (عقيدة المسلمين فى بعض مسائل النصرانية) صفحة ٤٩ (ان القرآن ينفى قتل عيسى وصلبه ويقول بانه القى شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه - وماقاله القرآن موجود عند طوائف منهم الباسيليديون كانوا يعتقدون بغاية السخافة ان عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب القى الشبه على سيمون السيرناى تماما والقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه « اليهود » الغالطين — ومنهم السرنتيون فانهم قرروا أن احد الحواريين صلب بدل عيسى وقد عثر على فصل من كلام الحواريين واذا كلامه كلام الباسيلديين قد صرح انجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل عيسى انه يهوذا) انتهى

الثانية — قال الهر ارنست دى بونس الألمانى فى كتابه « الاسلام أى النصرانية الحقة » فى صفحة ١٤٢ مامعناه — ان جميع مايختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح لامن اصول النصرانية الأصلية

الثالثة — قال ملمن فى الجزء الأول من كتابه المسمى «تاريخ الديانة النصرانية» ان تنفيذ الحكم كان فى وقت الغلس واسدال ثوب الظلام فيستنتج من ذلك امكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا فى سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف وصدقهم القرآن) انتهى

تراجع ص ٢٨١ و٢٨٢ من كتاب الفارق بين المخلوق والخالق

قيام المسيح من القبر

قال متى فى ص ٢٨ : (١) وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظر القبر (٢) واذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه (٣) وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج (٤) فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات (٥) فاجاب الملاك وقال للمرأتين لاتخافا انتما . فانى أعلم انكما تطلبان

يسوع المصلوب (٦) ليس هو هاهنا . لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضجعا فيه (٧) واذهبا سريعا وقولا لتلاميذه انه قام من الأموات . ها هو يسبقكم الى الجليل. هناك ترونه. ها أنا قد قلت لكما (٨) فخرجتا سريعا من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه (٩) وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه . اذا يسوع قال لهما سلام لكما . فتقدمتا وامسكتا بقدميه وسجدتا له (١٠) فقال لهما يسوع لاتخافا . اذهبا قولا لاخوتى ان يذهبوا الى الجليـــل وهناك يرونى (١١) وفيما هما ذاهبتان اذا قوم من الحراس جاءوا الى المدينة واخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان (١٢) فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة (١٣) قائلين. قولوا ان تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام (١٤) واذا سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين (١٥) فاخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم فشاع هذا القول عند اليهود الى هـذا اليوم (١٦) واما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا الى الجليل حيث أمرهم يسوع (١٧) ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا (١٨) فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض (١٩) فاذهبوا و تلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (٢٠) وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر آمين

(١) علم من اقوال متى ان امرأتين ذهبتا الى القبر عند فجر أول الاسبوع فقط لتنظرا القبر

وأما مرقس فخلط فى الوقت فقال ان الذهاب كان باكرا جدا ثم قال إذ طلعت الشمس وجعل من ذهب الى القبر ثلاث نسوة . (١) مريم المجدلية (٢) ومريم أم يعقوب (٣) وسالومة . وقال انهن ذهبن ليدهنه بالحنوط الذى اشترينه ـ ولعمرى من اين اشترينه واليهود لايبيعون ولا يشترون فى السبت ؟

وأما لوقا . فجعل شراء الحنوط قبل الدخول فى السبت وان الذاهبات هن نساء كن حضرن مع يسوع من الجليل ومعهن اناس لم يبين عددهم وهل كانوا رجالا أو نساء ؟ لم يبين ذلك وجعل منهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويونا . فزاد على المسمين (يونا) وانقص سالومة التى أثبتها مرقس .

وخالف يوحنا فجعل الذاهبة الى القبر مريم المجدلية وحدها . وان الظلام كان باقيا ولم يذكر أن الشمس كانت اشرقت كما قال مرقس

(٢) علم من متى أن المرأتين أتتا الى القبر والحجر مطبق على بابه وان الملك نزل من السماء أمامهما على الهيئة التى وصف

وخالفه مرقس فقال ان اللائى ذهبن الى القبر تطلعن الى القبر فوجدن الحجر قد دحرج

واما لوقا فوافق مرقس فى أن النساء وجدن الحجر مدحرجا عن القبر قبل أن يأتين اليه

وأما يوحنا — وهو الذى قال ان الذى ذهب انما هو مريم المجدلية وحدها فقال انها نظرت الحجر مرفوعا عن القبر

(٣) يستفاد من متى أن الملك اخبر المرأتين بان يسوع قام من الأموات وانه يطلب لقاء تلاميذه بالجليل وانهما نظرتا الى المكان الذى كان مضجعا به وخالفه مرقس فلم يذكر ملكا وقال انهن رأين فى القبر شابا جالسا فى القبر عن اليمين

وخالفهما لوقا فقال انهن دخلن القبر ولم يجدن جسد يسوع وفيما هن متحيرات إذ وقف بهن رجلان بثياب براقة وانهما قالا لهن لماذا تطلبن الحى بين الأموات وانه فى الجليل

وخالف يوحنا جميع هذه الاناجيل وقال ان مريم المجدلية رأت الحجر مرفوعا فعادت بسرعة الى سمعان بطرس والى التلميذ الذى كان يسوع يحبه واخبرتهما قائلة أخذوا السيد من القبر

(٤) يعلم من متى أن المرأتين لما انطلقتا لاخبار التلاميذ لقيهما يسوع وقال سلام لكما الخ

وخالف مرقس. فذكر انهن خرجن سريعا وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة اخذتاهن ولم يقلن لأحد شيئا لأنهن كن خائفات — وانه ظهر أولا لمريم المجدلية وحدها فذهبت واخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون فلما سمعوا انه حى وقد نظرته فلم يصدقوا

وخالف لوقا — فقال انهن ذهبن واخبرن الرسل فلم يصدقوهن — وانفرد لوقا بان بطرس ركض الى القبر وانحنى ونظر الى الاكفان وحدها فتعجب بما كان. وأما يوحنا فجعل وصول الخبر الى التلاميذ على لسان مريم المجدلية وحدها وان من ركض الى القبر اثنان بطرس والتلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقد سبق هذا صاحبه فنظر الى الاكفان فى القبر ولم يدخل ودخل بطرس بعد ان جاء إلى القبر ثم بعد ذلك دخل التلميذ الآخر الذى جاء أولا الى القبر ورأى فآمن

ثم أتى يوحنا بمريم المجدلية الى القبر مرة ثانية وانها كانت واقفة تبكى ثم انحنت ونظرت فى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحدا عند رأسه والآخر عند رجليه وسألاها عن بكائها فقالت أنهم أخذوا سيدى ولا أعلم أين وضعوه ولما قالت ذلك التفتت فرأت يسوع ولم تعلم أنه هو وظنته البستانى وقالت له. ياسيد ان كنت حملته فقل لى أين وضعته وانا آخذه وان يسوع قال لها يامريم فالتفتت وقالت له «ربونى الذى تفسيره يامعلم»

(٥) ذكر مرقس انه ظهر لاثنين بهيئة أخرى فاخبرا التلاميذ فلم يصدقوا وذكر لوقا ان اثنين كانا منطلقين إلى بلدة عمواس فاقترب اليهما يسوع وهما يتحاوران فيما كان من حادثة صلب المسيح وقتله وقيامه من الأموات وقد أمسكت أعينهما عن معرفته فقال لهما ماهذا الكلام الذى تتطارحان به وانتما ماشيان عابسين فاجاب احدهما الذى اسمه كليوباس وقال له . هل انت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام . فقال لهما وماهى. فقال المختصة بيسوع الناصرى الذى كان انسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب كيف اسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ونحن نرجو أنه هو المزمع أن يفدى اسرائيل ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدوث ذلك بل بعض النساء منا حيرننا اذ كن باكرا عند القبر ولما لم يجدن جسده أتين قائلات انهن رأين منظر ملائكة قالوا انه حى ومضى قوم من الذين معنا الى القبر فوجدوا هكذا كما قالت النساء وأماهو فلم يروه فوبخهما قائلا أيها الغبيان والبطيئا القلوب بجميع ماتكلم به الأنبياء وفسر لهما الأمور الغامضة من موسى وجميع الأنبياء وانهما شددا عليه فى أن يميل معهما ففعل ولما اتكأ أخذ خبزا وكسره وناولهما فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما

وقد انفرد لوقا بهذه الحكاية وهى تؤيد ماقاله أهل الاسلام ونطق به القرآن ـ وجاء فى انجيل برنابا أن المسيح شبه لليهود وتغيرت هيئته حتى خفى عن كليوباس ورفيقه ولم يعرفاه حتى كسر الخبز وناولهما فا كلاه فانفتحت عيونهما

من ذلك كله لانجد شاهدا واحدا من الرجال ولا من النساء سواء أكان موافقا للمسيح أومنافيا له قد شاهد المسيح وهو فى القبر وشاهده يخرج منه ـ وانما يقول الذين يزعمون أنهم شاهدوه انهم رأوه خارج القبر وهو يشهد لأهل الاسلام ان الذى قتل سواه وأما هو فقد ظل سليما معافى مبرأ من الوقوع فى أيدى أعدائه ـ واقتصر على هذا القدر تاركا مابقى من التضارب والتضاد بين الاناجيل فى المحسات وحسبى الله وكفى

المسيح عيسى بن مريم

عبـــد الله ورسوله

جاء فى القرآن الكريم ان عيسى عبد الله ورسوله — وليس هو الله ولا ابنا لله — اقرءوا هذه الآيات :

سورة البقرة — وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ١١٦

سورة آل عمران — انَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥٩

سورة النساء — وَقَوْلِهِمْ انَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ ١٥٧

ومنها ايضا — يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ الَّا الْحَقَّ انَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا الَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ انَّمَا اللهُ الٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً ١٧١ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ الَيْهِ جَمِيعاً ١٧٢

سورة المائدة — لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا انَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً انْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ١٧

ومنها ايضا — لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا انَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِى اسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ انَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٢ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا انَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ الَّا الٰهٌ وَاحِدٌ وَانْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣ أَفَلَا يَتُوبُونَ الَى ٱللّٰهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧٤

مَا ٱلْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ الَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ٧٥

سورة الأنعام — بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٠١

سورة مريم — قَالَ انِّي عَبْدُ اللّٰهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٢٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٣

سورة الفرقان — الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ٢

سورة الزخرف — انْ هُوَ الَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي اسْرَائِيلَ ٥٩ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ٦٠ وَانَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١

سورة الصف — وَاذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي اسْرَائِيلَ انِّي رَسُولُ اللّٰهِ الَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ٦

سورة الاخلاص — قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ اللّٰهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٤

هذا بعض ما جاء فى القرآن الكريم وكله ناطق بما قلت فى صراحة لا تحتمل التأويل وقد جاء مثل ذلك فى الأناجيل وكتب العهد الجديد كما سيأتى

أما جماعة النصارى فقد خلقوا لهم عقيدة هى أن الله مركب من ثلاثة أقانيم الآب والآبن والروح القدس . وهذه كلها واحد . فانحدر الله الذى هو الأب او الابن على اختلاف أقوالهم وحل فى مريم وتجسد انسانا وولد منها وهو يسوع الى آخر ما يقولون

وهذا الكلام لم يقله المسيح ولم يعلم به ولكن المسيحيين لما أذاعوا المسيحية بين الوثنيين الذين كانوا يدينون بالأقانيم وتجسد الآلهة والصلب والفداء ودخلوا فى المسيحية حاملين لتلك العقيدة أحبوا أن يوفقوا بين ماألفوه من عقيدة وبين هذا الدين الجديد وأخذوا يؤلهون المسيح ويقولون ان الله انحدر منه اقنوم الابن المتحد مع الأب والروح القدس وتجسد فى رحم مريم ثم خرج انسانا الها - ولهم فى هذا الباب أقوال لا يقولها سواهم . فهذه هى العوامل التى آلت بهم الى عبادة المسيح رغم أنفه - وقد جاء فى القرآن كثير من الآيات فى الرد عليهم

اقرءوا الآيات الآتية :

سورة النساء - لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ١٧٢

سورة المائدة - لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧

ومنها أيضا - لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٢

ومنها أيضا - مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ٧٥

سورة التوبة — وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ٣٠

ومنها أيضا — اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣١

ومنها أيضا — يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ٣٢

سورة مريم — ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٣٥ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٣٦

سورة الزخرف — وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ٥٧

سورة الصف — وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ

يقولون هذا فى حين ان المسيح يرفض ذلك ويعترف انه عبد يعبد الله تعالى ويفعل مشيئته وهذه الأناجيل التى صنعوها والرسائل التى كتبها قديسوهم تنطق عليهم بالحق وتثبت انه عبد رسول. واليكم الشواهد على ذلك

(١) فى يوحنا ص ١ : ٥١ من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة السماء يصعدون وينزلون على ابن الانسان — فاعترف بأنه ابن انسان وليس ابنا لله ولا هو الله

(٢) يوحنا ص ٤ : ٦ (يسوع قد تعب من السفر) ومحال ان يتعب الله الذى بقوته قامت السموات والأرض وما فيها

(٣) يوحنا ص ٣ : ٢٦ فجاءوا الى يوحنا المعمدان وقالوا له يامعلم هو الذى كان معك فى عبر الأردن الذى أنت قد شهدت له هو يعمد والجميع يأتون اليه أجاب يوحنا وقال لا يقدر انسان

ان يأخذ شيئا ان لم يكن قد أعطى من السماء أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت لست أنا المسيح بل أنى مرسل قدامه

فأنتم ترونه قد شهد على المسيح بانه انسان وانه لا يقدر ان ياخذ شيئا ان لم يكن قد أعطى من السماء وبانه المسيح . وقال عنه فى ٣٠ (ينبغى ان ذلك يزيد وأنا أنقص) ومعلوم ان الاله لا يزيد ولا ينقص

(٤) يوحنا ص ٣ : ٣٤ لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح فانتم ترون ان يحيي جعل المسيح رسولا لله يتكلم بكلام الله

(٥) يوحنا ص ٤ : ٣٤ قال لهم يسوع طعامى ان أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله — وهنا شهد بأنه رسول يعمل مشيئة الذى أرسله

(٦) يوحنا ص ٤ : ٤٤ لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه — وهذا صريح فى نبوته وانه كسائر الأنبياء لا يلقون الكرامة فى أوطانهم وإنما يقوم بنصرهم البعداء

(٧) يوحنا ص ٤ : ١٩ قالت له الامرأة ياسيد أرى انك نبى ٢٥ أنا أعلم ان مسيا الذى يقال له المسيح ياتى . فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء قال لها يسوع أنا الذى يكلمك هو — وذلك يثبت انه نبى وانه المسيح الذى وعدوا به

(٨) يوحنا ص ٥ : ١٩ لا يقدر الابن ان يعمل من نفسه شيئا الا ما ينظر الأب يعمل — وهذا مثل ضربه لعمله الذى ياتى به وأثبت به انه لا يقدر ان يعمل عملا الا ما علمه الله ان يعمله

(٩) يوحنا ص ٥ : ٢٤ الذى يرانى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية فاعترف بأنه يرى . ومعلوم ان الله لا يرى واعترف بانه رسول

(١٠) يوحنا ص ٥ : ٣٠ أنا لا أقدر ان أفعل من نفسى شيئا .... لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى

(١١) يوحنا ص ٥ : ٤٤ كيف تقدرون ان تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض والمجد الذى من الاله الواحد لستم تقبلونه

(١٢) يوحنا ص ٦ : ١٤ — ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم

(١٣) يوحنا ص ٦ : ٢٩ أجاب يسوع وقال لهم هذا هو عمل الله ان تؤمنوا بالذى هو أرسله

(١٤) يوحنا ص ٦ : ٣٨ — لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلني وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني ان كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئا بل أقيمه فى اليوم

الأخير لأن هذه هى مشيئة الله الذى أرسلنى

(١٥) يوحنا ص ٦ : ٤٤ لا يقدر احد ان يقبل الى ان لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى — فتبين من هذه العبارة انه يقول ان الهداية إنما تكون من الله وانى عبد رسول ليس لى من الأمر شىء

(١٦) يوحنا ص ٧ : ١٦ و ١٨ أجابهم يسوع وقال تعليمى ليس لى بل للذى أرسلنى ان شاء احد ان يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله ام أتكلم انا من نفسى . من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . واما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم

(١٧) يوحنا ص ٧ : ٢٨ فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا تعرفوننى وتعرفون من أين أنا ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق .

(١٨) يوحنا ص ٧ : ٣٣ فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضى الى الذى أرسلنى

(١٩) يوحنا ٧ : ٤٠ وكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبى اخرون قالوا هذا هو المسيح ـ والمسيح لم يهدهم الى الصواب بأنه الله أو ابن الله

(٢٠) ٧ : ٥١ فتش وانظر انه لم يقم نبى من الجليل . فرؤساء الكهنة والفريسيون ينكرون عليه ما يدعيه من أنه نبى

(٢١) يوحنا ٨ : ٢٦ الذى أرسلنى هو حق وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم

(٢٢) يوحنا ص ٢٨ : ٨ ولست أفعل شيئا من نفسى بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى والذى أرسلنى هو معى .

(٢٣) يوحنا ١١ ص : ٤٢ ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى

(٢٤) يوحنا ص ٢٨.١٢ أيها الآب نجنى من هذه الساعة ـ والاله لا بد أن يكون تام القدرة ومن العجز ان يطلب النجاة من سواه بل طالب النجاة مقر بالعبودية والافتقار الى من ينجيه

(٢٥) يوحنا ص ١٣ : ٤٩ لم أتكلم من نفسى بل الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا اقول وبماذا اتكلم

(٢٦) يوحنا ص ١٣ : ١٦ ليس عبد اعظم من سيده ولا رسول اعظم من مرسله

(٢٧) يوحنا ص ١٤ . ١٦ وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر وفى النسخة المطبوعة فى لندن سنة ١٨٤٤ واطلب من الآب فيعطيكم فارقليطا اخر .

حجة المسيحيين فى إلهية المسيح

يتمسك المسيحيون بأن المسيح اله وابن الله بألفاظ وردت فى بعض الأناجيل التى صنعوها مثل إطلاق لفظ (ابن الله) عليه . وهو دليل واه واهن لان هذا الاطلاق معارض باطلاقه (ابن الانسان) على نفسه - وباطلاق (ابن داود) على نفسه أيضا فلا بد من حمل هذا الاطلاق على معنى لا يتنافى مع ما ثبت من جلال الله وتنزهه عما لا يليق به .

معلوم أن لفظ الابن بمعناه الحقيقى باتفاق لغات أهل العالم أنه المتولد من نطفة الأب الملقحة لبيضة الأم. وذلك محال على الله أن تكون له صاحبة أو يوجد له ولد يتولد من نطفته - تعالى عما يقولون - فلا بد من الحمل على معنى مجازى يناسب شأن المسيح عيسى بن مريم بحيث لا يحط من قدر الله ولا يرفع المسيح فوق قدر نفسه .

(١) ومن قارن بين ص ١٥ : ٩ مرقس « ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله انه صريح هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الانسان بارا » علم أنهم كانوا يطلقون على البار ابن الله بلا فارق بين المسح وغيره

وقد كانوا يستعملون لفظ « ابن الله » فى حق الصالح كما يطلقون ابن « إبليس » على الطالح

(٢) متى ص ٥ : ٩ « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون - ٤٥ باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم صلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم ٤٦ ـــ كى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات) .

(٣) وفى يوحنا ص ٨ . ٤١ (أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا اننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله ٤٢ فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونى) ٤٤ (أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فانما يتكلم بما له لأنه كذاب وأبو الكذب) وهو إنما يريد انتم عاصون لله مطيعون للشيطان .

(٤) الرسالة الأولى ليوحنا ٣ ص . ٩ « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله . ١٠ بهذا أولاد الله ظاهرون واولاد إبليس)

(٥) ص ٤ . ٧ « كل من يحب فقد ولد من الله)

(٦) ص ٥ . ١ « كل من يؤمن ان يسوع هو المسيح فقد ولد من الله وكل من يحب الوالد يحب

المولود منه ٢ بهذا نعرف اننا نحب اولاد الله اذا احببنا الله وحفظنا وصاياه .

(٧) يوحنا ص ٢٠ . ١٧ لا تلمسيني لأني لم اصعد بعد الى ابى ولكن إذهبى الى إخوتى وقولى لهم انى اصعد الى ابى وابيكم والهى وإلهكم .

(٨) يوحنا ص ١٤ . ٢٨ ان ابى اعظم منى

(٩) متى ص ٨ : ٢٠ فقال يسوع للثعالب اوجره ولطيور السماء اوكار واما ابن الانسان فليس له اين يسند راسه .

(١٠) متى ص ٩ . ٦ ولكن لكى تعلموا ان لابن الانسان سلطانا على الأرض لكى يغفر الخطايا

ولو كان كل من يسميه الله ابنا يحمل على البنوة الحقيقية ويكون إلها مستوجبا للعبادة . لكان كل بنى إسرائيل آلهة لأن الله اطلق على شعب اسرائيل قول ابنى

ص ٤ خروج ٢٢ « وتقول له هذا ما يقول الرب ابنى بكرى اسرائيل » ٣٢ « فقلت لك اطلق ابنى ليعبدنى »

مزمور ٨٨ : ٢٠ (وجدت داود عبدى فمسحته بدهن قدسى ٢٦ وهو يدعونى أنت أبى وإلهى وناصر خلاصى ٢٧ وأنا أيضا أجعله بكرا أعلى من كل ملوك الأرض)

أرميا ص ٣١ : ٩ (إنى صرت ابا لاسرائيل وأفرام هو بكرى)

صمويل ثان ص ٧ قول الله فى حق سليمان (وأنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا) وإنى أقتصر على ذلك

وأورد هنا ما ورد فى دائرة المعارف للبستانى فى ثلاث كلمات هن اساس العقيدة المسيحية وهن لفظ (ثالوث) ولفظ (روح) ولفظ (ابن) ليتبين القارىء ان العقيدة التى كان يعتقدها المسيح كانت توحيدا صرفا مبرءا عن عقيدة التثليث وعن ادعاء الالهية .

الثالوث

كلمة تطلق عند النصارى على وجود ثلاثة اقانيم معا فى اللّٰهوت تعرف بالآب والابن والروح القدس . وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت الا ما ندر والذين يتمسكون بهذا التعليم يذهبون الى انه مطابق لنصوص الكتاب المقدس . وقد اضاف اللاهوتيون اليه شروحا وايضاحات اتخذوها من تعاليم المجامع القديمة وكتابات اباء الكنيسة العظام . وهى تبحث عن طريقة ولادة الأقنوم الثاني وإنبثاق الأقنوم الثالث وما بين الأقانيم الثلاثة من النسبة وصفاتهم المميزة والقابهم .

ومع ان لفظة ثالوث لا توجد فى الكتاب المقدس ولا يمكن ان يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوت . قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير الى وجود صورة جمعية فى اللاهوت . ولكن إذ كانت تلك الآيات قابله لتفاسير مختلفة كانت لا يؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم الثالوت . بل كرموز[1] الى الوحى الواضح الصريح الذى يعتقدون انه مذكور فى العهد الجديد . وقد اقتبس منه مجموعان كبيران من الآيات كحجج لاثبات هذا التعليم أحدهما . الآيات التى ذكر فيها الآب والابن والروح القدس معا . والآخر التى ذكر فيها كل منهم على حدة . والتى تحتوى على نوع أخص صفاتهم ونسبة أحدهم الى الآخر .

والجدال عن الأقانيم فى اللاهوت ابتدأ فى العصر الرسولى . وقد نشأ على الأكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين . فان ـ ثيوفيلوس ـ أسقف أنطاكية فى القرن الثانى استعمل كلمة ـ ثرياس ـ اليونانية . ثم كان ترتليانوس . أول من استعمل كلمة ـ ترينيتاس ـ المرادفة لها ومعناها الثالوت . وفى الأيام السابقة للمجمع النيقاوى حصل جدال مستمر فى هذا التعليم وعلى الخصوص فى الشرق وحكمت الكنيسة على كثير من الآراء بانها ـ أراتيكية[2] ومن جملتهـــا الأبيونيين الذين كانوا يعتقدون أن المسيح انسان محض والسابليين ـ الذين كانوا يعتقدون أن الآب والابن والروح القدس . إنما هى صور مختلفة أعلن بها الله نفسه للناس والآريوسيين الذين كانوا يعتقدون أن الابن ليس أزليا كالاب بل هو مخلوق منه قبل العالم . ولذلك هو دون الاب وخاضع له . والمكدونيين الذين أنكروا كون الروح القدس اقنوما .

وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ للميلاد . ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وقد حكما بان الابن والروح القدس مساويان للاب فى وحدة اللاهوت وان الابن قد ولد منذ الأزل من الاب . وان الروح القدس منبثق من الاب ـ ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩ حكم بان الروح القدس منبثق من الابن أيضا .

وقد قبلت الكنيسة اللاتينيه بأسرها هذه الزيادة وتمسكت بها . وأما الكنيسة اليونانية . فمع أنها كانت فى أول الامر ساكتة لا تقاوم . قد أقامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسبة ذلك بدعة . وعبارة (ومن الابن أيضا) لاتزال من جملة الموانع الكبرى للاتحاد بين الكنيسة

---

(١) تناقض واضح اذ كيف يكون « رمزا » ثم صريحا ؟

(٢) متطرفة أو الحادية

اليونانية والكاثوليكية .

وكتب اللوثريين والكنائس المصلحة . أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما كان عليه من دون تغيير . ولكن قد ضاد ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالسوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم حاسبين ذلك مضادا للكتاب المقدس والعقل . وقد أطلق سويد نبرغ الثالوث على أقنوم المسيح معلما بثالوث ولكن لا ثالوث الأقانيم بل ثالوث الأقنوم — وكان يفهم بذلك إن ما هو إلهى فى طبيعة المسيح هو الاب وان الالهى الذى اتحد بناسوت المسيح هو الابن . وان الالهى الذى انبثق منه هو الروح القدس

وانتشار مذهب العقليين فى الكنائس اللوثيريه والمصلحة أضعف مدة من الزمان اعتقاد الثالوث بين عدد كبير من اللاهوتيين الجرمانيين .

وقد ذهب كنت الى أن الاب والابن والروح القدس إنما تدل على ثلاث صفات أساسية فى اللاهوت وهى القدرة والحكمة والمحبة أو على ثلاثة فواعل . وهى الخلق والحفظ والضبط وقد حاول كل من هيجين . وشلنغ . أن يجعلا لتعليم الثالوث أساسا تخيليا . وقد اقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون وحاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على أسس تخيلية ولاهوتية وبعض اللاهوتيين الذين يعتمدون على الوحى لا يتمسكون بتعليم استقـــامة الرأى الكنائسية بالتدقيق كما هى مقررة فى مجمعى نيقية والقسطنطينية المسكونيين . وقد قام محامون كثيرون فى الأيام المتأخرة لعضد آراء السابيليين على الخصوص .

ابن

هى بالانكليزية سن وبالفرنسوية (فى) وهى لفظة إضافية تطلق على الولد الذكر لأب او ام يقال ابن فلان كما يقال ابن فلانة قيل معناه انه يبنى على ما بنى ابوه شبه الأب بالأس والابن بما يبنى عليه ويستعار الابن فى كل شىء صغير فيقول الشيخ للشاب الأجنبى يا ابنى ويسمى الملك رعيته الأبناء وكان الأنبياء فى بنى اسرائيل يسمون امهم ابناء والحكماء والعلماء يسمون المتعلمين منهم ابناءهم وكذا خدمة الدين عند أكثر الأمم يسمون قومهم بالأبناء وقد يكنى بالابن فى بعض الأشياء لمعنى الصاحب كابن عرس وابن مائن على الاستعارة والتشبيه ويقال ايضا لكل ما يحصل من جهة شىء او تربيته او كثرة خدمته او قيامه بأمره او توجهه اليه او إقامته عليه هو ابنه كما يقال ابناء العلم وابناء السبيل وابناء الدنيا وهلم جرا

روح

وقال بوسوى الكاثوليكى الرومانى عن الروح القدس : — ان الروح القدس المنبثق من الآب والابن . هو من نفس جوهرهما : فهو معهما اله واحد (راجع ثالوث) واعترض كثيرون من الأريوسيين والمكدونيين وغيرهم على لاهوت روح القدس . واختلفت الآراء وتباينت من (جرى) التعليم بلاهوته — وقال الاريوسيون والمكدونيون والذين ذهبوا مذهبهم ان الروح القدس إنما هو مخلوق كالملائكة ولكنه أرفع درجة منهم — وقال مارأتونيوس ان روح القدس مستعمل مجازا يكنى به عن أفعال الله — وسمى أصحاب هذا القول فى الكتب الدينية بالمجازيين . ولم يسموا الروح القدس (الله) وجعلوا له صفات الاهية . وقال كلارك وهو من العلماء الحديثين : ان الروح القدس لم يدع (الله) فى الكتب المنزلة !! وقال اثناسيوس ان كلمة الروح القدس استعملت اسما لله . وبالعكس . نسب الى الروح مالا ينسب الا الى الله كتقديس الأنفس. ومعرفة جميع الحقائق . وغير ذلك — وبين ان القول بالمجاز فى غير محله

وأما السوسينيون أو (الدوسينيانيون) فقالوا ان الكنيسة لم تعتقد ألوهية الروح القدس قبل المجمع القسطنطينى الذى شجب المكدونيين سنة ٣٨١ . ورد عليهم بقول ماريوستينيانوس فى القرن الثانى — اننا نعبد الاله الحقيقى الآب والابن والروح (النبوى) وبما كتبه اكليمنضس الاسكندرى فى القرن الثالث خاتما به كتابه لتهذيب الأولاد وتعليمهم - وهو التضرع الى الأقانيم الثلاثة - وقالوا : ان جميع معلمى الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى اعتقدوا ألوهية الروح القدس - وجمع مارباسيليوس شهاداتهم بذلك فى كلامه على الروح القدس — وذكر اعتقاد ألوهيته فى الدسولجيا - وهى ترنيمة قديمة العهد تاريخ نظمها مجهول . ويستدل عليها بالتغطيس ثلاث مرات فى المعمودية، وباستهزاء الأمم الوثنية القديمة بالمسيحيين لاعتقادهم الثالوث

وقال مولت لفيلوباترس على سبيل الانتقاد ان الاله الحقيقى عند النصارى هو فى ثلاثة والثلاثة فى واحد — الاله السائد . وابن الآب والروح الذى ينبثق منه — وهكذا كان الوثنيون يتهمون النصارى بعبادة ثلاثة آلهة

واعترض بعض العلماء على ألوهية الروح القدس . بالقول - ان اعتقادها لا يقبله العقل — فقال المكدونيون لا ندرك ما هو الروح القدس فى الجوهر الالهى : فلا بد ان يكون مولودا او

غير مولود . فاذا لم يكن مولودا فما الفرق بينه وبين الآب — واذا كان مولودا فبماذا يمتاز عن الابن ؟ — فقالوا بأنه مولود من الابن فقط فرد عليهم مارا ثناسيوس بأنه لم يدع الروح القدس فى الكتب المنزلة ابنا — ولكنه دعى روح الآب وروح الابن فقط — والادراك البشرى يعجز عن كشف أكثر من ذلك . وقال : من المحال ان نعتبر الروح القدس مخلوقا . لأننا نجعله باعتباره كذلك شيئا غير مساو للاب والابن متحدا معهما . ولا نسلم أن التوليد هو الواسطة الفريدة للانبثاق من الآب والابن ونسلم بجهل الفرق بين التوليد والانبثاق — ولكن التوليد والانبثاق أبديان لازمان . ولا يأتيان بشىء من غير الجوهر المولد والباثق فلا ينبغى ان نخالطهما بالاعتقاد كالفلاسفة القدماء من جهة صدور الأرواح

وفى دستور الايمان على رأى المجمع القسطنطينى ان الروح منبثق من الآب وبعد سنة ٤٤٧ قالت كنيسة اسبانيا ثم الغلية أى فرنسا ثم جميع الكنائس اللاتينية انه منبثق من الآب والابن — وهـــذه الاضافة من الأسباب التى جعلت البطريرك فوتيوس (٨٦٦) والبطريرك ميخائيل كرولاريوس (سنة ١٠٤٣) يروجان انفصال الكنيسة اليونانية الشرقية عن اللاتينية أى الغربية

وقال الروم الأرثوذكس وغيرهم . ان رؤساء الكنائس اللاتينية غيروا تعاليم المجمع القسطنطينى واتهموها بالتزوير وأوسعوها طعنا وقذفا . فأجابت انها غيرتها جهارا للتوضيح — والخصام الناشىء عن ذلك قديم العهد فترى آثاره فى المجمع الذى عقد سنة ٧٦٧ وبحث عنه فى مجمع اكس لاشابل سنة ٨٠٩ وتجدد فى المجمع اللاترانى الرابع سنة ١٢١٥ وفى مجمع لون الثانى سنة ١٢٧٤ وفى مجمع فلورنسا ســـنة ١٤٧٩ — وقال اللاتين . ان اليونان قبلوا المجمع الأخير بتعليم اللاتين من جهة الانبثاق ثم رجعوا

وأما الروم الأرثوذكس فقالوا انهم حافظوا على القديم ورفضوا الحديث

ويسمى الروح القدس غالبا فى العهد القديم أى التوراة روح الله وروح الله القدس كما فى (مز ٥١ : ١١ واشعيا ٥٨ : ١٠ و ١١) أو روح الرب الصالح (مز ١٤٣ : ١٠ ونحميا ٩ : ٢٠) وفى الانجيل الروح أو روح القدس او روح الله او روح الرب او روح يسوع المسيح كما فى (مت ٣ : ١٦ وأعمال ٥ : ٩ وفيلبى ١ : ١٩) وغيرها الخ الخ

موقف للمسيح لم يذكر فى القرآن

ومما يتعلق بقصص المسيح موقف لم يذكر فى القرآن الكريم وإنما ذكر فى الأناجيل

قال متى ص ٢١ : ١ ولما قربوا من اورشليم وجاء الى بيت فاجى عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلا لهما اذهبا الى القرية التى أمامكما فللوقت تجدان اتانا مربوطة وجحشا

معها فحلاهما وأتيانى بهما وان قال لكما أحد شيئا فقولا الرب محتاج اليهما فللوقت يرسلهما . فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل (قولوا لابنة صهيون . هو ذا ملكك يأتيك وديعا راكبا على أتان وجحش ابن اتان) فذهب التلميذان وفعلا كما أمر يسوع وأتيا بالاتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم فى الطريق وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها فى الطريق والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنا لابن داود مبارك الآتى باسم الرب أوصنا فى الأعالى

والمتأمل فيما جاء بانجيل متى هذا وما جاء فى الأناجيل الاخرى يرى تناقضا ظاهرا

(١) يقول متى انه أرسل تلميذين فأتياه بجحش واتان وألقى التلميذان عليهما ثيابهما فجلس عليهما وأنا لا أدرى ولا مؤلف الانجيل المذكور يدرى ولا المنجم يدرى كيف يركب المسيح الاتان والجحش معا وينتظمها فى جلسة واحدة

(٢) أما مرقس . فكان ذا لباقة وكياسة . فقد كذبه وقال انه أرسلهما ليأتياه بجحش فقط فأتيا به ووضعا ثيابهما عليه وجلس عليه ودخل اورشليم

(٣) كان لوقا كمرقس فذكر انه انما ركب جحشا فقط بعد ان أرسل تلميذين فأحضراه

(٤) وأما يوحنا . فانه كذب الأناجيل الثلاثة فى أنه أرسل واحدا الى القرية ليأتيه بالاتان والجحش كما زعم متى أو بالجحش كما ذكر كل من مرقس ولوقا بل قال انه وجد جحشا فركبه ودخل به اورشليم

(٥) عبارة لكى يتم ما قيل بالنبى القائل (قولوا لابنة صهيون) الخ التى جاءت فى متى لم يذكرها من بقية الأناجيل سوى يوحنا بعبارة تغاير عبارة متى ونصها (لا تخافى يا ابنة صهيون هو ذا ملكك يأتى جالسا على جحش اتان)

فاختلاف الأناجيل فى هذه الحادثة القصيرة هذا الاختلاف الفاحش وتناقضها فيه يدعو القارىء الى اعتقاد أحد امرين . إما ان تكون هذه المسألة لم تحصل فلا المسيح أرسل الى اتان وجحش ولا الى جحش ولا ركب على شىء من ذلك ولكن المسيحيين رأوا هذه العبارة فى كتاب نبى من الأنبياء فاتوا بها ليدلوا على أن المسيح تكلم عنه الأنبياء بشىء وتم ما أخبروا به على الوجه الذى نصوه - وإما ان يكون المسيح قد صنع الأمر على وجه من تلك الوجوه التى ذكروها ويكون أحد الانجيلين المتناقضين كاذبا والآخر صادقا

وبعد هذا فمن هو النبي الذي جاء فى كتابه هـذه العبارة قولوا لبنت صهيون الخ) ؟ والجواب ان النبي الذي ذكر هـذه العبارة فى كتابه ـ هوزكرياعليه الصلاة والسلام فى ص ٩ : ٩ (ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفى يا بنت اورشليم هو ذا ملـكك يأتى اليك ـ هو عادل ومنصور ووديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان) وبعد ذلك كله فمن هو الملك الذى جاء الى اورشليم ؟ ودخلها منصورا وكان عادلا ومتواضعا وراكبا على جحش ابن اتان ؟

وهل بدخول المسيح اورشليم على الوجه الذى ذكرته الأناجيل تكون النبوة قد تحققت ؟

والجواب ان النبوة لا تحقق الا بوجود رجل له صفة الامره قد قهر أعداءه ودانوا له بالطاعة وعلى أثر ذلك اتى الى اورشليم بهيئة المتواضع راكبا حمارا لا كالملوك الجبارين

والمسيح لم يدخل اورشليم على هذا الوجه فليس له صفة الامرة على أهلها وليس له كلمة نافذة فيهم . فهو فرد من أفراد الرعية الرومانية لا أكثر ولا أقل

وقد علم الخاص والعام ماصنعه معه أهل ارشليم بعد ذلك بايام قليلة فليس هو الذى تنبأ عنه زكريا ولا تتحقق نبوة زكريا بدخوله اورشليم على جحش ولا على اتان وجحش

وأما الشخص الذى تحققت به هذه النبوة بالفعل فهو عمر بن الخطاب رضى الله عنـه إذ خرج من المدينة راكبا على حمـــار حتى وصل الى معسكر الاسلام بالجابية فخرج اليه أهل اورشليم واعتقدوا منه صلحا وبعد تمام الصلح دخل الى اورشليم راكبا حمـاره الذى أتى عليه من المدينة وهو صاحب الأمر والنهى فى صهيون وأورشليم والـكلمة العليا بعدالله له والطاعة طاعته . وأما وداعة عمر وعدله وتواضعه فهى مضرب المثل الى اليوم وبدخوله تحققت نبوة زكرياء عليه السلام

جاء فى الطبرى فى أنباء سنة ١٥ هجرية بصفحة ١٥٨ من الجزء السابع مانصه

« وجميـع ماخرج عمر الى الشام أربع مرات ـ فاما الأولى فعلى فرس . وأما الثانية فعلى بعير . وأما الثالثة فقصر عنها ان الطاعون مستعر . وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها وخرج

ومعلوم ان عمرلم يكن يدرى ماقاله زكرياء ولا علم له به وانما جاء لغرض معاونة عمرو بن العاص على فتح تلك البلاد التى تعذر عليه فتحها فخرج من المدينة على حماره الى فلسطين غير متعمد لذلك ولم يقصد تفسير نبوة زكرياء

والذين حضروا أيام الحرب العظمى يعلمون ان اللورد اللنبى امر بجمع الحمر الجيدة فى مصر وذلك حين اشرف على فتح بيت المقدس ليمثل هو وضباطه دخول المسيح الى بيت المقدس على حمار

واما اليهود فانهم ينتظرون مسيحا اى ملكا ياتى الى اورشليم على حمار ويعيد لهم ملك داود وسليمان تبتهج به اورشليم وصهيون

واما المسلمون فينتظرون مسيحا دجالا خرافيا يكون أعوروله حمار عجيب ما بين اذنيه اربعون ذرا أو سبعون ذراعا وفى يده جنة ونار ويدعى الالهية ويدعو الناس الى عبادته ويفتنهم عن دينهم ويدخل كل بلد وكل مدينة الا مكة والمدينة وبيت المقدس ويفعل خوارق العادات وتتم له ويحارب المهدى المنتظر وينزل عيسى فى تلك الايام من السماء ويقتل الدجال بعد ذلك بمعاونة عيسى المهدى الخ

مسائل

الأولى ـ جاء فى التقرير الثانى وهو الذى كتبته اللجنة الثانية ، مسألة صاحب موسى وهل هو شعيب أو غيره . وقد أخذت اللجنة على انى جعلت شعيبا بعد زمن موسى

أقول ـ ان الواجب اسقاط هذه المسألة لأنى قد أصلحت ذلك القول اذ نبهنى عليه الأستاذ الشيخ عبد الفتاح خليفه فعمدت الى الملزمة التى فيها هذا الكلام فاعدت طبعها بعد ان أصلحت الكلام على صاحب موسى الذى صاهره وقلت أن الفضل فى ذلك للشيخ عبد الفتاح خليفة ـ فقد دخلت هذه المسألة فى خير كان ولم يبق لها أثر من قبل ان يظهر نقدهم

الثانية ـ جاء فى ذلك التقرير مانصه (رابعا تجويزه أن تكون ولادة عيسى من مريم بصورة تؤدى الى ان له ابا) الخ ثم نقلوا كلامى من صفحة ٣٧١ اقول ـ ما كنت اظن أو يدور فى خلدى انى ساحتاج الى أن اشرح لحضرات أصحاب الفضيلة اعضاء اللجنة « من هو الآب » فالأب عند كل الناس هو الذكر البالغ من بنى آدم الذى غشى امرأة قد بلغت الحيض وعمل معها العمل الجنسى واستقر منيه فى رحمها وتخلق من ذلك المنى بواسطة التلقيح لبويضات تلك المرأة انسان فاذا تمت أيامها وجاءت بذلك الولد كانت هى أما له والذى فعل معها الفعل الجنسى يكون ابا له فاذا كان متزوجا منها من قبل ذلك أو لم يكن متزوجا منها وادعاه (وهى فارغة) فهو الأب عرفا وشرعا واذا كان غير متزوج منها ولم يدعه كان أبا له فى الواقع وان لم يكن أبا شرعيا ـ فهل ادعيت ان مريم قد غشيها رجل وهى بالغ وأقر منيه فى رحمها وتخلق من ذلك عيسى؟ كلا ـ ومع ذلك فقد اقررت اعينهم وحذفت تلك العبارة

الثالثة ـ ما نقلته فى صفحة ٢٧٥ من كتابى عن انجيل برنابا من أن يوسف النجار كان عشيرا لمريم من غير سوء وقلت ان ذلك غير مخالف للقرآن

أقول ان هذا القول جاء فى كتاب كله دفاع عن مريم عليها السلام وعن المسيح وعن الأسلام من قبل أن يوجد الاسلام فصاحبه حريص كل الحرص على كرامة مريم واتخاذ العشير قبل الزواج أمر موجود بين اليهود إلى اليوم وهو الخطيب الذى يعاشر المرأة بدون اتصال جنسى حتى اذا رضيته ورضيها عقد بينهما الزواج وهذا شىء لاضرر منه ولا يوجب هجنة على الرجل ولا على المرأة ولا على اهلها وعشيرتها لأن ذلك لايكون فى الخفاء بل يكون ظاهرا امام الناس .

اما انا فأرى ان الدجال رجل يقيمه اليهود مسيحا اى ملكا يرجون ان يعيد لهم مملكة داود وسليمان يركب حمارا ليدخل عليه اورشليم ليكون ذلك محققا لنبوة زكريا وان الحال الحاصلة فى فلسطين اليوم انما هى جزء اولى من فتنة الدجال الذى ينتظره اليهود.

وقد عابت اللجنة اننى اقررت هذه القصة التى اعتبرت مثارا لاتهام اليهود - اقول عجبا - ان اليهود اذا رأوا ذلك لايتهمونها بل هذه المسألة من دواعى التخفيف عنها اذ لا اسهل عليها من أن تدعى أنها تزوجته.

وانى اتحدى حضراتهم أن يأتونى من القرآن بما يثبت أن مريم لم تخطب لأحد أصلا قبل أن تأتى بعيسى. فان لن يفعلوا ولن يفعلوا فلا حق لهم فى الاعتراض على

بما قدمته من الرد على كل مسألة من المسائل التى تعلقت على بها اللجنة يعلم أن الكتاب صحيح لامؤاخذة على فيما نصصته فيه - وانهم لم يكونوا على صواب فى حكمهم باعدام كتابى ماديا واعدامهم لى ادبيا بقولهم (نرى ان هذا الكتاب بحالته هذه لايصح تداوله بين طلاب المعاهد الدينية وغيرهم) والسلام على فضيلتكم ورحمة الله ٣١-١-١٩٣٤

اعضـــاء | رئيس اللجنة

ابراهيم الجبالى محمود أبو دقيقه محمد العزبى رزق عيسى منون

فقد استبان ان الكتاب لم يتضمن خطأ بل كله صواب يشهد له أهل العقول الراجحة والأفكار القويمة ممن قرأوه انه أبدع كتاب وجد فى باب قصص الأنبياء الى اليوم وأنه لاشبيه له فى بابه

الخـــاتمة

الآن وقد انتهيت مما اردته من دفع كل انتقادات اللجنة على كتابى وتبين للقارىء الكريم ان اللجنة لم توفق الى ايراد مطعن صحيح على ذلك الكتاب يستحق أن يؤبه له، واستبان ان كتابى صحيح لاغبار عليه، وانى كنت أسير فى كتابتى له على النهج الواضح والسبيل السوى، ولم أحد فيه عن الصراط المستقيم، فلا اريد ان القى القلم من يدى حتى اعلن شكرى لاعضاء اللجنة الموقرة فقد قاموا بما أمروا به خير قيام ولم يدخروا وسعا فى تسوئة كتابى والتشهير بى

وقد كانت مهمتهم شاقة كلفتهم الانفاق من كل شيء يملكونه، ليصلوا الى الغاية التى رسمت لهم واذا كانوا لم يصلوا إلى شيء يعتبره العقلاء شيئا يوجب المؤاخذة على. فلم يكن ذلك عن هوادة أو تقصير في اداء هذه المأمورية اذ ليس الوصول الى شيء بملكهم.

واني لا أنكر أن لهم فضلا علي فى توجيه أنظار العالم الى الوقوف على كتابى، وقد كنت اساعف

وان الله لا يمكن ان يخرق العادة لرجل يدعى الألوهيـة لأن ذلك تصديق له والله لا يصدق الكـذاب .

موقف للمسيح فى اليوم الآخر

ذكر القرآن الكريم موقفا للمسيح عليه السلام فى اليوم الآخر يوم القيامة ولما كان ذلك متحقق الوقوع متى حضر وقته فقد عبر فيه بلفظ الماضى

ذلك أن الله تعالى يسأله وهو أعلم بالواقع عن ضلال امته فيه وفى امه إذ بعضهم قد عبده وحده وبعضهم عبده وأمه واتخذوهما إلهين من دون الله ليقيم الحجة على ضلال ما عمل اتباعه من بعده فيجيبه منكرا ذلك جاحدا له مقررا انه فى حياته انما دعا الى الله وحده وعبادته دون سواه وانه كان يراقبهم ويسددهم بالنصائح الى وفاته وبعد ذلك كان الله الرقيب عليهم وهو الشهيد على كل شىء وان أمر عباده اليه ان شاء عذب وان شاء رحم

اقرأوا هذه الآيات

سورة المائدة : وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١١٦ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ

الناس أيام كان موجودا منه نسخ أما الآن فانى آسف كل الأسف لأنى لا أجد ما اساعفهم به — هـذا أولا

ثانيا — كان لهم الفضل على لأنهم بتقريرهم وبعبارة أخرى بنقدهم هذا قد حفزونى على المطالعة والدرس فازددت رسوخا فى كل المعانى التى اوردتها فى كتابى ووثوقا بما ضمنته ذلك الكـتاب

ثالثا — انهم بنقد كتابى قد اتاحوا لى أن ارد على نقدهم بما قدمت . فانا الآن بكتابى أوثق وساحلى جيد طبعته الثانية بانتقاداتهم واعتراضاتهم وازينها بردى على حضراتهم وابطال مدعياتهم وحينئذ اتقدم الى العـــالم الاسلامى مرفوع الرأس وأمد يدى اليهم بنسخته الثانية قائلا هاؤم اقرأوا كتابيه .

تحريرا فى يوم الخميس الموافق ١٢ محرم سنة ١٣٥٣ ٢٦ ابريل سنة ١٩٣٤

عبد الوهاب النجار

رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٧ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١١٨ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

يلاحظ القراء أنى لم اعقد بابا لقصص رسول الله محمد ﷺ وهو خاتم النبيين — الا فليعلموا أنى كتبت سيرة رسول الله محمد ﷺ فى كتاب على حدة — فاذا كان فى عمرى مهلة فانهم سيرون هذا الكتاب ويقرأونه ان شاء الله . وكل آت قريب

والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اخوانه
من النبيين والمرسلين وعلى
آله وصحبه اجمعين

تم



فهرست الكتاب

فهرست الخطأ والصواب

قد وقعت فى هذه الطبعة بعض أخطاء لاينبو عن فطنة القارىء اللبيب صوابها. نثبت هنا ما رأينا لزوم اثباته منها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٢	مر	من
١٢	٦	فـ يصاح	فلا يصح
١٣	١٥	الاعتراف	الاعراف
١٩	٣	لله	الله
٢٩	٧	عل	على
٣٢	٢١	ذكر	ذكر فيها
٣٨	٤	استخلاف	استحلاف
٤٥	٤	الوتينه	الوثنيه
٤٨	١٦	تعال	تعالى
٤٨	١٨	وأطيعون	واتقوه وأطيعون
٥٣	٢٥	جاد الله	جار الله
٥٥	٢٢	يؤازه	يؤازره
٧٥	١	كفروا	كذبوا
٧٥	٧	لاتنظرونَ	لاتنظرونِ
٧٥	٧	وربَّكم	وربُّكم
٧٦	٧	١٠٤	١٤٠
٧٦	٩	أشدَّ	أشدُّ
٩٧	١٤	٦٠	٦
١٠٩	٢	منها	بها
١٠٩	١٠	الاصحاحات	الاصحاحان
١٢٥	٢	تسعة	تسعا
١٢٧	١١	وامرأتِه	وامرأتُه
١٢٧	١١	فبسَّرناها	فبشَّرناها
١٢٩	١١	أذقال	وأذ قال
١٤٤	٢٤	عل	على
١٤٨	١١	يلتفت	ولا يلتفت
١٤٨	١٦	ولا يلتفت	يلتفت
١٦٠	١٧	قيصُه	قميصَه
١٨٢	١٥	أئنك	أنك
١٩٧	١٦	جبارًا	جبارًّا
٢٠١	٦	اثنين	اثنتين
٢٠٨	٢٤	طويا	طويلا
٢١٠	٩	ومنها	ومن سورة القصص
٢٢٥	١٦	ألقَوا فلما ألقُوا	ألقُوا فلما ألقَوا
٢٢٥	١٧	أن ألقُ	أن ألق
٢٢٧	١٥	مبينُ	مبين
٢٢٨	١	بكل ساحر	بكل سحار
٢٢٩	٩	ويستحى	ويستحي
٢٣٠	٦	متكُبر	متكبر
٢٣٠	١٦	فرعو	فرعون
٢٣١	١٣	يعدْكم	يعدُكم
٢٣٥	٦	بعدم	بعد
٢٣٦	٦	علمتُ	علمتَ
٢٣٩	٤	مقدارا	مقدرا
٢٤٠	٦	ببنى اسراميل	بنى اسرائيل
٢٥٤	٧	الرؤيا	الرؤية
٢٦٩	١١	الغضبَ	الغضبُ
٢٦٩	١٧	وكذلك	فكذلك
٢٨٨	١٩	وأذا قتلتم	وأذ قتلتم
٢٩٢	٢٣	أحياء لموتى	احياء الموتى

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٩٣	١٦	لأكثر	لا أكثر
٢٩٦	٢٢	وأعطلعهن	وأعطلهن
٢٩٩	٤	استق	استبق
٣٠٠	١	التدارى.	التدارؤ
٣٠٦	٨	رعدة	ورعدة
٣١٠	١٢	ذلك	ذلكم
٣١٠	١٩	الجوار المنشات فى البحر	الجوار فى البحر
٣١٨	١٣	المضاهات	المضاهاه
٣٣٥	١٨	بثبوت	بثوب
٣٣٧	١٣	مكتوبا	مكتوما
٣٣٨	١	عظيمٌ	عظيمٍ
٣٥٦	١	النّبيين	النبيين
٣٥٦	٧	غنى	لغنى
٣٦١	٢٢	الفسطنيين	الفلسطينين
٣٦٩	٢٣	المثى	المشى
٣٧٩	٢٠	مترا مربعا	متر مربع
٣٨٣	٨	لما يذكره	لم يذكره
٣٩٦	١٠	عجبة	عجيبة
٣٩٦	١٥	لأدرى	لا أدرى
٣٩٧	١٠	تشهذونَ	تشهدون
٣٩٨	١٠	الذى أرسلت	التى ارسلَت
٣٩٩	٢٠	القربين	القرابين
٤٠٠	١٦	عصاة	عصاه
٤٠١	١	غير واحدة	غير واحد
٤٠٢	١٥	الذين	اللذين
٤٠٤	١٨	مقصورة	مقصودة
٤٠٥	١٧	أتعدوننى	أتعدونن
٤٠٩	١٠	عل	على
٤١١	١٣	قواوير	قوارير
٤٢٢	١٦	الفضيلة	الفضلية
٤٢٤	٣	فتجيناه	ونجيناه
٤٢٥	٦	سورة يونس	سورة الأنبياء
٤٣١	٤	المفسرون	المفسرين
٤٣٢	٣	شديدا	شديدة
٤٣٤	٥	ومنها	من سورة هود
٤٣٩	٨	ذكريه	زكريا
٤٤٠	٢	حنة	اليصابات
٤٤٠	٤	جراد	جرادا
٤٤٧	١٤	واحد	واحدا
٤٦٢	١١	حقوية	حقويه
٤٧٣	٨	عل	على
٤٨٢	١٢	الحوريين	الحواريين
٤٨٦	٣	من الطير	من الطين
٤٩٩	٩	رمانانات	رمانات
٥٠٠	١٧	عنما	عنهما
٥١٢	٢١	أماطيطوس	أمام طيطوس
٥٣٦	٢	صَدّيقة	صدّيقه
٥٤٢	٢٠	اللهوت	اللاهوت